

(١٠٣٨)

التمساح

أحكام وأوصاف

في كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"الرازية، و الأكسية القزوينية، و الثياب السعيدية، و الحلل اليمانية، و الأردية المصرية، و الملاحم الخراسانية، و الثياب الطاهرية، و الحلل الأندلسية، و الدر العماني، و الياقوت السرنديبي، و الحرير الصيني، و الخز السوسي، و الديباج التستري، و البزيون الرومي، و الكتان المصري، و الوشي الكوفي، و العتابي الأصبهاني، و لا علم أن ببلاد المغرب و مصر عجائب لا تكون إلا بها مثل منارة الإسكندرية و عمود عين الشمس، و الهرمان و جسر أذنة، و قنطرة سنجة، و كنيسة الرها، و سور أنطاكية، و الأبلق الفرد، و برهوت، و هاروت، و الفرس الذي في أقصى المغرب، و الأسد الذي بهمذان، و السمكة و الثور بنهاوند، و إيوان كسرى بالمدائن، و تخت شبديز في الطاق، و بناء قصر شيرين و الدكان، و أساطين قصر اللصوص، و عجائب رومية، و **التمساح** بالنيل، و الرعاد و السقنقور، و غير ذلك مما لا يحصى و لا يعد. و قالوا: أبعد الناس نجعة في الكسب بصري، و حميري، و من دخل فرغانة القصوى، و السوس الأقصى، فلا بد أن يرى فيها بصريا، أو حميريا على أن أهل إصبهان و الخوز معروفون بذلك، و يجد في كل بلد منهما صفا قائما.

و مما قالوا في التقلب في البلدان و التباعد في الأطراف قول أبي العتاهية في الرشيد:

و لولا أمير المؤمنين و عدله إذا لبغى بعض البلاد على بعض

و سيارة هادون في الأرض بالهدى ليحكم بالإبرام لله و النقض

لئن كان ذو القرنين أدرك غاية لحسبك من هارون ما سار في الأرض

و قال آخر في غزوة خراسان:

و ما كان ذو القرنين يبلغ سعيه و لا غزو كسرى للهياطلة الجرد

و جواب آفاق و طلاع أنجد و طلاب وتر لا ينام على حقد

و قال آخر في تقلبه في البلاد:

خليفة الخضر من يربع على وطن في بلدة فظهور العيس أوطاني

بالشأم داري و بغداذ الهوى وطني بالرقمتين و بالفسطاط إخواني

البلدان(ابن الفقيه)، ص: ١١٠." (١)

---

(١) البلدان لابن الفقيه الهمذاني، ٨٥/١

"و قالوا: البط ترعى بمصر كما ترعى الغنم، و بها الثعابين و ليس هي في بلد غيرها، و إليها حول الله عصا موسى، قال الله عز و جل: فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين

يعني أنه حولها ثعبانا. و من أعاجيب مصر النمس، و ليس ذلك لأحد غيرهم، و هي من عجائب الدنيا، و ذلك أنها دويبة متحركة كأنها قديرة، فإذا رأت الثعبان دنت منه، فينطوي الثعبان عليها يريد أن يعضها و يأكلها، فتزفر زفرة تقد الثعبان بقطعتين، و ربما قطعته قطعا، و لولا النمس لأكلت الثعابين أهل مصر، و هي هناك أنفع لأهلها من القنافذ لأهل سجستان، و سجستان بلد كثير الأفاعي و في شروطهم أن لا يقتل لهم قنفذ و لا يصاد. و بمصر أعجوبة أخرى و هي **التمساح**، لا يكون إلا في النيل، و يكون في نهر السند مهران «١»، فإذا عض أوغل أسنانه و اختلفت، فلم يدع ما أخذه حتى يقطع بأسنانه ما قبض من شي ء، و حنكه الأعلى يتحرك و لا يتحرك الأسفل، و ليس ذلك في غيره من الدواب، و لا يعمل الحديد في جلده، و ما بين رأسه و ذنبه عظم واحد، و ليس يلتوي و لا ينقبض لأنه ليس في ظهره خرز، و إذا انقلب لم يستطع أن يتحرك، و إذا سفد الذكر الأنثى خرج من النيل فيلقيها على ظهرها ثم يأتيها مثل ما يفعل الرجل بالمرأة، فإذا فرغ أقلبها، و إن أقرها على ظهرها صيدت، لأنها لا تقدر أن تنقلب، و ذنب **التمساح** حاد جدا، فربما قتل من الضربة، و ربما جر الثور إلى نفسه فيأكله، و له بيض مثل بيض الأوز، و يبيض ستين بيضة، و له ستون فإذا سفد ففي ستين مرة، فإذا خرج **التمساح** من بيضة خرج مثل الحرذون في خلقه و جسمه، فيعظم حتى يكون عشرة أذرع أو

البلدان(ابن الفقيه)، ص: ١١٩." (١)

"أكثر، و هو يزيد كلما عاش، و إن أخذ من جانب حنكه الأيمن، أول سن في الحنك و علق على من به حمى نافض تركته من ساعته، و ربما دخل اللحم في خلال أسنانه فيفتح فاه، و له صديق من الطير يشبه بالطيطوى، يجيئه حتى يسقط على شدقه فيخلل بمنقاره ذلك اللحم، فيكون ذلك طعاما للطير، و ترفيها **للتمساح** لأنه ينقى ما في أسنانه من اللحم و يحرسه هذا الطائر ما دام ينقى أسنانه فإن رأى صيادا أو إنسانا يريده.." (٢)

"أو ابن عرس فإنه عدوه أعلمه ذلك و ذلك إن ابن عرس يجي ء إلى **التمساح** و هو نائم و يحب النوم على شط النهر فيستحم في الماء و يتمرغ في الطين ثم ينتفض حتى يقوم شعره في فم **التمساح** فيقتله

---

(١) البلدان لابن الفقيه الهمذاني، ٩٣/١

(٢) البلدان لابن الفقيه الهمذاني، ٩٤/١

قتلا عنيفا أو يأكل ما في جوفه فلذلك الطير يحرس **التمساح** و إذا رأى ابن عرس مقبلا أنبه **التمساح** و آذنه فيهرب **التمساح** إلى الماء و ليس هذا بأعجب من الخلد و هي دابة عمياء فتخرج من جحرها فتفتح فاها فيتساقط الذبان في فيها و أشداقها و لا تزال تضم فاها على الذبان و تبلعه حتى تشبع ثم تدخل جحرها و ليس هذا بأعجب من طائرين يراهما الناس من أدنى حدود البحر من شق البصرة إلى غاية البحر من شق السند أحدهما كبير و الآخر صغير يقال لأحدهما جوانكرك و يسمى الآخر جرشي فلا يزال الصغير يرنق على رأس الكبير و يعبث به و يطوف حوله و يخرج من بين رجليه و يغمه و يكربه حتى يتقيه بذرقة فإذا ذرق الجرشي تلقاه الجوانكرك فربما يخطئ أقصى حلقه حتى كأنه ردى به في بئر فإذا استوفى ذلك الذرق رجع شبعان ريان بقوت يومه و مضى ذلك الكبير لطيته و أمرهما مشهور ظاهر، و أعجوبة أخرى و هو إن الدخس من دواب الماء مما يقايس السمك و ليس بسمك يعرض للغريق فيدنو منه حتى يضع الغريق يده على ظهره فيسبح و الغريق يذهب معه و يستعين بالاتكاء عليه و التعلق به حتى ينجيه، و هو عند البحريين مشهور، قالوا و من ادهن بشحم حرذون ثم ألقى نفسه على **التمساح** في الماء صاده و الحرذون دويبة تكون بمصر و زبله ينفع من وجع العين و يقاتل العقرب و إذا ظفر بالجدي أكل أذنه، و أهل مصر يعدون كون **التمساح** في النيل من غرائب ما عندهم و هو كثير في خلجان سندان و الزنج و لكنهم لا يعرفون له هناك هذا الطائر الذي يخلل أسنانه، و كون **التمساح** موصول في نيل البلدان(ابن الفقيه)، ص: ١٢٠." (١)

"مصر بوادي مهران و هو وادي السند و من هناك أتاه. و بمصر من العجائب الفرس الذي يكون في النيل يأكل **التماسيح** و غيره من الدواب و يربي هذا الفرس إذا كان فلوا في البيوت مع النساء و الصبيان و في سنه شفاء من وجع المعدة. و النوبة و الحبشة تتعالج به لأنهم يأكلون الأطعمة الغليظة فيشرفون على الموت من وجع المعدة فيأخذون سن هذا و يتعالجون به فيبرؤون و أعفاجه تبرئ من الجنون الذي يأخذ في الأهلة. و من عجائب النيل دابة تسمى ذا القرن تكون في النيل على أنفها مثل السيف الحاد تقطع الصخرة إذا ضربتها و ربما قتلت به الفيل.

و أهل مصر يعدون النيل من أحد عجائبهم و ذلك أنه مخالف لجميع الأودية التي عليها ضبع العالم و كل سرب و مغيض فإنما استقباله من ناحية الشمال و ليس النيل كذلك لأن مجراه من ناحية الجنوب و ليست

---

(١) البلدان لابن الفقيه الهمذاني، ٩٥/١

التماسيح في شي ء من هذه الأودية المعروفة لا ترى بالفرات و لا دجلة و لا سيحان و لا جيحان و لا نهر بلخ، و لا فيها من الفساد و الدواب الخبيثة، و شرب أهل مصر في البواقيل «١»،
و قال النبي (صلى الله عليه و سلم): «تغور المياه كلها و ترجع إلى أماكنها، إلا نهر الأردن و نيل مصر و الحجرات و عرفات و منا».
و قال ابن الكلبي: إذا طلع العيوق غارت المياه كلها و نقصت إلا نيل مصر، و يمتد النيل لسبع من أيار.
و قال عبد الله بن عمرو: نيل مصر سيد الأنهار، سخر الله له كل نهر بين المشرق و المغرب، فإذا أراد الله أن يجريه أمر كل نهر أن يمده، فأمدته الأنهار بمائها، فإذا فجر الله به الأرض عيونا و انتهى من جريته إلى ما أراد الله، أوحى الله عز و جل إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره، و في الخبر أربعة أنهار من الجنة: النيل، و الفرات، و سيحان، و جيحان.." (١)

"و قد خص الله أهل الصين بإحكام الصناعات و أعطاهم منها ما لم يعط أحدا، فلهم الحرير الصيني و الغضائر الصيني و السروج الصيني و غير ذلك من الآلات المحكمة العجيبة الصنعة المتقنة العمل. و لهم أيضا مسك إلا أنه ليس بجيد. و قالوا إنما يتغير في البحر لطول المسافة.
ثم الروم و ما قد خصهم الله به من العلوم و الآداب و ما قد أعطوا من الهندسة و الفلسفة و الحذق بالأبنية و المصانع و اتخاذ الحصون و عقد القناطر و الجسور و عمل الكيمياء و الكساء الرومي و الفرفير و البزيون. و في بلادهم الميعة و المصطكى.
ثم النوبة و ما قد خصوا به من جودة الرمي و ما قد انفرد به بلدهم من العجائب. و لهم الخيل العجيبة و النجب التي تسبق الخيل. و لهم الكلاب التي تقاتل الأسد.
و كذلك البجة و في بلدهم معدن الزبرجد و معدن الذهب، و زيهم زي العرب كأنهم من رجال اليمن.
البلدان(ابن الفقيه)، ص: ٥١٣
٨٤/٢ و لأهل الم‍غرب البغال البربرية [١٣٠ ب] و الجواري الأندلسيات و النمور الزنجية.
ثم ما قد خص به أهل مصر، من النيل و عجائب ما فيه من طرائف السمك و **التماسيح**، و لهم السمك الرعاد إذا وقع في شبكة الصياد ارتعدت يده و لم يملك من أمره شيئا حتى يخلي هذا النوع من شبكته.
و لهم السقنقور و خاصيته في الجماع لا تدفع. و لهم الثياب الدبيقية و الشطوية، و الأردية التي تكاد سلوكها تختفي عمن نظر إليها. و يقال إن نساجيها أوسخ الناس و أقذرهم، و هم يأكلون الأطعمة الكريهة

(١) البلدان لابن الفقيه الهمذاني، ٩٦/١

الروائح من السموك المملحة و اللحوم الغثة و لا يغسلون أيديهم و تنتن روائحهم. و إذا قطعوا الثوب بعد ما قد ناله من وسخهم و درن أبدانهم ما لا يوصف، وجد في نهاية الحسن و طيب الرائحة.." (١)

"و بخراسان الغوشنة و الكليكان و الرخبين و الملبن. و بها معدن الفيروزج و اللازورد. و لهم البنجهير، معدن الفضة. و لهم الحزم القوجية و الخيل البخارية.

و لهم الركب المروية و لهم الاشكر و الخلنج و لهم الختو.

و بالتبت، المسك التبتي و الدرق التبتية. و زعموا أن كل من دخلها لم يزل ضاحكا مسرورا.

و باليمن العقيق و البجاذي و الجزع و غير ذلك.

و بأرمينية: الفرش الأرمني و البسط و الستور. فسبحان من أعطى كل بلد نوعا من الخيرات و جنسا من الصناعات و لولا ذلك ما جمعته الملوك من الصفائح اليمانية و القضب الهندية، و الرماح البلوصية، و الأسنة الخزرية، و الأعمدة الهروية، و اللجم الحاربندية، و الشعور الصبلية «١»، و الشهاري الأبرازبندية، و البغال الأرمينية، و الحمير المريسية، و الثياب السعيدية، و الكيش الشاشية، و الأوتار التركية، و الجعاب السجزية، و الدرق المغربية، و ادبحت «٢» الأندلسية، و الدرر العمانية، و اليواقيت السرنديبية، و الكتان المصرية، و الملحم الخراسانية، و الوشي الكوفية.

و اعلم أن ببلاد المغرب و مصر و ببلاد الجبل و خراسان عجائب لا تكون بغيرها. مثل: منارة الاسكندرية، و عمود عين الشمس، و الهرمين، و جسر أزنة، و قنطرة سنجة، و كنيسة الرها، و الأبلق الفرد، و المشقر، و غمدان، و برهوت، و بلهوت، و مدينة الحضر، و أبنية تدمر، و عجائب فامية، ٨٩/٢ و الفرس الذي في أقصى المغرب، و ما يذكر عن مدينة الصفر، و يحدث عن قبة الرصاص، و إيوان المدائن، و تخت شبديز، و أسد همذان، و السمكة و الثور بنهاوند، و أبنية إصطخر، و عجائب

البلدان(ابن الفقيه)، ص: ٥١٨

رومية، و **التمساح**، و الرعاد، و السقنقور، و ذات الحوافر و غير ذلك من العجائب التي لا تحصى [١٣٢ ب] فتبارك الله أحسن الخالقين.

منارة ذات الحوافر

(١) البلدان لابن الفقيه الهمذاني، ٤٧٥/١

و كان سنب بناء (ذات الحوافر) بهمذان و هي منارة عالية في رستاق يقال له و نجر بقرية يقال لها أسفجين.." [1]

"ذلك فترك وغلب عليه الرمل فانقطع فصار منتهاه إلى ذنب **التمساح** من ناحية طحاء القلزم (ابن عبد الحكم) [كنز العمال ٣٥٩٠٦]

٢٩٢١٨- عن عمر بن الخطاب : أن النبى - صلى الله عليه وسلم - أبصر على رجل خاتما من ذهب فقال ألق هذا عنك فاتخذ خاتما من حديد فقال هذا شر منه فاتخذ خاتما من فضة فسكت عنه النبى - صلى الله عليه وسلم - (الجنديسابورى) [كنز العمال ١٧٤١٥]

أخرجه أيضا : العقيلى (١٩٢/٤) .

٢٩٢١٩- عن نافع عن ابن عمر عن عمر : أن النبى - صلى الله عليه وسلم - أسهم للفرس سهمين وللرجل سهما (أبو الحسن البكالى) [كنز العمال ١١٧١١]

٢٩٢٢٠- عن أنس : أن النبى - صلى الله عليه وسلم - جلد فى الخمر بالجريد والنعال ، ثم جلد أبو بكر أربعين ، فلما كان عمر ودنا الناس من الريف والقرى قال : ما ترون فى حد الخمر فقال عبد الرحمن بن عوف : أرى أن تجعلها كأخف الحدود فجعلها عمر ثمانين (ابن جرير)] كنز العمال ١٣٦٧٥]." [2]

" (فجاءت الحمى كعاداتها ... فلم تجد ما بيننا مسلكا) - من السريع -

وقوله يصف برادة على حامل نحاس

(أم الحياة على سرير نحاس ... عريانة أبدا بغير لباس)

(هي في الموات لدى الورى معدودة ... لكنها ضمنت حياة الناس) - من الكامل -

وقوله

(بعين الله أنت فإن عيني ... إذا ما غبت دامية الجفون)

(كأنك مهجتي فإذا تداني ... فراقك حم لي ريب المنون) - من الوافر -

وقال يصف البنفسج والورد

(بنفسج جاء في حداد ... ووردنا في معصفرات)

(فاشرب على مأتم وعرس ... جلا جميعا عن الصفات) - من مخلع البسيط -

---

(١) البلدان لابن الفقيه الهمذاني، ٤٧٩/١

(٢) جامع الأحاديث، ٣٣٧/٢٦

وسأله ابن رشدين المسير معه إلى القاش فقال مرتجلا

(يا آمري بالمسير في لجج النيل ... كأن سخرت لي الريح)

(ما جمد الماء لي فأركبه ... كلا ولا صامت **التماسيح**) - من المنسرح -

٣٤ - محمد بن الحسن اليمني

أنشدت له في صالح

(يا قاطعي بعد وصل ... تسوم ما لا أسومك) ." (١)

"٨٦٠-ابن عيينة أخبرنا: مخارق عن طارق بن شهاب قال:

-خرجنا حجاجا فأوطأ رجل منا يقال له اربد ضبا ففرز ظهره فقدمنا على عمر رضي الله عنه فسأله اربد فقال عمر: احكم يا أربد فيه فقال: أنت خير مني يا أمير المؤمنين وأعلم فقال: عمر بن الخطاب: إنما أمرتك أن تحكم فيه ولم آمرك تزكيني فقال أربد: أرى فيه جديا قد جمع الماء والشجر فقال عمر: فذلك فيه (أوطأ رجل منا ضبا أي حمل عليه فرسه فوطئه والأصل الوطء وهو الدوس يقال: وطئه برجله أي داسه وأوطأه فرسه أي جعل فرسه يطؤه فوطئ يتعدى إلى واحد وأوطأ يتعدى إلى اثنين فكأن التقدير أوطأ رجل منا فرسه ضبا فحذف أحد المفعولين ففرز بفاء فزاي ظهره أي شقه وبابه نصر والذي في النهاية ونقله صاحب اللسان وفي حديث طارق بن شهاب: خرجنا حجاجا فأوطأ رجل راحلته ظبيا ففرز ظهره أي شقه وفسخه هذا والضب والحرباء والوزغ كلها متناسبة في الخلق وقيل هو دويبة في شكل فرخ **التمساح** الصغير وذنبه كذنبه وهو يتلون تلون الحرباء والحديث يدل على إباحة أكله وفي مسلم أن النبي قال فيه لست بآكله ولا محرمه وفي روايات لا آكله ولا أحرمه وفي رواية قال كلوا فإنه حلال ولكنه ليس من طعامي وفي رواية فرفع يده منه فقيل أحرام هو يا رسول الله قال لا ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه وأجمع المسلمون على أنه حلال غير مكروه إلا ما حكى عن أبي حنيفة من كراهته وقوله جمع الماء والشجر أي فصل عن أمه وصار يأكل من نبات الأرض ويشرب وتزكيني مرفوع لضعف العامل محذوفا) .." (٢)

"فقال: "هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟ " فأرسلنا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فأكل (١).

---

(١) قرى الضيف، ١/٤٧٤

(٢) مسند الشافعي - ترتيب السندي الشافعي ١/٣٣٢

(١) إسناده صحح. وأبو الزبير -وهو محمد بن مسلم بن تدرس المكي- قد صرح بالسماع عند أحمد (١٤٣٣٧) فانتفت شبهة تدليسه، على أنه متابع.

وأخرجه البخاري (٤٣٦٢) مختصرا، ومسلم (١٩٣٥)، والنسائي (٤٣٥٣) و (٤٣٥٤) من طريق أبي الزبير المكي، به.

وهو في "مسند أحمد" (١٤٢٥٦)، و "صحيح ابن حبان" (٥٢٥٩ - ٥٢٦١).

وأخرجه مطولا ومختصرا البخاري (٢٤٨٣) و (٢٩٨٣) و (٤٣٦٥)، ومسلم (١٩٣٥)، وابن ماجه (٤١٥٩)، والترمذي (٢٦٤٣)، والنسائي (٤٣٥١) من طريق وهب بن كيسان، والبخاري (٤٣٦١) و (٤٣٦٢) و (٥٤٩٣) و (٥٤٩٤)، ومسلم (١٩٣٥)، والنسائى (٤٣٥٢) من طريق عمرو بن دينار، ومسلم (١٩٣٥) من طريق عبيد الله بن مقسم، ثلاثتهم عن جابر بن عبد الله.

وهو في "مسند أحمد" (١٤٢٨٦) و (١٤٣١٥) و (١٤٣٣٧)، و"صحيح ابن حبان" وأخرج مسلم (٣٠١٤) من طريق عبادة بن الوليد، عن جابر: شكا الناس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الجوع، فقال: "عسى الله أن يطعمكم" فأتينا سيف البحر، فزخر زخرة، فألقى دابه ... فذكر نحوه. قلنا: الظاهر أنهما حادثتان، وانظر "فتح الباري" ٨/ ٨١.

قال الخطابي: الخبط: ورق الشجر يضرب بالعصا فيسقط.

وفيه دليل على أن دواب البحر كلها مباحة إلا الضفدع لما جاء من النهي عن قتلها، وفيه أن ميتتها حلال، ألا تراه يقول: "هل معكم من لحمه شيء؟ " فأرسلنا إليه فأكل، وهذا حال رفاهية، لا حال ضرورة.

وقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أن كل دابة في البحر فقد ذبحها الله لكم أو ذكاها لكم.

وعن محمد بن علي أنه قال: كل ما في البحر ذكي، وكان الأوزاعي يقول: كل شيء كان عيشه في الماء فهو حلال، قيل: **فالتمساح؟** قال: نعم. وغالب مذهب الشافعي إباحة دواب البحر كلها إلا الضفدع لما جاء من النهي عن قتلها. =." (١)

". . . . .

=٢٤٧٥ في صفة القيامة: باب رقم٣٤، والنسائي ٢٠٧/٧، في الصيد: باب ميتة البحر، والبيهقي٢٥٢/٩،

---

(١) سنن أبي داود ت الأرنؤوط السجستاني، أبو داود ٦٥١/٥

والبغوي٢٨٠٥ من طريقين عن وهب بن كيسان، به. والترمذي: حديث صحيح.

والظرب: الجبل الصغير.

قال البغوي في"شرح السنة" ١١/٢٤٩-٢٥٠: وفيه دليل إباحة جميع ميتات البحر، وهو ظاهر القرآن والحديث، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم﴾ قال عمر رضي الله عنه: صيده ما اصطيد، وطعامه ما رمى به.

وممن ذهب إلى إباحة جميع ميتات البحر أبو بكر وعمر وابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وأبو هريرة، وباب قال شريح والحسن وعطاء والشعبي، إليه ذهب مالك. قال الشعبي: لو أن أهلي أكلوا الضفادع لأطعمتهم، وقال عطاء: أما الطير، فأرى أن يذبحه، وقال الأوزاعي: كل شيء كان عيشه في الماء فهو حلال، قيل **فالتمساح؟** قال: نعم. وركب الحسن على سراج من جلود كلاب الماء، ولم ير الحسن بالسلحفاة بأسا. وغالب مذهب الشافعي إباحة دواب البحر كلها إلا الضفدع لما جاء من النهي عن قتلها. وأخذها: زكاتها لا يحتاج إلى ذبح شيء منها، وكان أبو ثور يقول: جميع ما يأوي إلي الماء حلال، فما كان يذكى، لم يحل إلا بزكاة، وما كان منه لا يذكى، مثل السمك فميتة حلال.

وذهب قوم إلى أن ماله في البر نظير لا يؤكل مثل كلب الماء، وخنزير الماء، والحمار ونحوها، فحرام، وماله نظير يؤكل فميتة من حيوانات البحر حلال.

وسئل الليث بن سعد عن دواب الماء فقال: إنسان الماء، وخنزير الماء، فلا يؤكل، فأما الكلاب، فليس بها باس في البر والبحر، وقال سفيان الثوري: أرجو أن لا يكون بالسرطان باس.

وحرم أبو حنيفة جميع حيوانات البحر إلا السمك، والأول أولاها =." (١)

"سمعت أبي يقول: سمعت أبا الحسن الملطي يقول: سمعت أبا عبد الله الجلاء يقول: " ﷺخرجت إلى شط نيل مصر فرأيت امرأة تبكي وتصرخ فأدركها ذو النون فقال لها: ما لك تبكين؟ فقالت: كان ولدي وقرة عيني على صدري فخرج **تمساح** فاستلب مني ولدي. قال: فأقبل ذو النون على صلاته وصلى ركعتين ودعا بدعوات فإذا **التمساح** خرج من النيل والولد معه ودفعه إلى أمه، قال أبو عبد الله فأخذته وأنا كنت أرى "." (٢)

---

(١) صحيح ابن حبان - محققا ابن حبان ١٢/٦٨

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٩/٣٦٦

"شريح، والحسن، وعطاء، والشعبي، وإليه ذهب مالك.

قال الشعبي: لو أن أهلي أكلوا الضفادع لأطعمتهم.

وقال عطاء: أما الطير فأرى أن يذبحه، وقال الأوزاعي: كل شيء كان عيشه الماء، فهو حلال.

قيل: فالتمساح؟ قال: نعم.

وركب الحسن على سرج من جلود كلاب الماء، ولم ير الحسن بالسلحفاة بأسا.

وغالب مذهب الشافعي إباحة دواب البحر كلها إلا الضفدع، لما جاء من النهي عن قتلها، وأخذها ذكاتها لا يحتاج إلى ذبح شيء منها.

وكان أبو ثور يقول: جميع ما يأوي إلى الماء حلال، فما كان منه يذكى، لم يحل إلا بذكاة، وما كان منه لا يذكى مثل السمك، فميته حلال.

وذهب قوم إلى أن ماله في البر نظير لا يؤكل مثل كلب الماء، وخنزير الماء، والحمار ونحوها فحرام، وما له نظير يؤكل، فميته من حيوانات البحر حلال.

وسئل الليث بن سعد عن دواب الماء؟ فقال: إنسان الماء، وخنزير الماء فلا يؤكل، فأما الكلاب، فليس بها بأس في البر والبحر.

وقال سفيان الثوري: أرجو أن لا يكون بالسرطان بأسا.

وحرم أبو حنيفة جميع حيوانات البحر إلا السمك، والأول أولاها بالصواب، وهو أن الكل حلال، لأنها كلها سمك وإن اختلفت صورها كالجريث، يقال له: حية الماء، وهو على شكل الحية، وأكله حلال بالاتفاق، وهو الأشبه بظاهر القرآن والحديث.." (١)

"(ت) ، وعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: سأل رجل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ من ماء البحر؟ ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " هو الطهور ماؤه، الحل ميتته " (١)

الشرح:

(ونحمل معنا القليل من الماء) وفي رواية أحمد والحاكم والبيهقي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فجاء صياد فقال يا رسول الله إنا ننطلق في البحر نريد الصيد فيحمل أحدنا معه الإداوة وهو يرجو أن يأخذ الصيد قريبا فربما وجده كذلك وربما لم يجد الصيد حتى يبلغ من البحر مكانا لم يظن أن

---

(١) شرح السنة للبغوي البغوي ، أبو محمد ١١/٢٥٠

يبلغه فلعله يحتلم أو يتوضأ فإن اغتسل أو توضأ بهذا الماء فلعل أحدنا يهلكه العطش فهل ترى في ماء البحر أن نغتسل به أو نتوضأ إذا خفنا ذلك. تحفة٦٩

(هو الطهور) بفتح الطاء أي المطهر قال بن الأثير في النهاية وقال المجد في القاموس الطهور المصدر واسم ما يتطهر به أو الطاهر المطهر انتهى

قلت المراد ها هنا هو المعنى الأخير قال الزرقاني أي البالغ في الطهارة ومنه قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء طهورا أي طاهرا في ذاته مطهرا لغيره قال ولم يقل في جوابه نعم مع حصول الغرض به ليقرن الحكم بعلته وهي الطهورية المتناهية في بابها انتهى

قوله (ماؤه) بالرفع فاعل الطهور (الحل) أي الحلال كما في رواية الدارقطني عن جابر وأنس وبن عمرو. تحفة٦٩

(ميتته) ما مات فيه من حيوان البحر. عون٨٣

قال الرافعي لما عرف صلى الله عليه وسلم اشتباه الأمر على السائل في ماء البحر أشفق أن يشتبه عليه حكم ميتته وقد يبتلى بها راكب البحر فعقب الجواب عن سؤاله ببيان حكم الميتة

وقال غيره سأله عن مائه فأجابه عن مائه وطعامه لعلمه بأنه قد يعوزهم الزاد فيه كما يعوزهم الماء فلما جمعتهم الحاجة انتظم الجواب بهما

وقال ابن العربي وذلك من محاسن الفتوى أن يجاء في الجواب بأكثر مما يسئل عنه تتميما للفائدة وإفادة لعلم آخر غير مسؤول عنه ويتأكد ذلك عند ظهور الحاجة إلى الحكم كما هنا لأن من توقف في طهورية ماء البحر فهو عن العلم يحل ميتته مع تقدم تحريم الميتة أشد توقفا قال الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير في السبل المراد بالميتة ما مات فيه من دوابه مما لا يعيش إلا فيه لا ما مات فيه مطلقا فإنه وإن صدق عليه لغة أنه ميتة بحر فمعلوم أنه لا يراد إلا ما ذكرنا قال وظاهره حل كل ما مات فيه ولو كان كالكلب والخنزير انتهى

قلت اختلف أهل العلم في حل غير السمك من دواب البحر

فقال الحنفية يحرم أكل ما سوى السمك

وقال أحمد يؤكل كل ما في البحر إلا الضفدع **والتمساح**

وقال بن أبي ليلى ومالك يباح كل ما في البحر

وذهب جماعة إلى أن ماله نظير من البر يؤكل نظيره من حيوان البحر مثل بقر الماء ونحوه ولا يؤكل ما لا

يؤكل نظيره في البر مثل كلب الماء وخنزير الماء فلا يحل أكله

وعن الشافعية أقوال قال الحافظ في الفتح لا خلاف بين العلماء في حل السمك على اختلاف أنواعه وإنما اختلف فيما كان على صورة حيوان البر كالآدمي والكلب والخنزير والثعبان فعند الحنفية وهو قول الشافعية يحرم ما عدا السمك وعن الشافعية الحل مطلقا على الأصح المنصوص وهو مذهب المالكية إلا الخنزير في رواية

وحجتهم قوله تعالى أحل لكم صيد البحر وحديث هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه مالك وأصحاب السنن وصححه بن خزيمة وبن حبان وغيرهم

وعن الشافعية ما يؤكل نظيره في البر حلال وما لا فلا واستثنوا على الأصح ما يعيش في البحر والبر وهو نوعان

النوع الأول ما ورد في منع أكله شيء يخصه كالضفدع وكذا استثناه أحمد للنهي عن قتله ومن المستثنى أيضا **التمساح** لكونه يعدو بنابه ومثله القرش في البحر الملح خلافا لما أفتى به المحب الطبري والثعبان والعقرب والسرطان والسلحفاة للاستخباث والضرر اللاحق من السم

النوع الثاني ما لم يرد فيه مانع فيحل أكله بشرط التذكية كالبط وطير الماء. انتهى كلام الحافظ باختصار. تحفة٦٩

وقال العيني في عمدة القارىء ص ٠٣ ج ١ وعندنا يكره أكل ما سوى السمك من دواب البحر كالسلحفاة والضفدع وخنزير الماء

واحتجوا بقوله تعالى يحرم عليهم الخبائث وما سوى السمك خبيث انتهى كلام العيني

وأجاب الحنفية عن قوله الحل ميتته بأن المراد من الميتة السمك لا غيره بدليل حديث بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالجراد والحوت وأما الدمان فالطحال والكبد أخرجه أحمد وبن ماجه

وقالوا في تفسير قوله تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه إن المراد من صيد البحر مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل والمراد من طعامه ما يطعم من صيده والمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر وأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده

وقال من ذهب إلى حل جميع ما في البحر من دوابه مطلقا أو مستثنيا بعضها في تفسير قوله تعالى هذا إن المراد بصيد البحر ما صيد من البحر والمراد من طعامه ما قذفه البحر ورماه إلى الساحل والمعنى أحل

لكم أكل جميع ما صدتم من البحر وما قذفه البحر قال الخازن في تفسيره المراد بالصيد ما صيد من البحر فأما طعامه فاختلفوا فيه فقيل ما قذفه البحر ورمى به إلى الساحل ويروى ذلك عن أبي بكر وعمرو بن عمر وأيوب وقتادة

وقيل صيد البحر طريه وطعامه مالحه ويروى ذلك عن سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والسدي ويروى عن بن عباس ومجاهد كالقولين انتهى. تحفة٦٩

وقال الإمام البخاري في صحيحه قال عمر صيده ما اصطيد وطعامه ما رمى به

قال الحافظ في الفتح وصله المصنف في التاريخ وعبد بن حميد عن أبي هريرة قال لما قدمت البحرين سألني أهلها عما قذف البحر فأمرتهم أن يأكلوه فلما قدمت على عمر فذكر قصة قال فقال عمر قال الله عز وجل في كتابه أحل لكم صيد البحر وطعامه فصيده ما صيد وطعامه ما قذف فإذا عرفت هذا كله فاعلم أن السمك بجميع أنواعه حلال بلا شك وأما غير السمك من سائر دواب البحر فما كان منه ضارا يضر أكله أو مستخبثا أو ورد نص في منع أكله فهو حرام

وأما ما لم يثبت بنص صريح أكله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة رضي الله عنهم مع وجوده في ذلك العهد فالاقتداء بهم في عدم الأكل هو المتعين هذا ما عندي والله تعالى أعلم

تنبيه قال صاحب العرف الشذي ما لفظ قال مولانا محمود حسن إن الحل أي في قوله الحل ميتته بمعنى الطاهر وثبت الحل بمعنى الطهارة كما في قصة صفية بنت حيي حلت بالصهباء أي طهرت من الحيض انتهى

قلت القول بأن المراد من الحل في قوله صلى الله عليه وسلم الحل ميتته بمعنى الطاهر غير محمود بل هو باطل جدا أما أولا فلأنه لم يقل به أحد ممن قبله من أهل العلم الذين عليهم الاعتماد وأما ثانيا فلأنه يلزم على هذا أن يكون لفظ الحل حشوا لا طائل تحته فإنه يكفي أن يقول هو الطهور ماؤه وميتته

وأما ثالثا فلأن بن عمر أحد رواة هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قد فهم هو من لفظ الحل الحلال دون الطهارة

ففي التلخيص وروى الدارقطني من طريق عمرو بن دينار عن عمرو بن دينار عن عبد الرحمن بن أبي هريرة أنه سأل بن عمر آكل ما طفى على الماء قال إن طافيه ميتته وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن ماءه طهور وميتته حل فانظر أن بن عمر أراد من لفظ الحلال ضد الحرام دون معنى الطاهر وقد تقرر أن راوي الحديث أدرى بمعناه

وقال أيضا والمراد بالميتة غير المذبوح فلا يدل على حل الطافي قال وأثر أبي بكر الصديق في الطافي مضطرب اللفظ انتهى. تحفة٦٩

قلت القول بأن المراد بالميتة غير المذبوح لئلا يدل على حل الطافي مما لا يصغى إليه فإن الطافي حلال عند الجمهور وهو الحق والصواب يدل على حله ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عمرو أنه سمع جابرا يقول غزونا جيش الخبط وأمر علينا أبو عبيدة فجعنا جوعا شديدا فألقى البحر حوتا ميتا لم ير مثله يقال له العنبر فأكلنا منه نصف شهر الحديث ورواه مسلم أيضا وفي رواية عندهما فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كلوا رزقا أخرجه الله أطعمونا إن كان معكم فأتاه بعضهم بعضو فأكله قال الحافظ يستفاد منه إباحة ميتة البحر سواء مات بنفسه أو مات بالاصطياد وهو قول الجمهور انتهى وقد تقدم قول عمر صيده ما اصطيد وطعامه ما رمى

وقال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه الطافي حلال ذكره البخاري معلقا قال الحافظ وصله أبو بكر بن أبي شيبة والطحاوي والدارقطني من رواية عبد الملك بن أبي بشير عن عكرمة عن بن عباس قال أشهد على أبي بكر أنه قال السمكة الطافية حلال زاد الطحاوي لمن أراد أكله وللدارقطني من وجه آخر عن بن عباس من أبي بكر إن الله ذبح لكم ما في البحر فكلوه كله فإنه ذكي

وأما حديث جابر ما ألقاه البحر أو جزر عنه فكلوه وما مات فيه فطفا فلا تأكلوه أخرجه أبو داود فالصحيح أنه موقوف كما حققه الحافظ في الفتح وقال وإذا لم يصح إلا موقوفا فقد عارضه قول أبي بكر وغيره والقياس يقتضي حله لأنه سمك لو مات في البر لأكل بغير تذكية ولو نضب عنه الماء أو قتلته سمكة أخرى فمات لأكل فكذلك إذا مات وهو في البحر انتهى

وأما قوله وأثر أبي بكر الصديق مضطرب اللفظ فعجيب جدا فإنه لم يرو عنه أثر خلاف قوله الطافي حلال ألبتة وأما أثره بلفظ إن الله ذبح لكم ما في البحر إلخ فهو ليس ينافي أثره الأول. تحفة٦٩

قال الشوكاني في النيل فإن قيل كيف شكوا في جواز الوضوء بماء البحر قلنا يحتمل أنهم لما سمعوا قوله صلى الله عليه وسلم لا تركب البحر إلا حاجا أو معتمرا أو غازيا في سبيل الله فإن تحت البحر نارا وتحت النار بحر أخرجه أبو داود وسعيد بن منصور في سننه عن بن عمر مرفوعا ظنوا أنه لا يجزئ التطهر به وقد روي موقوفا على بن عمر بلفظ ماء البحر لا يجزئ من وضوء ولا جنابة إن تحت البحر نارا ثم ماء ثم نارا حتى عد سبعة أبحر وسبع أنيار وروى أيضا عن بن عمرو بن العاص أنه لا يجزئ التطهر به ولا حجة في أقوال الصحابة لا سيما إذا عارضت المرفوع والإجماع وحديث بن عمر المرفوع قال أبو داود رواته مجهولون

وقال الخطابي ضعفوا إسناده وقال البخاري ليس هذا الحديث بصحيح وله طريق أخرى عند البزار وفيها ليث بن أبي سليم وهو ضعيف

قال في البدر المنير في الحديث جواز الطهارة بماء البحر وبه قال جميع العلماء إلا بن عبد البر وبن عمر وسعيد بن المسيب وروي مثل ذلك عن أبي هريرة وروايته ترده وكذا رواية عبد الله بن عمر وتعريف الطهور بلام الجنسية المفيدة للحصر لا ينفي طهورية غيره من المياه لوقوع ذلك جوابا لسؤال من شك في طهورية ماء البحر من غير قصد للحصر وعلى تسليم أنه لا تخصيص بالسبب ولا يقصر الخطاب العام عليه فمفهوم الحصر المفيد لنفي الطهورية عن غير مائه عموم مخصص بالمنطوقات الصحيحة الصريحة القاضية باتصاف غيره بها انتهى وقال بن قدامة في المغني وقولهم هو نار إن أريد به أنه نار في الحال فهو خلاف الحس وإن أريد به أنه يصير نارا لم يمنع ذلك الوضوء به حال كونه ماء انتهى. تحفة٦٩

قال الحافظ بن الملقن إنه حديث عظيم أصل من أصول الطهارة مشتمل على أحكام كثيرة وقواعد مهمة قال الماوردي في الحاوي قال الحميدي قال الشافعي هذا الحديث نصف علم الطهارة. عون٨٣

---

(١) (ت) ٦٩ ، (س) ٥٩ ، (د) ٨٣ ، (جة) ٣٨٨ ، صحيح الجامع: ٧٠٤٨ ، والصحيحة: ٤٨٠."
(١)

"الشرح:

(" بعثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاث مائة راكب ، أميرنا أبو عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه -) فيه أن الجيوش لا بد لها من أمير يضبطها وينقادون لأمره ونهيه وأنه ينبغي أن يكون الأمير أفضلهم أو من أفضلهم قالوا ويستحب للرفقة من الناس وإن قلوا أن يؤمروا بعضهم عليهم وينقادوا له. النووي (١٧ - ١٩٣٥)

نرصد عير قريش) العير: كل ما جلب عليه المتاع والتجارة من قوافل الإبل والبغال والحمير.

وفي هذا الحديث جواز صد أهل الحرب واغتيالهم والخروج لأخذ مالهم واغتنامه. النووي (١٧ - ١٩٣٥)

(وزودنا جرابا من تمر ، لم يجد لنا غيره " ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة ، قال عمرو بن دينار: فقلت لجابر: كيف كنتم تصنعون بها؟ ، قال: نمصها كما يمص الصبي ، ثم نشرب عليها من الماء ، فتكفينا يومنا إلى الليل)

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٤٠٥/٢٢

(فأقسم) أي: أحلف. النووي (٣٠١١)

(أخطئها رجل منا يوما) أي: فاتته ، ومعناه أنه كان للتمر قاسم يقسمه بينهم فيعطي كل إنسان تمرة كل يوم فقسم في بعض الأيام ونسي إنسانا فلم يعطه تمرته وظن أنه أعطاه فتنازعا في ذلك. النووي (٣٠١١)

(فانطلقنا به ننعشه) أي: نرفعه ونقيمه من شدة الضعف والجهد وقال القاضي الأشبه عندي أن معناه نشد جانبه في دعواه ونشهد له. النووي (٣٠١١)

(فشهدنا أنه لم يعطها ، فأعطيها ، فقام فأخذها) (فقال رجل: يا أبا عبد الله): هي كنية جابر. فتح٤٣٦٠

(وأين تقع التمرة من الرجل؟) وفي رواية البخاري (٤٣٦٠): " فقلت: ما تغني عنكم تمرة؟ "

(لقد وجدنا فقدها حين فقدناها) أي: فقدوا التمرة ووجدوا ألما لفقدها. النووي (١٧ - ١٩٣٥)

(فأقمنا بالساحل) أي: ساحل البحر.

نصف شهر ، فأصابنا جوع شديد)

(فكنا نضرب بعصينا): جمع عصا.

(الخبط) ورق الشجر الساقط ، بمعنى: المخبوط. عون٣٨٤٠

وقيل: هو ورق السلم. فتح٤٣٦٠

(ثم نبله بالماء فنأكله) هذا يدل على أنه كان يابسا بخلاف ما جزم به الداودي أنه كان أخضر رطبا. فتح٤٣٦٠

(حتى قرحت أشداقنا) أي: صار فيها قروح وجراح ، من خشونة الورق الذي نأكله ، وحرارته. النووي (١٤ - ٢٩٦٧)

(فسمي ذلك الجيش: جيش الخبط) وفي هذا بيان ما كان الصحابة رضي الله عنهم عليه من الزهد في الدنيا والتقلل منها والصبر على الجوع وخشونة العيش وإقدامهم على الغزو مع هذا الحال. النووي (١٧ - ١٩٣٥)

(قال جابر: وكان فينا رجل ، فلما اشتد الجوع نحر ثلاث جزائر) الجزائر: جمع جزور ، وهي البعير ذكرا كان أو أنثى.

(ثم نحر ثلاث جزائر ، ثم نحر ثلاث جزائر ،

ثم إن أبا عبيدة نهاه) وقد اختلفوا في سبب نهي أبي عبيدة قيسا أن يستمر على إطعام الجيش فقيل لخشية أن تفنى حمولتهم وفيه نظر لأن القصة أنه اشترى من غير العسكر وقيل لأنه كان يستدين على ذمته وليس

له مال فأريد الرفق به وهذا أظهر. فتح٤٣٦١

وذكر الواقدي بإسناد له أن قيس بن سعد لما رأى ما بالناس قال من يشتري مني تمرا بالمدينة بجزور هنا فقال له رجل من جهينة من أنت فانتسب له فقال عرفت نسبك فابتاع منه خمس جزائر بخمسة أوسق وأشهد له نفرا من الصحابة ، فامتنع عمر لكون قيس لا مال له فقال الأعرابي ما كان سعد ليجني بابنه في أوسق تمر. فتح٤٣٦١

فلما رأى عمر ذلك وكان في ذلك الجيش سأل أبا عبيدة أن ينهى قيسا عن النحر ، فعزم عليه أبو عبيدة أن ينتهي عن ذلك فأطاعه. فتح٥٤٩٣

فبلغ ذلك سعدا فغضب ووهب لقيس أربع حوائط أقلها يجذ خمسين وسقا. فتح٤٣٦١

(قال: فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم) هو: التل من الرمل ، المستطيل المحدودب. النووي (١٧ - ١٩٣٥)

(فأتيناه ، فإذا) (حوت ميت ، لم نر مثله ، يقال له: العنبر) هو نوع من الحيتان ، يفرز مادة العنبر ، وهو الطيب المعروف.

(فقال أبو عبيدة: ميتة) أي: هذه ميتة.

(ثم قال: لا ، بل نحن رسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي سبيل الله ، وقد اضطررتم ، فكلوا) معنى الحديث أن أبا عبيدة رضي الله عنه قال أولا باجتهاده إن هذا ميتة والميتة حرام فلا يحل لكم أكلها ثم تغير اجتهاده فقال بل هو حلال لكم وإن كان ميتة لأنكم في سبيل الله وقد اضطررتم وقد أباح الله تعالى الميتة لمن كان مضطرا غير باغ ولاعاد فكلوا فأكلوا منه. النووي (١٧ - ١٩٣٥)

قال: فأقمنا عليه شهرا - ونحن ثلاث مائة - حتى سمنا ، قال:

(ولقد رأيتنا نغترف الدهن من وقب عينه) الوقب: هو حفرة العين في عظم الوجه وأصله نقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء. فتح٤٣٦٠

(بالقلال) جمع قلة بضمها وهي الجرة الكبيرة التي يقلها الرجل بين يديه أي يحملها. النووي (١٧ - ١٩٣٥)

(ونقتطع منه الفدر ، كقدر الثور) (الفدر): القطع.

(وتزودنا من لحمه وشائق) جمع وشيقة ، وهي أن يؤخذ اللحم ، فيغلى قليلا ولا ينضج، ويحمل في الأسفار ، وقيل: هي القديد. النووي (١٧ - ١٩٣٥)

فلما قدمنا المدينة ، أتينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فذكرنا ذلك له ، فقال: " هو رزق أخرجه الله لكم ، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟ " قال: فأرسلنا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – منه " فأكله ")

والغرض من إيراده هنا قصة الحوت فإنه يستفاد منها جواز أكل ميتة البحر لتصريحه في الحديث بقوله فألقى البحر حوتا ميتا لم ير مثله يقال له العنبر وتقدم في المغازي أن في بعض طرقه في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل منه وبهذا تتم الدلالة وإلا فمجرد أكل الصحابة منه وهم في حالة المجاعة قد يقال إنه للاضطرار ولا سيما وفيه قول أبي عبيدة ميتة ثم قال لا بل نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا.

وحاصل قول أبي عبيدة أنه بناه أولا على عموم تحريم الميتة ثم تذكر تخصيص المضطر بإباحة أكلها إذا كان غير باغ ولا عاد وهم بهذه الصفة لأنهم في سبيل الله وفي طاعة رسوله وقد تبين من آخر الحديث أن جهة كونها حلالا ليست سبب الاضطرار بل كونها من صيد البحر ففي آخره عندهما جميعا فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كلوا رزقا أخرجه الله أطعمونا إن كان معكم فأتاه بعضهم بعضو فأكله فتبين لهم أنه حلال مطلقا وبالغ في البيان بأكله منها لأنه لم يكن مضطرا فيستفاد منه إباحة ميتة البحر سواء مات بنفسه أو مات بالاصطياد وهو قول الجمهور وعن الحنفية يكره وفرقوا بين ما لفظه فمات وبين ما مات فيه من غير آفة وتمسكوا بحديث أبي الزبير عن جابر ما ألقاه البحر أو جزر عنه فكلوه وما مات فيه فطفا فلا تأكلوه أخرجه أبو داود مرفوعا .. وقال الترمذي سألت البخاري عنه فقال ليس بمحفوظ ويروى عن جابر خلافه انتهى كلام البخاري. فتح٥٤٩٣

وأما الحديث المروي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ألقاه البحر وجزر عنه فكلوه وما مات فيه فطفا فلا تأكلوا فحديث ضعيف باتفاق أئمة الحديث لا يجوز الاحتجاج به لو لم يعارضه شئ كيف وهو معارض بما ذكرنا وقد أوضحت ضعف رجاله في شرح المهذب في باب الأطعمة. النووي (١٧ – ١٩٣٥)

والقياس يقتضي حله لأنه سمك لو مات في البر لأكل بغير تذكية ولو نضب عنه الماء أو قتلته سمكة أخرى فمات لأكل فكذلك إذا مات وهو في البحر. فتح٥٤٩٣

أو أنه قصد التبرك به لكونه طعمة من الله تعالى خارقة للعادة أكرمهم الله بها وفي هذا دليل على أنه لا بأس بسؤال الإنسان من مال صاحبه ومتاعه إدلالا عليه وليس هو من السؤال المنهي عنه انما ذلك فى حق الأجانب للتمول ونحو وأما هذه فللمؤانسة والملاطفة والإدلال. النووي (١٧ – ١٩٣٥)

ويستفاد من قوله (فأقمنا عليه شهرا) (١) جواز أكل اللحم ولو أنتن لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أكل منه بعد ذلك واللحم لا يبقى غالبا بلا نتن في هذه المدة لا سيما في الحجاز مع شدة الحر لكن يحتمل أن يكونوا ملحوه وقدوه فلم يدخله نتن وقد تقدم قريبا قول النووي إن النهي عن أكل اللحم إذا أنتن للتنزيه إلا إن خيف منه الضرر فيحرم وهذا الجواب على مذهبه ولكن المالكية حملوه على التحريم مطلقا وهو الظاهر والله أعلم ويأتي في الطافي نظير ما قاله في النتن إذا خشي منه الضرر وفيه جواز أكل حيوان البحر مطلقا لأنه لم يكن عند الصحابة نص يخص العنبر وقد أكلوا منه كذا قال بعضهم ويخدش فيه أنهم أولا إنما أقدموا عليه بطريق الاضطرار ويجاب بأنهم أقدموا عليه مطلقا من حيث كونه صيد البحر ثم توقفوا من حيث كونه ميتة فدل على إباحة الإقدام على أكل ما صيد من البحر وبين لهم الشارع آخرا أن ميتته أيضا حلال ولم يفرق بين طاف ولا غيره واحتج بعض المالكية بأنهم أقاموا يأكلون منه أياما فلو كانوا أكلوا منه على أنه ميتة بطريق الاضطرار ما داوموا عليه لأن المضطر إذا أكل الميتة يأكل منها بحسب الحاجة ثم ينتقل لطلب المباح غيرها وجمع بعض العلماء بين مختلف الأخبار في ذلك بحمل النهي على كراهة التنزيه وما عدا ذلك على الجواز. فتح٥٤٩٣

وفي الحديث من الفوائد أيضا مشروعية المواساة بين الجيش عند وقوع المجاعة وأن الاجتماع على الطعام يستدعي البركة فيه. فتح٤٣٦١

وكما كان الأشعريون يفعلون وأثنى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وقد قال أصحابنا وغيرهم من العلماء يستحب للرفقة من المسافرين خلط أزوادهم ليكون أبرك وأحسن فى العشرة وأن لا يختص بعضهم بأكل دون بعض. النووي (١٧ - ١٩٣٥)

وفيه جواز الاجتهاد في الأحكام في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كما يجوز بعده وفيه أنه يستحب للمفتي أن يتعاطى بعض المباحات التي يشك فيها المستفتي إذا لم يكن فيه مشقة على المفتي وكان فيه طمأنينة للمستفتي. النووي (١٧ - ١٩٣٥)

مذاهب الفقهاء في المسألة:

ذهب جمهور الفقهاء إلى إباحة ميتة البحر، سواء كانت سمكا أو غيره من حيوانات البحر، لقول الله تعالى: ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم: " هو الطهور ماؤه الحل ميتته "، وعن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: كل دابة تموت في البحر فقد ذكاها الله لكم.

ولم يبح الحنفية إلا ميتة السمك الذي مات بآفة، وأما الذي مات حتف أنفه، وكان غير طاف، فليس

بمباح. وحد الطافي عندهم: ما كان بطنه من فوق، فلو كان ظهره من فوق، فليس بطاف فيؤكل. (٢)
قال الحافظ: ولا خلاف بين العلماء في حل السمك على اختلاف أنواعه وإنما اختلف فيما كان على صورة حيوان البر كالآدمي والكلب والخنزير والثعبان فعند الحنفية وهو قول الشافعية يحرم ما عدا السمك واحتجوا عليه بهذا الحديث فإن الحوت المذكور لا يسمى سمكا وفيه نظر فإن الخبر ورد في الحوت نصا وعن الشافعية الحل مطلقا على الأصح المنصوص وهو مذهب المالكية إلا الخنزير في رواية وحجتهم قوله تعالى أحل لكم صيد البحر وحديث هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه مالك وأصحاب السنن وصححه بن خزيمة وبن حبان وغيرهم وعن الشافعية ما يؤكل نظيره في البر حلال ومالا فلا واستثنوا على الأصح ما يعيش في البحر والبر وهو نوعان النوع الأول ما ورد في منع أكله شيء يخصه كالضفدع وكذا استثناه أحمد للنهي عن قتله ورد ذلك من حديث عبد الرحمن بن عثمان التيمي أخرجه أبو داود والنسائي وصححه والحاكم وله شاهد من حديث بن عمر عند بن أبي عاصم وآخر عن عبد الله بن عمر وأخرجه الطبراني في الأوسط وزاد فإن نقيقها تسبيح وذكر الأطباء أن الضفدع نوعان بري وبحري فالبري يقتل آكله والبحري يضره ومن المستثنى أيضا **التمساح** لكونه يعدو بنابه وعند أحمد فيه رواية ومثله القرش في البحر الملح خلافا لما أفتى به المحب الطبري والثعبان والعقرب والسرطان والسلحفاة للاستخباث والضرر اللاحق من السم ودنيلس قيل إن أصله السرطان فإن ثبت حرم النوع الثاني ما لم يرد فيه مانع فيحل لكن بشرط التذكية كالبط وطير الماء والله أعلم. فتح٥٤٩٣
وقال بن وهب سألت الليث بن سعد عن أكل خنزير الماء وكلب الماء وإنسان الماء ودواب الماء كلها فقال أما إنسان الماء فلا يؤكل على شيء من الحالات والخنزير إذا سماه الناس خنزيرا فلا يؤكل وقد حرم الله تعالى الخنزير وأما الكلاب فليس بها بأس في البحر والبر
قال الخطابي لم يختلفوا أن المارما هي مباح أكله وهو يشبه الحيات وتسمى أيضا حية البحر فدل ذلك على بطلان اعتبار معنى الأسماء والأشباه في حيوان البحر وإنما هي كلها سموك وإن اختلفت أشكالها وصورها وقد قال الله سبحانه وتعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة فدخل فيه ما يصاد من حيوانه لأنه لا يخص منه شيء إلا بدليل
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ماء البحر فقال طهور ماؤه حلال ميتته فلم يستثن شيئا منها دون شيء فقضية العموم توجب فيها الإباحة إلا ما استثناه الدليل انتهى كلام الخطابي. عون٣٨٤٠

---

(١) على اختلاف بين الروايات ، فبعضها ورد أنهم أكلوا منه نصف شهر (خ) ٤٣٦١

وفي بعضها (ثماني عشرة ليلة) (خ) ٢٤٨٣

وفي بعضها: (فأقمنا عليه شهرا) (م) ١٧ - (١٩٣٥)

(٢) حاشية ابن عابدين ٥/ ١٩٤ وما بعدها، وحاشية الدسوقي ٢/ ١١٥، ومغني المحتاج ٤/ ٢٩٧ وما بعدها، وكشاف القناع ٦/ ١٩٣، والإنصاف ١٠/ ٣٨٤.." [١]

"من الخارج من الحيوان النجس: البيض

بيض الطيور التي يؤكل لحمها

المغني (مكتبة القاهرة-د. ط -١٣٨٨هـ ١٩٦٨م) ج١ ص٥٥: وإن ماتت الدجاجة، وفي بطنها بيضة قد صلب قشرها، فهي طاهرة. وهذا قول أبي حنيفة وبعض الشافعية وابن المنذر. وكرهها علي بن أبي طالب، وابن عمر، وربيعة، ومالك، والليث، وبعض الشافعية؛ لأنها جزء من الدجاجة.

ولنا أنها بيضة صلبة القشر، طرأت النجاسة عليها، فأشبه ما لو وقعت في ماء نجس. وقولهم: إنها جزء منها. غير صحيح، وإنما هي مودعة فيها، غير متصلة بها، فأشبهت الولد إذا خرج حيا من الميتة؛ ولأنها خارجة من حيوان يخلق منها مثل أصلها، أشبهت الولد الحي، وكراهة الصحابة لها محمولة على كراهة التنزيه، استقذارا لها، ولو وضعت البيضة تحت طائر، فصارت فرخا، كان طاهرا بكل حال. فإن لم تكمل البيضة، فقال بعض أصحابنا: ما كان قشره أبيض، فهو طاهر.

وما لم يبيض قشره فهو نجس؛ لأنه ليس عليه حائل حصين. واختار ابن عقيل أنه لا ينجس؛ لأن البيضة عليها غاشية رقيقة كالجلد، وهو القشر قبل أن يقوى، فلا ينجس منها إلا ما كان لاقى النجاسة، كالسمن الجامد إذا ماتت فيه فأرة، إلا أن هذه تطهر إذا غسلها؛ لأن لها من القوة ما يمنع تداخل أجزاء النجاسة فيها، بخلاف السمن.

شرح مختصر خليل للخرشي (دار الفكر-د. ط-د. ت) ج١ ص٨٥: والخارج بعد الموت (ش) أي ومن النجس الخارج بعد الموت من دمع وعرق ولعاب ومخاط وبيض ومحل نجاسة هذه الأمور غير البيض حيث خرجت بعد الموت من حيوان ينجس به، فإن كان من حيوان ميتته طاهرة فلا يكون نجسا، وأما البيض الخارج بعد الموت مما ميتته طاهرة، فإن كان لا يفتقر إلى ذكاة **كالتمساح** والترس فكذلك، وإن

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٤٠٨/٢٢

كان يفتقر لها كالجراد فيحتمل أن يقال بنجاسته كجنين ما ذكي إذا لم يتم خلقه ولم ينبت شعره ويحتمل أن يقال بطهارته كطهارة ميتة ما خرج منه ولكنه لا يؤكل إلا بذكاة أشار لهذا التفصيل بعض.." (١)

"ومن ذلك **التماسيح**، **والتماسيح** كثيرة في النيل وخاصة في الصعيد الأعلى وفي الجنادل فإنها تكون في الماء وبين صخور الجنادل كالدود كثرة، وتكون كبارا أو صغارا، وتنتهي في الكبر إلى نيف وعشرين ذراعا طولا، وتوجد في سطح جسده ممّا يلي بطنه سلعة كالبيضة تحتوي على رطوبة دموية وهي كنافجة المسك في الصورة والطيب، وخبّرني الثقة أنه يندر فيها ما يكون في غلو المسك لا ينقص عنه شيئا **والتمساح** يبيضُ بيضاً شبيها ببيض الدجاج، ورأيتُ في كتاب منسوبٍ إلى أرسطو ما هذه صورته، قال: **التمساح** كبده تهيج الجماع وكليتاه وشحمه في ذلك أبلغ، ولا يعمل في جلده الحديد ومن فقار رقبته إلى ذنبه عظم واحد، ولهذا إذاً انقلب على ظهره لم يقدر أن يرجع، قال: ويبيضُ بيضا طويلا كالإوَزّ ويدفنه في الرمل، فإذا أخرج كان كالحراذين في جسمها وخلقتها، ثم يعظُم حتى يكون عشر أذرع ويبيض ستين بيضة، لأنّ خلقته تجري على ستين سنّا وستين عِرقا وإذا سفد منى ستين مرة، وقد يعيش ستين سنة.

ومن ذلك الدلفين، ويوجد في النيل وخاصة قرب تنيس ودمياط.

ومن ذلك الاسقنقور ويكون بالصعيد وبأسوان كثيرا ويكون من نتاج **التمساح** في البر، وهو صنف من الورل بل هو ورَلٌ إلّا أنه قصير الذنب، والورل **والتمساح** والحرذون وإلاسقنقور وسميكة صيدا لها كلها شكل واحد، وإنما تختلف بالصغر

والكبر **والتمساح** أعظمها، وسميكة صيدا أصغرها تكون بقدر الإصبع وتصلح لما يصلح له الاسقنقور من تسخين الأعضاء والأنعاظ، وكأنّ **التمساح** ورلٌ بحريٌّ، والورل **تمساح** بري والجميع يبيض بيضا، السقنقور يكون بشطوط النيل ومعيشته في البحر السمك الصغار وفي البر القطا ونحوه، ويسترطُ غذاءه استراطاً ويوجد لذكورته خصيان كخصي الديكة وفي مقدارهما ومواضعهما، وإناثه تبيض فوق العشرين بيضة، وتدفنها في الرمل فيكمل كونها بحرارة الشمس فعلى هذا إنما هو نوع برأسه، وقال ديوسقوريدس: أنه يكون بنواحي القلزم وبمواضع من بلاد الهند وبلاد الحبشة، ويفارق الورل بمأواه فإن الورل جبليٌّ والسقنقور بريٌّ مائيّ، لأنه يدخل في ماء النيل، ثم أن ظهر الورل خشن صلب وظهر السقنقور لين ناعم، ولون الورل أصفر أغبر

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٤٢٨/٢٢

ولون السقنقور مدبّج بصفرة وسواد، والمختار من الاسقنقور إنما هو الذكر دون الأنثى ويُصاد في الربيع، لأنه وقت هيجانه للسّفاد، فإذا." (١)

"(النوع الخامس عشر الحيوانات)

زحل له الحيوانات السود وما يأوي إلى جحر تحت الأرض والبقر والمعز والنعام والسنجاب والنمور والسنانير والفيران واليرابيع والحيات العظام السود والعقارب والبراغيث والخنافس. المشتري له الناس والبهائم الأهلية وذوات الأظلاف والأخلاف من الضأن والثيران والإبل وكل دابة حسنة اللون أو طيبة اللحم مما يؤكل وما كان متعلما وذا حياء من الأسود والنمور والفهود. المريخ له الأسود والنمور والذئاب والخنازير البرية المتوحشة والكلاب وكل سبع خبيث والحيات والأفاعي. الشمس لها الغنم والخيول العراب والأسود **والتماسيح**. الزهرة لها كل ذي حافر أبيض أو أصفر من الوحوش ولها الحيتان. عطارد له الكلاب المعلمة والحمير والبغال والثعالب والأرانب وكل حيوان صغير أرضي أو مائي. القمر له الإبل والبقر والشاء وكل ما استأنس بالناس.

(النوع السادس عشر الطيور)

زحل له طير الماء وطير الليل والغربان والخطاطيف السود والذباب. المشتري له كل طير مستوي المنقار يأكل الحب الذي لا يكون أسود والحمام والدراج والطواويس والديوك والدجاج. المريخ له كل الطيور المعقفة المناقير وكل طائر أحمر والزنابير. الشمس لها العقارب والبازي والديوك والقماري. الزهرة لها الفواخت والوراشين والعندليب والجراد وما يؤكل من الطير. عطارد له الحمام والعصفور والبزاة وطيور الماء. القمر له البط والكراكي وكل طائر ضخم وله الدجاج والعصافير والدراج.

(النوع السابع عشر الأعضاء البسيطة)

زحل له الشعر والجلد والظفر والريش والصوف والعظام والمخ والقرن.." (٢)

"كأنها وعل ينحط من شاهق، أو عرباض سابق يحثه سائق، أو عقرب شائلة، أو عقاب صائلة. أوغراب أعصم، أو **تمساح** أو أرقم، أو ظليم ثفر في الظلام، أو جواد فر مستنكفاً من صحبة الأنام. حاكمها عادل في حكمه، عارف بنقض أمرها وبرمه، يهتدي بالنجوم، ويبتدئ باسم الحي القيوم، يبرز من نواتيها في جنود، يشمل إحسانهم أهلها أيقاظاً وهم رقود. يتأنفون فيما يعمرون، ويفعلون ما يؤمرون:

يكثرون الصياح حتى كأن الس ... فن تجري من خوف ذاك الصياح

---

(١) الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، عبد اللطيف البغدادي ص/٢٠

(٢) نثار الأزهار في الليل والنهار، ابن منظور ص/١٥٩

فبينما نحن من البحر في قاموسه، كتب الجو حروف الغيم في طروسه، وثارت ريح عاصف، يتبعها رعد قاصف. فمالت بنا الفلك واضطربت، ودنت شفتها من رشف الماء واقتربت، واستمرت ترفع وتخفض، وتقرب وترفض، وتعلو على الأوتاد، وتهيم في كل واد، وتحوم وتحول، وتجود وتجول، وتضرم في الكبود نار ناجر، إلى أن بلغت القلوب الحناجر:

ألا فارجه واخشه إنه ... هو البحر فيه الغنى والغرق

ثم نظر إلينا من لا تخفى عليه السرائر، وأمر الجارية بحمل العبيد إلى بعض الجزائر، فلم ندر إلا." (١)

"وفهقت الحياض، ولا كان الشاني المشنوء والجرب المهنوء؛ من قطع ليل أغار على الصبح فاحتمل، وشارك في الذم الناقة والجمل، واستأثر جنحه ببدر النادي لما كمل، نشر الشراع فراع، وواصل الإسراع، فكأنما هو **تمساح** النيل ضايق الأحباب في البرهة، واختطف لهم من الشط نزهة العين وعين النزهة؛ ولجَّجَ بها والعيون تنظر، والغمر عن الاتباع يحظر، فلم يقدر إلا على الأسف، والتماح الأثر المنتسف، (والرجوع بملء العيبة من الخيبة، ووقر الجسرة من الحسرة)؛ إنما نشكو إلى الله البث والحزن، ونستمطر من عبراتنا المزن، وبسيف الرجاء نصول، وإذا أشرعت لليأس أسنة ونصول:

ما أقدر الله أن يدني على شحط ... من داره الحزن ممن داره صول

فإن كان كلم الفراق رغيباً، لما نويت مغيباً، وجللت الوقت الهني تشغيباً، فلعل الملتقى يكون قريباً، وحديثه يروى صحيحاً غريباً. إيه سيدي! كيف حال تلك الشمائل، المزهرة الخمائل، والشيم، الهامية الديم؟ هل يمر ببالها من." (٢)

"(السلطانيه) كثيب عظيم، وبجنبه أرض مستوية.

(لمسيله) نهر عظيم، وفيه الزامول المسمى عند أهل القبلة: بالنّبّيْزْ. وعند أهل الجغرافية: بفرس البحر، أو الماء. وفيه بالديزوك، وهو المعروف **بالتمساح**. وينتهي هذا النهر في ماء يقال له:

(بَنْبَلَهْ) موضع يقرب من مسيرة ثلاثة أيام، وبعد بنبله.

(سُرْمَلّى) واد فيه نخل، وفيه ملح تأكله الإبل وبعده:

(إزْوَيْمِلّي) محل فيه آمِرْسالْ، أي ملح ليس بالجيد، تأكله الإبل.

(السَّيْلْ) بحر يجرى من لِمسْيلهْ، ويجتمع منه زبد يتكيف منه الملح.

---

(١) نسيم الصبا، ابن حبيب الحلبي ص/٢٥

(٢) رحلة ابن خلدون، ابن خلدون ص/١٠٤

(تاسْكاست) تيارت طويلة متصلة بتكانت (والتيارت) عندهم، المكان المستوى، وكثيرا ما يكون فيه الآجر، وعند رأسها الشرقي تامورت. أي شجر عظيم من كبار الشجر، وفيه مياه تدوم أكثر السنة.

(إسْويّحْ) تصغير سائح، ماء قريب مما فوقه.

(السّمْسِيّهْ) وهو ماء بهيئة ما قبله، وبعده تيارت، تمتد إلى سن تكانت.

الكلام على اركيبه الكحله

(إجْمَلْ لِكْرِبْ) كثيب عظيم، وهو الحاجز بين ارْكيبه البيظة (أي البيضاء) والكحله.

(إدْمَيْمِرَاتْ) قيعان صفر، وفيها أشجار كثيرة من شجر أيكبنين.

(المحموديهْ) تامورت، وفيها ماء يجتمع من المطر، ويمكث أكثر السنة.

(فتىَ دنّي) بلفظ أحد الفتيان، مضافا إلى لفظ دنى. واد تكتنفه جبال، وفيه آبار وأشجار ومناقع، يكون فيها الماء في الخريف.

(فرَنّي) هو واد عظيم، وفيه تومرت يكثر ماؤها زمن الخريف، وهذه الأماكن الخمسة، كما أنها تسمى اركيبه الكحله. كذلك يقال لها: الخنشيش، أي الأنف.." (١)

"الفرج بعد الشدة

أتي يزيد بخارجي، فهم بقتله فقال الخارجي:

عسى فرج يأتي به الله إنه ... له كل يوم في خليقته أمر

فقال يزيد: والله، لأضربن عنقك، اقتلوه، فدخل الهيثم بن الأسود النخعي، فقال: أمسكوه قليلا، فدنا منه فقال: يا أمير المؤمنين، هب مجرم قوم لوافدهم، فقال: هو لك، فخرج الخارجي وهو يقول: تأبى على الله فأبى إلا أن يكذبه وغالبه فأبى إلا أن يغلبه. . . وأحضر رجل أمام بعض الملوك، فدعا بطعام فأخذ يأكل ويضحك، فقيل له: تضحك وأنت مقتول؟ فقال: من الساعة إلى الساعة فرج، فسمعت صيحة فقيل: مات الملك، فخلوا الرجل. . . وشد بعض العمال - الولاة - رجلا إلى أسطوانة - عمود - يريد ضربه، فقال حلني من هذه إلى هذه، فحله، فما حله إلا وقد عزل وشد إلى الأسطوانة بعينها. . .

من زال كربه فنسي صنع الله

---

(١) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، أحمد بن الأمين الشّنْقِيطي ص/٤٥٢

قالوا: ما صاحب البلاء الذي طال بلاؤه بأحق بالدعاء من المعافى. وقيل: من سبح في النهر الذي فيه **التمساح** عرض نفسه للهلكة. وشكا يوسف عليه السلام طول الحبس، فأوحى الله تعالى إليه: أنت حبست نفسك حيث قلت: ﴿السجن أحب إلي﴾. وقال الله عز وتقدس ﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قآئما فلما كشفنا عنه ضره مر
كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾. . . وقال سبحانه: ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا." (١)

"ميسنون وقوي عزمه على فتح دمشق لما بلغه أن الملك فر منها إلى مصر، فأرسل تيمورلنك إلى نائب دمشق رسولا من قبله فقتله قبل أن يسمع كلامه. جرى في ذلك على ما جرى عليه نائب حلب فزاد تيمورلنك حنقا. ومن الغريب أن نائبي حلب ودمشق لم يقدرا قوة تيمورلنك حق قدرها وهي منهما على قيد غلوة وظنا أنهما باعتصامهما في قلعتي المدينة، وبالقليل ممن عندهما من العسكر وأحداث البلدين يستطيعان أن يتغلبا على جيوش تيمورلنك المؤلفة كما قال عربشاه: من رجال توران، وأبطال إيران، ونمور تركستان، وفهود بلخشان،
وصقور الدشت والخطا، ونسور المغول وكواسر الجتا، وأفاعي خجند، وثعابين أبدكان، وهوام خوارزم، وجوارح جرجان، وعقبان صغانيان، وضواري حصار شادمان، وفوارس فارس، وأسود خراسان، وضباع الجبل، وليوث مازندران، وسباع الجبال **وتماسيح** رستمدار وطالقان، وأهل قبائل خوز وكرمان، وطلس أرباب طيالس أصبهان، وذئاب الري وغزنة وهمدان، وأفيال الهند والسند وملتان، وكباش ولايات اللور وتيران، وشواهق الغور، وعقارب شهرزور، وحشرات عسكر مكرم وجندي سابور.
قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زرافات ووحدانا
مع ما أضيف إليهم من أعيار الخدم، وفواعل التراكمة والأوباش والحشم، وكلاب النهاب من رعاع العرب وهمج العجم، وحثالة عباد الإنسان، وأنجاس مجوس الأمم، ما لا يكتنفه ديوان، ولا يحيط به دفتر حسبان اه.
غلطة ارتكبها نائب دمشق المغرور بقوة سلطانه ومن معه من المتعصبة والمتلصصة وأرباب الدعارة من الشطار والأحداث الأغيار، قضت على أعظم مدينة في الأرض كانت في غابر الأيام. كان بين أهل دمشق وبين عسكر تيمورلنك في أول يوم واقعة فقتل من عسكر تيمورلنك نحو ألفي إنسان، فأرسل يطلب من

---

(١) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ٢٦٦/١

أعيان دمشق رجلا من عقلائهم، يمشي بينه وبين أهل دمشق في الصلح، فلما أتى قاصد تيمورلنك بهذه الرسالة اشتور أهل دمشق فيمن يرسلونه فوقع الاختيار أن يرسلوا القاضي تقي الدين بن مفلح الحنبلي، فإنه كان إنسانا طلق اللسان يعرف بالتركي وباللسان العجمي، فأرخوه من أعلى السور بسرياق ضخم، ومعه خمسة أنفس من أعيان دمشق، فغاب عند." (١)

"على عدّة مذاهب. وهو صاحب مجلّة الجوائب المعروفة، وله غيرها كثير من التآليف النافعة، منها: الجاسوس على القاموس في فن اللغة، وكتاب الساق على الساق في ما هو الفارياق، وهو كتاب جميل ضخم في علم الأدب. ثمّ قصدنا إلى الفندق من داخل البلد حيث كنّا في وقت الغروب، وعلى ذلك اِنقضت سحابة اليوم. وفي صبيحة اليوم الثاني جاء إلينا جماعة من أهل بيروت ومعهم خيل اِختاروها بقصد أن يطلعونا عليها على أمل أن نبتاعها منهم، حيث كانوا قد سمعوا من قبل بميلي إلى اِقتناء جياد الخيل. وقد كنت أودّ أن أجد منها ما يعجبني فأشتريه، ولكنّها مع مزيد الأسف كانت عاديّة لا تمتاز عن غيرها بحال، فضلاً عن كونها مجهولة الأصل.

ولذلك لم يرق في نظري شيء منها، على خلاف ما كنت أحسب.

وكان عليّ بعض زيارات لعلية القوم في المدينة، فأرسلت أحد الحاشية وأرسلت معه جملة من بطاقات الزيارة لينوب عنّي في ذلك، إذ كان لا يمكنني أن أؤدّي هذا الواجب. وقد حضر لزيارتنا في الفندق حينذاك عدد جمّ من أهل الشام، وكان من بينهم جملة من حضرات الرؤساء الروحيّين. ثمّ حضر أيضاً أحد أصحابنا (البلوني المسكوفي كونت برانتيسبيسكي) أحد عظماء بلاد الروسيا وأغنيائها وأشهر غواة الخيل العربية فيها. وكان قد جاء إلى الأقطار الشامية هذه المرّة لغرضين: أحدهما زيارة بيت المقدس، والثاني البحث عن الخيل العربية الأصلية. وقد أخبرني جنابه في ضمن حديثه أنّه لم يجد من بين الخيل الشاميّة والعربية الّتي اِطّلع عليها في تلك السياحة ما كان يستوجب العناية أو يستحق الشراء. ولذلك عدل عن الغرض الأخير الّذي وفقت الصدفة بيننا وبينه فيه. وقد كنت مسروراً من حديث هذا الشيخ الكبير ومجلسه. وليست هذه أوّل مرّة اِجتمعت فيها بجنابه، لأنّي كنت عرفته قبل هذه الزيارة في مصر، وآنست منه نفساً عالية وطبعاً رقيقاً وكمالاً وأدباً. وما أجدر الشيخ الهرم أن يكون متحلياً بالآداب ومتجمّلاً بالفضائل. وإن صاحبنا هذا كان قد طالع الثمانين وولاها ذنباً، ثمّ إنّه قضى معظم هذا العمر الطويل في سياحة الممالك والبلاد طولاً وعرضاً، فاِستفاد معرفة كثير من الأمراء والعظماء، كما استفاد خبرة واسعة بمعرفة الأخلاق والعوائد القوميّة

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٢/١٦٩

المختلفة. وكان قد زار مصر مع والده على عهد المرحوم محمد علي باشا الكبير، وإصطادا **تمساحاً** من بركة الأزبكية، قبل أن يصل." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٤٢ """""""

قال الربيع : نظر في نفقة المنصور فإذا مبلغها في كل يوم ستة آلاف درهم . قال الربيع : لقب المنصور بأبي الدوانيق لأنه لما أراد حفر الخندق بالكوفة ، قسط على كل رجل منهم دانق فضة ، وأخذه وصرفه في حفر الخندق . قال محمد بن الجهم : العيون التي تبص – أي تضيء – بالليل عين الأسد والنمر والسنور والأفعى . ويقال : كل حيوان إذا أكل حرك فكه الأسفل إلا **التمساح** ، فإنه لا يحرك ألا فكه الأعلى . شاعر : المتقارب ألا إن قلبي له خلقة . . . ولست أرى مثلها في الخلق سريع العلوق إذا ما اشتهى . . . سريع النزوع إذا ما علق فبينا يرى عاشقا إذ صحا . . . وبينا يزى صاحيا إذ عشق." (٢)

"كأنّ راكبها إِذْ جَدَّ مُرتَحِلاً ... بالسَّيْرِ منها مُقِيٌّ غيرُ مُرتَحِلِ

لِجامُهَا في يَدِ النُّوتِيِّ من دُبُرٍ ... مُقَوِّمٌ زَيْغَها والمَيْلَ من قُبُلِ

ما زَال سائقُهَا يَجْرِى على مَهَلٍ ... جَرْياً يَفوتُ اجْتِهَادَ الخَيْلِ والإبِلِ

حتّى تَناهضتْ إلى حَيْثُ انْتهَى شَرَفُ الدُّ ... نْيَا وأَشْرَفَ بَاغِيها على الأَمَلِ

وأيضاً:

مُخضْرَمةُ الجنْبيْن صادِقةُ السُّرى ... تُراقِبُ من ذي الرَّكْبِ ما لا يُراقبُهْ

تكادُ نُفُوسُ القَوْم تَجرى بِجَرْيِهَا ... إذا غَالَبتْ من مَوْجه ما تُغَالِبُهْ

يَصُدُّ حبابَ الماء عن جَنَباتها ... إذا البحرُ ساحَتْ في السَّفينِ مَراكبُه

وللحسين بن الضَّحّاك:

إلى سُرَّ مَن رَا والمصِيف وظِلّه ... دأبْنَا وأَدْأَبْنا السَّفِينَ المُقَيَّرَا

تُكَابِدُ أنفاسَ الهَجِير رَوَائحاً ... وتَخْطُر في بُرْدٍ من اللَّيْلِ أخضَرَا

إِذَا ما استخَفَّتْهَا الرِّيَاحُ حَسِبْتَهَانُسُوراً تَلَتْ في لاَمِعِ اللَّيْلِ أَنْسُرَا

تُقِيمُ على قَصْدِ الطَّرِيق صُدُورَها ... شَكَائِمِ في الأذنابِ ساجاً وعَرْعَرَا

وللعباسيّ:

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٤٤

(٢) البصائر والذخائر . ، ٢٤٢/١

زنْجِيَّةٍ كُرْديَّةِ الحَلْيِ فَوْقَها ... جَنَاحٌ لها فَرْدٌ على الماءِ يَخْفُقُ

يُؤَدِّبُها أولادُهَا بعِصِيِّهِمْ ... فَتُحْبَسُ قَسْراً كيف شاءُوا وتُطْلَقُ

وله في سماريَّة:

كأنّي حِينَ تَعْتَذرُ المَطَايَا ... على فَتْخَاءَ نَاشِرَةٍ جَنَاحَا

بخَرْقٍ تَقْصُرُ الأَلْحاظُ عنه ... بَعِيدِ المَاءِ يَبْتَلِعُ الرِّيَاحَا

ولبعض المحدثين في سماريّات:

والماءُ تهوِي تارةً ... فيه سَفائِنُهُ وتصْعَدْ

فكأنَّهن عَقارِبٌ ... دّبَّت على صَرْحٍ مُمرَّدْ

وممّا يدخل في هذا الباب قول محمّد بن أبي عينية يصف البصرة وهي تجمع البرَّ والبحر:

يا جَنَّةً فاتَتِ الجِنَان فما ... تَبلُغُها قيمةٌ ولا ثَمنُ

أَلِفتُها فاتَّخذْتها وَطَناً ... إنَّ فؤادى لحُسْنها وَطَنُ

زُوِّج حِتانُها الضِّبَابَ بها ... فهذه كَنَّةٌ وذا خَتَنُ

فانْظُرْ وفَكِّرْ فيما تُطِيف به ... إنّ الأديبَ المفكِّرُ الفَطِنُ

من سُفُنٍ كالنَّعَام مُقْبِلةٍ ... ومن نَعامٍ كأنَّه سُفُنُ

ويدخل في هذا الباب قول عليّ بن العبّاس:

ولم أتَعلَّمْ قَطُّ من ذي سِبَاحةٍ ... سِوَى الغَوْصِ والمضعوفُ غيرُ مُغالِبِ

ولِمْ لا ولَوْ أُلْقِيتُ فيها وصَخْرةً ... لَوَافَيْتُ منها القَعْرَ أوَّلَ رَاسِبِ

وأَيْسَرُ إشْفَاقي من الماءِ أنّني ... أَمُرُ به في الكُوزِ مَرَّ المُجَانِبِ

وأخَشْىَ الرَّدَى منه على كلّ شاربٍ ... فكيفَ بأمْنِيهِ على كُلّ رَاكِبِ

وقد ألَمَّ عليٌّ في هذا المعنى بقول أبي نواس، وهو ماحدَّثنا به محمّد به يحيى قال: حدَّثنى عليُّ بن سراجٍ، عن أبي وائلٍ اللَّخميَ قال: حدَّثني إبراهيم بن الخصيب قال: وقف أبو نواسٍ بمصر على النِّيل، فرأى رجلاً قد أخذه **التِّمساح** فقال:

أَضْمرتُ للنِّيل هِجْرَاناً ومَقْلِيَةً ... إذ قيل لي إنّما **التِّمساحُ** في النِّيلِ

فمَنْ رَأَى النيلَ رَأْىَ العَيْنِ من كَثَبٍ ... فمَا أرَى النِّيلَ إلاّ في البَوَاقِيلِ

البَوَاقِيل: الكِيزانُ، واحدها بُوقَالٌ.

باب

في الرِّياع والمنازل والأطلال

وذكر السَّراب والآل." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٥٣ """""""""

جميع السباع والدواب عند المشي تقدم اليد اليمنى والرجل اليسرى . لا تكون الزرافة إلا في أرض قليلة الماء . إذا هم أصحاب الخيل أن ينزو حماراً على فرس جزوا عرفها فتقر حينئذ وتذل لكدم الحمار لها . يبونان ثيران لها أربعة قرون لا ترضى بمجامعة البقر ، بل تجامع إناث الخيل ، ويتولد بينهما خيول عجيبة المنظر . الجاموس لا ينام أصلاً وإن أرخى عينيه إرخاء يسيراً ، لكنه ساهرٌ الليل والنهار . الجمل إذا وقع على الناقة وقع الضراب ستر عن الرجال ، فإن نظر إليه رجل غضب . قالت الروم : إن السنور يتولد من مجامعة الفهد لبعض السباع . لا ينام البوم إلا إغفاءة . ومن العجب أن السنور يكون صافي العين كثير البريق عند امتلاء الهلال وينقص ذلك الصفاء والبريق عند نقصان الهلال . الأفعى إذا جامعها الذكر واسمه الأفعوان تحولت إليه ، فإن ظفرت به أكلت رأسه من شدة عشقها له . ذكر العقرب اسمه عقربان ، أسود صغير ، سريع المشي ، جاد الذهاب الحرذون تفسيره بالعربية الذي يخرج من الزعفران . **التمساح** لا يكون إلا في النيل ونهرٍ بأرض الهند يقال له : الرسيس ويبيض كبيض الإوز ، وربما يولد منه حراذين صغار ، ثم يكبر حتى يبلغ طوله عشر أذرع ، ويزداد طولاً." (٢)

""""""""" صفحة رقم ١٩٩ """""""""

دونهم ، فبقوا في ظلمات البر والبحر ، أعني الجهل وقلة الحياء فلا جرم أعضل الداء ، وأشكل الدواء ، وغلبت الحيرة ، وفقد المرشد ، وقل المسترشد ؛ والله المستعان . وأرجع إلى ما هو الغرض من نسخ ما تقدم في الجزء الأول .

الليلة السابعة عشرة

فلما عدت إلى المجلس قال : ما تحفظ في تفعال وتفعال ، فقد اشتبها ؟ وفزعت إلى ابن عبيد الكاتب فلم يكن عنده مقنع ، وألقيت على مسكويه فلم يكن له فيها مطلع ؛ وهذا دليلٌ على دثور الأدب وبوار العلم والإعراض عن الكدح في طلبه . فقلت : قال شيخنا أبو سعيد السيرافي الإمام – نضر الله وجهه –

---

(١) الأنوار ومحاسن الأشعار، ص/٨٠

(٢) الإمتاع والمؤانسة، ص/١٥٣

: المصادر كلها على تفعالٍ بفتح التاء ، وإنما تجيىء تفعالٌ في الأسماء ، وليس بالكثير . قال : وذكر بعض أهل اللغة منها ستة عشر اسماً لا يوجد غيرها . قال : هاتها . قلت : منها التبيان والتلقاء ، ومر تهواءٌ من الليل ؛ وتبراك ، وتعشار ، وترباع ، وهي مواضع ؛ **وتمساح** للدابة المعروفة ؛ **والتمساح** الرجل الكذاب أيضاً . وتجفاف وتمثال وتمراد بيت الحمام ، وتلفاق ، وهو ثوبان يلفقان . وتلقام : سريع اللقم . ويقال : أتت الناقة على تضرابها ، أي على الوقت الذي ضربها الفحل فيه ، وتضراب كثير الضرب وتقصار ، وهي المخنقة ؛ وتنبال ، وهو القصير . قال : هذا حسنٌ ، فما تقول في تذكار ؟ فإن الخوض في هذا المثال إنما كان من أجل هذا الحرف ، فإن أصحابنا كانوا في مجلس الشراب ، فاختلفوا فيه ؟ فقلت : هذا مصدرٌ ، وهو مفتوح .." (١)

"مروان: أخوف ما يكون الوزراء عند سكون الدهماء. غيره: أخوف ما يكون العامة آمن ما يكون الوزراء. العجم: أعلم الملوك يحتاج إلى وزير، وأشجع الناس يحتاج إلى سلاح. وأجود الخيل يحتاج إلى سوط، وأجود الشفار يحتاج إلى مسن. مثل الملك الصالح إذا كان وزيره فاسداً مثل الماء الصافي العذب النمير الذي فيه **التماسيح**؛فلا يستطيع الإنسان وروده، وإن كان سابحاً، وإلى الماء ظامئاً حذراً على نفسه منه. العامة: لا تغترنّ بكرامة الأمير إذا غشك الوزير. ابن العميد:

هيهات لم تصدقك فكرتك التي ... قد أوهمتك غنىً عن الوزراء

لم تغن عن أحدٍ سماءٌ لم تجد ... أرضاً ولا أرضٌ بغير سماء

غيره: إذا طلبت نائل الأمير، فالطف له من جهة الوزير. سليمان بن مهاجر:

إن الوزير وزير آل محمدٍ ... أودى فمن يشناك كان وزيرا

أبو الفتح البستي:

وزارة الحضرة الكبيره ... خطيئةٌ بل هي الكبيره

فلا تردها ولا تردها ... فإنها م حنةٌ مبيره

عذلوني على وزارة بستٍ ... ورأوها من أعظم الدرجات

قلت: لا أشتهي وزارة بستٍ ... إنّني بعد لم أملّ حياتي

أكتاب بستٍ كم تناحرتم على ... وزارة بستٍ وهي سخنة عين

وخفّ حنينٍ فوق ما تطلبونه ... فلم بينكم يا قوم حرب حنين

---

(١) الإمتاع والمؤانسة، ص/١٩٩

لما استوزر حامد بن العباس، وقلد الدواوين علي بن عيسى. كان العمل لعلي والاسم لحامد، فقال بعض الشعراء ما تمثل به الناس في معناه:

أعجبٌ من كلّ ما تراه ... أنّ وزيرين في بلاد

هذا سوادٌ بلا وزيرٍ ... وذا وزيرٌ بلا سواد." (١)

" ويروى ومن نداء أي رجل تناديه تبتغي أن يعينك على عكمك حتى تشده

فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته فنزل فرجز بأخت زيادة وكانت تدعى فيما روى اليزيدي أم حازم وقال الآخرون وأم القاسم فقال هدبة

(لقد أراني والغلام الحازما ... نزجي المطي ضمرا سواهما)

(متى تظن القلص الرواسما ... والجلة الناجية العياهما)

العياهم الشداد

(يبلغن أم حازم وحازما ... إذا هبطن مستحيرا قاتما)

(ورجع الحادي لهما الهماهما ... ألا ترين الحزن مني دائما)

(حذار دار منك لن تلائما ... والله لا يشفي الفؤاد الهائما)

(تمساحك اللبات والمآكما ... ولا اللمام دون أن تلازما)

(ولا اللثام دون أن تفاقما ... ولا الفقام دون أن تفاغما) ." (٢)

" ويروى ومن نداء أي رجل تناديه تبتغي أن يعينك على عكمك حتى تشده

فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته فنزل فرجز بأخت زيادة وكانت تدعى فيما روى اليزيدي أم حازم وقال الآخرون أم القاسم فقال هدبة

(لقد أراني والغلام الحازما ... نزجي المطي ضمرا سواهما)

(متى تظن القلص الرواسما ... والجلة الناجية العياهما)

العياهم الشداد

(يبلغن أم حازم وحازما ... إذا هبطن مستحيرا قاتما)

(ورجع الحادي لها الهماهما ... ألا ترين الحزن مني دائما)

---

(١) التمثيل والمحاضرة، ص/٣٤

(٢) الأغاني، ٢٦١/١٠

(حذار دار منك لن تلائما ... والله لا يشفي الفؤاد الهائما)

(تمساحك اللبات والمآكما ... ولا اللمام دون أن تلازما)

(ولا اللثام دون أن تفاقما ... ولا الفقام دون أن تفاغما) ." (١)

"ومن أمثالهم: هو أصدق من قطاة، وذلك لأنها تقول: قطا قطا فاسمها من صوتها، قال النابغة: من البسيط

تدعو القطا وبه تدعى إذا انتسبت ... يا صدقها حين تدعوها فتنتسب

ويقال: لأكذب من الشيخ الغريب؛ وأكذب من أخيذ الجيش، قيل: هو الذي يأخذه أعداؤه فيستدلونه على قومه، فهو يكذبهم بجهده، وهو أكذب من الأخيذ الصبحان؛ وأكذب من المهلب، وكان يكذب لأصحابه في الحرب، يعدهم بالنجدة والأمداد؛ وأكذب من أسير السند.

ومن أمثالهم: إنه لأحمق من تراب العقد، يعني عقد الرمل، قيل: وحمقه أنه ينهار ولا يثبت. قال الفراء: إنه لأحمق من راعي ضأن ثمانين، قال وذلك أن أعرابيا بشر كشرى بشارة سر بها فقال: سلني ما شئت، قال: أسألك ضأنا ثمانين؛ أحمق من العقعق، وحمقه أن ولده أبدا ضائع؛ أحمق من رخمة، أحمق من الحبارى، أحمق من رجلة، وهي البقلة الحمقاء؛ أحمق من الممتخط بكوعه؛ أحمق من الممهورة إحدى خدمتيها،قال: وذلك أن زوجها قضى حاجته منها ثم طلقها، فقالت: أعطني مهري، فأخذ أحد خلخاليها من رجلها فأعطاها إياه، فرضيت به وسكتت، وإنه: لأحمق من دغة، وهي امرأة عمرو بن جندب بن العنبر، وخبرها في حمقها قبيح مستهجن ذكره؛ وأحمق من حمامة، وذلك أنها تبيض على الأعواد، فربما وقع بيضها فانكسر، وأحمق من الضبع؛ وأحمق من ناكثة غزلها، وهي امرأة من قريش. أتيه من أحمق ثقيف وهو يوسف بن عمر. وفي الخبر: سيكون في ثقيف كذاب ومبير وأحمق؛ قيل: الكذاب المختار، والمبير الحجاج، والأحمق يوسف.

ومن أمثالهم: آبل من حنيف الحناتم؛ آبل من مالك بن زيد مناة.

ومنها: هو أبلغ من سحبان وائل؛ وأبين من قس؛ وأخطب من قس؛ وهو أعيا من باقل، وهو رجل من ربيعة كان عييا فدما.

وهو أخلى من جوف حمار، وهو رجل من عاد، وجوفه واد كان ينزل به، فلما كفر أخرب الله واديه.

ومنها: أخجل من مقمور.

---

(١) الأغاني، ٢٦١/٢١

وأطمع من أشعب.

ويقولون: أزهى من غراب، وأخيل من مذالة، يضرب للمتكبر في نفسه، وهو عند الناس مهين، والمذالة الأمة الماهنة، وهي في ذلك تتبختر، وأخيل من واشمة استها؛ و أزهى من ثعلب.

ومن أمثالهم: هو أبصر من غراب؛ أبصر من الزرقاء، وهي زرقاء اليمامة؛ ويقال: هو أسمع من فرس؛ وأسمع من قراد؛ أسمع من سمع أزل.

ويقال: هو أنوم من فهد؛ وأنوم من غزال، وأنعس من كلب، وأنوم من عبود، وهو عبد نام في محتطبه أسبوعا، وإذا أرادوا خفة النوم قالوا: أخف رأسا من الذئب؛ وأخف رأسا من الطائر.

ويقولون: أملخ من لحم الحوار أي ليس له طعم.

ومن أمثالهم: أظلم من الحية، ومن حية الوادي، وأظلم من ذئب، أظلم من الجلندى، وأظلم من **التمساح**.

ومن أمثالهم: إنه لألص من شظاظ، وهو رجل من بني ضبة كان لصا مغيرا فصار مثالا، وله خبر غريب قد ذكر في باب الحيل؛ وأسرق من جرذ؛ وألص من عقعق؛ وأخطف من عقاب.

ويقال: إنه لأصرد من عنز جرباء للذي يشتد عليه البرد.

ومن أمثالهم: إنه لأطيش من فراشة.

ويقولون: إنه لأجوع من كلبة حومل، وهي كلبة كانت في الأمم السالفة، وأجوع من زرعة وهي كلبة؛ وأجوع من ذئب؛ وأجوع من قراد.

ويقال: إنه لأفحش من فاسية، يريد الخنفساء، وذلك أنها إذا حركت نتنت، وأبذى من مطلقة؛ وأقود من ظلمة، وألوط من دب، وأسفد من ديك؛ وأسفد من عصفور، وأزنى من سجاح، وأزنى من قرد، وهو قرد بن معاوية بن هذيل؛ وأزنى من هر وهي امرأة يهودية، وهي التي قطع المهاجر يدها في من قطع من النساء حين شمتن بموت النبي صلى الله عليه وسلم؛ وأشبق من حبى المدينية؛ وأسلح من دجاجة، وأسلح من حبارى.

ويقولون: إنه لأبر من العملس، وكان رجلا برا بأمه حتى كان يحملها على عاتقه؛ وأبر من فلحس، وهو رجل من شيبان حمل أباه على ظهره وحج به؛ وإنه لأعق من ضب وذلك لأنه يأكل ولده.

ويقولون: إنه لأحيا من ضب، من الحياة وذلك أطول من ذماء الضب، وأطول ذماء من الحية، وأطول صحبة من الفرقدين، وأطول من اللوح، وأطول من السكاك.

ومن أماثلهم: أصبر من عود بدفيه الجلب، والدفان الجنبان، والجلب آثار الدبر؛ وأصبر من جذل الطعان؛

وأصبر من ضب.

ويقال: إنه لأدم من البعرة، في دمامة خلقته.

وإنه لأعرى من المغزل؛ وأكسى من البصل.." (١)

"ثم تمر دجلة بمدينة السلام، فإذا خرجت عنها صبت إليها أنهار كثيرة من الجانب الشرقي منها ديالي ونهربين والنهروان، ومخرجه من جبال أرمينية وسيسر من بلاد آذربيجان وشهرزور وبلاد الصامغان؛ ثم يجتمع وينتهي إلى الموضع المعروف بباصلوي. ومما يلي جلولا وخانقين من طريق خراسان فسمي هناك تامرا، ويستمد من القواطيل الآخذة من دجلة ويصير إلى الموضع المعروف بباجسري على فرسخين من دسكرة الملك، وهناك يسمى النهروان ويمر ببلاد بعقوبا ويشق مدينة النهروان وهي جانبان وجسر بوران وعبرتاوبر زاطيا واسكاف بني الجنيد ويصب إلى دجلة بناحية جرجرايا، ثم تصير دجلة إلى واسط حتى تصب في بطيحة البصرة وتنتهي إلى البحر وقد ذكرنا في كتاب الاستذكار سبب انخراق دجلة وخروجها عن عمودها وذلك في أيام كسرى ابرويز ملك فارس وكان مجراها في جوخي وتغريقها طسوج الثرثور من بلاد كسكر وغيره حتى صارت بطائح على ما قدمنا. آثار عمود دجلة إلى وقتنا هذا بين فم الصّلح وبهندف وبادرايا وباكسايا وفامية العراق إلى بلاد باذبين ودبربي وقرقوب والطّيّب وشابرزان والدّرمكان إلى نهر جور وإلى المذار، وقد يصب في الفرات ودجلة أنهار كثيرة مثل سربط وساتيدما وأرسناس والزّرم ونهر دوشا – وهو بين جزيرة ابن عمر وباسورين وخابور دجلة ومصبه إليها بين باسورين وقبر سابور ومخرجه من عين تعرف بعين البطريق من أرض الزوزان من بلاد أرمينية ويمر بين الجبل الجودي وجبل التنين وغيره وعليه قصور علي بن داود الكردي من الرهزادية وغيره، وسفان ومخرجه من ناحية العمر وقارة والجبل المعروف بعلم الشيطان مما يلي جبل طور عبدين وهو جبل فيه بقايا الأرمان من السريانيين وخابور الفرات ومخرجه من رأس العين وكانت تسمى عين الوردة ومصبه إلى الفرات بناحية قرقيسيا، وغير ذلك من الأنهار فمقدار مسافة دجلة من ابتدائها إلى انتهائها نحو من أربعمائة فرسخ وقيل أكثر من ذلك ومنها نهر مهران السند، ومخرجه من الإقليم الخامس من عيون في أعالي السند وجبالها من أرض قنّوج من مملكة بوورة وأرض قشمير والقندهار والطافن حتى ينتهي إلى مدينة المولتان، وتفسير المولتان فرج الذهب.وهناك يسمى مهران ثم ينتهي إلى بلاد المنصورة ويصب في البحر على نحو من فرسخين من مدينة الديبل من ساحل السند وبين المنصورة وبين البحر نحو من سبعة أيام وفيه السوسمار وهو **التمساح** على حسب ما يكون في نيل

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٣١١/٢

مصر وزيادته في وقت زيادته وله بطائح وآجام عظيمة من القنا والقصب نحو من ثلاثمائة فرسخ فيه جنس من السنديقال لهم اليمدوهم خلق عظيم حزب لأهل المنصورة، ولهم بوارج في البحر تقطع على مراكب المسلمين المجتازة إلى أرض الهند والصين وجدة والقلزم وغيرها كالشواني في بحر الروم وقد ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في كتابه في الأخبار عن الأمصار وعجائب البلدان: أن مخرج مهران السند والنيل من موضع واحد؛ واستدل على ذلك باتفاق زيادتهما وكون **التمساح** فيهما وأن سبيل زراعتهم في البلدين واحد، ولا أدري كيف ذلك وقع له وقد توجد **التماسيح** في أكثر أخوار الهند وهي الخلجانات كخور صندابور وخلجان الزابج وغيرها وتلحق الناس وسائر الحيوانات منها الأذية على حسب ما يلحق أهل مصر وحيواناتهم وقد يتشعب من مهران هذا نهر آخر يسمى مهران الصغير فمقدار مسافة مهران الكبير من ابتدائه إلى انتهائه نحو من خمسمائة فرسخ وقيل أكثر من ذلك ومنها نهر الهند العظيم المعروف بجنجس وهو أعظم من مهران وعليه مساكن كثير من الأمم من أصناف الهند وغيرهم، ومخرجه من جبل بناحية التبت لا عمارة بينه وبين التبت إلى أن يصب في هذا البحر مما يلي الجزيرة المعروفة بجزيرة العراة من جزائر الهند، فمسافته من ابتدائه إلى انتهائه أربعمائة فرسخ وقيل خمسمائة فرسخ. وعلى هذا النهر كان القتاء الإسكندر بن فيلبس وفور ملك الهند، لا تناكر بين الهند في ذلك وغير ذلك من الأنهار العظام كأنهار بلاد الأهواز؛ المشرقان، ودجيل، وغيرهما وأنهار فارس وكرمان والهرمند؛ نهر سجستان، وغزنين، والدّوار، وغير ذلك من بلاد زابلسنان وكابل وتيزمكران والسند والهند والصين وجبال الصغد وفرغانة وغير ذلك مما أحاط به من الممالك

ذكر البحر الثاني وهو الرومي." (١)

"أخال في فيها وفي طرفها ... سواحر أقبلن من بابل

عيني على عتبة منهلة ... بدمعها المنسكب الهامل

يا من رأى قبلي قتيلا بكى ... من شدة الوجد على القاتل

بسطت كفي نحوكم سائلا ... ماذا تردون على السائل

إن كنتم العام على عسرة ... ويلي فمنوني إلى قابل

وأنشدهم أبو الشيص: الكامل

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم

---

(١) التنبيه والإشراف، ص/٢٢

أجد الملامة في هواك لذيذة ... حبا لذكرك فليلمني اللوم

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم ... إذ كان حظي منك حظي منهم

وأهنتني فأهنت نفسي جاهدا ... ما من يهون عليك ممن اكرم

وأنشد الحسين الخليع الطويل

كأني وحيد لا يسر بمؤنس ... من الناس حتى تنقضي الأشهر الحرم

ألام على شغلي بمن أنا شغلهُ ... إذا طاف أو أصغى إلى الركن فاسْتَلَمْ

سنرعى بظهر الغيب ما كان بيننا ... ونرعى لعهدينا على رغم من رغم

ثم قالوا لأبي نواس: هات أنشدنا فقال البسيط

لا تبك ليلى ولا تطرب إلى هند ... واشرب على الورد من حمراء كالورد

كأسا إذا انحدرت في حلق شاربها ... أجدته حمرتها في العين والخّدَ

والكأس لؤلؤة والخمر ياقوتة ... من كف جارية ممشوقة القدَ

نسقيك من عينها خمرا ومن يدها ... خمرا فما لك من سكرين من بد

لي نشوتان وللندمان واحدة ... شيء خصصت به من بينهم وحدي

فلما استتمها قاموا فسجدوا له، فقال: أفعلتموها كسروية، والله لا كلمتكم ثلاثا ولا ثلاثا ولا ثلاثا. فلما كان من الغد كتب إليهم أخوتي إن أيام العمر اقصر من إن تحتمل فاجعلوا راحتكم اليوم عندي.

أخبرنا ابن شقي النحوي قال أخبرنا احمد بن عبيد قال: روى إن أبا الدرداء قيل له: لم لا تقول الشعر وقد قاله غيرك؟ قال وأنا أيضا قلت. قالوا: ما قلت؟ قال: قلت: الوافر

يريد المرء إن يعطى مناه ... ويأبى الله إلا ما أرادا

يقول المرء فائدتي ومالي ... وتقوى الله أفضل ما استفادا

أنشدنا الأخفش للعطوي: البسيط

لا تبك أثر مول عنك منصرف ... تحت السماء وفوق الأرض أبدال

الناس اكثر من إن لا ترى خلفا ... ممن زوى وجهه عن وجهك المال

ما أقبح الود يدنيه ويبعده ... بين الخليلين إكثار وإقلال

وأنشدنا لإسحاق بن إبراهيم الموصلي: الطويل

كفى حزنا إن لا صديق ولا أخ ... ينال غني إلا تداخله كبر

وإلا التوى أو ظن أنك دونه ... وتلك التي جلت فما عندها صبر

أخبرنا ابن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: المهجة: خالص النفس ومنه قيل للبن الخالص اهميجان وماهج. والرداح: المرأة الثقيلة السير في مشيها. والسرباح: الجراد، **والتمساح**: الرجل الكذاب. والسحيف: نصل السهم العريض. والعَدِيّ: أول من يحمل في الحرب الرجالة، وينشد: الطويل

هُنَا وفضَة فيها ثلاثونَ سَيْحَفاً ... إذا آنسَتْ أُولَى العَديِ أقْشَعَرَّتِ

أنشدنا ابن الأنباري قال انشدني أبي: البسيط

لا يبعد الله قوما إن سألتهم ... أعطوا سراعا وان قلت انصرو ا نصروا

وإن أصابتهم نَعْماءُ سابغةٌ ... لم يبطروها وان فاتتهم صبروا

الكاسرين عظاما لا جبور لها ... والجابرين فأعيا الناس ما جبروا

اخبرنا نفطويه قال اخبرنا ثعلب عن عمر بن شبة عمن خبره من شيوخه قال: صعد حسان بن ثابت يوما من أكمة فصاح يا للرجال يا للرجال، فأجتمع الناس إليه فقالوا: ما شأنك؟ فقال: اسمعوا، وأنشأ يقول: الخفيف منع النوم بالعشاء الهموم وخيال إذا تغور النجوم

من حبيب أصاب قلبك منه ... سقم فهو داخل مكتوم

يا لقومي هل يقتل المرء مثلي ... واهن البطش والعظام شؤوم

غادة طفلة بعيدة مها بين الوشاحين فيهما تهضيم." (١)

"وليكُن ذلك كله – إذا نشِطت له – مقصوراً غير مبسوط، أو بين المقصور والمبسوط، فإنه إن زاد على هذا التحديد طال، وإذا طال مُلّ، وإذا مُلَّ نُظر إلى صحيحه بعين السّقيم، وحُكم على حقّه بلسان الباطل، وتُخيّل القصدُ فيه إسرافاً، والعدلُ فيه جورا، وعند ذلك يحول عن بهجته ومائه، ورونقه وصفائه. وجميع ما قلته – حاطك الله – وأتيت به، وسحبت ذيلك عليه، ورفلْت أعطافك فيه، قد سمعته وفهمته، وطويته في نفسي وبَسَطته، وجمعته بذهني وفرّقته، ونظمتُه عندي ونثرته؛ ولست جاهلاً به ولا ذاهلاً عنه، ولكن من لي بعتاد ذلك كله، وبالتأتّي له، وبالقدرة عليه، وبالسّلامة فيه إن فاتتني الغنيمة فيه؟ مع صدري الضيّق، وبالي المشغول ومع رُزوح الحال، وفقد النّصر، وسوء الجزع، وضَعف التوكّل؛ نعم!، ومع الأدب المدخول، واللسان المُلجلَج، والعلم القليل، والبيان النّزر، والخوف المانع؛ وإنّي لأظنّ أن الطائع لـك في هذه الخطة، والمجيب عن هذه المسألة، قليل التقّية، سيّء البقية، ضعيف البديهة والرويّة؛ لأنه يتصدّى

(١) أخبار أبي القاسم الزجاجي، ص/٦

لما لا يفي به، ولا يتسّع له، ولا يتمكّن منه؛ فإن وفى واتسّع وتمكّن لم يسلم على كثير ممن يقرأ كلامه، ويتصفّح أمره، ويقصّ أثره، ويطلب عثرته؛ لأنّ الناس في نشر المدح والذمّ، وفي بسط العذر واللّوم؛على آراء مختلفة، ومذاهب متباينة، وأهواء مشتعلة، وعادات مُتعانِدة.

على أنّهم، بعد شدّة جدالهم وطول مِرائهم، رجلان: متعصّب لمن تذُمّه وتَعيبه وتَنثُّ القبيح عنه، فهو يغتفر له جميع ما يسمع منك، صادقاً كنت أو كاذباً، مُعرّضاً كنت أو مفصحاً.

أو مُتعصّب على من تمدحه وتُزكّيه وتُفضله وتُثني عليه، فهو يرُدّ عليك كلّ ما تدّعيه، مُحققاً كنت أو مُجزّفاً، موضِّحاً كنتَ أو مُزخرفاً؛ ولذلك قال بعض علماء السلف الصالح: هما أمران مَثواك بينهما، راضٍ عنك فهو يمنحك أكثر مما هو لك، وساخطٌ عليك يتنقّصك من حقّك؛ فرُمَّ ما ثلَم الباغي بفضلة الراضي يعتدل بك الأمر؛ والشاعر قد فرغ من هذا المعنى وسيّره في قريضه المشهور المتداول حيث يقول:

وعينُ الرّضَا عن كل عيب كليلةٌ ... ولكنّ عينَ السُخط تُبدِي المساويا

على أن هذا الشاعر قد أثبت العيب وإن كان قد وصفه بكلول العين عنه، ودلّ على المَساوي وإن كان السُّخط مُبديها، وهذا لأنّ الهَوى مُقيم لابثٌ والرأي مجتاز عارض، ولا بدّ للهوى من أن يعمل عمله، ويبلغ مبلغه، وله قرار لا يطمئن دونه، وحدّ هو أبداً يتعدّاه ويتجاوزه، وله غُول تُضِلّ، وتمساحٌ يبتلع، وثعبان – إذا نفخ – لا يُبقي ولا يذر، والرأي عنده غريب خامل، وناصحٌ مجهول.

وقال بعض الحكماء: فضل ما بين الرأي والهوى أن الهوَى يخُصُّ والرأي يعمّ، والهَوى في حيّز العاجل، والرأي في حيِّز الآجل، والرأي يبقى على الدّهر، والهَوى سريع البيُود كالزّهر، والرأي من وراء حِجاب، والهَوى مُفتّح الأبواب ممدَّد الأطناب؛ ولذلك قال أيضاً بعض العرب، ويُقال هو عامر بن الظَّرِب: الرأيُ نائمٌ والهَوى يَقظان، فأرقِدوا الهوى بفظاظة، وأيقظوا الرأي بلطافة.

وقال الشاعر:

كم من أسير في يَدَي شَهواتِهِ ... طفِر الهَوى منهُ بحَزْم ضائع

وقال أعرابي: لم أرَ كالعقل صديقاً معقُوقاً، ولا كالهوى عدوّاً معشوقاً؛ ومن وفَّقه الله للخير جعل هواه مقْموعاً، ورأيه مرفوعاً.." (١)

"نضواً تغامزت الكلاب بها وقد ... شدُّوا عليها كي تموت فيولموا

وإذا الملا ضحكوا بها قالت لهم: ... لا تهزؤوا بي وارحموني ترحموا

(١) أخلاق الوزيرين، ص/٤

مرَّت على علف فقامت لم ترم ... عنه وغنَّت والمدامع تسجمُ
" وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخَّر عنه ولا متقدَّمُ "
وقال أيضاً:
ما أرى إذ ذبحت شاة سعيد ... حاصلاً في يديَّ غير الإهابِ
ليس إلاَّ عظامها لو تراها ... قلت: هذي أرزان في جرابِ
من خشاش المواشي اللَّواتي إذا ما ... أبصروهنَّ قيل: شاء النِّهابِ
ستراهنَّ كيف ينفخن في وج ... ه المضحِّي بهنَّ يوم الحسابِ
وقال أيضاً فيها:
أيا سعيد لنا في شكاتك العبر ... جاءت وما إن لها بول ولا بعرُ
وكيف تبعر شاة عندكم مكثت ... طعامها الأبيضان: الشَّمس والقمرُ
لو أنَّها أبصرت في نومها علفاً ... غنَّت به ودموع العين تنحدرُ:
" يا مانعي لذَّة الدُّنيا بما رحبت ... إنِّي ليقنعني من وجهك النَّظرُ "
وقال أيضاً فيها:
لسعيد شويهة ... مسَّها الضُّرُّ والعجفْ
قد تغنَّت وأبصرت ... رجلاً حاملاً علفْ
" بأي من بكفِّه ... برء دائي من الدَّنفْ "
فأتاها مطمَّعاً ... فأتته لتعتلفْ
فتولَّى فأقبلت ... تتغنَّى من الأسفْ:
" ليته لم يكن وقف ... عذَّب القلب وانصرفْ " !
وقال أيضاً:
طيلسان لابن حرب ... يتداعى: لا مساسا
قد طوى قرناً فقرناً ... وأناساً فأناسا
لبس الأيّام حتّى ... لم تدع فيه لباسا
غاب تحت الحسِّ حتَّى ... لا يرى إلاّ قياسا
وقال أيضاً:

طيلسان لابن حرب جاءني ... قد مضى التَّمزيق منه وطرهْ

أنا من خوفي عليه أبداً ... سامريٌّ ليس يألو حذرهْ

يا بن حرب خذه أو فابعث بما ... نشتري عجلاً بصوف عشرةْ

فلعلَّ الله يحييه لنا ... إن ضربناه ببعض البقرةْ

فهو قد أدرك نوحاً فعسى ... قد درى من علم نوح خبرهْ

أبداً يقرأ من أبصره: ... " أإذا كنَّا عظاماً نخرهْ "

وقال أيضاً فيه:

يا بـن حرب كسوتني طيلساناً ... ملَّ من صحبة الزمان وصدا

فحسبنا نسج العناكب لوقي ... س إلى ضعف طيلسانك سدا

طال ترداده إلى الرفـءِ حتى ... لو بعثناه وحده لتهدى

وقال أيضاً فيه:

قل لابن حرب طيلساً ... نُك قوم نوح منه أحدثْ

أفنى القرون ولم يزل ... عمَّن مضى من قبل يورثْ

يودي إذا لم أرفه ... فإذا رفأت فليس يلبثْ

كالكلب إن تحمل عليه الدَّهر أو تتركه يلهثْ

وقال أيضاً:

لطيلسان ابن حرب آية سلفت ... بها تبيَّن فضلي فهو متَّصلُ

قد كنت دهراً جهولاً ثمَّ حنَّنني ... عليه خوفي من الأقوام إن جهلوا

أظلُّ أجتنب الأقوام من حذر ... كأنَّما بي جرح ليس يندملُ

يا طيلساناً إذا الألحاظ جلن به ... فعلن فعل سهام فيه تنتضلُ

لئن بليت لكم أبليت من أمم ... تترى أبادتهم أيَّامك الأولُ؟

وكم رآك أخ لي ثمَّ أنشدني: ... " ودع هريرة إنَّ الرَّكب مرتحلُ "

وقال أبو نواس:

أظهرت للنِّيل هجراناً ومقلية ... مذ قيل لي: إنَّما **التِّمساح** في النِّيلِ

فمن رأى النِّيل رأي العين من كثب ... فلا أرى النِّيل إلاَّ في البواقيلِ

وقال ابن الرومي:

وأمَّا بلاء البحر عندي فإنَّه ... طواني على روع من الرُّوح واقبِ

فلو ثاب عقلي لم أدع ذكر بغضه ... ولكنَّه من هوله غير ثائبِ

وكيف ولو ألقيت فيه وصخرة ... لوافيت منه القعر أوَّل راسبِ

ولم أتعلَّم قطُّ من ذي سباحة ... سوى الغوص والمغلوب غير مغالبِ

وأيسر إشفاقي من الماء أنَّني ... أمرُّ به في الكوز مرَّ المجانبِ

وأخشى الرَّدى منه على نفس شارب ... فكيف بأمنيه على نفس راكبِ؟

وقال التِّهامي يرثي قطّاً له:

ولمَّا طواك البين واجتاحك الرَّدى ... بكيناك مالم يبك قطٌّ على قطِّ

لقد كنت أنسي في الفراش لوحدتي ... إذا بعدت ذات الوشاحين والقرطِ." (١)

"عندما تولدت الحكايات الست السابقة ((وهي حكايات خارج السياق)) من حكاية تضمينية واحدة، فإن حكاية ((الصياد)) هي الأخرى تعمل في الأسلوب نفسه في توليد الحكايات؛ حيث نرى أن حكاية تضمينية واحدة تتولد منها ثلاث حكايات من نوع ((خارج السياق)). تنقسم حكاية ((الصياد)) إلى قسمين انظر (الشكل-٥-) أحدهما القسم الذي يلتقي فيه الصياد بـ((الجني)) والقسم الثاني يأتي بعد القسم الأول مباشرة، عندما يلتقي الصياد بالخليفة عند إهدائه السمكات الملونة. في القسم الأول يخرج الصياد إلى النهر ويرمي شبكته وبعد محاولات فاشلة يصطاد قمقما، يخرج منه ((جني)) يحاول قتل الصياد لأنه قد نذر مع نفسه أن يقتل كل من يخرجه من القمقم فيحتال عليه الصياد، لأنه كما يقول مع نفسه: ((جني وأنا أنسي وقد أعطاني الله عقلاً كاملاً، وها أنا أدبر أمراً في هلاكه بحيلتي وعقلي وهو يدبر بمكره وخبثه)) ص١٥ عندها يسأل الصيـد الجني عن كيفية احتواء القمقم الصغير لجسمه الكبير، ويطلب منه أن يريه ذلك، فتنطلي الحيلة على ((الجني)) ويدخل في القمقم، ويسرع الصياد ليغلقه عليه لكن الجني يطلب منه أن يخرجه مرة أخرى، ويتوسل إليه والصياد يرفض خوفاً من أن يقتله لو أخرجه مرة أخرى، لأنه لا يأمن منه كما كان الحكيم ((روبان)) في حكاية ((الوزير يونان والحكيم روبان)) حيث يرويها الصياد، وهي من الحكايات ((التضمينية)) وقد احتوت على ثلاث حكايات من نوع ((خارج السياق)) وهي:

١- حكاية ندم الملك سندباد على قتل الباز- يحكيها الملك يونان لوزيره.

---

(١) الحماسة المغربية، ص/١٢٩

٢- حكاية الوزير الذي احتال على ابن ملكه- يحكيها الوزير إلى الملك يونان.

٣- حكاية **التمساح-** وهي حكاية يريد أن يحكيها الوزير ولكنه لا يرويها كونه كان معتقلاً كما يقول: ((لا يمكنني أن أقولها وأنا في هذا الحال))..".[1]

"واستر ذنب الدهر حتى كأنه ... صديق ولا أغتابه عند زلة

ولست كمن كان ابن أمي مقتراً ... فلما أفاد المال عاد ابن علة

وحاول هجراناً لتحصين ماله ... مراوغة يعتل من غير علة

فدا برته حتى انقضى الود بيننا ... ولم أتمطق من نداه ببلة

وكنت له عند الملمات عدة ... أسد بما لي دونه كل خلة

وأنشدني عمى الفضل قال أنشدني إسحاق بن إبراهيم الموصلي لابن الجويرية العبدي.

وما زلت تعطيني وما لي حاسد ... من الناس حتى صرت أُرجَى وأحسد

فلم أدر ما أجزيك غير نصيحتي ... وشكري ما ناح الحمام المغرد

وإني لم أملل وإن مودتي ... على صالح العهد الذي كنت تعهد

إذا غير النأيُ المودة عادني ... رسيس الهوى من حبك المتجدد

ولنكه من حال دون حبيبه ... تراب وأحجار وخشب مسند

طوى غُلة في الصدر ما كاد حرها ... على شجن في مضمر القلب يبرد

وأنشدني عمى الفضل قال أنشدني إسحاق بن إبراهيم الموصلي لنفسه في عمرو ابن بانة.

طوى الكشح عمرو للصديق على حقد ... وغنى لنا من شدة الكرب والوجد

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد ... فقد زادني مسراك وجداً على وجد

وغنى لنا لما جفاه ملاحظ ... وأظهر فيه ما رأيت من الزهد

إذا خنتم بالغيب ودي فما لكم ... تدلون إدلالَ المقيم على الود

وثلث أيضاً بعده في عروضه ... وغنى لنا والدمع يجري على الخد

وكنا كزوج من قطا في مفازة ... لدى خفض عيش مؤنق مورق رغد

وربع إذ غنى وما زال محسناً ... وقد شمر الكمين منه إلى الزند

أما في صروف الدهر أن ترجع النوى ... بلى ويدال القرب يوماً على البعد

---

(١) ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية، ص/١٢

فقلت له لا لا يغرنك ما ترى ... من الهجر والإعراض والصرم والصد

سيرجع عما قد كرهت إلى الرضا ... فليس أبو إسحاق بالمخلف الوعد

وأنشدني عمى الفضل قال أنشدنا محمد بن حبيب لضرار المتكلم

يتم لذي الدمامة خيم صدق ... وينقص خيمة الطر الجميل

وما تم امرؤ بتمام جسم ... ولا نقص امرءاً جسم ضئيل

ترى الرجل الضئيل فتزدريه ... وبين ضلوعه عقل أصيل

ترى الأبدان مشرفة وليست ... لأكثرها إذا عدت عقول

وحدثنا عمى فضل قال سمعت ابن حبيب يقول النشُّ النصف من كل شيء وأنشد:

إن التي أُنكحها المخش ... من نسوة مهورهن النش

وأنشدني الفضل عن ابن حبيب:

لم آت ذنباً فإن زعمت بأن ... قد جئت ذنباً فغير معتمد

قد تطرف الكفُّ عين صاحبها ... فلا يرى قطعها من السدد

وأنشدني عمى الفضل قال أنشدني ابن حبيب:

قربت لي أملاً فأصبح حسرة ... ووعدتني وعداً فصار وعيدا

فلأصبرن على الشقاءِ فربما ... عاد الشقي مع النبلاء سعيدا

وأنشدني عمى الفضل قال أنشدني إسحاق.

لا تحسبن السودد الجهل والخنا ... واكل الموالي كالسديف المسرهد

ولكن كما قد كان سودد حاجب ... إذا كنت أعلى سورة المجد تقتدى

له كل عام غزوة ووفادة ... يفك أسارى أو يجئ بمرفد

كذاك فسد إن كنت لا بد سيداً ... ومن يعطِ أثمان المحامد يحمد

وأنشدني عمى الفضل لأبي العتاهية:

من كل شيء يملّ الفتى ... يمل من الشيء قد يدُمنه

وأعجب من غافل والبلى ... تصايحُ في سمعه ألسنهُ

وأنشدني عمى الفضل عن أبي حبيب للراجز:

تفرقوا عني وعن رباح ... نحن غلاماها إلى الصباح

وما لها في الصبح من رواح ... غير العصا والسائق الملحاح

وأنشدني عمى قال أنشدني أيضاً:

قد غلب الناس بنو الطماح ... بالمَين والتَكذاب والتمساح

ومنطق ليس بذي نجاح ... يوعد خبراً وهو بالزحزاح

قال ابن حبيب يقال رجل تمسح إذا كانت لصاً، وقال: الزحزاح البعد، وقال أبو عبد الله اليزيدي قال لي محمد بن الحسن الأحول التِمَسح الذي يدهن الناس بكلام حسن وليس على شيء من الخير وأحسب أبا جعفر بن حبيب سها.

وأنشدني عمى فضل قال أنشدني محمد بن حبيب لأبي نخلة السعدي:

وقد علتني ذرأة بادي بدى ... ورثية تنهض في تشددي." (١)

"والتفت الأشجار حول وجهي

والتفت الطريق

كان النهار حجرا يسير، كل حجر إشاره

وكان كل حجر فلاح

يغسل وجه الحقل أو يطارد التمساح

يسافر التراب في خطاه

ينام يستفيق

وكان كل حجر شراره.

(؟ وها أرى رجالا

تمشي على ظهورهم

حجارة؟)

وسرت كالشراره

أحلم كي أسقط في الظلام

شمسا

وكي تدور

---

(١) أمالي اليزيدي، ص/٣٠

حولي

أرض الحلم الخفيه

أحلم كي أكتب عن صداقة العصفور

عن وطن أحن من قنديل

ينسج كل لحظة." (١)

"١(حمل السلاح إلى القتال وما درى ** أن الذي يجني عليه سلاحه)(أضحى يريد مواصليه صدوه ** وغدا يجيد رثاءه مداحه)(ولى بكسر لا يرجى جبره ** وبقرح قلب لا تبل جراحه)٤ (ونجا إلى حلب ومن حلب الردى ** در وفيه نجاته وفلاحه)٥ (إن أفسد الدين العصاة بحنثهم ** فالناصر الملك الصلاح صلاحه)٦ (فرح العدو بجمعه ولقيته ** فتحولت أحزانه أفراحه)٧ (صحت على ضرب الكماة كسوره ** وتكسرت عند الطعان صحاحه)٨ (وافى بسرح للنقاد فكان في ** لقيا الأسود الضاريات سراحه)٩ (مجر كبحر دارعو فرسانه ** حيتانه وزعيمهم **تمساحه**)٠ (شحناؤه شحنت جواري فلكه ** جورا ومال بهلكه ملاحه)

." (٢)

"٦(أجرت وقد جاروا ودنت وقد عدوا ** وصلت وقد خاروا ولنت وقد لطوا) ٦(فلا يعبأ المولى بمن ملء جأشه ** هوى وبقوم حشو جيشهم زط) ٦(كثير تعديهم قليل غناؤهم ** وهم ولا أصابوا رشدهم همل رهط) ٦٤ (عدلت فلا ظلم وطلت فلا مدى ** وقلت فلا مين وجدت فلا قحط) ٦٥ (فميز مكان المخلصين فإنما الأعادي ** أناس في رؤوسهم خلط) ٦٦ (وقرب وليا صح فيك ضميره ** ولا يأمن **التمساح** من دأبه السرط) ٦٧ (نبا بي مقام الجاهلين فعفته ** وقد نضنضت للنهش حياته الرقط) ٦٨ (هم منعوا رفدي قبول ونائل ** وذا وشل برض وذا أكل خمط) ٦٩ (وكم مطمع في خيره بشر وجهه ** ومشتمل منه على شره الإبط) ٧٠ (لأبدى بلا عذر حظوظ فضائلي ** نفار العذارى من عذار به وخط)

---

(١) اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص/٢٨٠

(٢) ديوان عماد الدين الأصبهاني، ص/٦٣

". (١)

"يحق على الملك أن يكون ألطف ما يكون نظراً أعظم ما يكون خطراً، ولا يذهب حسن نظره في الرعية خوفه لها، ولا يستغني بتدبير اليوم عن تدبير غد، وأن يكون حذره للمتملقين أكثر من حذره للمتباعدين، وأن يتقي بطانة السوء أشد من اتقائه العامة، ولا يطمعن في إصلاح العامة إلا بالخاصة. وقال أزدشير: لكل ملك بطانة حتى يجمع ذلك جميع المملكة، فإذا أقام الملك بطانة على حال الصواب أقام كل امرئ منهم بطانته على مثل ذلك، حتى يجتمع على الصلاح عامة الرعية.

ومثال الملك الخير مع الوزير السوء الذي يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من الدنو منه كالماء الصافي، فيه التمساح فلا يستطيع المرء دخوله، وإن كان سابحاً وكان إلى الماء محتاجاً. ومثل السلطان مثل الطبيب ومثل الرعية مثل المرضى، ومثل الوزير مثل السفير بين المرضى والأطباء، فإن كذب السفير بطل التدبير، وكما أن السفير إذا أراد أن يقتل أحداً من المرضى وصف للطبيب نقيض دائه، فإذا سقاه الطبيب على صفة السفير هلك العليل، كذلك الوزير ينقل إلى الملك ما ليس في الرجل فيقتله الملك. فمن ههنا شرطنا أن يكون الوزير صدوقاً في لسانه عدلاً في دينه، مأموناً في أخلاقه بصيراً بأمور الرعية، ويكون بطانة الوزير من أهل الأمانة والبصيرة، ويحذر الملك أن يولي الوزارة لئيماً فإن اللئيم إذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه، واستخف بالأشراف وتكبر على ذوي الفضل.

ولما أراد سليمان بن عبد الملك أن يستكتب كاتب الحجاج يزيد بن مسلم، قال له عمر بن عبد العزيز: أسألك بالله يا أمير المؤمنين أن لا تحيي ذكر الحجاج باستكتابك إياه. فقال: يا أبا حفص إني لم أجد عنده خيانة دينار ولا درهم. قال عمر: أنا أوجدك من هو أعف منه في الدينار والدرهم. قال: ومن هو؟ قال: إبليس ما مس ديناراً ولا درهماً وقد أهلك هذا الخلق. ودخل رجل له عقل وأدب على بعض الخلفاء، فوجد عنده رجلاً ذمياً كان الخليفة يميل إليه ويقربه فقال:

يا ملكاً طاعته لازمة ... وحبه مفترض واجب

إن الذي شرفت من أجله ... يزعم هذا أنه كاذب

وأشار إلى الذمي، فاسأله يا أمير المؤمنين عن ذلك، فسأله فلم يجد بداً من أن يقول: هو صادق، فاعترف بالإسلام. لا يعرف وزير الملك ما له أو ما عليه حتى يراعي من صاحبه الواثق به ما يراعيه العاشق الغيور من المعشوقة المتهمة. وكان بعض الملوك قد كتب ثلاث رقاع وقال لوزيره: إذا رأيتني غضبان فادفع إلي

(١) ديوان عماد الدين الأصبهاني، ص/٢٤٩

رقعة بعد رقعة، وكان في الأولى: إنك لست بإله وإنك ستموت وتعود إلى التراب فيأكل بعضك بعضاً. وفي الثانية: ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء. وفي الثالثة: اقض بين الناس بحكم الله فإنه لا يصلحهم إلا ذلك. إذا كان الوزير يساوي الملك في الرأي والهيبة والطاعة فليصرعه الملك، فإن لم يفعل فليعلم أنه المصروع. وفي الأمثال: إذا سكنت الدهماء خافت الوزراء. ولما كانت أمور المملكة عائدة إلى الوزارة وأزمة الملوك في أكف الوزراء، سبق فيهم من العقلاء المثل السائر فقالوا: لا تغتر بمودة الأمير إذا غشك الوزير، وإذا أحبك الوزير فلا تخش الأمير. ويقال: الخرق مماراة الأمراء ومعاداة الوزراء، ورب أمر كرهه الأمير فتم بالوزير، وكم من أمر أراده الأمير فنهاه عنه الوزير! وإنما السلطان كالدار والوزير بابها، فمن أتى الدار من بابها ولج، ومن أتاها من غير بابها انزعج. وقال أنوشروان: لا يتم للملك أمره حتى يرفع نفسه عن كل عيب، ويكون له جليس مأمون الغيب وخادم ناصح الجيب. وموقع الوزارة من المملكة كموقع المرآة من النظر، فكما أن من لم ينظر إلى المرآة لم ير محاسن وجهه وعيوبه، كذلك السلطان إذا لم يكن له وزير لا يعرف محاسن دولته وعيوبها. كاتب الملك مستقر أسراره ولسانه الناطق عنه في آفاق مملكته، والمخصوص بقربه ولزومه دون نظرائه. ظهير الأمير وزيره وزينته حاجبه، ولسانه كاتبه ورسوله عينه. الكتابة قوام الخلافة وقرينة الرياسة وعمود المملكة. للكاتب على الملك ثلاثة أشياء: يرفع الحجاب عنه ويتهم الوشاة عليه ويفشي سره إليه.

وقد قالت الحكماء:." (١)

"""""""" صفحة رقم ٤٣٧ """""""

ألا رب نار بالفضاء اصطليتها . . . من الضح يودي لفحها بالحواجب

فدع عنك ذكر البر إني رأيته . . . لمن خاف هول البحر شر المهارب

وما زال يبغيني الحتوف مواربا . . . يحوم على قتلي وغير موارب

فطورا يغاديني بلص مصلت . . . وطورا يمسيني بورد الشوارب

وأما بلاء البحر عندي فإنه . . . طواني على روع مع الروح واقب

ولو ثاب عقلي لم أدع ذكر بعضه . . . ولكنه من هوله غير ثائب

ولم لا ولو ألقيت فيه وصخرة . . . لوافيت منه القعر أول راسب

ولم أتعلم قط من ذي سباحة . . . سوى الغوص والمضعوف غير مغالب

---

(١) سراج الملوك، ص/٥٧

وأيسر إشفاقي من الماء أنني . . . أمر به في الكوز مر المجانب

وأخشى الردى منه على كل شارب . . . فكيف بأمنيه على نفس راكب ؟

أخذه من قول أبي نواس وقد رأى **التمساح** بمصر أخذ رجلا : البسيط :

أضمرت للنيل هجرانا ومقلية . . . مذ قيل لي إنما **التمساح** في النيل

فمن رأى النيل رأي العين عن كثب . . . فما أرى النيل إلا في البراقيل

رجع

الطويل :

أظل إذا هزته ريح ولألأت . . . له الشمس أمواجا طوال الغوارب

كأني أرى فيهن فرسان بهمة . . . يليحون نحوي بالسيوف القواضب

فإن قلت لي قد يركب اليم طاميا . . . ودجلة عند اليم بعض المذانب

فلا عذر فيها لامرئ هاب مثلها . . . وفي اللجة الخضراء عذر لهائب

لدجلة خب ليس لليم ؛ إنها . . . تراءى بحليم تحته جهل واثب

تطامن حتى تطمئن قلوبنا . . . وتغضب من مزح الرياح اللواعب." (١)

"بل نقول يا محل الولد لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد لقد حل بينك عرى الجلد وخلد الشوق بعدك يا ابن خلدون في الصميم من الخلد فحيا الله زمنا شفيت برقى قربك زمانته واجتليت في صدف مجدك جمانته ويامن لمشوق لم تقض من طول خلتك لبانته وأهلا بروض أظلت أشتات معارفك بانته فحمائمه بعدك لا تندب فيساعدها الجندب ونواسمه ترق فتتعاشى وعشياته تتخافت وتتلاشى ومزنه باك ودوحه في ارتباك وحمائمه في مأتم ذي اشتباك كأن لم تكن قمرها هالات قبابه ولم يكن أنسك شارع بابه إلى صفوة الظرف ولبابه ولم يسبح إنسان عينك في ماء شبابه فلهفي عليك من درة اختلستها يد النوى ومطل بردها الدهر ولوى ونعق الغراب ببينها في ربوع الهوى ونطق بالزجر فما نطق عن الهوى وأي شيء تعتاض منك أيتها الرياض بعد أن طما نهرك الفياض وفهقت الحياض ولا كان الشانيء المثنوء والجرف المهنوء من قطع ليل أغار على الصبح فاحتمل وش١رك في الذم الناقة والجمل واستأثر جنحه ببدر النادي لما كمل نشر الشراع فراع وأعمل الإسراع كأنما هو **تمساح**
النيل ضايق الأحباب في البرهة واختطف لهم من الشط نزهة العين وعين النزهة ونجح بها والعيون تنظر

(١) زهر الأداب وثمر الألباب، ٤٣٧/١

والغمر على الاتباع يحظر فلم يقدر إلا على الأسف والتماح الأثر المنتسف والرجوع بملء العيبة من الخيبة ووقر الجسرة من الحسرة إنما أشكو إلى الله البث والحزن ونستبطر من عبراتنا المزن وبسيف الرجا نصول إذا شرعت لليأس النصول

ما أقدر الله أن يدني على شحط

من داره الحزن ممن داره صول

". (١)

"البحر : طويل (أُلامُ على بُغْضي لِما بينَ حَيَّةٍ ** وَضَبْعٍ **وتمساحٍ** تَغشّاكَ مِن بَحْرِ) (تُحاكي نَعيمًا زالَ في قُبْحِ وَجْهِها ** وصَفْحتُها – لما بَدَتْ – سَطوةُ الدَّهْرِ) (هي الضَّر بانُ في المفاصلِ ، خالياً ** وشعبةُ برسامٍ ضممتَ إلى النحرِ) ٤ (إذَا سَفَرتْ كانت لِعينيكَ سُخْنَةً ** وإنْ برقعتْ فالقفرُ في غايةِ القفرِ) ٥ (وإن حدثتْ كانتْ جميعَ مصائبِ ** مُوَّفَرَةٍ تأتي بقاصِمَةِ الظَّهرِ) ٦ (حَديثٌ كقَلْعِ الضِّرسِ أَو نتفِ شاربٍ ** وغنجٌ كحطمِ الأنفِ عيلَ بهِ صبري) ٧ (وتَفْتَرُّ عن قُلحٍ عَدمْتُ حَدِيثها ** وعَن جَبلي طيِّ وعَن هَرَمَي مِصْرِ)

". (٢)

"١(تكسو جلالتها لصباح وقد بدا ** يزدان بالأنوار والألوان)(وانظر بأيسره إلى الطود الذي ** فيه من الإبداع فن ثاني)(تجد الأصيل مشققا ونضارة ** بين الجذوع يسيل والأغصان)٤ (وتجد سناما مستطيلا قاتما ** يهتز في بحر من اللمعان)٥ (يلعوه **تمساح** تضرب دونه ** موج السنى ويعب ظالظمآن)٦ (سرح بحيث تشاء طرفك لا يقع ** إلا على ما فوق كل بيان)٧ (أتى الطبيعة وهي أرم أقبلت ** بثديها وبها أبر لبان)٨ (تسقي مدارجها وتلقى درها ** عفوا على الأغوار والقيعان)٩ (فإذا سموت إلى الذى ترنو إلى ** ما دونها من مرتمي العقبان)٠ (أخذتك بالتقوى ولست بمتق ** وعرفت سر صوامع الرهبان)

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ١٣٥/٢

(٢) ديوان دعبل بن علي، ص/١٧٣

." (١)

"ودنس في قلبها مسجدا للرسول

ودنس بيت المسيح وعذرا البتول

فإياك إياك

لا تخدعنك دموع **التماسيح**

وانظر لما أحدثته الخنازير بعدك تحت الحقول

وما نهشته ذئاب البشر

تفطر قلب " ابن سينا " وقال :

قضيت بأن لا أداوي الوحوش من الكائنات

إليكم به للقضاء الرشيد

أشيروا على " سعد " أمتنا

كي يحكم بالقولة الخالده

على ما جنته " قريظة " في حقبة تالده

ويحيا العرب

٢٠٠٥/٠٣/٢٩

الموافق لـ ١٩ صفر ١٤٢٦هـ." (٢)

"ودنس في قلبها مسجدا للرسول

ودنس بيت المسيح وعذرا البتول

فإياك إياك

لا تخدعنك دموع **التماسيح**

وانظر لما أحدثته الخنازير بعدك تحت الحقول

وما نهشته ذئاب البشر

تفطر قلب " ابن سينا " وقال :

---

(١) ديوان خليل جبران، ص/٢٥٠٩

(٢) موسوعة الشعر الإسلامي، ٢/١٤٠٢

قضيت بأن لا أداوي الوحوش من الكائنات

إليكم به للقضاء الرشيد

أشيروا على " سعد " أمتنا

كي يحكم بالقولة الخالده

على ما جنته " قريظة " في حقبة تالده

ويحيا العرب

٢٠٠٥/٠٣/٢٩

الموافق لـ ١٩ صفر ١٤٢٦هـ." (١)

"روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أعان ظالما سلطه الله عليه. وقال المأمون لبعض ولاته: لا تظلم لي فيسلطني الله عليك. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس للظالم عهد فإن عاهدته فانقضه فإن الله تعالى يقول: " لا ينال عهدي الظالمين " . وسمعت بعض العلماء يقول: ما ظلمت أحدا قط لغيري، فإني إذا ظلمت ظلمت نفسي. ويشبه ذلك ما يحكى أن عاملا عزل عن عمله بغيره فقال المولى لمن ولي مكانه: أعرني دواتك لأكتب منها حرفا فقال: لا فإني لا أستحل معاونة الظلمة ولا أحب أن يكتب من دواتي ظالم. فقيل: ألم تك تكتب منها آنفا؟ فقال إني أحرق بالنار نفسي لنفسي ولا أحرقها لغيري. وقيل لأبي مسلم صاحب الدولة. قد قمت مقاما لا يقصر بك عن الجنة في إزالة دولة بن أمية وإقامة شعار بني العباس. فقال: لخوفي من النار أولى من طمعي في الجنة، فإني أطفأت من بني أمية جمرة ألهبت بها نيرانا لبني العباس وسأحرق بها.

المتفادي من أن يظلم أو يظلم:

كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج من بيته: بسم الله وبالله إني أعوذ بك من أن أزل أو أضل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي. وقال بعضهم: لنا عز يمنع من أن نظلم، وحلم يمنع من أن نظلم.

الموصوف بالظلم:

قيل: فلان أظلم من حية لأنها لا تحفر الجحر بل تسلب غيرها جحره فتدخله. ويقال: أظلم من ذئب؛ قال:

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٢/٩٧٤

وأنت كذئب السوء إذ قال مرة ... لعمروسه، والذئب غرثان خاتل:

أأنت الذي من غير شيء سببتني؟ ... فقال: متى ذا؟ قال: ذا عام أول

فقال: ولدت العام بل رمت غدرة ... فدونك كلني! ما هنالك مأكل

فقال: أعدى من الدهر ومن التمساح ومن الجندي، وهو فيما قيل اسم الملك الذي قال الله تعالى فيه: " وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا " . وقال أعرابي: لئن هملجت إلى الباطل إنك عن الحق لقطوف.

وقيل: الفتنة عرس الظالم.

المتبجح بالظلم:

قيل لأعرابي: أيما أحب إليك أن تلقى الله ظالما أو مظلوما؟ فقال: ظالما! قيل: ويحك ولم؟ قال: ما عذري إذا قال لي خلفتك قويا ثم جئت تستعدي؟ وقيل لأعرابي ولد له ابن: جعله الله برا تقيا فقال: بل جعله جبارا عصيا، يخافه أعداؤه ويؤمله أولياؤه.

الممدوح بكونه مظلوما لمن هو دونه:

وقع الرشيد في قصة رجل: الشريف من يظلم من فوقه، ويظلمه من دونه، فأنظر أي الرجلين أنت.

محمود الوراق:

ما زال يظلمني وأرحمه ... حتى رثيت له من الظلم

وقال ابن زهير: تحمل بعض الظلم أبقى للأهل والمال. قال الشاعر:

ولا تحم من بعض الأمور تعززا ... فقد يورث الذل الطويل تعزز

الرخصة في المجازاة بالظلم:

قال الله تعالى في مدح ذلك: وانتصروا من بعد ما ظلموا. وقال تعالى: " ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل " . وقال بعضهم لسلطان: إني وإن خشنت في المال فقد عذر الله المظلوم إذا جهر بالسوء طلبا للنصفة من ظالمه حيث قال: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم. وقال جرير: إني لا أبتدي لكن أعتدي.

من لا يبالي بأن يظلم:

قيل: أهون مظلوم سقاء مروب. وقيل: أهون مظلوم عجوز معقومة.

شاعر:

وظلم النهشلي من السواء

من لا يبالي بأن يظلم:

أبو فراس:

وبعض الظالمين وإن تعدى ... شهي الظلم مغفور الذنوب

ولبعض الصوفية:

دع الحب يصلي بالأذى من حبيبه ... فكل الأذى ممن يحب سرور

تراب قطيع الشاء في عين ذئبها ... إذا سار في آثارهن ذرور

آخر:

وقد يؤذى من المقة الحبيب

تحسر من ظلمه دنيء أو لئيم وتعزيه:

في المثل: لو ذات سوار لطمتني. الفرزدق:

فوا عجبا حتى كليب تسبني ... كأن أباها نهشل أو مجاشع!

وقد يؤذى من المقة الحبيب

تحسر من ظلمه دنيء أو لئيم وتعزيه:

في المثل: لو ذات سوار لطمتني. الفرزدق:

فوا عجبا حتى كليب تسبني ... كأن أباها نهشل أو مجاشع!

أبو فراس:

ما للرجال من الذي ... يقضي به الله امتناع

ذدت الأسود عن الفرا ... ئس ثم تفرسني الضباع

أبو سعيد بن نوقة وقد أجاد ما شاء:." (١)

"قال النبي صلى الله عليه وسلم: للمحن أوقات ولها غايات، واجتهاد العبد في محنته قبل إزالة الله لها زيادة فيها. قال تعالى: " إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون " . وقيل: الممتحن كالمختنق كلما ازداد اضطرابا ازداد اخفاقا. وقيل: إذا أراد الله خلاص غريق عبر البحر على سارية. وقيل: حامل الدهر إلى أن يحمل وأقبل منه إلى أن يقبل.

---

(١) محاضرات الأدباء، ١٠١/١

من زال غمه فنسي صنع الله تعالى:

قال الله تعالى: " وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون " . وقال الله تعالى " هو الذي يسيركم في البر والبحر " . وقال تعالى " قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر " . شكا يوسف عليه السلام طول الحبس فأوحى الله تعالى إليه: أنت حبسك نفسك حيث قلت: السجن أحب إلي. وقيل: من سبح في النهر الذي فيه التمساح عرض نفسه للتهلكة. وقيل: ما صاحب البلاء الذي طال بلاؤه بأحق بالدعاء من المعافى.

من ذكر إحسان الزمان إليه بعد إساءته:

قال شاعر:

أيها الدهر حبذا أنت دهرا ... قف حميدا ولا تزول حميدا

كل يوم تزداد حسنا فما ... تبعث يوما إلا حسبناه عيدا

آخر:

رق الزمان لفاقتي ... ورثى لطول تحرقي

فأنالني ما أرتجي ... وأجار مما أتقي

فلأغفرن له الكبير ... من الذنوب السبق

حتى جنايته بما ... فعل المشيب بمفرقي

آخر:

ربما أحسن الزما ... ن وإن كان قد أسا

وقال وهو الصدق:

وآخر إحسان الليالي إساءة ... على أنها قد تتبع العسر باليسر

اصطحاب الرجاء والخوف:

شاعر:

في كل شيء أرتجي مخافه ... في كل شيء أشتهيه آفه

فضل العافية وسلامة الدين:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا. وقيل: أراني غنيا ما كنت سويا. وقيل: من أوتي العافية فظن أن أحدا أوتي أكثر منه فقد قلل كثيرا

وكثر قليلا. وقيل: صلاح الآخرة بخلة واحدة وهي التقوى، وصلاح الدنيا بثلاث: العافية والغنى والعمر. وقيل: العافية الملك الخفي الهنيء. وقيل: الدنيا بحذافيرها الأمن والعافية.

لا تأس من دنيا على فائت ... وعندك الإسلام والعافيه

إن فات شيئا كنت تسعى له ... ففيهما من خلف كافيه

معرفة فضل السلامة عند فوتها:

قيل: لا يعرف طعم النعمة إلا من نالته يد العلة والبلاء.

فبضدها تتميز الأشياء

وقيل: شيئان لا يعرف فضلهما إلا من فقدهما: الغنى والعافية.

أبو تمام:

وليس يعرف طيب الوصل صاحبه ... حتى يصاب بنأي أو بهجران

وقلب هذا المعنى المتنبي فقال:

ولولا أيادي الوصل في الجمع بيننا ... غفلنا فلم نشعر له بذنوب

وقال حكيم: كم من نعمة عرفت ببلية نزلت، ونعمة جهلت بسلامة لبثت!

الحد العشرون

في الديانات والعبادات

الدلالة على وحدانية الله تعالى:

من قول الأوائل قال أفلاطون لتلميذه أرسطو: ما الدليل على وحدانية الله تعالى؟فقال: ليس شيء من خلقه بأدل عليه من شيء. وقال لبيد:

فواعجبا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

ولله في كل تحريكة ... وتسكينة أبدا شاهد

وسئل سقراط عن دلالة الصانع فقال: دل الجسم على صانعه. فجمع بهذه اللفظة دلالة حدوث العالم، فإن صانعه حكيم. ونظر أعرابي إلى الناس يوم الجمعة فقال: صورة واحدة وخلق مختلف ما هذا إلا صنع رب العالمين.

نفي الكيفية عن الله سبحانه وتعالى:

قال الله تعالى " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " . وسئل جعفر بن محمد عن كيفية الله تعالى فقال: نور لا ظلمة فيه، وحياة لا موت فيها. وسأل رجل أمير المؤمنين: أين الله تعالى؟فقال: هذا سؤال عن المكان وكان الله ولا مكان.." (١)

"يتعيش في الماء ويبيض في الشط ولا عظم له، وقد يتخلق من الأرض إذا أصابها المطر، تراه غب المطر إذا كان ديمة في الضحاضح حيث لا بحر ولا نهر ولا بئر، حتى يزعم ناس أنها كانت في السحاب. وقيل: إن المخ في خراسان يكبس في الأزاج ويحال بينه وبين الريح والهواء والشمس، فمتى انخرق في تلك الخزانة خرق فدخله الريح استحال الريح كله ضفادع، ولا ينق اتلضفدع في الماء إلا إذا أدخل فيه حنكه الأسفل، ومتى أبصر إنسنا أو القمر أو الفجر أمسك عن النقيق. وتولع الحيات بأكله. قال الشاعر:

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت ... فدل عليها صوتها حية البحر

وقيل في الخرافيات: إن الضفدع كان ذا ذنب فسلبه لما راهن على الصبر عن الماء. وفي قرآن مسيلمة لعنه الله: يا ضفدع كم تنقين؟نصفك في الماء ونصفك في الطين، لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين. ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتله.

الخوارزمي:

أرقني والديك لما ينطق ... صوت غريق نصفه لم يغرق

وجاحظ العين ولما يخنق ... بلحظ مخنوق ولفظ أشرق

وفيه:

كعقدة الناكح حين ينزل

التمساح:

لا يكون إلا في نيل مصر ويأكل الإنسان. وقيل إن بطنه كقباء مفروج، وكل شيء يأكل بالمضغ دون الابتلاع فإنه يحرك فكه الأسفل إلا **التمساح**، فإنه يحرك الأعلى.

التنين:

ينكره أكثر الناس إلا بعض الشاميين، يزعم أنه أعصار فيه نار يخرج من بخار الأرض فلا يمر على شيء إلا أحرقه.

مما جاء في أحوال الحيوانات وطبائعها

---

(١) محاضرات الأدباء، ٤٨٨/١

المتزاوجة من الحيوانات:

ليس التزاوج إلا في ذي رجلين دون ذوات الأربع، وذلك في الإنسان والحمام وزأجناسها، وأما الدجاج والحجل فإنها تمكن كل ذكر من نفسها.

البائضة والوالدة:

كل ما لا أذن ظاهرة لجنسه فإنه يبيض، وما له أذن ظاهرة فإنه يلد ولا يبيض، وما يبيض على ثلاثة أضرب: هوائي ومائي وأرضي، فالطائر منها ما يبيض في السقوف والأجذاع كالخطاطيف، ومنهاما يبيض على شغف الجبال حيث لا يوصل إليه كالرخم، والمائية منها ما يبيض في الأرض ويحضن: كالبق والضفدع والسلحفاة. السراطين تبيض في بيوت لها في شطوط الأنهار لها بابان، وتقدم. والأرضي: كالحية والضب.

ما يكثر نسله وما يقل:

السمك يكثر نسلها ويأكل بعضها بعضا، وكذلك الضب يخرج سبعين حسلا ولولا أن بعضها يأكل بعضا لصارت الصحارى ضبابا. والخنزيرة تضع عشرين خنوصا لكن يموت أكثرها لعجزها عن تربيتها. ويخرج من جوف العقرب عقارب كثيرة، قال صاحب المنطق: نسل الأسد يقل جدا لأنه يجرح الرحم فتعقم. والجوارح من الطيور يقل فراخها والبغاث يكثر. قال:

بغاث الطير أكثرها فراخا ... وأم الصقر مقلاة نزور

وأقل الخلق عددا وذرأ الكركدن. فأما الطيور فما تزق وتحضن كالحمام لم يكن لها أكثر من فرخين ما تلقم فزاد الله في عدد فراخه. والعقارب والضباب والسمك وكل ما لا تحضن ولا تزق ولا تلقم كثير أولادها جدا.

ما يكسب وقت ما يولد:

الفروج والعنكبوت والفأر والجري والنحل.

ما يكون من غير تناسل:

البعوض والبق والبرغوث لا يكون من توالد تخلق من عفن الماء. وقيل: الكمأة قد تتعفن فتتولد منها الأفعى.

ما تناسل من الأجناس المختلفة:

أما البغل فمعروف. والذئب والضبع يتسافدان وولدهما السمع. والكلبة وولدهما الديسم. وقال صاحب المنطق: تتوالد السلوقية من الثعلب، والثعلب يسفد الهرة الوحشية. وحكي عن صاحب الطيور: أنا رأينا كثيرا منها يتسافد. ورؤي أشياء عجيبة من أولادها. وأدعى جهلة أن الزرافة تنتج من بين الإبل الوحشية والبقرة الوحشية، لما رأوا اسمه بالفراسية اشتركا وبلنك أي بعير وبقر ونمر وقالوا في الجاموس: إنه بقر وضأن

ولم يقولوا في النعامة، هذا وإن سمي اشترمرك. وادعوا تسافد الجن والإنس واستدلوا على ذلك بقوله تعالى " وشاركهم في الأموال والأولاد " . قالوا: الواقواق من نتاج بعض الحيوانات وبعض النبات.

القوة على الجماع:." (١)

"الإنسان يغلب جميع الحيوانات في السفاد لأن ذلك دائم منه في جميع الأزمنة وعلى جميع الأحوال. والأبطاء في الفراغ للجمل والورل والذبان والعناكب والضفادع والخنازير. وأما الكلاب والذئاب فتلتحم وكذلك الذبان. وقال النوشجان: أقبلت من خراسان في بعض طرق جبالها فرأيت اثر ست أرجل أكثر من ميلين، فسالت فقيل لي: إن الخنزير في زمن الهياج يركب ذكره الأنثى وهي ترتع وتمر، فها أثرهما. وكثرة عدد الجماع من العصافير وكل جنس يحبل إلا البغل فإنه وإن أحبل لم يتم، وقفط تيس بني حمار مشهور.

المتسافد ذكوره:

الخنازير والحمار والحمام كل ذلك للذكر وللأنثى الأنثى.

ما يتغاير:

يتغاير الخنزير والجمل والفرس إلا أنها لا تتزاوج. وحمار الوحش يغار ويحمي إناثه الدهر كله. وأجناس الحمام تتزاوج ولا تتغاير. والقرد يتزاوج ويتغاير.

أشراف الحيوانات:

قيل: أشرف السباع ثلاثة: الأسد والببر والنمر، وأشرف البهائم ثلاثة: الكركدن والفيل والجاموس، وأشرف المركوبات الخيل والإبل، وأشرف الطيور: العقاب، وقيل الرياسة في الهواء للعقاب، وفي الماء **للتمساح** وفي الغياض للأسد. وقيل: الطير هوائي والسمك مائي، يعني أكثر استقرارهما في هذين الموضعين. ومن الحيوان ما لا يصلح أمره إلا بالرئيس كالنحل والغرانيق والكراكي. وأما الإبل والحمير والبقر فالرياسة لفحل الهجمة ولعير العانة ولثور الربرب. وقيل: لكل شيء سادة حتى النمل.

ما يتعادى من الحيوانات:

قيل اشد العداوة عداوة الجوهر وما يتعادى على ضربين: ضرب يعادي جنس جنسه وذلك نوعان أحدهما كل نظير صاحب كالأسد والفيل فإنهما يتقاتلان، وكل قد يقتل الآخر والفرس المائي يقتل **التمساح** ويتغالبان، والحية وسام أبرص يتقاتلان والسد والنمر والأسد والجاموس. ومنها ما يضر الآخر ولا يقوى

---

(١) محاضرات الأدباء، ١٢٩/٢

الآخر عليه كالسنور والجرذ والذئب والشاة والدجاج مع ابن آوى، والحمام والشاهين والشاة أشد فرقا من الذئب منها من السد، والدجاج يخاف ابن آوى أكثر مما يخاف الثعلب، والحمام اشد فرقا من الشاهيم منه للبازي والصقر.

القوي المتفادي من الضعيف:

الجاموس يخشى البعوض خوفا شديدا ينغمس في الماء. والفيل يهرب من الهرة، وقيل إنما يهرب من السد إذا ظنه سنورا عظيما، والحية إذا اصابها خدش تسلط عليها الذر فيهلكها. واللبوة إذا وضعت قصد الذر شبلها فيأكله. ولذلك قال المتنبي:

يذب أبو الشبل الخميس عن ابنه ... ويسلمه عند الولادة للنمل

ما تقوى إناثها :

كل صنف من الحيوان ذكورها أجرأ وأقوى إلا الفهد والذئب واللبوة.

الآكلة للناس من السباع:

الأسد والنمر والببر. وقيل لا يعرض ذلك للناس إلا بعد الهرم والعجز عن الصيد، والذئب اشد الناس مطالبة للناس، فإن عجز عوى مستغيثا بالذئاب.

الآكل بعضها بعضا:

السمك يأكل بعضها بعضا أكلا ذريعا، والذئب متى رأى ذئبا أدمى أكله لا محالة قال:

وكنت كذئب السوء لما رأى دما ... بصاحبه يوما أحال على الدم

والجرذ إذا خصي أكلها أصحابها.

الصابرة عن الطعام:

الحية وسام أبرص والعضاة **والتمساح** تسكن في أعشتها الأربعة الأشهر الشديدة البرد فلا تطعم شيئا. وسائر الحيوانات تسكن بطن الأرض. كذلك كل همج لا تبرز في الشتاء إلا النمل والذر والنحل فإنها تدخر ما يكفيها.

المدخرة:

الإنسان والنملة والذرة والجرذ والفأر والعنكبوت والنحل.

اختلاف الحيوان في الأكل:

الحيوان على ثلاثة أضرب: المشتركة كالإنسان والعصفور والغراب والسمك تأكل الحيوانات والنبات، والأكلة

لحم في غالب الأمر كالحمام ثم تختلف فمنها ما يأكل حنسا واحدا كالنحل تأكل العسل، والعنكبوت يعيش من مص الذباب.

اختلاف مشيها:

من الحيوان ما لا يسيح بالمشي فالضبع عرجاء تخمع، والذئب أقزل أشنج النسا كأنه يتوخى إذا مشى، والسد إذا مشى يتخلع كأنه رهيص، والسنور والفهد في طريق الأسد، والغراب يحجل كأنه مقيد، والجراد يمشي ويطير، والعصفور يثب ويجمع رجليه معا وكذلك القنبر والحمر وما أشبهها، والقطاة مليحة المشي مقاربة الخطو وبه شبه مشي المرأة قال:

فدفعتها فتدافعت ... مشي القطاة إلى الغدير." (١)

" ٢٣٧٢ - أظلم من التمساح و "كافأني مكافأة التمساح "

قال حمزة : له حديث من أحاديثهم طويل تركت ذكره ." (٢)

"وأما الحرباء: فدويبة أكبر من العظاية، اغيبر ما كان فرخا ثم يصفر، وهو يأوى الجحر، ولهذا جعلت له الأصابع والأظفار لنبش التراب، ويكون لونه أسود كالتمساح، وأصفر كسام وابرص ومختلط الألوان، كالفهد وهو في الشمس كثير التلون، فإذا انتقل إلى الظل قل تلونه، وإذا قارب الموت أو مات اصفر، وهو أبدا يطلب الشمس فحين تبدو نحا بوجهه إليها حتى إذا أرمضت الأرض علا رأس شجرة وما يجري مجراها، وذلك عند انتصاف فإذا زالت وصارت على رأسه في قبه وغاب عنه جرمها فلا يراه أصابه مثل الجنون فلا يزال طالبا لها لا يفتر إلى أن يتصوب إلى جهة المغرب، فيرجع بوجهه إليها مستقبلا لها لا ينحرف عنها إلى أن تغيب، فإذا غابت ذهب يطلب معاشه ليله كله إلى أن يصبح، حتى إن طائفة من المتكلمين في طبائع الحيوان يقول: إنه مجوسي، ولسانه طويل جدا مقدار ذراع، وذلك دليل على أنه يكون مطوبا في حلقه، وهو يبلغ به ما بعد ءنه الذباب، والأنثى من هذا تسمى أم حبين، وتوصف بالحزم مع تقلبه مع الشمس لا يرسل يده من خوط حتى يمسك بالأخرى خوطا آخر بيده الأخرى وفيه يقال:

أنى أتيح له حرباء تنضبه ... لا يرسل الساق إلا ممسكا ساقا

وكتب بعض الفضلاء إلى بعض أصدقائه رسالة يحثه فيها على الحزم والانفة والتغرب عن وطنه إذا نبأ عنه: اعجزت في الاباء عن خلق الحرباء، أدلى لسانه كالرشاء، يبلغ به ما يشاء، وناط همته بالشمس، مع بعدها

---

(١) محاضرات الأدباء، ٢/١٣٠

(٢) مجمع الأمثال، ١/٤٤٦

عن اللمس وانف من ضيق الوجار، ففرخ في الأشجار وسئم العيش المسخوط، فاستدبل خوطا بخوط فهو كالخطيب على الغصن الرطيب.

وإن صواب الرأي والحزم لامرئ ... إذا بلغته أن لا يتحولا

الوصف والتشبيه

لم يأت أحد من الشعراء في وصف هذا الحيوان بمثل ما أتى به ذو الرمة:

كأن يدي حربائها متشمسا ... يدا مجرم يستغفر الله تائب

وقال أيضا في ذلك:

إذا جعل الحرباء يبيض لونه ... ويحضر من لفح الهجير غباغبه

وي۞بح بالكفين شبحا كأنه ... أخو فجره عالى به الجذع صالبه

وقال أيضاً يصفه ويذكر هاجره:

يصلي بها الحرباء للشمس ماثلا ... على الجذع إلا أنه لا يكبر

إذا حول الظل العشي رأيته ... حنيفا وفي وقت الضحى يتنصر

وأما العظاية: وتسمى شحمة الأرض، وشحمة الرمل، وهي أنوع كثيرة منها الأبيض، والأحمر، والأخضر، وكلها منقطات بالسواد، وهذه الألوان بحسب مساكنها فإن منها ما يسكن الرمال، ومنها ما يسكن قريبا من الماء والعشب وما يألف الناس، وقال أرسطو العظاية تبقى في جحرها زمن الشتاء أربعة أشهر لا تطعم شيئا، وفي طبعها محبة الشمس وتتصلب فيها، ومن خرافات الحكايات أن السموم لما فرقت على الحيوان المسموم احتبست العظاية عند التفرقة، حتى نفذ السم وأخذ كل حيوان قسطه على قدر السبق والبكور، فلم يكن لها فيه نصيب، داخلها من الحسرة والكرب ما جعلها تسكن في المزابل والخرابات وفي طبعها أنها تمشي سريعا ثم تقف كالمتحير، ويقال: إن ذلك لما تعرض لها من التفكر والأسف على ما فاتها منه.

وأما الوزع: وتسمى سام ابرص، فذكر أصحاب الآثار: إنه أصم، وادعوا أن السبب في صممه وفي برصه أن الداوب كلها حين ألقي إبراهيم عليه السلام في نار النمرود كانت تطفئ عنه، وإن هذا كان ينفخ عليه فصم وبرص وفي طبعه أنه لا يدخل شيئا فيه زعفران، والحيات تألفه كما تألف العقارب والخنافس، وهو يطاعمها ويزاقها، وهو يقبل اللقاح بفيه، ويبيض كما تبيض الحيات، وزعم زرادشت أن سام ابرص من ذوات السموم، ونصيبه من السم نصيب مقتصد لا يكمل بأن يقتل، ومتى دبر سام ابرص جاء منه سم قاتل، وفي تركيبه أنه

إذا قتل ووضع على جحر حية هربت منه ولم تأوه وهو يقيم جحره زمن الشتاء أربعة أشهر لا يطعم شيئا البتة.

؟القول في طبائع القنفذ." (١)

"أمهاتها وآباؤها من ذوات الماء، ثم قال: وكيف دارت الأمور، فإن الحيات في الأصل مائية لأنها مما يعيش في الهواء، وفي الماء كما تعيش في السباسب الجرد، والصخور الصم، وكما تعيش في الرياض والأدغال، وكذا تعيش في الجبال والرمال.

الوصف والتشبيه

أحسن ما وقع لي من ذلك قول بعض كتاب الأندلس من رسالة: تبرق بريق الصوارم المسلولة، وتلمع لمعان الذوابل المصقولة، مدنرة الأصلاب، مفصصة البطون، مذهبة الأفواه، مجزعة العيون، تصل صليل الرقوق في اضطرابها، وتخطر خطرات العجول بأذنابها.

وقال عطاء بن يعقوب يصف حوتا من رسالة يستدعي بها صديقا، قد أهدى لنا صديق سمكة قد لبست من جلدها شبكة تشبه حملا شكلا وقدا، أو جرابا قد أملئ زبدا، كأنها أرادت أن تحارب السماك، أو حوت الأفلاك، فلبست من جلدها جوشنا مزردا وسلت من ذنبها سيفا مجردا. وقال ابن الرومي يخاطب رئيسا ويستدعي منها سمكا:

يا من أضاء شهاب غرته ... فجلا ظلام الليل ذي الحلك

عسرت علينا دعوة السمك ... أنى وجودك ضامن الدرك

إعلم وقيت الجهل أنك في ... قصر تلته مطارح الشبك

وبنات دجلة في فنائكم ... مأسورة في كل معترك

بيض كأمثال السبائك بل ... مشحونة بالشحم كالعكك

حسنت مناظرها وساعدها ... طعم كحل معاقد التكك

والناقة الغرثاء يرقبها ... قلق الخواطر متعب الملك

فليصطد الصياد حاجتنا ... يصطد موداتنا بلا شرك

فثناء مثلي غير مطرح ... وسؤال مثلك غير مترك

ولآخر:

---

(١) مباهج الفكر ومناهج العبر، ص/٦٨

بأحسنهن كاملها ... بيضاء قصف

ومرهفات قد ... طواهن هيف

نوات أرواح ... خفاف تستخف

فهي كمثل الطير ... في الماء تشف

ومثل هذا قول أبي عبادة البحتري وذكر بركة:

لا يبلغ السمك المحصور غايتها ... لبعد ما بين قاصديها ودانيها

يعمن فيها بأوساط مجنحة ... كالطير ينقض في جو خوافيها

فصل

ومن عجائب الدواب البحرية الدلفين، والرعاد ويوجدان بنيل مصر إلا أن الدلفين يقذفه البحر المالح إلى النيل، فأما الدلفين فصفته كالزق المنفوخ وله رأس صغير جدا، ويقال ليس في دواب البحر ماله رئة غيره، فلذلك يسمح له بالتنفس والنفخ، وهو إذا ظفر بالغريق كان أقوى الأسباب في نجاته فإنه لا يزال يدفعه إلى البر حتى ينجيه، وهو من أقوى الدواب المائية، ولا يؤذي، ولا يأكل السمك، وربما ظهر على وجه الأرض وهو نائم كأنه ميت، وهو يلد ويرضع، وأولاده تتبعه حيث ذهب، ولا يلد إلا في الصيف، وفي طبعه الدعة والاستئناس بالناس، وخاصة الصبيان، وإذا صيد جاءت دلافين كثيرة لقتال صائده فإذا أطلقه لها انصرفت، والكبير منها تتبعه الصغار ليحفظها، وهو إذا رام صيد السمك صار إلى العمق خلفه في طرفة عين، وإذا لبث في العمق حينا حبس نفسه، وصعد بعد ذلك مسرعا مثل السهم يطلب التنفس، فإذا كانت بين يديه سفينة وثب وثبة يتجاوز بها الدقل إلى الناحية الأخرى، وهو يتزاوج في حركته فلا يرى ذكر إلا مع أنثى. وأما الرعاد: ففيه من الخاصة أن أحدا من الناس لا يقدر أن يمسه، ومتى وضع الإنسان يده عليه نزعها بحركته وصاح صيحة منكرة ربما دهش بها الإنسان، ووجد في فؤاده خفقانا من ذلك، وفي البحر من عجائب المخلوقات ما لا يسع وصفها كتاب ولا يأتي على القليل منها استيعاب، ويكفي في الإخبار عن ذلك قول القائل حدث عن البحر ولا حرج، وهذا لفظ صدر عن صدر ضاق من كثرة الفحص وحرج.

فصل

وأما المشترك: فإن ابن أبي الأشعث يسميه المائي الأرضي لأنه يأتي الماء ويرتعي فيه، ويستنشق الهواء كما يستنشق الماء ويدب على الأرض ويسعى فيها ولا يحدث بعدم لأنه يستنشق الهواء كما يستنشق الماء إلا

أن لبثه في الماء أكثر من لبثه على الأرض، وإيثاره له أكثر من إيثاره لها وأهم ما نبدأ بذكر منه:

القول في طبائع **التمساح**." [١]

"وهذا الحيوان لا يكون إلا في نيل مصر، وقد زعم قوم أنه في نهر مهران السند، وهو شديد البطش في الماء، ولا يدخل عليه الأذى إلا من ابطيه، ومنه مقتله ويعظم إلى أن يكون طوله عشرون ذراعا في عرض ذراعين وأكثر، ويفترس الفرس والإنسان، وما أضرف قول أبي نؤاس وقد أنكر هذه الحالة منه حيث يقول:

أضمرت للنيل هجرانا ومقلية ... إذ قيل لي إنما **التمساح** في النيل

فمن رأى النيل رأي العين من كثب ... فما أرى النيل إلا في البواقيل

وهو إذا أراد السفاد خرج والأنثى إلى البر فيقلبها على ظهرها واستبطنها فإذا فرغ قلبها لأنها لا تتمكن من الانقلاب لقصر يديها ورجليها، وييبس ظهرها وهو إذا تركها على ظهرها لم تزل على تلك الحال حتى تنقلب، وهي تبيض في البر فما وقع صار **تمساحا**، وما بقي صار سقنقورا، **والتمساح** يحرك فكه الأعلى دون الأسفل ولسانه معلق به، ويقال: أنه ليس له مخرج، وإن جوفه إذا امتلأ خرج إلى البر وفتح فمه فجيء طائر معروف بذلك صغير أرقط لا يسقط على فم **تمساح** إذا فتحه غيره، فلا يزال ينقره بمنقاره ما في جوفه حتى يأتي عليه أو على بعضه فالطائر يأتي يطلب الطعام على معرفة به، فيكون في ذلك غذاء الطائر وراحة **التمساح** وبعض الناس يقول: إن في رأس هذا الطائر شوكة، فإذا أغلق **التمساح** عليه فمه حسه بها فيفتحه، وزعم بعض الباحثين عن طبائع الحيوان **للتمساح** ستين سنا وستين عرقا، ويسفد ستين مرة، ويبيض ستين بيضة ويعيش ستين سنة، ويوجد في سطح جلده مما يلي بطنه سلعة كالبيضة فيها رطوبة دموية كنافجة المسك لا يغادر من رائحة السمك شيئا إلا أنها تنقطع بعد أشهر.

الوصف والتشبيه

وصفه شاعر وأجاد:

وذي هامة كالترس يفغر عن فم ... يضم على مثل الحسام المثلم

ويفتر عن مثل المناشير ركبت ... على مشفر مثل القليب المهدم

مشى في شواة من فقارة غيلم ... وسقف لحيا عن مناكب شيهم

القول في طبائع السقنقور

---

(١) مباهج الفكر ومناهج العبر، ص/١١٤

وبعض أصحاب الكلام في طبائع الحيوان يسميه الحرذون البحري، ويقال أيضا أنه ورل مائي، ومنه ما هو مصري، وما هو هندي وما يتولد في بحر القلزم وببلاد الحبشة وهو يغتذي في الماء بالسمك، وفي البر بالعظايات يسترطه كالحيات وجلده في غاية الحسن لما فيه من التدبيج بالسواد والصفرة والأنثى تبيض عشرين بيضة، وتدفنها في الرمل فتكمل بحرارة الهواء، ويكون ذلك حضنا لها، وقال التميمي: لأنثاه فرجان، ولذكره نزكان كما في الضباب، ومن عجيب ما ركب فيه من الطباع أنه إذا عض إنسانا وسبقه الإنسان إلى الماء واغتسل منه مات السقنقور، وإن سبق السقنقور إلى الماء مات الإنسان وبينه وبين الحية عداوة متى ظفر أحدهما بصاحبه قتله.

القول في طبائع السلحفاة

قال الباحثون عن طبائع الحيوان: السلحفاة تبيض في البر فما أقام به سمي سلحفاة وما وقع إلى البحر سمي لجأة، فأما ما بقي في البر فإنه يعظم حتى لا يكاد الرجل الشديد يحمله وما ينزل البحر يعظم حتى لا يكاد الحمار العاسي يحمله، وربما وجد فيها ما وزنه أربعمائة رطل، وفيها أربعمائة بيضة كبيض الدجاج، ثم صار بريا فوقع إلى البحر تلف، ولم يستطع الرجوع إلى البر وما صار بحريا فخرج إلى البر وأصابه حر الشمس تلف ولم يستطع الرجوع إلى البحر وللسلحفاة حيلة عجيبة وتوصل خفي في الصيد الذي تصيده من الطائر، فإنه يصعد من الماء ويتمرغ في التراب، ويأتي موضعا قد سقط الطير عليه لشرب الماء فيخفى عليها بكورة لونه التي اكتسبها من الماء والتراب فيصيد منها ما يكون قوتا له، ويدخل الماء ليموت فيأكله، والسلحفاة تحضن بيضها بالنظر إليه، والرصد لا غير، وللذكر نزكان، وللأنثى فرجان، والذكر يطيل المكث في السفاد، وهذا الحيوان مولع بأكل الحيات، وإذا أكلها أكل بعدها صعترا يدفع به سمها.

الوصف والتشبيه

قال شاعر يصفها:

وسلحفاة يمج ... سكونها والحركة

شبهتها بديلمي ... ساقط في معركة

مستتر بترسه ... عمن عسى أن يهلكه

وقال أبو بكر الخوارزمي يصفها:

بنت ماء بدت لنا من بعيد ... مثل ما قد طوى البحاري سفره

رأسها رأس حية وقراها ... ظهر ترس وجلدها جلد صخرة

مثل فهر العطار دق به العط ... ر فحلت طرائق الطيب ظهره." (١)

"أو كما قد قلبت جفنه شرب ... نقوشها بحمره وصفره

يقطع الخوف رأسها فإذا ما ... أمنته فرأسها مستقرة

وقال ابن صارة الأندلسي يصفها وذكر بركة:

لله مسحورة في شكل ناظره ... حيث الازاهر أجفان وطف

بها سلاحيف الهانئ تغامسها ... في مائها ولها من عريض لحف

تنافر الشط إلا حين يحصرها ... برد الشتاء فتسد في وتنصرف

كأنها حين يبد بها تشوقها ... حبس النصارى على أكتافها الحجف

ولآخر:

لحى الله ذات فم أخرس ... تطيل من العي وسواسها

تكب على ظهرها... ترسها ... وتظهر من جلدها رأسها

إذا الحذر أقلق أحشاءها ... وضيق بالخوف أنفاسها

تضم إلى نحرها كفها ... وتدخل في جوفها رأسها

القول في طبائع الفرس النهري

وهو من أعظم الحيوان المشترك جثة ولا يوجد إلا بنيل مصر، وخلقته خلقة الفرس إلا أن وجهه أوسع وله ظلفان كالبقر وفي رجليه كعاب مثل كعاب ذي الظلف،)وصوته كصوت الفرس وعظمه كعظم الحمار(، وقوائمه قصيرة جدا أشبه شيء بقوائم الفيل، وهو أعظم من الجاموس، وصورته عظيمة جدا، وله أنياب طوال غلاظ صلاب يكسر بها السفن المحكمة، وأسنانه صفين وذنبه وكأنه حيوان ركب تركيب الطبيعة كما ركبت الزرافة والنعامة، والنمر،)هذه الزيادة من كتاب عبد اللطيف البغدادي، وله ناصية، وجلده مثل جلد الجاموس غليظ جدا، وذنبه مثل ذنب الخنزير، وصوته يشبه صوت الفرس، وجوفه كذلك(ومن أسرار الطبيعة أنه يخرج من النيل ويرعى زهر وليس يبدأ إذا رعى من أدنى الزرع إليه، ولكنه يحوز منه قدر ما يأكل ثم يبتدئ من حيث انتهى إليه مقبلا إلى البحر وربما فاه في المكان الذي يرعى فيه فينبت أيضا، وهو يقتل **التمساح** ويقهره ويساجله الحرب، ويكون القتال بينهما دولا وأهل ريف مصر إذا رأوا اثر حافره كان ذلك

---

(١) مباهج الفكر ومناهج العبر، ص/١١٥

عندهم دليلا على توفو زيادة النيل وكثرة الخصب
القول في طبائع الجندبادستر
ويسمى كلب الماء ولا يوجد إلا ببلاد القفجاق وما يليها، ويسمى السمور أيضاً وهو على هيئة الثعلب أحمر اللون لا يدان له، وله رجلان، وذنب طويل ورأسه كرأس الإنسان، ووجهه مدور، وهو يمشي متكئا على صدره كأنه يمشي على أربع، وله أربع خصي اثنتان باطنتان، واثنتان ظاهرتان، وفيه أسرار الطبيعة أنه إذا رأى الصيادين له، لأجل الجندبادستر وهو الموجود في انثييه البارزتين، يجدون في طلبه قطعهما بفيه، ورمى بهما إليهم، إذ لا حاجة لهم إلا بهما فإن لم يبصرهما الصيادون وداوموا على الجد في طلبه استلقى على ظهره حين يريهم الدم فيعلموا أنه قطعهما، فينصرفون عنه، وهو إذا قطع الظاهرتين تبرز الباطنتان وعوض عنهما غيرهما، والجندبادستر بالفارسية كبد فعرب، وتفسيره الخصية، وفي داخل الخصية شبه الدم والعسل، زهم الرائحة سريع التفرك، إذا جف، ذكر جالينوس أن هذا الحيوان ليس فيه غير الجدنبادستر، وقال أنه يوكر على الأرض، ويولد عليها ويرعى فيها ويهرب إلى الماء، ويعتصم به ويمكنه أن يلبث فيه سابحا زمانا ثم يخرج إلى الهواء.
القول في طبائع القندس والقاقم
فأما القندس فإنه يغتذي بالسمك والنبات، وقد شرف الله تعالى جلده وعظمه إذ جعل الملوك يتخذون منه التيجان، ويطوقون به الأطواق والأذيال والأردان، ويقول أصحاب الكلام في طبائع الحيوان أنه فيه سادة وعبيد، وأنه يتخذ مساكن مرتبة كترتيب مساكن الناس، والأحرار منهم يتخذون صفنا يكونون عليها، وفي أسفلها مواضع للعبيد، ولبيوتهم أبواب إلى البر، وأبواب إلى النهر ويعبر بعضهم على بعض، والحر لا يكتسب، وإنما يكتسب العبد له ولسيده، ويعرف جلد العبد بحسن لونه وبصيصه وأهل بلاده يسلخون خراطيمه، وخراطيم السمور ويتعاملون كما يتعامل بالدراهم والدنانير، بشرط أن يكون عليها ختم المالك.
وأما القاقم وهو يشبه السنجاب إلا أنه أبرد منه وأرطب، ولهذا هو أبيض يقق وهو يجلب من البحر الخزري، ويشبه جلده جلد الفيل، ورأيت في بعض المجاميع المجهولة، أن في بعض البحار شاة شعراء تكون في البر مع البهائم حين ترعى فإذا فرغت من رعيها عادت إلى الماء، وتأكل من السمك وذكر فيها خواصا ليس ذكرها من شرطي كتابي.." (١)

---

(١) مباهج الفكر ومناهج العبر، ص/١١٦

"-------------- صفحة رقم ٨٣ --------------

إني بلوتها فلم أحمدْهُمَا . . . لِمجاورٍ جارٍ ولا لرفيقِ ١٣٨ - قال صاحب الكتاب : ويقال خير الاخلاق ما كان اعونها على الورع . ' ١٨١ ' قال عبيد الله بن قيس الرقيات في مصعب بن الزبير : له خُلقٌ يُنزِّههُ كريمٌ عن الفحشاء والفعل المعيب وفيه سماحةٌ ووقار هديٍ . . . مع العلم المُزين للاديبِ واحيي من مُخدرةٍ حياءٍ . . . وأشجعُ من أسامةَ في الحروب ١٣٩ - قال صاحب الكتاب : ويقال لا تعلن عقوبة من لم يعلن ذنبه فإن لكل ذنب عقوبة ، فالذنب السر عقوبة السر ولذنب الاعلان عقوبة الاعلان . ' ١٨٢ ' قال الفرزدق : أسرَّ فعاقبتهُ خفيةً . . . وملُك في الحكمِ لا يجهلُ وأعلن ذنباً فعاقبتهُ . . . علانية فعل من يعْدِلُ ١٤٠ - قال صاحب الكتاب : ويقال السلطان إذا كان صالحاً ووراءه وزراء سوء منعت الخاصة خيره والعامة عدله . مثل الماء الصافي العذب فيه **التماسيح** فلا يستطيع أحد دخوله والاستسقاء منه وان كان محتاجاً .." (١)

"-------------- صفحة رقم ١٠٠ --------------

خاتمة النسخة ف تمت الأمثال المستخرجة من كتاب كليلة ودمنة وما ضاهاها من أشعار العرب بحمد الله وكرمه وعونه فله الحمد والشكر أبداً وصلى الله على محمد وآله وسلم ، أواخر يوم السبت من أواخر شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وستين وثماني مائة سنة وكاتبه إبراهيم بن علي بن يحيى بن محمد بن عيسى بن أسعد المالكي ثم المرادي ثم المذحجي غفر الله لوالديه ولأقاربه ولمشايخه في الدين ولجميع المسلمين والمسلمات آمين آمين . خاتمة النسخة ب قال أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عمر اليمني : هذا آخر ما استخرجته من الأشعار المضاهية لأمثال كليلة ودمنة . وكان ذلك في مناف الاربعين وثلاثمائة وحملته إلى المعز في سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة إلى المنصورية . والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً وحسبنا الله ونعم الوكيل . والوالي حقيق إلا يحتقر مروءة وجدها عند أحد وإن كان صغير المنزلة . فأن الصغير ربما عظم كالعصب الذي يؤخذ من الميتة فإذا عملت من القوس أكرم فيقبض عليه الملك ويحتاج إليه في لهوه وبأسه ' ك ٥٣ ' . فإن ذا العقل لا يدع مشاورة عدوه إذا كان ذا رأي في الأمر الذي يبشرك فيه ' ك ٦٤ ' . إذا لقي المرء عدوه في المواطن التي يعلم أنه هالك فيها حقيق

---

(١) مضاهاة أمثال كليلة ودمنة ، ص/٨٣

أن يقاتل كرماً وحفاظاً ' ك ٦٥ ' . فأنه كان يقال : الرجال ثلاثة حازمان وعاجز . فأحد الحازمين من إذا نزل به البلاء لم يدهش ولم يذهب قلبه شعاعاً ولم يعي برأيه وحيلته أو مكيدته التي بها يرجو المخرج والنجاة . وأحزم من هذا المتقدّم ذو العدة الذي يعرف الأمر مبتدأ قبل وقوعه فيعظمه إعظامه ، ويحتال له حيلته كأنه قد لزمه فيحسم الداء قبل أن يبتلى به ويدفع الأمر قبل وقوعه . وأما العاجز فهو لا يزال في التردد وتمني الأماني حتى يهلك نفسه ' ك ٦٩ ' . وقرأت في كتاب للهند : الناس حازمان وعاجز فأحد الحازمين الذي إذا نزل به البلاء لم ينظر به وتلقاه بحيلته ورأيه حتى يخرج منه . وأحزم منه العارف بالأمر إذا قيل فيدفعه قبل وقوعه . والعاجز في تردد وتثن حائر بائر لا يأتمر رشداً ولا يطبع مرشداً ' ع ٢٨٠ : ١ ' . ومن بلغ في الدنيا جسيماً فلم يبصر ' ك ٧٤ ' . أو أتبع الهوى فلم يعثر أو جاور النساء فلم يفتتن أو طلب إلى اللئام فلم يهن ويحرم أو واصل الأشرار فسلم أو صاحب السلطان فدام له منه الإحسان ' ك ٧٤ – ٧٥ ' أو صاحب السلطان فدام له منه الإحسان ' ك ٧٤ – ٧٥ ' . أو طلب إلى اللئام فلم يهن ويحرم ' ك ٧٤ ' . فإن تهمة الأشرار ربما أورث أهلها تهمة الأخبار ' ك ٧٥ ' . وأعجبت منه أن أكون أطلب رضاه وموافقته فلا يرضى واعجب من ذلك أن ألتمس محبته واجتنب مخالفته فيغضب ويسخط ' ك ٧٦ ' . وأن كانت موجدته عن غير سبب انقطع الرجاء . لأن العلة إذا كانت المعتبة في ورودها كان الرضا في إصدارها ' ك ٧٦ ' . وعرفت أنه من التمس الرخصة من الإخوان عند المشاورة والأطباء عند المرض والفقهاء عند الشبهة فقد أخطأ الرأي وزاد في المرض واحتمل الوزر ' ك ٧٧ ' . وفي كتاب للهند : من التمس من الإخوان الرخصة عند المشورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة أخطأ الرأي وازداد مرضاً وحمل الوزر ' ع ٣٠ : ١ ' . وإن لم يكن هذا فلعل بعض ما أعطيته من الفضل جعل فيه هلاكي . فأن الشجرة الحسنة ربما كان فسادها في طيب ثمرتها إذا تنوولت أغصانها وجذبت حتى تكسر وتفسد . والطاووس ربما صادر ذنبه الذي هو حسنه وجماله وبالاً عليه فاحتال إلى الخفة والنجاة ممن يطلبه فيشغله عن ذلك ذنبه ' ك ٧٧ ' . والفرس الجواد القوي ربما أهلكه ذلك فأجهد وأتعب واستعمل لما عنده من الفضل حتى يهلك ' ك ٧٧ ' . والرجل ذا الفضل ربما كان فضله ذلك سبب هلاكه لكثرة من يحسده ويبغي عليه من أهل السوء . وأهل الشر أكثر من أهل الخير بكل مكان فإذا عادوه وكثروا عليه أوشكوا أن يهلكوه ' ك ٧٧ ' . ومن بذل نصيحته واجتهاده لمن لا يشكر له فهو كمن بذر بذرة في السباخ ' ك ٧٩ ' . ألا ترى أن الماء ألين من القول وأن الحجر أشد من القلب وليس يلبث الماء إذا طال تحدره على الحجر الصلد أن يؤثر فيه ' ك ٨٣ ' . وقرأت في كتاب للهند : فإن الماء ألين من القول والحجر أصلب

من القلب وإذا أنحدر عليه وطال ذلك أثر فيه ' ع ٢٢ : ٢ ' . فكذلك النجدة تلحقها السخافة عن خطأ الرأي فأنها إذا فقد أحدهما صاحبه لم يكن للآخر عمل عند اللقاء وللرأي عليها الفضل لأن أموراً كثيرة يجزي فيها الرأي ولا تبلغ هي شيئاً إلا به ' ك ٨٨ ' . ولا خير في الكلام إلا مع الفعل ولا في الفقه إلا مع الورع ولا في الصدقة إلا مع النية ' ك ٨٩ ' . وأعلم أن الأدب يدفع عن اللبيب السكر ويزيد الأحمق سكراً كالنهار فأنه ينير لكل ذي بصر من الطير وغيره ولا تستطيع الخفافيش الاستقلال فيه ' ك ٨٩ ' . وفي كتاب كليلة ودمنة : الأدب يذهب عن العقل السكر ويزيد الأحمق سكراً كما أن النهار يزيد كل ذي بصر بصراً ويزيد الخفافيش سوء بصر ' ع ٢٨١ : ١ ، ٤١ : ٢ ' . وذو الرأي لاتبطره منزلة اصابها كالجبل الذي لا يتزلزل وأن اشتدت الريح . وذو السخف ينزقه أدنى أمر كالحشيش الذي يميله الشيء اليسير ' ك ٨٩ – ٩٠ ' . وفي كتاب كليلة ودمنة : ذو العقل لا تبطره المنزلة والعز كالجبل لا يتزعزع وأن اشتدت عليه الريح والسخيف يبطره أدنى منزلة كالحشيش بحركة أضعف ريح ' ع ٢٨١ : ١ ' . ومن الحمق التماس الإخوان بغير الوفاء والأجر بالرياء ومودة النساء بالغلظة ونفع المرء نفسه بضر الناس والفضل والعلم بالدعة والخفض ' ك ٩٠ ' . وقرأت في كتاب للهند : من الحمق التماس الرجل الإخوان بغير وفاء والأجر بالرياء ومودة النساء بالغلظة ونفع نفسه بضر غيره والعلم والفضل بالدعة والخفض ' ع ٤٠ : ٢ ' . لا تلتمس تقويم ما لا يعتدل وتبصير من لا يفهم فأن الحجر الذي يقدر على قطعه لا تجرب به السيوف والعود الذي لا ينحني لا يعالج حنيه ' ك ٩١ ' . أنه رب امرئ قد أوقعه تمحله في ورطة . . . أنه من لك يتثبت أوقعه ما يحتال به فيما عسى ألا يخلص منه ' ك ٩٢ ، ٩٣ ' . لا يوقعنك بلاد تخلصت منه آخر لعلك لا تخلص منه ' د ٢٧ ' . وإنما صلاح أهل البيت ما لم يدخل فيه مفسد ، وبقاء إخاء الإخوان ما لم يحتل له مثلك ' ك ٩٣ ، ٩٤ ' . فأنه يقال إن امرءاً لا يود أحداً ولا يبغضه إلا وجد له في نفسه مثل ذلك ' ك ١٠٠ ' . والسبب الذي يدرك به العاجز حاجته هو الذي يحول بين الحازم وحاجته ' ك ١٢٨ ' . السبب الذي يدرك به العاجز حاجته هو الذي يحول بين الحازم وبين طلبته ' د ٣٣ ' والمودة بين الصالحين سريع اتصالها بطيء انقاطعها ومثل ذلك مثل كوز الذهب الذي هو بطيء الانكسار سريع الإعادة والصلاح إن أصابه ثلم أو وهن . والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها كالاناء من الفخار مكسره أدنى شيء ثم لا وصل له أبداً ' ك ١٣١ ' . والمودة بين الأخيار سريع اتصالها بطيء انقطاعها . ومثل ذلك مثل كوب الذهب الذي هو بطيء الانكسار هين الإصلاح . والمودة بين الأشرار سريع انقاطعها بطيء اتصالها كاكوز من الفخار يكسره أدنى عبث لا وصل له أبداً ' د ٣٣ ' . والكريم يود الكريم عن لقية واحدة

ومعرفة يوم فقط واللئيم لا يصل أحداً إلا عن رغبة أو رهبة ' د ٣٤ ' . إن الإخوان أهل الدنيا يتعاطون بينهم أمرين ويتواصلون عليهما : ذات النفس وذات اليد . فأما المتعاطون ذات النفس فهم المتعاونون المتصافون يستمتع بعضهم ببعض . وأما المتعاطون ذات اليد فهم المتعاونون المستمتعون الذين يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض ' ك ١٣١ ' . وإن أهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين ويتواصلون عليها : ذات النفس وذات اليد . فأما المتبادلون ذات اليد فهم المتعاونون المستمتعون الذن يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض متاجرة ومكايلة ' د ٣٤ ' . ومن كان إنما يصنع المعروف ابتغاء الأجر والاكتساب لبعض شئون الدنيا فإنما مثله فيما يعطي ويبذل مثل الصياد والقائه الحب للطير لا يريد بذلك منفعتهن بل يريد بذلك نفع نفسه ' ك ١٣١ – ١٣٢ ' . وقرأت في كتاب للهند : من صنع المعروف لعاجل الجزاء فهو كملقي الحب ليصيد به الطير لا لينفعه ' ع ١٧٦ : ٣ ' . إن من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً ولعدو صديقه عدواً ' ك ١٣٢ ' . وقرأت في كتاب للهند : من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً ولعدو صديقه عدواً ' ع ٦ : ٣ ' . الخرس خير من اللسن المطعم بالكذب والعنين خير من العاهر والفاقة الفقر خير من النعمة والسعة من أموال الناس والاجتهاد في الكفاف خير من الإسراف والتبذير فيما لا يحل ' ك ١٣٨ ' . ولا حسب كحسن الخلق ولا غنى كالقناعة وأحق ما صبر عليه ما ليس إلى تغييره سبيل ' ك ١٣٩ ' . ولا حسب كحسن الخلق ولا غنى كالرضا وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل إلى تغييره ' د ٣٥ ' . وفي كتاب كليلة : لا فقر ولا بلاء كالحرص والشره ولا غنى كالرضا والقناعة ولا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق ' ع ١٩٢ : ٣ ' . إنما يختبر ذو البأس عند اللقاء وذو الأمانة عند الأخذ والإعطاء والأهل والولد عند الفاقة والإخوان عند النوائب ' ك ١٤٥ ' . قلما ظفر أحد يبغي وقل من حرص على النساء فلم يفتضح وقل من أكثر من الطعام فلم يسقم وقل من ابتلى بوزراء السوء إلا وقع في المهالك ' ك ١٧٠ ' . وقرأت في كتاب للهند : لا ظفر مع بغي ولا صحة مع نهم ولا اجتناب محرم مع حرص ولا ثبات ملك مع متهاون وجهالة وزراء ' ع ١١١ : ١ ' . إذا طلب اثنان أمراً ظفر به أفضلهما مروءة فإن استويا في المروءة فافضلهما أعواناً فإن استويا في ذلك فأسعدهما جداً ' ك ١٧٢ ' . إذا لم يستطع الرجل عظيماً إلا باحتمال صغير كان حقيقاً إلا يلتفت إلى الصغير ' ك ١٧٧ ' . وذو العقل يق الكلام ويبالغ في العمل ويعترف بالزلة ويثبت بالأمور قبل الإقدام عليها ويقبل عثرة عمله بعقله كالرجل الذي يعثر على الأرض وعليها ينهض ويستقيم ' ك ١٨٣ ' . وفي كتاب دليلة . . . العاقل يقل الكلام ويبالغ في العمل ويعترف بزلة عقله ويستقبلها كالرجل يعثر بالأرض وبها ينتعش ' ع ٢٨١ : ١ ' . ولا يبلغ البلاء من ذي الرأي مجهود عقله

فيهلكه ولا الرخاء ينبغي له أن يبلغ منه مبلغاً يبطره ويسكره ويعمي عليه أمره ' ك ٢٣١ ' . فأنه ليس أحد ابعد من الخير من اثنين منزلتهما واحدة وصفتهما مختلفة : أحدهما من لا يثق بأحد ، والآخر من لا يثق به أحد ' ك ٢٣١ ' . وإن الكريم لا يكون إلا شكوراً غير حقود ، تنسيه الخلة الواحدة من الإحسان الخلال الكثيرة من الإساءة ' ك ٢٣٢ - ٢٣٣ ' . وأعجل العقوبة عقوبة الغدر واليمين الكاذبة ومن إذا تضرع إليه وسئل العفو لم يعف ولم يصفح ' ك ٢٣٣ ' . وكان يقال : أعجل الذنوب عقوبة الغدر واليمين الفاجرة وردّ التائب وهو يسأل العفو خائباً ' ع ١٠٠ : ٣ ' . إن الغادر لا يجاز له بعذره وإن اخطأه عاجل العقوبة لم يخطئه آجلها حتى تدرك الأعقاب وأعقاب الأعقاب ' ك ٢٣٨ - ٢٣٩ ' . فمن كان له عقل كان على إماتة الحقد أحرص منه على تربيته ' ك ٢٤٠ ' . . . . إنما كان ذلك قدراً مقدوراً وكنا له عللاً فلا تؤاخذنا بما أتاك به القدر . . . إن أمر القدر لكما ذكرت ولكن ليس ذلك حقيقاً أن يمنع الحازم من توقي المخوف والاحتراس من المحترس منه . ولكنه يجمع تصديقاً بالقدر وأخذاً بالقوة والحزم ' ك ٢٤١ ' . وفي كتاب للهند : اليقين بالقدر لا يمنع الحازم توقي المهالك وليس على أحد النظر في القدر المغيب ولكن عليه العمل بالحزم ونحن نجمع تصديقاً بالقدر وأخذاً بالحزم ' ع ١٤٣ : ٢ ' . وكان يقال : الفاقة بلاء والحزن بلاء وقرب العدو بلاء وفراق الأحبة بلاء والسقم بلاء والهرم بلاء ورأس البلايا الموت ' ك ٢٤١ - ٢٤٢ ' . وليس أحد أعلم بما في نفس الموجع ممن ذاق مثل ما به ' ك ٢٤٢ ' . أنه لا خير فيمن لا يستطيع الإعراض عما في نفسه ويميته ويتناساه حتى لا يذكر منه شيئاً ولا يكون له في نفسه موقع ' ك ٢٤٢ ' . والعاقل لا يخيف أحداً ما استطاع ولا يقيم على الخوف وهو يجد مذهباً ' ك ٢٤٣ ' . فأن خلالاً خمساً من تزودهن بلغنه في كل وجه وطريق وقرين له البعيد وآنس له الغربة وأكسبنه المعيشة والإخوان : كف الأذى وحسن الأدب ومجانية الريبة وكرم الخلق والنيل في العمل ' ك ٢٤٣ ' . وقرأت في كتاب للهند : من تزود خمساً بلغنه وآنسنه : كيف الأذى وحسن الخلق ومجانبة الريب والنبل في العمل وحسن الأدب ' ع ٢٤ : ٣ ' . وشر المال ما لا ينفق منه وشر الازواج التي لا تواتي البعل وشر الولد العاصي وشر الاخوان الخاذل لاخوانه وشر الملوك الذي يخافه البريء وشر البلاد بلاد ليس فيها أمن ولا خصب ' ك ٢٤٣ ' . وقرأت في كتاب للهند : شر المال ما لا ينفق منه وشر الاخوان الخاذل وشر السلطان من خافه البرسء وشر البلاد ما ليس فيه خصب ولا أمن ' ع ٣ : ١ ' . وربما اتعظ الجاهل واعتبر بما يصيبه من المكروه من غيره فارتدع عن ان يبتلى أحداً بمثل ذلك من الظلم والعدوان ' ك ٢٧٥ - ٢٧٦ ' . فاصبري من غيرك على نحو ما صبر عليه غيرك منك فإنه قد قيل : كما تدين تدان ' ك ٢٧٦ ' . وانه من عمل بغير

الحق والعدل انتقم منه وأديل عليه . فان صحبة الاخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر كالريح إذا مرّت على النتن حملت نتناً وإذا مرت بالطيب حملت طيباً . وقد قالت العلماء في أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء : ظل الغمام وصحبة الاشرار وعشق النساء والثناء الكاذب والمال الكثير . وفيه 'كتاب للهند ' : ستة أشياء لا ثبات لها : ظل الغمام وخلة الاشرار وعشق النساء والمال الكثير والسلطان الجائر والثناء الكاذب . وقيل في أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء : ظل الغمام وخلة الاشرار وعشق النساء والنبأ الكاذب والمال الكثير . وهذا الحزن الذي أنا فيه وتذكري اخواني كالجرح المندمل تصيبه الضربة فيجتمع على صاحبها ألمان : ألم الضربة وألم انتقاض الجرح . انه من تكلف من القول والعمل ما ليس من شكله اصابه ما اصاب القرد . . . وان الكريم لا يكون إلا شكوراً غير حقود تنسيه الخلة الواحدة من الاحسان الخلال الكثيرة من الاساءة . ان صاحب الدنيا يطلب ثلاثة أمور لا يدركها الا باربعة أشياء : اما الثلاثة التي يطلب فالسعة في المعيشة والمنزلة في الناس والزاد إلى الآخرة . وأما الأربعة التي يحتاج إليها في دركها : فاكتساب المال من معروف وجوهه وحسن القيام عليه والتثمير له بعد اكتسابه وانفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضى الأهل والاخوان ويعود عليه في الآخرة ثم التوقي لجميع هذه الآفات بجهده فمن أضاع هذه الخلال الأربع لم يدرك ما أراد لأنه إن لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به وإن هو كان ذا مال واكتساب ثم لم يحكم تقديره أوشك أن ينفذ فإذا هو ليس له شيء . وان هو وضعه ولم يثمره لم تمنعه قلة الانفاق من سرعة النفاد كالكحل الذي لا يأخذ منه الا مثل الغبار ثم هو سريع الفناء . ثم ان كانت نفقته في غير مواضع الحقوق اكتسب المذمة وصار إلى عواقب الندامة . وان هو اكتسب وأصلح ثم أمسك عن انفاقه في وجوهه كان كمن يعد فقيراً . لا تفعلن ذلك أيها الملك ولا ترحم من تخافه فان الملك الحازم ربما ابغض الرجل واقصاه ثم تكاره عليه فقربه وولاه لما يعرف من غنائه وفضله فعل فعل المتكاره على الدواء البشع رجاء منفعته ومغبته . وربما احب الرجل وأدناه ثم أهلكه واستأصله مخافة ضره كالذي تلدغ الحية أصبعه فيقطعها مخافة أن ينتشر السم في جسده كله فيقتله . قرأت في كتاب للهند : السلطان الحازم ربما أحب الرجل فأقصاه واطرحه مخافة ضره فعل الذي تلسع الحية اصبعه فيقطعها لئلا ينتشر سمها في جسده . وربما ابغض الرجل فأكره نفسه على توليته وتقريبه الغناء يجده عنده كتكاره المرء على الدواء البشع لنفعه . وقد كان يقال : لا يغفل العاقل عن التماس علما ما في نفس أهله وولده واخوانه وصديقه عند كل امر وفي كل لحظة وكلمة وعند القيام والقعود وعلى كل حال فأن ذلك شاهد على ما في القلوب ' ك ١٧٩ - ١٨٠ ' . فلا يمنعن ذا العقل عداوة كانت في نفسه لعدوه من مقاربته والتماس ما عنده إذا طمع منه في دفع مخوف . وكثير

من المودة يتحول بغضاً وكثير من البغض يتحول محبة ومودة عن حوادث العلل والامور . وذو الرأي والعقل يهيئ لكل ما حدث من ذلك رأياً من الطمع فيما يحدث من ذلك قبل العدو واليأس مما عند الصديق ' ك ٢٢٩ ' . فانه ليس كل من اسيء إليه ينبغي أن يتخوف غشه وعداوته ، ويؤيس من نصيحته ومودته . لكن ينبغي ان ينزل الناس في ذلك على اختلاف ما بينهم . فان منهم من إذا ظفر بقطيعته كان الرأي ان يغتنم ذلك منه ويمتنع من معاودته ومنهم من لا ينبغي تركه وقطعه على كل حال ' ك ٢٥٥ ' . فان خلالاً ثلاثاً المرء حقيق بالتفكر فيها والاحتيال لها : ما يمضي من الضر والنفع بأن يحترش من الضر الذي اصابه لئلا يعود إليه ويرفق في المحبوب طلب مراجعته . وما هو مقيم فيه من ذلك فيستوثق مما يوافقه ويهرب مما يخالفه وما هو منتظر له فيطلب المرجو ويلتجئ من المحذور بالاستعداد لما يرجو أو يخاف ' ك ٦٢ ' . وكان يقال : الزم ذا العقل والكرم واسترسل إليه واياك وفراقه ولا عليك ان تصحب من لا جود له إذا كان محمود الرأي واحترس من سيئ اخلاقه وانتفع بما عنده ولا تدع مواصلة السخي وان كان لا نبل له واستمتع بسخائه وانفعه بلبك واهرب من اللئيم الأحمق ' ك ٩٤ ' . وقرأت في كتاب للهند : ثق بذي العقل والكرم واطمئن إليه وواصل العاقل غير ذي الكرم واحترس من سيئ أخلاقه وانتفع بعقله وواصل الكريم غير ذي العقل وانتفع بكرمه وانفعه بعقلك واهرب من اللئيم الأحمق ' ع ٨٠ : ٣ ' وكان يقال : افضل البر الرحمة ورأس المودة الاسترسال وانفع العقل المعرفة بما يكون وبما لا يكون وطيب النفس وحسن الانصراف عما لا سبيل إليه ' ك ١٣٩ – ١٤٠ ' . وسمعت العلماء قالوا : . . . . وافضل البر الرحمة ورأس المودة الاسترسال ورأس العقل المعرفة بما يكون وما لا يكون وطيب النفس حسن الانصراف عما لاسبيل إليه ' د ٣٥ ' . وقرأت في كتاب الهند : رأس المودة الاسترسال ' ع ٥ : ٣ ' . وقد جربت وعرفت انه لا ينبغي لأحد أن يلتمس من الدنيا طلباً فوق الكفاف الذي يدفع به الحاجة والأذى عن نفسه وذلك يسير إذا أعين بسعة يد وسخاء نفس ' ك ١٤٠ ' . ولو ان رجلاً وهبت له الدنيا بما فيها لم ينتفع من ذلك إلا بالقليل الذي يكف به الاذى عن نفسه فاما ما سواه ففي مواضعه لا يناله ' ك ١٤٠ ' . فان الرجل ذا المروءة قد يكرم على غير مال كالاسد الذي يهاب وان كان رابضاً . والغني الذي لا مروءة له يهان وان كثر ماله كالكلب الذي يهان وان طوق وخلخل ' ك ١٤١ ' . والرجل ذو المروءة قد يكرم على غير مال كالأسد يهاب وان كان عقيراً والرجل الذي لا مروءة له يهان وان كثر ماله كالكلب الذي يهون على الناس وان طوق وخلخل ' د ٣٥ – ٣٦ ' . ما ارى التبع والاخوان والاهل الا مع المال ولا تظهر المروءة والرأي والمودة إلا به فاني وجدت من لا مال له إذا اراد ان يتناول امراً قعد به عنه العدم كالماء الذي يبقى في بطون الاودية

عن مطر الصيف فلا هو إلى بحر ولا إلى نهر فيبقى في مكانه لأنه لا مادة له ' ك ١٣٧ ' . ما التبع والاعوان والصديق والحشم إلا للمال ولا يظهر المروءة الا المال ولا الرأي ولا القوة إلا بالمال ' د ٣٤ ' . ووجدت من لا اخوان له فلا أهل له ومن لا ولد له فلا ذكر له ومن لا عقل له فلا دنيا له ولا آخرة ومن لا مال له فلا عقل له لأن الرجل إذا اصابه الضر والحاجة رفضه اخوانه وقطع ذوو قرابته وده وهان عليهم واضطرته المعيشة وما يعالج منها لنفسه وعياله إلى التماس الرزق فيما يغرر فيه بنفسه ودينه وهلاك آخرته فإذا هو قد خسر الدنيا والآخرة ' ك ١٣٧ ' . ومن لا اخوان له فلا أهل له ومن لا اولاد له فلا ذكر له ومن لا عقل له فلا دنيا ولا آخرة ومن لا مال له فلا شي له ' د ٣٤ ' . فان الشجرة النابتة في السباخ المأكولة من كل جانب أمثل حالاً من الفقير الذي يحتاج إلى ما في ايدي الناس ' ك ١٣٧ ' . فالفقر رأس كل بلاء وداعية المقت إلى صاحبه وهو مسلبة للعقل والمروءة ومذهبة للعلم والادب ومعدن للتهمة ومجمعة للبلايا ' ك ١٣٧ ' . والفقر داعية إلى صاحبه مقت الناس وهو مسلبة للعقل والمروءة ومذهبة للعلم والادب ومعدن التهمة ومجمعة للبلايا ' د ٣٤ ' . ووجدت الرجل إذا افتقر اتهمه من كان له مؤتمناً واساء به الظن من كان يظن به حسناً فإن اذنب غيره كان للتهمة موضعاً ' ك ١٣٨ ' . فإذا افتقر الرجل اتهمه من كان له مؤتمناً وأساء به الظن من كان يظن به حسناً فان اذنب غيره اظنوه وكان للتهمة وسوء الظن موضعاً ' د ٣٤ ' . وليس من خلة هي للغني مدح الا وهي للفقير ذم . فان كان جواداً سمي مفسداً وان كان حليماً سمي ضعيفاً وان كان وقوراً سمي بليداً وان كان لسناً سمي مهذاراً وان كان صموتاً سمي عيياً ' ك ١٣٨ ' . وليس خلة هي للغني مدح الا وهي للفقير عيب . فان كان شجاعاً سمي اهوج وان كان جواداً سمي مفسداً وان كان حليماً سمي ضعيفاً وان كان وقوراً سمي بليداً وان كان لسناً سمي مهذاراً وان كان صموتاً سمي عيياً ' د ٣٤ – ٣٥ ' . وقرأت في كتاب للهند : ليس من خلة يمدح به الغني الا ذم بها الفقير فان كان شجاعاً قيل اهوج وان كان وقوراً قيل بليد وان كان لسناً قيل مهذار وان كان زميتاً قيل عيي ' ع ١ : ٢٣٩ ' فالموت اهون من الفاقة التي تضطر صاحبها إلى المسألة . . . . ولا سيما مسألة الاشحاء الادنياء اللؤماء ' ك ١٣٨ ' . فان الكريم لو كلف ان يدخل يده في فم التنين فيستخرج منه سُمّاً فيبتلعه كان اخف عليه من الطلب إلى اللئيم ' ك ١٣٨ ' . وقد قيل من ابتلي بمرض في جسده لا يفارقه أو بفراق الاحبة والاخوان أو بالغربة حيث لا يعرف مبيتاً ولا مقيلاً ولا يرجو إياباً أو بفاقة تضطره إلى المسألة فالحياة له موت والموت له راحة ' ك ١٣٨ ' . وكان يقال : من ابتلي بمرض في جسده لا يفارقه أو بفراق الاحبة والاخوان أو بالغربة حيث لا يعرف مبيتاً ولا مقيلاً ولا يرجو اياباً أو بفاقة تضطره إلى المسألة فالحياة له موت والموت

له راحة ' د ٣٥ ' . انه رب عداوة باطنة ظاهرها صداقة وهي أشد ضراً من العداوة الظاهرة ' ك ٢٣٤ ' . والعاقل يفي لمن صالح بما جعل له ويثق بذلك من نفسه ولا يثق ولا يثق لها بمثل ذلك من أحد ولا يؤثر على البعد من عدوه ما استطاع شيئاً ' ك ٢٣٥ ' . فان العاقل إذا رجا نفع عدو اظهر له الصداقة وإذا خاف ضر الصديق اظهر له العداوة ' ك ٢٣٤ ' . وربما قطع المرء عن صديقه بعض ما كان يصله بفضله فلم يخف شره لأن اصل امره لم يكن عداوة ' ك ٢٣٤ - ٢٣٥ ' . فاما من كان اصل امره عداوة وتحدث صداقة لحاجة حملته على ذلك فأنه إذا ذهب الأمر الذي احدث ذلك صار إلى اصل امره كالماء الذي يسخن بالنار فإذا رفع عنها عاد بارداً ' ك ٢٣٥ ' . وقرأت في كتاب للهند : العدو إذا احث صداقة لعلة الجأته اليها فمع ذهاب العلة رجوع العداوة كالماء يسخن فإذا رفع عاد بارداً . وليس من عداوة الجوهر صلح الا ريثما يعود إلى العداوة وليس صلح العدو بموثوق به ولا مركون إليه فان الماء ان هو سخن بالنار واطيل اسخانه لم يمنعه ذلك من اطفاء النار إذا صب عليها . ليس بين عداوة الجوهرية صلح الا ريثما ينتكث كالماء ان اطيل اسخانه فانه لا يمتنع من اطفاء النار إذا صب عليها . فاني قد علمت ان الضعيف هو اقرب إلى ان يسلم من العدو القوي إذا هو احترس منه ولم يغترر به من القوي إذا اغتر بالضعيف واسترسل إليه . والعاقل يصانع عدوه إذا اضطر إليه فيظهر له وده ويريه من نفسه الاسترسال إليه إذا لم يجد من ذلك بداً ويعجل الانصراف عنه إذا وجد إلى ذلك سبيلا . ان للاحقاد في القلوب لمواقع موجعة خفية فالالسن لا تصدق على القلوب والقلب اعدل على القلب شهادة من اللسان . ان الاحقاد مخوفة حيث كانت واشدها ما كان في انفس الملوك فان الملوك يدينون بالانتقام ويرون الطلب بالوتر مكرمة وفخراً . ولا ينبغي للعاقل ان يغتر بسكون الحقود فانما مثل الحقد في القلب ما لم يجد متحركاً مثل الجمر الكنون ما لم يجد حطباً . فلا يزال الحقد يتطلع إلى اعلل كما تبتغي النار الحطب فإذا وجد علة استعر استعار النار فلا يطفئه ماء ولا كلام ولا لين ولا رفق . . واكيس الاقوام من لم يكن يلتمس الامر بالقتال ما وجد إلى غير القتال سبيلاً فان النفقة في القتال من الانفس وغير ذلك انما النفقة فيه من الاموال . . وقرأت في كتاب للهند : . . . ويكره ' الحازم ' القتال ما وجد بداً لان النفقة فيه من الانفس والنفقة في غيره من المال . ولا تغترن بسلطانك عليهم فيدعوك ذلك إلى استصغارهم والتهاون بأمرهم فان الحشيش الضعيف إذا جمع فتل منه الحبل القوي الذي يوثق به الفيل المغتلم الشديد . وقد قيل : لو ان امرأ توسد النار وافترش الحيات كان احق بأن يهنئه النوم عليها منه إذا احس من صاحبه الذي يغدو عليه ويروح بعداوة يريد بها نفسه . ان صاحب الضرس المأكول لا يزال في اذى منه حتى يفارقه . والطعام الذي غثيت منه النفس

راحتها في قذفه . والعدو المخوف دواؤه في فقده أو قهره . فانهم كانوا يقولون : ليس للعدو الحنق الذي لا يطاق الا الهرب منه والتباعد عنه . . . . وما الرأي الا ان نذكي العيون والطلائع بيننا وبين العدو وننظر هل يقبلن صلحاً أو فدية أو خراجاً نؤديه اليهن . بل ترك اوطاننا والاصطبار على الغربة وشدة المعيشة احب إلينا من وضع احسابنا والخضوع لعدونا الذي نحن خير منه واشرف . وقد يقال : قارب عدوك بعض المقاربة تنل منه حاجتك ولا تقاربه كل المقاربة فيجترئ عليك بها ويضعف ويذل لها جندك . ومثل ذلك مثل الخشبة القائمة في الشمس فإن املتها قليلاً زاد ظلها وان جاوزت الحد في امالتها ذهب الظل . وكان يقال : قارب عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك ولا تقاربه كل المقاربة فيجترئ عليك عدوك وتذل نفسك ويرغب عنك ناصرك . ومثل ذلك مثل العود المنصوب في الشمس ان املته قليلاً زاد ظله وان جاوزت الحد في امالته نقص الظل . قرأت في كتاب للهند : بعض المقاربة حزم وكل المقاربة عجز كالخشبة المنصوبة في الشمس تمال فيزيد ظلها ويفرط في الامالة فينقص الظل . قارب عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك منه ولا تقاربه كل المقاربة فيجترئ عليك مع ما تذل به نفسك ويرعب ناصرك . والمثل في ذلك مثل العود المنصوب في الشمس ان أملته قليلاً زاد ظله وان جاوزت الحد في امالته نقص الظل . فان العاقل لا يأمن عدوه على كل حال ان كان بعيداً لم يأمن من معاودته وان كان متكشفاً لم يأمن استطراده وان كان قريباً لم يأمن مواثبته وان كان وحيداً لم يأمن مكره . الحازم لا يأمن عدوه على كل حال ان كان بعيداً لم يأمن من معاودته وان كان قريباً لم يأمن مواثبته وان رآه متكشفاً لم يأمن استطراده كمينه وان رآه وحيداً لم يأمن مكره . الحازم يحذر عدوه على كل حال . يحذر المواثبة ان قرب والغارة ان بعد والكمين ان انكشف والاستطراد ان ولى والمكر ان رآه وحيداً . الحازم لا يأمن عدوه على كل حال : ان كان بعيداً لم يأمن من معرته بالكيد وان كان قريباً لم يأمن مواثبته وان كان منكشفاً لم يأمن استطراده وان كان وحيداً لم يأمن مكره . ولكل حريق مطفئ : للنار الماء وللسم الدواء وللعشق الوصال وللحزن الصبر زنار الحقد لا تخبو . وكان يقال : من اقلعت عنه الحمى استراح بدنه وقلبه ومن وضع الحمل الثقيل استراح منكبه ومن أمن عدوه ثلج صدره . فان العاقل وان كان واثقاً بقوته وقوله وفضله رشدة بطشه لا يحمله ذلك على ان يجني على نفسه عداوة اتكالاً على ما عنده من ذلك كما ان الرجل وان كان عنده الترياق والأدوية لا ينبغي له ان يشرب السم اتكالاً على ما عنده من ذلك . وانما يستخرج ما عند الرجال ولاتهم وما عند الجنود قادتهم وما في الدين علماؤه . وكثرة الأعوان إذا لم يكونوا نصحاء مجربين مضرة على العمل فان العمل ليس بذلك رجاؤه بل بصالح الاعوان وذوي الفضل كالرجل الذي يحمل الحجر الثقيل فيثقله ولا يجد له ثمناً والرجل الذي يحمل

الياقوت فلا يثقل عليه وهو قادر على بيعه بالكثير من المال . فان الرجل الذي بحضرة السلطان إذا كان قد اطيلت جفوته عن غير جرم كان منه أو كان مبغياً عليه أو كان معروفاً بالحرص والشره أو كان قد اصابه ضر أو ضيق فلم ينعش أو كان قد اجرم جرماً فهو يخاف العقوبة أو كان شريراً لا يحب الخير أو كان قد وقف على خيانته أو كان قد حيل بينه وبين ما كان في يده من سلطان أو كان قد وقف على خيانته أو كان قد حيل بينه وبين ما كان في يده من سلطان أو كان يلي عملاً نعزل عنه أو فرق عليه أو انتقص منه أو اشرك بينه وبين غيره فيه أو كان اذنب في نظرائه فعفي عنهم وعوتب وعوقب أو عوقبوا جميعاً فبلغ منه ما لم يبلغ من أحد منهم مثله أو كان قد أبلى بلاء نظرائه ففضلوا عليه في المنزلة والجاه أو كان غير موثوق به في الهوى والدين أو كان يرجو في شيء مما يضر الولاة نفعاً أو يخاف في شيء مما ينفعهم ضراً أو كان لعدو السلطان مواداً . كل هؤلاء ليس السلطان حقيقاً بالاسترسال إليهم والطمأنينة إلى ما قبلهم والائتمان لهم . ان السلطان انما يؤتى من قبل ست : الحرمان والفتنة والهوى والفظاظة والزمان والخرق . فأما الحرمان فيأتي بفقد الاعوان والساسة من أهل الرأي والنجدة والامانة أو يُبعد بض من هو كذلك . واما الفتنة فهي تخرب الناس ووقوع التحارب بينهم . واما الهوى فهو الاغرام بالنساء أو الحديث والشرب والصيد وما اشبه ذلك . واما الفظاظة فالافراط في الشدة حتى يبتلى اللسان بالشتم واليد بالبطش والضرب وأما الزمان فهو ما يصيب الناس من القحط والموت ونقص الثمرات واشباه ذلك . واما الخرق فاعمال الشدة في موضع اللين والرفق في مكان الغلظة . فانه كان يقال : إذا عرف الملك من الرجل انه قد ساواه في الرأي والمنزلة والهيبة والمال والتبع فليصرعه فانه ان لم يفعل كان هو المصروع . وخير الاعوان اقلهم مصانعة . وخير النساء الموافقة لبعلها . وافضل الاعمال احلاها عاقبة واحسن الثناء ما كان على افواه الأحرار . واشرف السلطان ما لم يخالطه بطر . وأيسر الاغنياء من لم يكن للحرص اسيراً . وامثل الاخلاق أونها على الورع . مع ان الملوك حزمة لا يعلنون بالعقوبة إلا لمن ظهر ذنبه وما كان من ذلك مكتوماً ستروها منه . ان السلطان إذا كان صالحاً ووزراؤه غير صالحين قل خيره على الناس وامتنع منهم فلم يجتر عليه أحد ولم يدن منه كالماء الصافي الطيب الذي فيه **التماسيح** فلا يستطيع الرجل دخوله وان كان سابحاً واليه محتاجاً . كان يقال : انما يصيب الملوك الظفر بالحزم والحزم باصالة الرأي والرأي بتحصين الاسرار . الظفر بالحزم والحزم باصالة الرأي والرأي بتكرار النظر وبتحصين الاسرار . وانما يطلع على السر من قبل خمسة : من قبل صاحب الرأي ومن قبل مشاوره ومن قبل الرسل والبرد ومن قبل المستمعين الكلام ومن قبل الناظرين في أثر الرأي ومواقع العمل بالتشبيه والتظني . من حصن سره فانه من تحصينه اياه في أحد امرين : اما ظفر

بما يريد واما سلامة من عيبه وضره ان اخطأه ذلك . وفي تحصين السر الظفر بالحاجة والسلامة من الخلل . وإذا كان الملك محصناً لاسراره متخيراً للوزراء مهيباً في انفس العامة بعيداً من ان يعلم ما في نفسه لا يضيع عنده حسن بلاء ولا يسلم منه ذو جرم مقدراً لما يفيد ولما ينفق كان خليقاً الا يسلب صالح ما اعطي . فمن السر ما يدخل فيه الرهط ومنه ما يدخل فيه الرجلان ومنه ما يستعان فيه بالقوم . وللأسرار منازل : منها ما يدخل الرهط فيه ومنها ما يستعان فيه بقوم ومنها ما يستغنى فيه بواحد . وأعلم أن الرسول به وبرأيه وأدبه يعتبر عقل المرسل وكثير من شأنه وعليك باللين والمواتاة فإن الرسول هو يلين القلب إذا رفق ويخشن الصدر إذا خرق (ك ١٥٤) . لا يطمعن ذو الكبر والصلف في الثناء الحسن ولا يطمعن الخب في كثرة الصديق ولا الشيء الأدب في الشرف ولا الشحيح في البر ولا الحريص في قلة الذنوب ولا الملك المتهاون الضعيف الوزراء في بقاء ملكه . لا يطمعن ذو الكبر في حسن الثناء ولا الخب في كثرة الصديق ولا الشيء الأدب في الشرف ولا الشحيح في المحمدة ولا الحريص في الإخوان ولا المعجب بثبات الملك . ولا ثناء مع كبر ولا صداقة مع خب ولا شرف مع سوء أدب ولا بر مع شح . . . ولا رياسة مع غرارة وعجب . فإن الملك إذا لم يكن في مملكته قرة عيون رعيته فمثله ذات الضرع الضخم إذا وضعت ولدها لم يكن فيه ما يكفيه . وأعمال الملك كثيرة ومن يحتاج إليه من العمال والأعوان كثير ومن يجمع منهم الذي ذكرت من النصيحة وأصالة الرأي والعفاف قليل . وإنما السبب في الوجه الذي به يستقيم العمل أن يكون الملك عالماً بمودة من يريد الاستعانة به ، وما عند كل رجل منهم من الرأي والغناء وما فيه من العيوب . فإذا استقر ذلك عنده من علمه أو علم غيره وعلم ما يستقيم به وجه لكل عمل من قد عرف أن عنده من الأمانة والنجدة والرأي ما يستقل بذلك العمل ، وإن الذي فيه من العيب لا يضر بذلك العمل . ويتحفظ من أن يوجه أحداً في وجه لا يحتاج فيه إلى مروءة إن كانت عنده ولا تؤمن عيوبه وعاقبة ما يكره منه . ثم على الملك بعد ذلك تعاهد عماله والتفقد لأمورهم حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء ثم عليهم بعد ذلك ألا يتركوا محسناً بغير جزاء ولا يقروا مسيئاً ولا عاجزاً على العجز والإساءة . فإنهم إن ضيعوا ذلك وتهاونوا به تهاون المحسن واجترأ المسيء ففسد الأمر وضاع العمل . لأن تنقل الناس من بعض المنازل إلى بعض فيه صعوبة ومشقة شديدة ثم أن الأشياء في ذلك تجري على منازل حتى تنتهي إلى الخطر الجسيم من مضادة الملك في ملكه . إن أموراً ثلاثة تزداد بها لطافة ما بين الإخوان واسترسال بعضهم إلى بعض : منها المؤاكلة ومنها الزيارة في الرحل ومنها معرفة الأهل والحشم . وقرأت في كتاب للهند : ثلاثة أشياء تزيد في الأنس والثقة : الزيارة في الرحل والمؤاكلة ومعرفة الأهل والحشم . وقد

كان يقال : لا يكثرن الرجل على إخوانه حمل المؤنات حتى يؤذيهم ويبرمهم . فإن عجل البقرة إذا أكثر مصه إياها وإفراطه أوشكت أن تضربه وتنفيه . الأصدقاء صديقان : طائع ومضطر وكلاهما يلتمس المنافع ويحترس من المضار . فأما الطائع منهما فيُسترسل إليه ويوثق به على كل حال . وأما المضطر فإن له حالات يُسترسل فيها وحالات يتقى فيها فلا يزال العاقل يرتهن منه بعض حاجته ببعض ما يتقي وما يخاف . فإنه من اتخذ صديقاً ثم أضاع ود اخائه حرم ثمرة إخائه وأيس من منفعة الإخوان . وإن من المعونة على تسلية الهم وسكون النفس عند نزول البلاء لقاء الأخ أخاه وإفضاء كل واحد منهما إلى صاحبه بثه . فإن من المعونة على تسلية الهموم وسكون النفس لقاء الأخ أخاه إذا أفضى كل واحد إلى صاحبه بثه . من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب . ومن ترك الأمر الذي لعله أن يبلغ منه حاجته مخافة لما لعله يتوقاه ويشفق منه فليس ببالغ جسيماً . وقد قيل في أمور لا يستطيعها أحد إلا بمعونة من ارتفاع همة وعظيم خطر منها عمل السلطان وتجارة البحر ومناجزة العدو . وفي كتاب للهند : ثلاثة أشياء لا تنال إلا بارتفاع همة وعظيم خطر : عمل السلطان وتجارة البحر ومناجزة العدو . لا ينبغي للرجل ذي المروءة أن يرى إلا في مكانين ولا يليق به غيرهما أما مع الملوك مكرماً وأما مع النساك متبتلاً . كالفيل الذي إنما بهاؤه وجماله في مكانين : أما في البرية وحشياً وأما مركباً للملوك . وفيه أيضاً : لا ينبغي أن يكون الفاضل من الرجال إلا مع الملوك مكرماً أو مع النساك متبتلاً كالفيل لا يحسن أن يرى إلا في موضعين : في البرية وحشياً أو للملوك مركباً . فإن المال وسائر متاع الدنيا سريع إقباله إذا أقبل وشيك إدباره إذا أدبر كالكرة فإن ارتفاعها وإقبالها وإدبارها ووقوعها سريع . ١٦٠ – لا يزال المرء مستقلاً ما لم يعثر فإذا هو عثر لج به العثار ولو مشى في جدد . لقد صدق القائل الذي يقول : لا يزال الرجل مستمراً حتى يعثر . فإذا عثر مرة واحدة في أرض الخبار لج به العثار وإن مشى في جدد . وقد كان يقال : من غالب الملك الحازم الأريب المصنوع له الذي لا تبطره السراء ولا يدهشه الخوف فإن حينه يجدر به . وويل لمن ابتلي بصحبتهم (الملوك) فإنهم لا حميم لهم ولا حريم ولا يحبون أحداً ولا يكرم عليهم إلا أن يطمعوا عنده في غناء فيقربوه عند ذلك ويكرموه . فإذا قضوا منه حاجتهم فلا ودّ ولا حفاظ . ولا الإحسان يجزون به ولا الذنب يعفون عنه .." (١)

"ص –١٥٠– أولى في علم رب العالمين سبحانه وتعالى، ثم ملائكته وأنبيائه، صلوات الله عليهم أجمعين .

فصل

---

(١) مضاهاة أمثال كليلة ودمنة ، ص/١٠٠

وأيضا، فإنهم قسموا جنس الدليل إلى القياس والاستقراء والتمثيل، قالوا : لأن الاستدلال إما أن يكون بالكلي على الجزئي؛ أو بالجزئي على الكلي، أو بأحد الجزئيين على الآخر، وربما عبروا عن ذلك بالخاص والعام . فقالوا : إما أن يستدل بالعام على الخاص، أو بالخاص على العام، أو بأحد الخاصين على الآخر .

قالوا : والأول هو [القياس] ، يعنون به قياس الشمول؛ فإنهم يخصونه باسم القياس، وكثير من أهل الأصول والكلام يخصون باسم القياس التمثيل . وأما جمهور العقلاء، فاسم القياس عندهم يتناول هذا وهذا، قالوا : والاستدلال بالجزئيات على الكلى هو الاستقراء، فإن كان تاما فهو الاستقراء التام، وهو يفيد اليقين، وإن كان ناقصا لم يفد اليقين . فالأول : هو استقراء جميع الجزئيات والحكم عليه بما وجد في جزئياته . والثاني : استقراء أكثرها، وذلك كقول القائل : الحيوان إذا أكل حرك فكه الأسفل، لأنا استقريناها فوجدناها هكذا، فيقال له : التمساح يحرك الأعلى .." (١)

"ص -١٩٧- كالتمساح، والأول ينتفع به في اليقينيات بخلاف الثاني، وإن كان منتفعا به في الجدليات .

وأما قياس التمثيل : فهو الحكم على شيء بما حكم به على غيره بناء على جامع مشترك بينهما، كقولهم : العالم موجود، فكان قديما كالباري . أو هو جسم فكان محدثا كالإنسان، وهو مشتمل على فرع وأصل وعلة وحكم، فالفرع ما هو مثل العالم في هذا المثال، والأصل ما هو مثل الباري أو الإنسان، والعلة الموجودة أو الجسم، والحكم القديم أو المحدث .

قالو : ويفارق الاستقراء من جهة أن المحكوم عليه فيه قد يكون جزئيا، والمحكوم عليه في الاستقراء لا يكون إلا كليا . قالوا : وهو غير مفيد لليقين؛ فإنه ليس من ضرورة اشتراك أمرين فيما يعمهما اشتراكهما فيما حكم به على أحدهما، إلا أن يبين أن ما به الاشتراك علة لذلك الحكم، وكل ما يدل عليه فظني، فإن المساعد على ذلك في العقليات عند القائلين به لا يخرج عن الطرد والعكس والسبر والتقسيم .

أما الطرد والعكس، فلا معنى له غير تلازم الحكم والعلة وجودا وعدما، ولابد في ذلك من الاستقراء، ولا سبيل إلى دعواه في الفرع؛ إذ هو غير." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧٠/١٤٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١١٧/١٤٨

"وعمرُو بن عمرو قادَكمْ فاشكروا لهُ ... بذي نجَبٍ والقومُ كابٍ وبارِكُ
بذي نجبٍ لو لمْ تذُدْ من ورائِكمْ ... بنو مالكٍ غالَتْكَ ثَمَّ العَوائكُ
فأسلمْتمُ فرسانَ سعدٍ وقدْ ترى ... بداركمُ المُستردفاتُ الهوالكُ
ويومَ علَتْ للحَوْفزانِ كتيبةٌ ... جَدُودُ لكمْ من نحوش حجْرٍ مَسالِكُ
ويومَ بَحِيرٍ أنتمُ شرُّ عُصبةٍ ... عَضاريطُ لولا المازِنيُّ المُعارِكُ
ورومَ بني عبْسٍ بشَرْجٍ تَشاهَدَتْ ... على قتلِهِ أعلامُكمْ والدَّكادِكُ
وعَبْقَر إذ تدعوكمُ جلَّلَتْكُمُ ... منَ الخزيِ ثوبَ الحائضاتِ العَوارك
ستسمحُ يربوعٌ سِبالاً لئيمةً ... بها منْ منيِّ العبدِ أسودُ حالكُ

حميد بن ثور

وقال حميد بن ثور بن حَزن بن عمرو بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة:

سَلا الربْعَ أنّي يمَّمتُ أمّ طارقٍ ... وهلْ عادةٌ للربعِ أنْ يتكلّما
وقُولا لهُ يا ربْعُ باللهِ هلْ بدا ... لها أو أرادَتْ بعدُ إلاّ تأيُّما
شهِدْتَ وأسمعتَ الفِراقَ وأشخصَتْ ... بنا الدارُ بعدَ الإلفِ حَولاً مُجرّما
ولو نطقَ الرَّبْعانِ قبلي لبيَّنا ... لصاحبِ هندٍ وامرئِ القيسِ مَنْسِما
هما سألا فوقَ السؤالِ وأفْضلا ... على كلِّ باكٍ عَوْلةً وتلوُّما
وزادا على قولِ الوشاةِ وأنشدا ... من الشِّعرِ ما يُغوي الغويَّ المُلوَّما
أجِدَّكَ شاقَتْكَ الحُمولُ تيمَّمتْ ... هِدانَيْنِ واجتازَتْ يميناً عَرَمْرما
على كلِّ مَشبوحٍ بنِيرَيْنِ كُلِّفَتْ ... قُوى نِسْعَتَيْهِ مَحْزِماً غيرَ أهْضما
جِلادُ تَخاطَتْها الرِّعاءُ فأُهملَتْ ... وألفَيْنَ رَجّافاً جُرازاً تَلَهْزَما
رعَيْنَ المُرارَ الجونَ منْ كلِّ مِذنَبٍ ... دَمِيثٍ جُمادى كلِّها والمحرَّما
من النِّيرِ واللَّعْباءِ حتى تبدَّلَتْ ... مكانَ رَواغِيها الصَّريفَ المُسدَّما
وحتى تَعفَّى النضْوُ منها وجُرِّدَتْ ... حَوالبُه، من مَرْبَعٍ قد تَجرَّما
وعادَ مُدَمّاها كُمَيْتاً وشُبِّهتْ ... كُلومُ كُلاهُنَّ الوِجارَ المُهدَّما
وخاضَتْ بأيديها النِّطافَ وذعْذَعتْ ... بأقْيادِها إلاّ وظِيفاً مُخدّما
فجاءَ بها الرُّدادُ يحْجُزُ بينَها ... سُدىً بينَ قَرْقارِ الهديرِ وأعْجما

ترى القرْمَ منها ذا الشقاشقِ واضحاً ... نقيّاً كلونِ القُلْبِ والجَونِ أصْحَما

فقامَ العَذارى بالمَثاني فأُقْدِعَتْ ... أكُفُّ العذارى عِزّةً أنْ تَخطَّما

فلمّا ارعوى للزَّجْرِ كلُّ مُلَبِّثٍ ... كصُمِّ الصَّفا يتلو جِراناً مُقدَّما

إذا عزّةُ النفسِ التي كان يتّقي بها ... حبْلَهُ لم تُنسِهِ ما تَعلَّما

فما زِلنَ **بالتمساحِ** حتى كأنّما ... أدَبَّتْ إليهِ في الخِزامةِ أرْقَما

وقرَّبْنَ مُقْوِرّاً كأنَّ وضِينَهُ ... بنِيقٍ إذا ما رامَهُ الغَفْرُ أحْجَما

وَقُوراً لَو انَّ الجِنَّ يعزِفْنَ حولَهُ ... وضرْبَ المغَنّي دُفـّـَهُ ما تَرَمْرما

رعى القَسْوَرَ الجَونيَّ من حولِ أشمُسٍ ... ومنْ بطنِ سُقْمانَ الدُّعاعَ المُديَّما

تراهُ إذا استدبرَتْهُ مُدمَجَ القَرا ... وفعماً إذا أقبلْتَهُ العينَ سَلْجَما

بعيرُ حياً جاءَتْ بِهِ أرحبيّةٌ ... أطالَ بِهِ عامَ النّتاجِ وأعْظَما

فقامَتْ إليهِ خَدْلَةُ الساقِ أشخصَتْ ... لهُ بالخلا كفّاً خَضيباً ومِعصَما

فألقى بلَحيَيْهِ فلاثَتْ برأسِهِ ... زِماماً كشيطانِ الحَماطةِ مُحكَما

فلمّا أناخَتْهُ إلى جَنْبِ خِدرِها ... عَجا شِدقَهُ أو هَمَّ أنْ يَتزغَّما

تراهُ إذا ما عجَّ يجلو عنِ الشَّبا ... فما مثلَ حِنوِ الخَيْبرانيّ لَهْجَما

تَنَخْنَخَ حتى ما تكادُ طويلةٌ ... تنالُ بكفَّيْها الظِّعانَ المُسوَّما

وذا ذئبٍ جُوفٍ كأنَّ خُصورَهُ ... خصورُ نِعالِ السبتِ لأماً مُوشَّما

قِمَطْرٌ يَبِينُ الوَدْعُ فوقَ سَراتِهِ ... إذا أرزمَتْ من تحتهِ الريحُ أرزما." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٤٠ """""""

فإذا ما تقابلت ، قلت : ذود . . . من كباش تقابلت للنطاج .

شرعها البيض كالغمامات في الصي . . . ف صحاحا منها وغير صحاح .

كم مدل بالجاه والمال فيها ، . . . وبه حاجة إلى الملاح

قائد جنده لهم أدوات . . . نفعها ثم فوق نفع السلاح .

فإذا البحر صال ، صالوا عليها . . . بمواض تمضي بغير جراح .

يكثرون الصياح حتى كأن السفن . . . تجري من خوف ذاك الصياح .

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب، ص/٣٣٨

ومما وصفت به البحار والسفن نثرا

وقال أبو عمرو صاحب الصلاة القرطبي يصف شانيا سافر فيه : فارقت مولاي حين أخذت للسفر عدة الحزم ، وشددت عقدة العزم ؛ وانتظمت مع السفر في سلك ، وركبنا على اسم الله ظهر الفلك ، في شان عظيم الشان ، أحدقت به النطق إحداق الحيازم ، وأمسكته لإمساك الأبازم ؛ ثم تتبع خلله فسد ، ورخوه فشد ؛ حذرا على ألواحه من الإنخاع ، واتصلت بعرانيسه اتصال الجلود بالأضلاع ؛ ثم جلببت جلبابا من القار ، ومخ في المتنين ولبفقار ؛ فامتاز بأغرب ميسم ، وعاد كالغراب الأعصم ؛ قد حسن منه المخبر ، وكأن الكافور قد قرن فيه بالعنبر ، له من التماسيح أجنابها ، ومن الخطاطيف أذنابها ؛ واستقلت رجله بفراشها ، استقلال السهام برياشها ؛ وقد مد قليعه ذراعيه متلقيا من وفد الرياح." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٤١ """"""""

ولتبت من بلاد الترك خاصية : أنه من أقام بها اعتراه سرور لا يدري ما سببه ، ولا يزال متبسما ضاحكا ؛ وأن الميت إذا مات فيها لا يدخل على أهله كبير حزن كما يلحق غيرهم عند موت محبوب .

وأما خوارزم وما اختصت به

فأنها تقارب بلاد الترك ، بل تنافسها في الخصائص والمتاجر .

ومن خصائصها البطيخ الذي يقال له النارنج يقال إنه أحلى البطاطيخ وأطيبها .

وكان يحمل منها إلى المأمون وإلى الواثق في قوالب الرصاص . معبأة في الثلج . فكانت تقوم الواحدة منه - إذا سلمت ووصلت - بسبعمائة درهم . والله أعلم .

ذكر الخصائص التي تجري مجرى الطلسمات

منها : مدينة خبيص من مدن كرمان . لا يمطر المطر فيها داخل السور أبدا حتى إن الرجل يخرج يده من سورها إلى خارجها ، فتبتل يده ولا يبتل ساعده .

وبقرية من قرى كرمان أيضا حصن عادي ليس فيه فأر . وإذا دخل إليه فأر ، مات .

ومدينة حمص لا يوجد فيها عقرب . وإذا نثر ترابها على ظهر عقرب ، ماتت .

وكذلك قلعة أعزاز من أعمال حلب . ويقال إنه لا يدخل مدينتها حية . ومتى نثر عليها من ترابها ، ماتت لوقتها . ولا يوجد فيها بعوض البتة . وإن الرجل متى أخرج يده من السور ، وقع عليها ؛ فإذا أدخل يده ، طار عنها .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١/٢٤٠

وبمصر أن التماسيح إذا ساقها الماء إليها وحاذتها ، انقلبت على ظهرها . فإذا بعدت عنها ، لا تضر أحدا . بخلاف ما هي في بلاد الصعيد ، فإنها تفترس جميع ما تظفر به من الحيوان حتى الخيل . ولا يقوى على قتالها إلا الجاموس .

ومدينة سجلماسة لا يوجد فيها ذباب البتة." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٣٦٣ """"""""

لا يهرمان ، قد اختص كل منهما بعظم البناء ، وسعة الفناء ؛ وبلغ من الارتفاع غاية لا يبلغها الطير على بعد تحليقه ، ولا يدركها الطرف على مدة تحديقه ؛ فإذا أضرم برأسه قبس ظنه المتأمل نجما ، وإذا استدارت عليه قوس السماء كان لها سهما " .

وبالقرب من الأهرام صنم على صورة إنسان ، تسميه العامة أبو الهول لعظمه . والقبط يزعمون أنه طلسم للرمل الذي هناك ، لئلا يغلب على أرض الجيزة .

وأما حائط العجوز

والعجوز هي دلوكا ملكة مصر .

وهذا الحائط من العريش " وهو حد مصر من جهة الشام " إلى أسوان " وهي حد مصر من جهة النوبة " ، شاملا للديار المصرية من الجانب الشرقي .

وزعمت القبط أن سبب بنائها أن الله عز وجل لما أغرق فرعون وقومه ، خافت دلوكا على مصر أن يطمع الملوك فيها . فبنته ، وزوجت النساء بالعبيد حتى يكثر النسل والذرية .

وقيل في سبب بنائه : إن دلوكا ولدت ولدا فأخذت لمولده رصدا ، فرأت أن التمساح يقتله ، فبنت هذا الحائط وقاية له من التمساح . فلما شب الغلام رأى في مولده ذلك ، فأحب أن يراه . فصور له من خشب . فلما رآه ، هاله منظره واستولى على نفسه الوهم والفزع ، فمات .

وأما ملعب أنصنا

فإنه كان مقياسا للنيل . ويقال : إنه من بناء دلوكا . وكان كالطيلسان ، وعليه أعمدة بعده بعدد أيام السنة من الصوان الأحمر الماتع ، بين العمود والعمود خطوة . وكان النيل يدخل إليه من فوهة فيه عند زيادة النيل . فإذا بلغ الحد الذي يحصل به الري ، جلس الملك في." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٣٤١/١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٣٦٣/١

"""""""" صفحة رقم ٧٤ """""""

ذكر ما قيل في الجاموس

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : والجواميس هي ضأن البقر . والجاموس أجزع الحيوان من البعوض وأشدها هربا منه إلى الماء ؛ وهو يمشي إلى الأسد رخي البال ، رابط الجأش ، ثابت الجنان . وقد حكي عن المعتصم بالله العباسي أنه أبرز للأسد جاموستين فغلبتاه ، ثم أبرز له جاموسة ومعها ولدها فغلبته وحمت ولدها ، ثم أبرز له جاموسا مفردا فواثبه ثم أدبر عنه . هذا على ما في الأسد من القوة في فمه وكفه والجرأة العظيمة والوثبة وشدة البطش والصبر والحضر والطلب والهرب ؛ وليس في الجاموس ، ولا يستطيل بغير قرنه ، وليس في قرنه حدة قرن بقر الوحش ؛ فإذا قوي الجاموس مع ذلك حتى يقاوم الأسد دل على قوة عظيمة . ولذلك قدم الجاحظ الجاموس على الأسد ، وعلل تقديمه عليه بهذه العلة . وليس ما حكي عن المعتصم في أمر الجاموس وغلبته للأسد بعجيب ؛ فإن الجواميس بالأغوار تقاتل الأسد وتمانعه وتدفعه فلا يقدر على قهرها . وأصحاب الجواميس هناك منهم من يغلف قرونها بالنحاس ويحددون أطرافه ، ويقصدون بذلك إعانته على حرب الأسد وقتاله .

والجاموس عندنا بالديار المصرية يقاتل **التمساح** الذي هو أسد البحر ويتمكن منه ويقهره في الماء ؛ فهو قد جمع بين قتال أسد البر وأسد البحر . وله قدرة عظيمة على طول المكث في قعر البحر . **والتماسيح** لا تكاد تأوي موارد الجواميس من بحر النيل وتتجنب أماكنها .

والجواميس في أرض الشأم من الأغوار والسواحل والأماكن الحارة الكثيرة المياه ينتفع بها في الحرث والحمولة وجر العجل وحلب ألبانها . وأما في الديار المصرية فلا يستعملونها البتة ولا ينتفعون بها إلا بما يتحصل من ألبانها ونتاجها .

وفحول الجواميس يكون بينها قتال شديد ومحاربة ؛ فأيما فحل غلب وقهره خصمه ، لا يأوي ذلك المراح ، بل ينفرد بنفسه في الجزائر الكثيرة العشب شهورا وهو يأكل من تلك الأعشاب ويشرب من ماء النيل ، وينفرد خصمه بالإناث ؛ فإذا علم الهارب من نفسه القوة والجلد ، رجع إلى المراح وقد توحش واستطال ، ويكون خصمه قد ضعفت قواه فلا يقوم بمحاربته ؛ ولكنه لا يولي عنه إلا بعد محاربته . فإذا قهره ترك الآخر المراح وتوجه إلى جزيرة وفعل كما فعل الأول وعاد إلى خصمه .

ولبن الجاموس من ألذ الألبان وأدسمها . والرعاء يسمون كل جاموسة باسم تعرفه إذا دعيت به إلى الحلب ، فتجيب وتأتيه وتقف حتى يحلبها .." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٩٠ """""""

وقال خالد بن صفوان ليزيد بن المهلب يصف سمكا : أتيت ببنات بيض البطون ، زرق العيون ، سود المتون ، حدب الظهور ، معقفات الأذناب ، صغار الرءوس ، غلاظ القصر ، عراض السرر . هذا ما اتفق إيراده في السمك المطلق . فلنذكر أصنافا من أنواع الأسماك .

ذكر شئ من أنواع الأسماك

وأنواع الأسماك كثيرة جدا ، ومنها ما يعرفه الناس ، ومنها ما لم يعرفوه ، ومنها ما يكون في أماكن من البحار دون غيرها . وقد ذهب بعضهم أن كل حيوان في البر يكون مثله في البحر . فلنورد في هذا الفصل ما أمكن إيراده ، وهو الدلفين ، والرعاد ، **والتمساح** ، والسقنقور ، والسلحفاة ، واللجأة ، والفرس النهري ، والجندبيدستر والقندس ، والقاقم والضفادع ، والسرطان ، وشيء من عجائب الحيوان المائي ، على حكم الاختصار حيث تعذر الاستيعاب .

الدلفين هو كالزق المنفوخ ، وله رأس صغير جدا . وهو يوجد في بحر النيل يقذفه البحر الملح إليه . ويقال : ليس في دواب البحر ماله رئة غيره ؛ فلذلك يسمع له التنفس والنفخ ، وهو إذا ظفر بالغريق كان أقوى الأسباب في نجاته ؛ فإنه لا يزال يدفعه إلى البر حتى ينجيه . وهو من أقوى الدواب المائية . ولا يؤذي و يأكل غير السمك . وربما ظهر على وجه الماء وهو نائم كالميت . وهو يلد ويرضع . وأولاده تتبعه حيث ذهب ؛ ولا يلد إلا في الصيف . وفي طبعه الأنس بالناس وخصوصا الصبيان . وإذا صيد جاءت الدلافين لقتال صائده ، فإذا أطلقه لها انصرفت . وأهل المراكب في البحر الفارسي إذا رأوه استبشروا به وأيقنوا ببلوغ الأرب سيما الغزاة .

الرعاد ويكون في نيل مصر ، ولم أسمع به في غيره . وفيه من الخاصية أنه لا يستطيع أحد من الناس أن يمسه . ومتى وضع الإنسان يده عليه نزعها بحركته وصاح صيحة منكرة ربما دهش الإنسان لها ؛ ويجد الرجل في فؤاده خفقانا من ذلك . وهو متى وقع في شبكة الصياد ارتعدت يداه عند إخراج الشبكة من الماء أو جذب الحبل ، فيعلم أنه قد وقع له السمك الرعاد .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٠/٧٤

التمساح وهو أيضا لا يكون إلا في نيل مصر ؛ وزعم قوم أنه يوجد في مهران في السند ، لزعمهم أنه من النيل . وهو شديد البطش في الماء . وهو يعظم إلى أن." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٩١ """""""

ينتهي في الطول إلى عشرين ذراعا في عرض ذراعين . ويفترس الفرس والإنسان . ولا يقوى على قتاله من الحيوان إلا الجاموس . وله يدان ورجلان وذنب طويل يضرب به ويلف . وهو لا يصاد إلا أن يضرب في إبطيه ، ومنهما مقتله . ويقال : إنه أراد السفاد خرج هو والأنثى إلى البر فيقلبها على ظهرها ويستبطنها ؛ فإذا فرغ قلبها لأنها لا تتمكن من الانقلاب لقصر يديها ورجليها ويبس ظهرها . وهي تبيض في البر ، فما وقع في الماء صار تمساحا وما بقي في البر صار سقنقورا . والتمساح يحرك فكه الأعلى دون الأسفل ، ولسانه معلق به . ويقال : إنه ليس له مخرج ، وإن جوفه إذا امتلأ خرج إلى البر وفتح فمه فيجيء طائر صغير أرقط فينقر بمنقاره ما في جوفه ويخرجه ، وذلك غذاء الطائر وراحة للتمساح . وفي رأس هذا الطائر شوكة فإذا أغلق التمساح فمه عليه نخسه بها فيفتحه . ويقال : إن للتمساح ستين سنا وستين عرقا ، ويسفد ستين مرة ، ويبيض ستين بيضة . ويوجد في جلده مما يلي بطنه سلعة كالبيضة فيها رطوبة لها رائحة كالمسك ، وتنقطع رائحتها بعد أشهر .

ووصفه شاعر فقال :

وذي هامة كالترس يفغر عن فم . . . يضم على مثل الحسام المثلم

ويفتر عن مثل المناشير ركبت . . . على مشفر مثل القليب المهدم

مشى في شواة من فقارة غيلم . . . وسقف لحيا عن مناكب شيهم

السقنقور ويسمى الحرذون البحري . ويقال : إنه ورل مائي . ومنه ما هو مصري ، وما هو هندي ، وما يتولد في بحر القلزم وببلاد الحبشة . وهو يغتذي في الماء بالسمك وفي البر بالقطا . وأنثاه تبيض عشرين بيضة وتدفنها في الرمل ، فيكون ذلك حضنها . وجلده خشن مدبج بالسواد والصفرة وهو إذا عض إنسانا وسبقه الإنسان إلى الماء فاغتسل منه مات السقنقور ؛ وإن سبق السقنقور الإنسان إلى الماء مات الإنسان . وبين السقنقور وبين الحية عداوة عظيمة ، متى ظفر أحدهما بصاحبه قتله .

وقال الشيخ الرئيس : أجود السقنقور ما صيد في الربيع وقت هيجانه . وأجود أعضائه السرة . وهو ينفع من العلل الباردة في العصب . وملحه يهيج الباه فكيف لحمه ، وخصوصا لحم سرته وما يلي كليتيه

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب - موافق للمطبوع، ١٠/١٩٠

وخصوصا شحمها .

السلحفاة واللجأة يقال : إن اللجأة تبيض في البر ، فما أقام به سمي." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٩٣ """""""

أما الفرس النهري وهو عظيم الجثة ، وخلقه خلق الفرس ؛ إلا أن وجهه أوسع ؛ وله أظلاف كالبقرة ؛ وذنبه مثل ذنب الخنزير ؛ وصوته يشبه صوت الفرس . وهو لا يوجد إلا في نيل مصر . وهو يخرج من الماء إلى البر ، ويرعى الزرع . وإذا قصد الزرع لا يبتدئ من أوله ، ولكنه يجوز منه قطعة بقدر ما يأكل ويبتدئ منها بحيث يكون وجهه إلى البحر . وهو يقتل **التمساح** ويقهره . وأهل الديار المصرية إذا رأوا أثر حافره في البر تباشروا بزيادة النيل وكثر الخصب . وفي سنة اثنتين وسبعمائة طلع الفرس النهري إلى البر بالجيزة وأبعد عن البحر ، فتحيل عليه وقتل . وأهل النوبة يصيدونه كثيرا ، ويتخذون من جلده سياطا يسوقون بها الإبل .

الجندبيدستر وهو السمور ، ويسمى كلب الماء . ولا يوجد إلا ببلاد القفجاق وما يليها . وهو على هيئة الثعلب ، أحمر اللون ، لا يدان له ، وله رجلان وذنب طويل ، ورأسه كرأس الإنسان . ووجهه مستدير . وهو يمشي متكئا على صدره كأنه يمشي على أربع ، وله أربع خصى : ثنتان ظاهرتان وثنتان باطنتان . وهو إذا أراد الصيادين يجدون في طلبه لأجل الجندبيدستر ، وهو خصيتاه الظاهرتان ، قطعهما بفيه ورمى بهما إليهم ؛ إذ لا حاجة لهم إلا بهما . فإن لم يرهما الصيادون وداموا في الجد في طلبه استلقى على ظهره ليريهم الدم ، فيعلمون أنه قطعهما فينصرفون عنه . وهو إذا قطع الظاهرتين ظهر الباطنتان وعوض عنهما غيرهما . وفي داخل الخصية شبه الدم أو العسل زهم الرائحة سريع التفرك إذا جف . ويقال : إنه يوكر على الأرض ويولد عليها ويرعى فيها ، ويهرب إلى الماء يعتصم به ؛ ويمكنه أن يلبث في قعره حابسا لنفسه زمانا ثم يخرج إلى الهواء .

حيوان القندس والقاقم فالقندس يغتذي بالسمك والنبات . ويقال : إن فيه سادة وعبيدا ؛ وإنه يتخذ مساكن مرتبة على ترتيب مساكن الناس . والسادة يتخذون في بيوتهم صففا مرتفعة يكونون عليها ، وفي أسفلها مواضع للعبيد ، ولبيوتهم أنفاقا إلى البر وأبوابا إلى النهر . وبعض هذا الحيوان يغير على بعض . والسادة لا تتكسب ، وإنما يتكسب لها العبيد . ويعرف جلد السيد من جلد العبد بحسن لونه وبصيصه . وأهل تلك البلاد يسلخون خراطيم القندس والسمور ويتعاملون بها كما يتعامل بالدنانير." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٩١/١٠

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٩٣/١٠

"""""""" صفحة رقم ٣٠ """""""

الأسد بالدخن التي تجلب روحانيتها وألقوها على تلك النيران ، فاجتلبتها تلك الدخن فتهافتت في تلك النيران فاحترقت . وبنى في وقته مدائن في ناحية الغرب تلفت بالطوفان مع أكثر مدنهم .

قال : وارتفعت الأمطار عنهم وقل الماء في النيل فأجدبوا ، وهلك الزرع بالنار والريح الحارة وغيرها ، فأضر ذلك بهم ، فاحتالوا لدفع النار بطلسماتهم فكانت تذهب وتعود . وقيل : إن الذي فعل بهم ذلك ساحر من سحرتهم كان منقاوش غضبه امرأته فكان يعمل الحيلة قللا قليلا في إفساد طلسماتهم ؛ لان لكل طلسم شيء تبطل به روحانيته . وبهذه العلة دخل بختنصر الفارسي مصر وقد كانت ممتنعة من جميع الملوك . فلما أفسد ذلك الساحر الطلسمات ، سلط عليهم تلك الآفات وأفسد طلسمات **التماسيح** فهاجت عليهم ومنعتهم الماء وعذبهم عذابا كبيرا إلى أن فطنوا من قبل تلاميذه ؛ وذلك أن أحدهم لامه على فعله فانتهره ونفخ في وجهه فأظلم عليه بصره ، فجاء إلى وزير الملك وعرفه القصة فأنهاها إلى الملك ، فأمر الملك بإدخاله عليه فأدخل ، فسأله عن الخبر فعرفه بفعل الساحر ، فأنفذ إليه جيشا ليأتوه به ، فلما نظر الساحر إلى القوم وقد أقبلوا دخن دخنة أغشت أبصارهم وارتفعت منها عجاجة نار أحرقت وحالت بينه وبينهم ، فهالهم ذلك ، فرجعوا إلى الملك وعرفوه ما جرى فأمر بجمع السحرة ، وكان من رسم السحرة أن يعاهدوا ملوكهم على أن يكونوا معهم ولا يخالفونهم ولا ينالهم منهم مكروه ولا يبغونهم الغوائل ، فمن فعل ذلك سلب علمه ، وكان للملك أن يسفك دمه ودم أهل بيته وولده ، وكانوا مع الملوك على هذه الحال يوفون بعهودهم . فلما اجتمع السحرة عند الملك أخبرهم خبر الساحر ، وكان يقال له : أختاليس ، وبما عمله وقال : تحضرونه إلي وإلا أهلكتكم ؛ فسألوه النظرة فأنظرهم ، فاخذوا أولادهم ونساءهم وخرجوا هاربين ، فلما خرجوا عنه تكلموا بينهم وقالوا : إنكم لتعرفون كثرة علم أختاليس وشدة سحره ، وما نرى لنا به طاقة ، ومنقاوش الملك الذي نقض عهده وتعدى عليه وأخذ امرأته غصبا ، فاحتالوا لخلاصكم منه ؛ فأجمعوا أنهم يصدقون الملك عن أنفسهم ، ويستأذنونه في الذهاب إليه ومداراته حتى يأتوه به بعد أن يأخذوا له أمانا منه ويجدد العهد بينه وبينه .

فمضوا إلى الملك وصدقوه عن أنفسهم ، فأجابهم إلى ما سألوه من ذلك ، ثم مضوا إلى أختاليس فلطفوا به ووعظوه إلى أن أجابهم إلى ما أرادوا ، فكتبوا إلى الملك بذلك ،." (١)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٥/٣٠

"""""""" صفحة رقم ٥٠ """"""""

صنم قائم له إحليل إذا أتاه المعقود والمسحور ومن لا ينتشر فمسه بكلتا يديه أزال عنه ذلك وانتشر وقوي على الباه ، وجعل في إحداها بقرة لها ضرعان كبيران إذا مسحتهما المرأة التي انعقد لبنها در وصلح أمرها .

وفي أيامه بنيت قوص العالية ، بناها لابن له كان سخط على أمه فحولها إليها وأسكن معها قوما من أهل الحكمة وأهل الصناعات ، وقيل : إن شطب بنيت في أيامه ، وعمل الصورتين الملتصقتين لكثرة النسل . وكانت الحبش والسودان عاثوا في بلده فأخرج لهم ابنه منقاوش في جيش عظيم فقتل منهم وسبى واستعبد الذين سباهم وصار ذلك سنة لهم ، واقطع معدن الذهب من أرضهم وأقام ذلك السبي يعملون ويحملون الذهب إليه ، وهو أول من أحب الصيد واتخذ الجوارح ، وولد الكلاب السلوقية من الذئاب والكلاب الأهلية ، وعمل البيطرة وما تعالج به الدواب ، وعمل من العجائب والطلسمات لكل فن ما لا يحصى كثرة ، وجمع **التماسيح** ، بطلسم عمله لها ، إلى بركة بناحية أسيوط فكانت تنصب إليها من النيل انصبابا فتقتلها ، وتستعمل جلودها في السفن وغيرها ، وتستعمل لحومها في الأدوية والعقاقير المؤلفة . قال : وبعض القبط يحكي أنه عمل بمصر اثنتي عشرة ألف أعجوبة وطلسما ولم يعمل في بلد كما عمل فيها ولا تهيأ لأهله ما تهيا لهم من ذلك . قال : وأقام شداث في الملك تسعين سنة وخرج يطرد فأكب فرسه في وهدة فقتله . وفي بعض كتبهم : أنه أخذ بعض خدمه ، وقد خالفه في أمر من الأمور ، فأمر بطرحه من أعلى الجبل إلى أسفل فطرح فتقطع جسده ، وندم على فعله ذلك فرأى في منامه أنه سيصيبه مثل ذلك فكان يتوقاه ، وآلى على نفسه ألا يعلو جبال ، أوصى إن أصابه شيء أن يجعل ناووسه في الموضع الذي يلحقه فيه ما يلحقه ، ويزبر عليه : ليس ينبغي لذي القدرة أن يخرج عن الواجب ويفعل ما لا يجوز." (١)

"""""""" صفحة رقم ٥٨ """"""""

النيل . وقيل : إنه عمله لبناته لأنهن كن يمضين إلى هيكل الشمس . وكان هذا السرب مبلط الأرض والحيطان والسقف بالزجاج الثخين الملون . وقيل : إنه كان أطول أخوته ملكا . وقال أهل الأثر : إنه ملك ثمانمائة سنة ، وغن قوم عاد انتزعوا منه الملك بعد ستمائة سنة من ملكه وأقاموا تسعين سنة واستوبئوا البلد فانتقلوا إلى الدثين من طريق الحجاز إلى وادي القرى فعمروها واتخذوا بها المنازل والمصانع فسلط الله عليهم الذر فأهلكهم ، وعاد ملك مصر إلى أشمون بعد خروجهم من البلد . ويقال : إنه ملكهم ثمانمائة

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب _ موافق للمطبوع، ١٥/٥٠

سنة وثلاثين سنة ، ودفن في أحد الأهرام الصغار القبلية . وقيل : بل عمل له ناووس في غربي الأشمونين ودفن معه فيه من الأموال والعجائب شيء كثير ، وأصنام الكواكب السبعة التي كانت في هيكل المرآة التي ترى منها الأقاليم ، ودفن معه ألف سرج من ذهب وفضة ، وعشرة آلاف خابية صؤار من ذهب وفضة وزجاج ، ألف عقار مدبرة لفنون الأعمال وزبر عليه اسمه ومدة ملكه والوقت الذي مات فيه .

واستخلف ابنه مناقيوس بن أشمون . وكان جلدا محنكا فاستأنف العمارة وبنى القرى ونصب الأعلام ، وجمع الحكمة ومصاحف الملوك والحكماء وعمل العجائب ، وبنى لنفسه مدينة وانفرد بها ، وعمل عليها حصنا ونصب عليه أربعة أعلام ، في كل ركن من أركانه علم ، وبين تلك الأعلام ثمانون صنما من نحاس وأخلاط ، في أيديها آلات السلاح وزبر على صدرها آياتها . قال : وكان بمنف رجل من أولاد الكهنة من أعلم الناس بالسحر وأبصرهم بأخذ **التماسيح** والسباع ، وكان يعلم الغلمان السحر فإذا حدقوا علم غيرها ، فأمر الملك أن تبنى به مدينة ويحول إليها فبنيت ، وهي إخميم . وملك مناقيوس نيفا وأربعين سنة ومات فدفن في الهرم المحاذي لإطفيح ، ونقل معه شيء كثير من المال والجواهر والآنية والتماثيل ، وزبر عليه اسمه والوقت الذي مات فيه .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٧٧ """""""

مع من ألقاها في النيل ، ففاض النيل على مزارعهم وغلاتهم ، وكثرت فيه **التماسيح** والضفادع ، وكثرت العلل في الناس ، وانبثت فيهم الثعابين والعقارب ، فاحضر ماليق الكهنة والحكماء وقال : أخبروني عن هذه الحوادث التي حدثت في بلادنا ما هي ؟ ولم لم تشرحوها في طالع السنة ؟ فاجتمعوا في دار حكمتهم ونظروا حتى علموا أنه من ناحية الغرب ، وأن امرأة عملته وألقته في النيل ، فعلم أنه من فعل تلك الساحرة ، فقال لهم : اجهدوا أنفسكم في هلاكها فقد بلغت فيكم مرادها ، فاجتمعوا للهيكل الذي فيه صور الكواكب وأصنامها ، وسألوا الملك الحضور معهم فلم يمكنه الخلاف عليهم . فلما أمسى لبس مسحا وافترش رمادا واستقبل مصلاه وأقبل على الابتهال إلى الله والتضرع وقال : يارب يا الله ، أنت إله الآلهة ، وخالق الخلق ، ولا يكون شيء إلا بقضائك ، أسألك أن تكفينين أمر هؤلاء القوم ، وغلبه السهر فأغفى في مصلاه ، فرأى آتيا يقول له : قدر حم الله تضرعك ، وأجاب دعاءك ، وهو مهلك هؤلاء القوم ومدمر عليهم ، وصارف عنك الماء المفسد والدواب المضرة . فلما أصبح الكهنة غدوا عليه وسألوه حضور هيكلهم ، فقال لهم : قد كفيتكم أمر عدوكم وأهلكتهم ، وأزلت الماء الفاسد والدواب المضرة عنكم ، ولن تروا

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٥/٥٨

بعدها شيئا تكرهونه ، فنظر بعضهم إلى بعض كالمنكرين لقوله وقالوا : قد سررنا بما ذكره الملك ، وهم يضمرون الاستهزاء به والتكذيب له ، ومضوا إلى دار الحكمة فقال بعضهم : الرأي ألا تقولوا في هذا شيئا فإن كان حقا وقفتم عليه ، وإن كان باطلا اتسع لكم اللفظ في لومه ، وسيتبين لكم أمره . فلما كان بعد يومين انكشف ذلك الماء الفاسد ، وهلكت تلك الدواب المضرة ، فعلموا أن الذي أخبرهم به حق ؛ وأمر قائدا من قواده ورجالا من الكهنة أن يمضوا حتى يعلموا علم هؤلاء القوم ، فأتوا المدينة فوجدوا حصنه، قد سقط وقد هلكوا بأجمعهم واحترقوا واسودت وجوههم ؛ ووجدوا الأصنام منكسة على وجوهها ، وأموالهم ظاهرة بين أيديهم ، فطرقوا المدينة فلم يجدوا فيها غير رجل واحد كان مخالفا لهم بسبب رؤيا رآها ؛ ووجدوا من الأموال والجواهر وأصنام الذهب والتماثيل ما لا يحصى ولا تعرف له قيمة ، ووجدوا صورة كاهن لهم من زبرجد أخضر على قائمة من حجر الأسباد شم ، ووجدوا صورة روحاني من ذهب ، ورأسه من جوهر أحمر ، وله جناحان من در ، وفي يده مصحف فيه كثير من علومهم في دفتين مرصعتين بجوهر ملون ؛ ووجدوا مطهرة من ياقوت أزرق على قاعدة من زجاج أخضر مسبوك ، وفيها فضلة من الماء الدافع لأسقامهم ، وفرسا من فضة من عزم عليه بعزائمه." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٠٨ """""""

نريد ، فانطلق أنت وأصحابك ، فتشاوروا في ذلك حتى يعتدل فيه رأيكم ، فانطلق عمرو فأخبر من كان معه من اهل مصر ، فثقل ذلك عليهم ، وقالوا : نتخوف أن يدخل في هذا ضرر على مصر ، فنرى أن تعظم ذلك على أمير المؤمنين وتقول له : إن هذا الأمر لا يعتدل ولا يكون ، و لا نجد إليه سبيلا .

فرجع عمرو بذلك إلى عمر ، فلما ره ضحك وقال : والذي نفسي بيده لكأني أنظر أليك يا عمرو ، وإلى أصحابك حين أخبرتهم بما أمرت به ، فثقل ذلك عليهم ، وقالوا لك كذا وكذا . للذي كان منهم فقال : صدقت والله يا أمير المؤمنين ، لقد كان الامر على ماذكرت .

فقال عمرو : يا عمرو ، انطلق بعزيمة منى حتى تجد في ذلك ، ولا يأتي عليك الحول حتى تفرغ منه إن شاء الله تعالى .

فانصرف عمرو ، ثم احتفر الخليج الذي كان في حاشية الفسطاط الذي يقال له : خليج أمير المؤمنين ، فساقه من النيل إلى القلزم ، فلم يأت الحول حتى جرت فيه السفن ، فحمل فيه ما أراد من الطعام إلى المدينة ومكة ، فنفع الله بذلك أهل الحرمين ، سمى خليج أمير المؤمنين ، ثم لم يزل يحمل فيه الطعام

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٥/٧٧

إلى زمن عمر بن عبد العزيز ، ثم ضيعه الولاة بعد ذلك فترك وغلب فيه الرمل ، فانقطع ، فصار منتهاه إلى ذنب **التمساح** من ناحية طحا القلزم .

قال : ويقال : إن عمرو بن العاص قال لعمر بن الخطاب . لما قدم عليه : ياأمير المؤمنين ، قد عرفت أنه كانت تأتينا سفن فيها تجار من أهل مصر قبل الإسلام ، فلما فتحنا مصر انقطع ذلك الخليج ، واستد ، وتركته التجار ؛ فإن شئت أن تحفره فننشئ به سفنا يحمل فيها الطعام إلى الحجاز فعلته . فقال له عمر : نعم ، فافعل .

فلماذكر عمر ذلك لأصحابه كرهوه على ما تقدم ، فعزم عمر على عمرو أن يحفره فحفره .

ويقال : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما كتب إلى عمر بما كتب واستغاثه ، كتب عمرو إليه : أما بعد ، فيالبيك ثم يا لبيك ، أتتك عير أولها عند وآخرها عندي ، مع أني أرجو أن أجد السبيل إلى أن أحمل إليك في البحر . ثم إن عمر ندم على كتابه في الحمل إلى المدينة ، وقال : إن أمكنت عمر من هذا خرب مصر ونقلها إلى المدينة ، فكتب إليه : إني نظرت في أمر البحر ، فإذا هو عسر لا يلتأم ولا يستطاع . فكتب إليه." (١)

"الهواء، وحسن المباني، ونهرها الأعظم الذي يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلا ثم يحسر، وفيه يقول ابن سفر (١) :

شق النسيم عليه جيب قميصه ... فانساب من شطيه يطلب ثاره

فتضاحكت ورق الحمام بدوحها ... هزءا فضم من الحياء إزاره وقيل لأحد من رأى مصر والشام: أيهما رأيت أحسن؟ أهذان أم إشبيلية؟ فقال بعد تفضيل إشبيلية: شرفها غابة بلا أسد، ونهرها نيل بلا **تمساح**، انتهى.

ويقال : إن الذي بنى إشبيلية اسمه يوليش (٢) ، وإنه أول من سمي قيصر، وإنه لما دخل الأندلس أعجب بساحاتها وطيب أرضها وجبلها المعروف بالشرف (٣) فردم على النهر الأعظم مكانا، وأقام فيه المدينة، وأحدق عليها بأسوار من صخر صلد، وبنى في وسط المدينة قصبتين بديعتي الشأن تعرفان بالأخوين، وجعلها أم قواعد الأندلس، واشتق لها اسما من رومية، ومن اسمه، فسماها رومية يوليش، انتهى.

وقد تقدم شيء من هذا.

وكان الأولون من ملوك الأعاجم يتداولون بسكناهم أربعة (٤) من بلاد الأندلس: إشبيلية، وقرطبة، وقرمونة

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٢٠٨/١٩

(٥) ، وطليطلة، ويقسمون أزمانهم على الكينونة بها.

---

(١) ابن سفر: أبو عبد الله محمد بن سفر الأديب (ويكتب اسمه أيضا بالصاد) وهو من ناحية المرية وسكن إشبيلية، وسيترجم له المقري. (انظر تحفة القادم: ١٠١ والوافي ٣: ١١٤ والمغرب ٢: ٢١٢). وبيتاه في التحفة. وفي ج: ابن سعيد.

(٢) ق ك ط: توليس، ج: يولوس؛ وهو يوليس قيصر (Julius Caesar)،

(٣) سيأتي وصف " شرف إشبيلية " في النصوص التالية، وانظر أيضا الروض المعطار: ١٩.

(٤) ك: أربعة بلاد.

(٥) قرمونة (Carmona) مدينة إلى الشمال الشرقي من إشبيلية على عد ٣٥ كيلومترا وكانت كورة واسعة تضم عدة مدن وحصون. (راجع الروض المعطار: ١٥٨).." [١]

"أيضا، وقالوا: إنه لا قيمة له لفرط غرابته وجماله، وحمل من مكان إلى مكان حتى وصل إلى البحر، ونصبه الناصر في بيت المنام في المجلس الشرقي المعروف المؤنس، وجعل عليه اثني عشر تمثالا من الذهب الأحمر مرصعة بالدر النفيس الغالي مما عمل بدار الصناعة بقرطبة: صورة أسد إلى جانبه غزال إلى جانبه تمساح، وفيما يقابله ثعبان وعقاب وفيل، وفي المجنبتين حمامة وشاهين وطاووس ودجاجة وديك وحدأة ونسر (١) ، وكل ذلك من ذهب مرصع بالجوهر النفيس، ويخرج الماء من أفواهها، وكان المتولي لهذا البنيان المذكور ابنه الحكم، لم يتكل فيه الناصر على أمين غيره، وكان يخبز في أيامه في كل يوم برسم حيتان البحيرات ثمانمائة خبزة، وقيل: أكثر، إلى غير ذلك مما يطول تتبعه.

قال (٢) : وكان الناصر كما قدمنا قسم الجباية أثلاثا: ثلث للجند، وثلث للبناء، وثلث مدخر، وكانت جباية الأندلس يومئذ من الكور والقرى خمسة آلاف ألف وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار، ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستين ألف دينار، وأما أخماس الغنائم العظيمة (٣) فلا يحصيها الديوان.

وقد سبق هذا كله، وإنما كررته لقول بعضهم إثر حكايته له، ما صورته: وقيل: إن مبلغ تحصيل النفقة في بناء الزهراء مائة مدي من الدراهم القاسمية بكيل قرطبة، وقيل: إن مبلغ النفقة فيها بالكيل المذكور ثمانون مديا وسبعة أقفزة من الدراهم المذكورة. واتصل بنيان الزهراء أيام الناصر خمسا وعشرين سنة شطر خلافته،

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٥٧/١

ثم اتصل بعد وفاته خلافة ابنه الحكم كلها، وكانت خمسة عشر عاما وأشهرا، فسبحان الباقي بعد فناء الخلق، لا إله إلا هو، انتهى.

---

(١) هذه ثلاثة عشر تمثالا وقد ذكر أنها اثنا عشر، وفي أزهار الرياض عد منها أحد عشر ثم قال: والثاني عشر لم يحضرني اسمه الآن؛ وذلك أنه لم يذكر الحدأة والنسرز

(٢) قال: سقطت من ك ج ط.

(٣) في ق أخماس العظيمة؛ ط: أخماس الغنائم؛ ك: أخماس الغنيمة.." (١)

"يدعونه بأجل ما ... يدعى به الحر الصراح

حتى إذا ما بان كد ... ر عيشهم منه انتزاح

فعلى مثالهم يبا ... ح لي المدامع والنواح

كرها فقدتهم فما ... لي بعد بعدهم ارتياح

لله شوقي إن هفت ... من نحو أرضهم الرياح

فهناك قلبي طائر ... لهم ومن شوقي جناح قال: وقلت بمدينة ابن السليم (١) في وصف كلب صيد أسود في عنقه بياض:

وأدهم دون حلي ظل حالي ... كأن ليلا يقلده صباح

يطير وما له ريش ولكن ... متى يهفو فأربعه جناح

تكل الطير مهما نازعته ... وتحسده إذا مرق الرياح

له الألحاظ مهما جاء سلك ... ومهما سار فهي له وشاح قال: وقلت بنيل مصر:

يا نيل مصر أين حمص ونهرها ... حيث المناظر أنجم تلتاح

في كل شط للنواظر مسرح ... تدعو إليه منازح وبطاح

وإذا سبحت فلست أسبح خائفا ... ما فيه تيار ولا **تمساح** قال: وقلت وقد حضرت مع إخوان لي بموضع يعرف بالسلطانية على نهر إشبيلية وقد مالت الشمس للغروب:

رق الأصيل فواصل الأقداحا ... واشرب إلى وقت الصباح صباحا

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١/٥٦٩

(١) مدينة ابن السليم: اسم لمدينة شذونة، وكان بنو السليم قد استوطنوها بعد خراب قلشانة فسميت باسمهم (الروض المعطار: ١٦٢).." [١]

"قاعدة الديار المصرية، لمعاينة الهرمين وما فيهما من المعالم الأزلية، وعاينت القاهرة المعزية، وما فيها من الهمم الملوكية، غير أني أنكرت مبانيها الواهية، على ما حوت من أولي الهمم العالية، وكونها حاضرة العسكر الجرار، وكرسي الملك العظيم المقدار، وقلت: أصداف فيها جواهر، وشوك محدق بأزاهر، ثم ركبت النيل وعاينت **تماسيحه**، وجزت بحر جدة وذقت تباريحه، وقضيت الحج والزيارة، وملت إلى حاضرة الشام دمشق والنفس بالسوء أمارة، فهنالك بعت الزيارة بالأوزار، وآلت تلك التجارة إلى ما حكمت به الأقدار، إذ هي كما قال أحد من عاينها (١) :

أما دمشق فجنات معجلة ... للطالبين بها الولدان والحور فلله ما تضمن داخلها من الحور والولدان، وما زين به خارجها من الأنهار والجنان، وبالجملة فإنها حمى تتقاصر عن إدراكها أعناق الفصاحة، وتقصر عن مناولتها في ميدان الأوصاف كل راحة، ولم أزل أسمع عن حلب، أنها دار الكرم والأدب، فأدرت أن يحظى بصري بما حظي به سمعي، ورحلت إليها وأقمت جابرا بالمذاكرة والمطايبة صدعي، ثم رحلت إلى الموصل فألفيت مدينة عليها رونق الأندلس، وفيها لطافة وفي مباينها طلاوة ترتاح لها الأنفس، ثم دخلت إلى مقر الخلافة بغداد، فعاينت من العظم والضخامة ما لا يفي به الكتب ولو ان البحر مداد، ثم تغلغلت في بلاد العجم بلدا بلدا، غير مقتنع بغاية ولا قاصد أمدا، إلى أن حللت ببخارى قبة الإسلام، ومجمع الأنام، فألقيت بها عصا التسيار، وعكفت على طلب العلم واصلا في اجتهاده سواد الليل وبياض النهار، انتهى.

وكتب إليهم أيضا من هذه الرسالة: كتبت وقد حصلتني السعادة، وحظ

---

(١) الشعر للعرقلة الدمشقي، أبي الندى حسان بن نمير أحد شعراء الخريدة (قسم الشام ١: ١٧٨ وفي الحاشية ثبت بتخريج ترجمته) والبيت في الخريدة: ٢٠٤ ورحلة ابن بطوطة: ٨٥.." [٢]

"إشبيليا عروسا ... وبعلها عباد

وتاجها الشرف ... وسلكها الواد أي شرف قد حاز ما شاء من الشرف إذ عم أقطار الأرض خيره، وسفر ما يعصر من زيتونه من الزيت حتى بلغ الإسكندرية، وتزيد قراه على غيرها من القرى بانتخاب مبانيها،

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٣٠٦/٢

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٣٧٢/٢

وتهمم سكانها فيها داخلا وخارجا، إذ هي من تبييضهم لها نجوم في سماء الزيتون.

وقيل لأحد من رأى مصر والشام: أيها رأيت أحسن هذان أم إشبيلية فقال بعد تفضيل إشبيلية: وشرفها غابة بلا أسد، ونهرها نيل بلا **تمساح**. وقد سمعت عن جبال الرحمة بخارجها، وكثرة ما فيها من التين القوطي والشعري، وهذان الصنفان أجمع المتجولون في أقطار الأرض أن ليس في غير إشبيلية مثل لهما، وقد سمعت ما في هذا البلد من أصناف أدوات الطرب كالخيال والكريج والعود والروطة والرباب والقانون والمؤنس (١) والكثيرة (٢) والفنار (٣) والزلامي والشقرة (٤) والنورة وهما مزماران الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه – والبوق (٥) ، وإن كان جميع هذا موجودا في غيرها من بلاد الأندلس فإنه فيها أكثر وأوجد، وليس في بر العدوة من هذا شيء إلا ما جلب إليه (٦) من الأندلس وحسبهم الدف وأقوال واليرا وأبو قرون ودبدبة السودان وحماقي البرابر، وأما جواريها ومراكبها برا وبحرا ومطابخها وفواكهها الخضراء واليابسة فأصناف

---

(١) م: والدنس.

(٢) دوزي: الكنيرة.

(٣) دوزي: الغنار.

(٤) ب: والسفرة.

(٥) وقد أثبت دوزي أسماء هذه الآلات الموسيقية في ملحق المعاجم ولكنه لم يحدد مدلولاتها في الأكثر، ومن الصعب ضبط بعض أسمائها.

(٦) م: إليها.." (١)

"الهوى، وبأي شيء نعتاض منك أيتها الرياض، بعد أن طمى نهرك (١) الفياض، وفهقت الحياض ولا كان الشانئ المشنوء، والجرب المهنوء، من قطع ليل أغار على الصبح فاحتمل، وشارك في الذم الناقة والجمل، واستأثر جنحه ببدر النادي لما كمل، نشر الشراع فراع، وأعمل (٢) الإسراع، كأنما **هوتمساح** النيل ضايق الأحباب في البرهة، واختطف لهم من الشط نزهة العين وعين النزهة، ولجج بها والعيون تنظر، والغمر عن الأتباع يحظر، فلم يقدر إلا على الأسف، والتماح الأثر المنشف، والرجوع بملء العيبة من الخيبة، ووقر الجسرة (٣) من الحسرة، وإنما نشكوإلى الله البث والحزن، ونستمطر من عبارتنا المزن،

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٢١٣/٣

وبسيف الرجاء نصول، إذا شرعت للياس النصول:

ما أقدر الله أن يدني على شحط ... من داره الحزن ممن داره صول (٤) فإن كان كلم الفراق رغيبا (٥) ، لما نويت مغيبا، وجللت الوقت الهنئ تشغيبا، فلعل الملتقى يكون قريبا، وحديثه يروى صحيحا غريبا.

إيه ثقة (٦) النفس كيف حال تلك الشمائل، المزهرة الخمائل والشيم، الهامية الديم، هل يمر ببالها من راعت بالبعد باله، وأخمدت بعاص البين ذباله، أوترثي لشؤون شأنها سكب لا يفتر، وشوق يبت حبال الصبر ويبتر، وضنى تقصر عن حلله الفاقعة صنعاء وتستر، والأمر أعظم والله يستر، وما الذي يضيرك صين من لفح السموم نضيرك، بعد أ، أضرمت وأشعلت،

---

(١) نهرك: سقطت من ق.

(٢) التعريف: وواصل.

(٣) الجسرة: الناقة؛ والوقر: الحمل.

(٤) البيت لحندج بن حندج المري، (حماسة المرزوقي: ١٨٣١).

(٥) الجرح الرغيب: الواسع.

(٦) التعريف: إيه سيدي.." (١)

"وقال الشتاء: أنا شيخ الجماعة، ورب البضاعة، والمقابل بالسمع والطاعة. أجمع شمل الأصحاب وأسدل عليهم الحجاب، وأتحفهم بالطعام والشراب. ومن ليس له بي طاقة أغلق من دونه الباب. أميل إلى المطيع، القادر المستطيع، المعتضد بالبرود والفرا المستمسك من الدثار بأوثق العرا، المرتقب قدومي وموافاتي، المتأهب للسبعة المشهورة من كافاتي. ومن يعش عن ذكري ولم يمتثل أمري، أرجفته بصوت الرعد، وأنجزت له من سيف البرق صادق الوعد، وسرت إليه بعساكر السحاب، ولم أقنع من الغنيمة بالإياب. معروفي معروف، ونيل نيلي موصوف، وثمار إحساني دانية القطوف. كم لي من وابل طويل المدى وجود وافر الجدا، وقطر حلا مذاقه، وغيث قيد العفاة إطلاقه، وديمة تطرب السمع بصوتها، وحيا يحيي الأرض بعد موتها، أيامي وجيزة، وأوقاتي عزيزة، ومجالسي معمورة بذوي السيادة، مغمورة بالخير والمير والسعادة. نقلها يأتي من أنواعه بالعجب، ومناقلها تسمح بذهب اللهب، وراحتها تنعش الأرواح، وسقاتها بجفونهم السقيمة تفتن العقول الصحاح. إن ردتها وجدت مالاً ممدودا، وإن زرتها شاهدت لها بنين شهودا:

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٣٩٣/٦

وإذا رميت بفضل كاسك في الهوى ... عادت عليك من الدقيق عقودا
يا صاحب العودين لا تهملهما ... حرك لنا عوداً وحرق عودا
فلما نظم كل منهم سلك مقاله، وفرغ من الكلام على شرح حاله، أخذ الجماعة من الطرف ما يأخذ السكر، وتجاذبوا أطرف مطارف الثناء والشكر، وظهرت أسرار السرور، وأنشرت صدور الصدور، وهبت قبول الإقبال، وأنشد لسان الحال:
وماذا يعيب المرء في مدح نفسه ... إذا لم يكن في قوله بكذوب؟
ثم انفض المجلس وحل النطاق، وتفرق شمل أهله وآخر الصحبة الفراق.
الفصل السادس
في البحر والنهر
هزتني رياح الأمل البسيط، إلى امتطاء ثبج البحر المحيط. فأتيت سفينة يطيب للسفر مثواها،وركبت فيها " بسم الله مجراها ومرساها " ، موقناً بأن المقدور صائر، معرضاً عن قول الشاعر:
لا أركب البحر أخشى ... علي منه المعاطب
طين أنا وهو ماء ... والطين في الماء ذائب
يالها سفينة، على الأموال أمينة، ذات دسر وألواح، تجري مع الرياح، وتطير بغير جناح، وتعتاض عن الحادي بالملاح. تخوض وتلعب، وترد ولا تشرب. لها قلاع كالقلاع وشراع يحجب الشعاع، وسكينة وسكان ومكانة وإمكان، وجؤجؤ وفقار، وأضلاع محكمة بالقار وجسم عار من الفؤاد، وهو في عين الماء بمنزلة السواد، بعيدة ما بين السحر والنحر، من أحسن الجواري المنشآت في البحر. معقود بنواصيها الخير كالخيل لا تمل من سير النهار ولا من سرى الليل:
ما رأى الناس من قصور على الما ... ء سواها تسير سير القداح
كأنها وعل ينحط من شاهق، أو عرباض سابق يحثه سائق، أو عقرب شائلة، أو عقاب صائلة. أوغراب أعصم، أو تمساح أو أرقم، أو ظليم ثفر في الظلام، أو جواد فر مستنكفاً من صحبة الأنام. حاكمها عادل في حكمه، عارف بنقض أمرها وبرمه، يهتدي بالنجوم، ويبتدىء باسم الحي القيوم، يبرز من نواتيها في جنود،يشمل إحسانهم أهلها أيقاظاً وهم رقود. يتأنفون فيما يعمرون، ويفعلون ما يؤمرون:
يكثرون الصياح حتى كأن الس ... فن تجري من خوف ذاك الصياح
فبينما نحن من البحر في قاموسه،كتب الجو حروف الغيم في طروسه، وثارت ريح عاصف، يتبعها رعد

قاصف. فمالت بنا الفلك واضطربت، ودنت شفتها من رشف الماء واقتربت، واستمرت ترفع وتخفض، وتقرب وترفض،وتعلو على الأوتاد، وتهيم في كل واد، وتحوم وتحول، وتجود وتجول، وتضرم في الكبود نار ناجر، إلى أن بلغت القلوب الحناجر:

ألا فارجه واخشه إنه ... هو البحر فيه الغنى والغرق

ثم نظر إلينا من لا تخفى عليه السرائر، وأمر الجارية بحمل العبيد إلى بعض الجزائر، فلم ندر إلا ونحن تجاه جزيرة، تسر النفوس بمحاسنها الغزيرة، فانحدرت ماضياً إلى بينها، نائياً عن السفينة وساكنيها، فوجدتها مخضرة الأفنان، مخضلة الكثبان، بها من الياقوت ما يرجع خاسئاً مناويه، ومن الأشجار ما يحمل الفواكه والأفاويه. وبين رياضها نهر شديد الخصر، أرضه ذهب وحصباؤه درر،وأمواجه عكن و داراته سرر:

عذب إذا ما عب منه ناهل ... فكأنه من ريق خود ينهل." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٥٥ """""""

ولآمرن مناديا ينادي أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم . . . حكاية : قال بعض الصالحين رأيت في المنام رجلا يطلب غزالة وخلفه أسد فقتله قبل لمن يلحق الغزالة وهكذا إلى تمام المائة وكلما قتل الأسد واحدا وقفت الغزالة عند رأسه فتعجب من ذلك فقال الأسد لا تعجب أنا ملك الموت والغزالة هي الدنيا وهؤلاء طلابها أقتلهم واحدا بعد واحد فإن قيل كيف أمطر الله على أيوب جرادا من ذهب قيل جعله الله عوضا من الدود فالجراد نعمة للطائع وعقوبة للعاصي لأنه مخلوق من الذنوب وذلك أن المريض تلقى ذنوبه في البحر فيخلق الله منها **التمساح** فإذا مات صار دودا ثم جرادا بإذن الله تعالى . . . موعظة : ذكر العلائي في سورة النحل أن إبليس يعرض الدنيا على من يريدها كل يوم فيقول من يشتري شيئا يضره ولا ينفعه ويهمه ولا يسره فيقول عشاقها وأصحابها نحن فيقول إنها معيوبة فيقولون لا بأس فيقول ثمنها ليس بالدرهم ولا بالدينار ولكن بنصيبكم من الجنة فإن اشتريتها بأربعة أشياء بلعنة الله وغضبه وسخطه وعذابة وبعت الجنة بها فيقولون نعم فيبيعهم إياها على ذلك ثم يقول بئست التجارة ورأيت في سفينة الأبرار أن الله تعالى خلق الدارين ونصب لهما دلالين فدلال الجنة محمد (صلى الله عليه وسلم) وبائعها المولى وثمنها التوحيد وبذل المال والنفس ودلال الدنيا إبليس ومشتريها الراغبون وثمنها ترك الدنيا وقال بعض الحكماء الدنيا ميراث المغرورين ومسكن البطالين وسوق الراغبين وميدان الفاسقين ومراح الكافرين وسجن المؤمنين ومزبلة المتين زاد مؤلفه ومزرعة للعالمين . . . لطيفة : لما مر سليمان بوادي

---

(١) نسيم الصبا، ص/٦

النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون وإنما قالت ذلك خوفا على قلوبهم أن تميل إلى الدنيا فلما سلم عليها سليمان قالت وعليك السلام أيها الفاني المشتغل بملكك فأنت تظن يا سليمان أن ذلك أمرا ونهيا فأنا نملة ضعيفة لي أربعون ألف مقدم تحت يد كل مقدم أربعون صنفا من النمل كل صنف من المشرق والمغرب فقال كيف تلبسون السواد قالت لأن الدنيا دار مصيبة ولباس أهل المصائب السواد قال فما هذا الحز الذي في وسطك قالت هذه منطقة الخدمة للعبودية قال فما بالكم تبعدون عن الخلق قالت لأنهم في غفلة فالبعد عنهم أولى قال فما بالكم عراة قالت هكذا ولدنا إلى الدنيا وهكذا نخرج منها قال فكم تأكلين قالت حبة أو حبتين قال ولم قالت لأنا على سفر والمسافر كلما خف حمله خف ظهره قال اطلبي مني حاجة قالت أنت عاجز والطلب منك غير جائز قال لابد من الطلب قالت زد في رزقي وفي عمري قال اطلبي شيئا يكون في يدي قالت إن الله يقضي حوائج المحتاجين قال ما اسمك قالت منذرة أنذر أصحابي من الدنيا الساحرة وأرغبهم في الآخرة وفي رواية اسمها طاحية وفي رواية أخرى حرمن ثم قالت يا سليمان ما أفخر ما أوتيت في ملكك قال الخاتم لأنه من الجنة قالت تعلم معناه يعني الذي أعطيناك من الدنيا في يدك بقدر فص الخاتم ثم قالت على غير هذا قال نعم بساط من الجنة على ظهر الريح قالت هذا تنبيه على أن جميع ما معك كمثل الريح اليوم وغدا." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٧٩ """""""""

حنيفة واضرب لك مثال ذلك كرجل مر بثوبه النظيف على نجاسة ولم يعلم هل أصابته أم لا فثوبه باق على طهارته فما زاده إلا تطهيرا . . . حكاية : غرس نوح عليه السلام دالية فيبست فشق ذلك عليه فقال إبليس أنا أحييها لك فذبح عليها أسدا ودبا ونمرا وابن آوى وكلبا وثعلبا وديكا فاخضرت فلذلك يصير شارب الخمر أولا شجاعا كالأسد وقويا كالدب وغضبانا كالنمر ومحدثا كابن آوى ومقاتلا كالكلب ومتملقا كالثعلب ومصوتا كالديك فحرمت الخمر على نوح واسمه عبد الجبار وسمى نوحا لكثرة نوحه على ذنوب أمته . . . حكاية : قال ذو النون المصري كنت مسافرا فرأيت ماء متغيرا يخرج من كهف فدخلت إليه فوجدت إبليس يبكي فقلت ما هذا البكاء فقال وهل يحق البكاء إلا لي كنت من المقربين عند الله والآن صرت من المطرودين فقلت له كيف خالفت أمره فقال لم يكن أمري عناية ثم قرأ هذه الآية وبما لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون . . . حكاية : رأى يحيى بن زكريا عليهما السلام إبليس في بعض الأودية باكيا فسأله فقال كيف حال من عبد ربه زمنا طويلا ذهبت عبادته مجانا فقال ارجع عن إضلالك للخلق فقال يا

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ٢/٢٥٥

يحيى إن كنت أضللتهم فمن أضلني قال ارجع إلى ربك قال فكن لي شفيعا عنده فبكى يحيى في محرابه وقال يا إلهي قد علمت حديث المطرود وقد وقف على باب الصلح فهل له إليه طريق فنزل جبريل وقال إن الله يقرئك السلام ويقول لك اشتغل بنفسك وإلا فعلت بك ما فعلت به ورآه أيضا في بعض الأيام يبكي فسأله عن ذلك فقال على عمل مائة ألف عام وقفت فيها على الباب فخرج ذلك الجواب ليس لك طريق قد خطأت التوقير فقال يحيى يا رب هلا صالحته فجاءه جبريل وقال أنه يبكي نفاقا لا رقاقا قل له يسجد لقبر آدم فأخبره بذلك فضحك وقال له أنا ما سجدت له حيا فكيف أسجد له ميتا . . . لطيفة : بكى آدم في البر والبحر فدمعه في البر صار قرنفلا في البحر بلخش لأنه هبط من باب التوبة وحواء بكت في البر والبحر فدمعها في البر صار منه الحناء في البحر صار لؤلؤا وإبليس بكى في البر وفي البحر فدمعه في البر صار شوكا في البحر صار **تمساحا** والحية بكت في البر والبحر فدمعها في البر صار عقربا في البحر صار سرطانا والطاووس بكى في البر والبحر فدمعه في البر صار بقا في البحر صار علقا قال الراوي : عن النبي (صلى الله عليه وسلم) لو جمع بكاء أهل الدنيا وبكاء داود لكان بكاء داود أكثر ولو جمع بكاء أهل الدنيا وبكاء داود لبكاء نوح لكان بكاء نوح أكثر ولو جمع بكاء أهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح إلى بكاء آدم لكان بكاء آدم أكثر أي على خطيئته . . . فائدة : لما خلق الله الخلق من ظهر آدم كالدر وقال لهم ألست بربكم قالوا بلى أولهم محمد (صلى الله عليه وسلم) قال القرطبي هذا دليل على من قال أن جميع الأطفال في الجنة قال الكلبي مسح الله ظهر آدم بين مكة والطائف وقال السدي في سماء الدنيا حين هبط آدم من الجنة قال ابن جريح خرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء وكل نفس مخلوقة للنار سوداء في الحديث أن الله خلق آدم ومسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته فقال." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٧٩ """"""""

كافيا محتاطا ، ومن ورائها ذابا ناصرا ، يعنيه من صلاحها ما لا يعنيه من صلاح نفسه دونها . مثل الملك الصالح إذا كان وزيره فاسدا مثل الماء الصافي العذب الذي فيه **التماسيح** ؛ لا يستطيع الإنسان وإن كان سابحا ، وإلى الماء ظامئا ، دخوله حذرا على نفسه . لا ينبغي للوالي أن يسرع إلى حبس من يكتفي له بالجفاء والوعيد . ينبغي للوالي أن يكون عالما بأمور عماله فإن المسيء يخاف خبرته قبل أن تنزل به عقوبته ، والمحسن يستبشر بعمله قبل أن يأتيه معروفه . ينبغي للوالي أن تعرفه رعيته بالأناة ، وألا يعجل بالعقاب ولا بالثواب ؛ فإن ذلك أدوم لخوف الخائف ، ورجاء الراجي . ينبغي للوالي أن تعلم رعيته أنه لا

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ٢/٢٧٩

يصاب خيره إلا بالمعونة له على الخير ، فإن الناس إذا علموا ذلك تصنعوا ، والمتصنع لا يلبث أن يلحق بأهل الفضل . من طلب ما عند السلطان والنساء بالشدة بعد عنه ما يطلب ، وفاته ما يلتمس . ودخل محمد بن كعب القرظي على عمر بن عبد العزيز حين استخلف فقال له : إني مستعين بك على عملي . قال : لا . ولكني سأرشدك : أسرع الاستماع ، وأبطئ في التصديق ، حتى يأتيك واضح البرهان ، ولا تعملن سجنك فيما يكتفى به بلسانك ، ولا تعملن سوطك فيما يكتفى فيه بسجنك ولا تعملن سيفك فيما يكتفى فيه بسوطك . كان بعضهم يوصي عماله فيقول : سوسوا الناس بالمعدلة ، واحملوهم على النصفة ، واحذروا أن تلبسوا جلودهم ، أو تطعموا لحومهم ، أو تسقونا دماءهم . بالولاية يعرف الرجل الحازم . إذا أردت أن يقبل الوالي مشورتك فلا تشبه بشيء من الهوى ؛ فإن الرأي يقبل ، والهوى يرد .." (١)

""""""""" صفحة رقم ١١٩ """""""""

أخشن من الشهيم . أجزم من حرباء . أظلم من **تمساح** . أعلق من قراد . أغزل من عنكبوت . أغزل من سرفة . أفسد من أرضة . أفسى من ظربان . أقطف من حلمة . ألزق من برام . ألزق من قرنبي . أنتن من ظربان . أشرد من ورل الحضيض . أسرع من تلمظة الورل . أشرد من ورل الحضيض . أضل من ورل . أسمع من دلدل . أعذر من أم أدراص . أكثر من الدباء . أسوأ من جرادة . أخطأ من ذبابة .." (٢)

"فقد تمرست بمن شعره ... كالبحر لا ينزفه الماتح

كم جامح قبلك ألجمته ... بالذل حتى سكن الجامح

وقوله:

يا ذا الذي عن رشده قد عمي ... لو كنت جلدا حدت عن أسهمي

لو كنت شهما حازما ضابطا ... لما تقلبت على الشيهم

ما أنت في فعلك إلا كمن ... تطعم الريق من الأرقم

كيف يخوض البحر من مثله ... يغرق في دائرة الدرهم

فاثبت أو أجزع كل ذا واحد ... لا عاصم اليوم لمستعصم

استقدر الله على كا ما ... ألصق منك الأنف بالمرغم

تجاسر الجوع على صالح ... تجاسر الكلب على الضيغم

---

(١) نثر الدر ـ موافق للمطبوع، ٤/١٧٩

(٢) نثر الدر ـ موافق للمطبوع، ٦/١١٩

وفاه باسمي مفصحا بعدما ... تركته أسكت من أبكم

وقال قوم قد غدا شاعرا ... والشعر لا يعرف للمفحم

فقلت لا لوم على مثله ... من أخذ الصفع قفاه حمي

أنا الذي ألبسته حسرة ... بما جرى من ذكره في فمي

والله لا يجهل من بعدها ... وفي قفاه للردى ميسمي

أبين به من ميسم واضح ... يضيء كالغرة في الأدهم

فليت شعري كيف رام العلا ... وهم أن يرقى بلا سلم؟!

ومنها:

ثم أتت بالصعو مستبشرا ... يروم أن يلحق بالقشعم

في الثمر المر دليل على ... رداءة الأصل لمستطعم

وله فيه:

لا تعجبي لسكوتي بعد أشجاني ... فالعذر عن كل ما أهواه أسلاني

قد أرقأ الله دمعي بعد جريته ... وأنفذ القلب من هم وأحزان

فما أرى أحدا يصفي الهوى أحدا ... وجود هذا رعاك الله أعياني

لم يبق بين الورى إلا مكاشرة ... تبدو لنا عن صدور ذات أضغان

أقول لابن أبي الجوع المنافق إذ ... لم ينهه الحلم عني وهو ينهاني

أراك تقرعني سرا وتعجمني ... فهل وجدت صفاتي غير صوان

ترد في جبهة النقار معوله ... إذا تضعضع عنها كل كدان

العز داري وظهر العزم راحلتي ... والوحش أنسي وجن الأرض إخواني

وله في العناق، وأحسن ما شاء:

لي سيد ما مثله سيد ... تصدت الحمى له فاشتكى

عانقته عند موافاتها ... والأفق بالليل قد احلولكا

فجاءت الحمى كعاداتها ... فلم تجد ما بيننا مسلكا

وقوله يصف برادة على حامل نحاس:

أم الحياة على سرير نحاس ... عريانة أبدا بغير لباس

هي في الموات لدى الورى معدودة ... لكنها ضمنت حياة الناس

وقوله:

بعين الله أنت فإن عيني ... إذا ما غبت دامية الجفون

كأنك مهجتي فإذا تدانى ... فراقك حم لي ريب المنون

وقال يصف البنفسج والورد:

بنفسج جاء في حداد ... ووردنا في معصفرات

فاشرب على مأتم وعرس ... جلا جميعا عن الصفات

وسأله ابن رشدين المسير معه إلى القاش فقال مرتجلا:

يا آمري بالمسير في لجج ال ... نيل كأن سخرت لي الريح

ما جمد الماء لي فأركبه ... كلا، ولا صامت **التماسيح**

محمد بن الحسن اليمني

أنشدت له في صالح:

يا قاطعي بعد وصل ... تسوم ما لا أسومك

يا ليت أني يوما ... من الزمان نديمك

فالشوق عندي غريم ... كما السلو غريمك

وقوله:

فاضح الغن النضير ... كاسف البدر المنير

أنت عذري في حياتي ... ومماتي ونشوري

ما سرور غاب عنه ... صالح لي بسرور

محمد بن هرون بن الأكتمي

أنشدت له في بعض الوزراء يهجوه:

يا وزيرا إلى المكا ... ييل والبيع ينسب

من يرم حبك يتعب ... وأمانيه تكذب

وإذا ما رجوته ... قلت ما مات أشعب

يا وضيعا ترجل ال ... مجد مذ صار يركب." (١)

" فيقولون في صابر سابر وكما يبدل بعضهم الطاء المهملة بتاء مثناة فوق فيقولون في طال تال وتسمع من عرب أهل الشرق كثيرا وكما يبدل قول التاء المثناة فوق بضاد معجمة فيقولون في أتر أضر

ومنها أن يعاقب بين حرفين في الكلمة كما يقول بعضهم في بلخ فلخ وفي أصبهان أصفهان

ومنها أن يأتي بحرف بين حرفين فيأتون بكاف كجيم فيقولون في كمل جمل قال ابن دريد وهي لغة في اليمن كثيرة في أهل بغداد ويأتون بجيم ككاف على العكس من الأول فيقولون في رجل ركل يقربونها من الكاف ويأتون بشين معجمة كجيم فيقولون في اجتمعوا اشتمعوا ويأتون بصاد مهملة كزاي فيقولون في صراط زراط ويأتون بجيم كزاي فيقولون في جابر زابر ويأتون بقاف بين القاف والكاف المعقودة قاله ابن سعيد عن سماعه من العرب ولا يكاد يوجد منهم من ينطق بها على أصلها الموصوف في كتب النحويين وقد ذكر الشيخ أثير الدين أبو حيان ذلك جميعه في شرحه على تسهيل ابن مالك

الصنف الرابع ما تلحن فيه العامة وتغيره عن موضعه بأن يكون مفتوح الأول والعامة تكسره كقولهم في جفن العين بفتح الجيم جفن بكسرها أو مفتوح الأول والعامة تضمه كقولهم في القبول الذي هو خلاف الرد قبول بضمها أو مكسور الأول والعامة تفتحه كقولهم في درهم بكسر الدال درهم بفتحها أو مكسور الأول والعامة تضمه كقولهم في **التمساح** بكسر التاء ." (٢)

" **تمساح** بضمها أو مضموم الأول والعامة تفتحه كقولهم في العصفور بضم العين عصفور بفتحها أو مضموم الأول والعامة تكسره كقولهم في الظفر بضم الظاء ظفر بكسرها أو مفتوح الوسط كقولهم في القالب بفتح اللام قالب بكسرها أو مكسور الوسط والعامة تفتحه كقولهم في الرجل الموسوس والبر المسوس والجبن المدود بكسر الواو في الثلاثة موسوس ومسوس ومدود بفتحها أو مضموم الوسط والعامة تفتحه كقولهم في الجدد جمع جديد جدد بفتحها أو محرك الوسط والعامة تسكنه كقولهم في التحفة بفتح الحاء تحفة بإسكانها أو ساكن الوسط والعامة تحركه كقولهم في الحلقة بإسكان اللام حلقة بفتحها أو مشددا والعامة تخففه كقولهم في العارية بتشديد الياء عارية بتخفيفها أو مخففا والعامة تشدده كقولهم في الكراهية بتخفيف الياء كراهية بتشديدها أو مهموزا والعامة تحذف الهمز من أوله كقولهم في الإهليلج بإثبات همزة

---

(١) يتيمة الدهر، ١/١٣٥

(٢) صبح الأعشى، ١/١٩٧

في أوله هليلج بحذفها أو مهموز الوسط والعامة تسهله كقولهم في المراءة بإثبات الهمزة مراة بحذفها أو غير مهموز الأول والعامة تثبت الهمزة في أوله كقولهم في الكرة أكرة أو كان بالظاء المعجمة فجعلته بالضاد المعجمة كالوظيفة ونحوها أو بالضاد فجعلته بالظاء كقول بعضهم في البيضة بيظة أو بالذال المعجمة فجعلته بالدال المهملة كالذراع أو كان بالجيم فجعلته بالقاف كقولهم في مجاديف السفينة مقاديف أو بالدال المهملة فجعلته بالتاء المثناة فوق كقولهم في دخاريص القميص تخاريص ونحو ذلك مما شاع وذاع وفي أدب الكاتب لابن قتيبة نبذة من لحن أهل المشرق وكتاب تثقيف اللسان لابن مكي التونسي موضوع في لحن أهل الغرب وفصيح ثعلب مشتمل على كثير من هذا المقصد

الصنف الخامس الألفاظ الكتابية وهي ألفاظ انتخبها الكتاب وانتقوها من اللغة استحسانا لها وتمييزا لها في الطلاوة والرشاقة على غيرها قال ." (١)

" إلى مبدئه من البحر المحيط الشرقي

على أنه في تقويم البلدان لم يتعرض لساحل هذا البحر الجنوبي فيما هو شرقي باب المندب لعدم تحققه

واعلم أن هذا البحر يسمى في كل مكان باسم ما يسامته من البلدان أو باسم بعض البلدان التي عليه فيسمى فيما يقابل بلاد الصين بحر الصين وفيما يقابل بلاد الهند إلى ما جاورها إلى بلاد اليمن شرقي باب المندب بحر الهند وفيما دون باب المندب إلى غايته في الشمال والغرب بحر القلزم نسبة إلى مدينة القلزم المتقدمة الذكر في ساحل الديار المصرية

قال في تقويم البلدان وطول هذا البحر من طرف بلاد الصين الشرقي إلى القلزم ألفان وسبعمائة وثمانية وأربعون فرسخا بالتقريب ومقتضى كلام ابن الأثير في عجائب المخلوقات أن طوله أربعة آلاف وتسعمائة وستة وستون فرسخا وثلثان فإنه قد ذكر أن طول بحر الصين والهند إلى باب المندب أربعة آلاف وخمسمائة فرسخ ثم ذكر أن طول بحر القلزم ألف وأربع مائة ميل وهي أربعمائة وستة وستون فرسخا وثلثان وبين الكلامين بون

وكلام صاحب تقويم البلدان أقرب إلى الصواب فإنه استخرجه من تضريب الدرج واستخراج أميالها وفراسخها

---

(١) صبح الأعشى، ١/١٩٨

وبآخر بحر القلزم من الذراع الآخذ إلى جهة السويس على ميل من مدينة القلزم موضع يعرف بذنب **التمساح** يتقارب بحر القلزم وبحر الروم فيما بينه وبين الفرما حتى يكون بينهما نحو سبعين ميلا فيما ذكره ابن سعيد

قال في الروض المعطار وكان بعض الملوك قد حفره ليوصل ما بين ." (١)

" القلزم وبحر الروم فلم يتأت له ذلك لارتفاع القلزم وانخفاض بحر الروم والله تعالى قد جعل بينهما حاجزا كما ذكر تعالى في كتابه

قال ولما لم يتأت له ذلك احتفر خليجا آخر مما يلي بلاد تنيس ودمياط وجرى الماء فيه من بحر الروم إلى موضع يعرف بقيعان

فكانت المراكب تدخل من بحر الروم إلى هذه القرية وتدخل من بحر القلزم إلى ذنب **التمساح** فيقرب ما في كل بحر إلى الآخر ثم ارتدم ذلك على طول الدهر

وقد ذكر ابن سعيد أن عمرو بن العاص كان قد أراد أن يخرق بينهما من عند ذنب **التمساح** المتقدم ذكره فنهاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال إذن يتخطف الروم الحجاج

وذكر صاحب الروض المعطار أن الرشيد هم أن يوصل ما بين هذين البحرين من أصل مصب النيل من بحر بلاد الحبشة وأقاصي صعيد مصر فلم يتأت له قسمة ماء النيل فرام ذلك مما يلي بلاد الفرما فقال له يحيى بن خالد إن تم هذا تتخطف الناس من المسجد الحرام ومكة واحتج عليه بمنع عمر بن الخطاب عمرو بن العاص من ذلك فأمسك عنه

ويتفرع من البحر الهندي بحران عظيمان مشهوران وهما بحر فارس والخليج البربري

فأما بحر فارس فهو بحر ينبعث من بحر الهند المتقدم ذكره من شماليه ويمتد شمالا بميلة إلى الغرب غربي مفازة السند الفاصلة بينه وبين بحر الهند ." (٢)

" ومن غرائب أمره أن به **التماسيح** التي لا تحصى كثرة ولم يشتهر في زمن من الأزمان أنها آذت أحدا قط

الخليج الثاني خليج القاهرة الذي يكسر سده يوم وفاء النيل

حفره عمرو بن العاص وهو أمير مصر في خلافة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه

---

(١) صبح الأعشى، ٢٥٣/٣

(٢) صبح الأعشى، ٢٥٤/٣

قال القضاعي أمر بحفره عام الرمادة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وساقه إلى بحر القلزم فلم يتم عليه الحول حتى جرت فيه السفن وحمل فيها الزاد والأطعمة إلى مكة والمدينة ونفع الله بذلك أهل الحجاز

وذكر الكندي في كتاب الجند العربي أن حفره كان سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وفرغ منه في ستة أشهر وجرت فيه السفن ووصلت إلى الحجاز في الشهر السابع

قال الكندي ولم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه عمر بن العزيز ثم أضاعته الولاة فترك وغلب عليه الرمل وصار منتهاه إلى ذنب **التمساح** من ناحية الطور والقلزم ." (١)

" سربا تحت النيل إليها وهو أول من عمل ذلك وأقام في الملك مائة واربعا وثلاثين سنة ويقال إن نوحا عليه السلام ولد في زمانه ثم ملك بعده ابنه بدرسان ثم ملك بعده أخوه شمرود وكان طوله فيما يقال عشرين ذراعا ثم ملك بعده فرسيدون بن بدرسان المتقدم ذكره مائة وستين سنة ثم ملك بعده ابنه شرناق مائة وثلاث سنين ثم ملك بعده ابنه سهلوق مائة وتسع سنين ثم ملك بعده ابنه سوريدين وهو الذي بنى الأهرام العظام بمصر على ما تقدم ذكره في الكلام على عجائب مصر وخواصها ثم ملك بعده ابنه هرجيب نيفا وسبعين سنة وهو الذي بنى الهرم الأول من أهرام دهشور ثم ملك بعده ابنه مناوش ثلاثا وسبعين سنة ثم ملك بعده ابنه أقروس أربعا وستين سنة وفي أيامه حصل القحط العظيم وسلطت الوحوش **والتماسيح** على الناس وأعقمت الأرحام حتى يقال إن الملك تزوج ثلاثمائة امرأة يبغي الولد فلم يولد له وذلك مقدمة الطوفان ثم ملك بعده رجل من أهل بيت الملك اسمه أرمالينوس ثم ملك بعده ابن عمه فرعان وهو أول من لقب بلقب الفراعنة وكان قد كتب إلى ملك بابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام وفي زمنه كان الطوفان وهلك فيمن هلك

المرتبة الثانية من ملكها بعد الطوفان إلى حين الفتح الإسلامي

وللمؤرخين في ذلك خلف كثير وقد جمعت بين كلام التواريخ التي وقفت عليها في ذلك وهم على طبقات ." (٢)

" الشيخ سعيد الدكالي أن في طاعة سلطانها بلاد مغارة الذهب

---

(١) صبح الأعشى، ٣٣١/٣

(٢) صبح الأعشى، ٤٦٩/٣

وهم بلاد همج وعليهم إتاوة من التبر تحمل إليه في كل سنة ولو شاء أخذهم ولكن ملوك هذه المملكة قد جربوا أنه ما فتحت مدينة من هذه المدن وفشا بها الإسلام ونطق بها داعي الأذان إلا قل بها وجود الذهب ثم يتلاشى حتى يعدم ويزداد فيما يليه من بلاد الكفار فرضوا منهم ببذل الطاعة وحمل قرر عليهم

وذكر نحو ذلك في التعريف في الكلام على غانة

الجملة الثانية في الموجود بهذه المملكة

قد ذكر في مسالك الأبصار عن الشيخ سعيد الدكالي أن بها الخيل من نوع الأكاديش التترية

قال وتجلب الخيل العراب إلى ملوكهم يتغالون في أثمانها وكذلك عندهم البغال والحمير والبقر والغنم ولكنها كلها صغيرة الجثة وتلد الواحدة من المعز عندهم السبعة والثمانية ولا مرعى لمواشيهم إنما هي جلالة على القمامات والمزابل

وبها من الوحوش الفيلة والاساد والنمورة وكلها لا تؤذي من بني ادم إلا من تعرض لها

وعندهم وحش يسمى ترمي بضم التاء المثناة والراء المهملة وتشديد الميم في قدر الذئب يتولد بين الذئب والضبع لا يكون إلا خنثى له ذكر وفرج متى وجد في الليل ادميا صغيرا أو مراهقا أكله

ولا يتعرض إلى أحد في النهار وهو ينعر كالثور وأسنانه متداخلة

وعندهم **تماسيح** عظام منها ما يكون طوله عشرة أذرع وأكثر ومرارته عندهم سم قاتل تحمل إلى خزانة ملكهم

وعندهم بقر الوحش وحمير الوحش والغزلان

وفيما يسامت سجلماسة من بلادهم جواميس متوحشة تصاد كما يصاد الوحش

وبها من الطيور الدواجن الإوز والدجاج والحمام

وبها من الحبوب الأرز والغوثي وهو دق مزغب يدرس فيخرج منه حب أبيض شبيه بالخردل في المقدار ." (١)

" الجملة الثانية في الموجود بها

قد ذكر في مسالك الأبصار أن بها من المواشي ذوات الأربع الخيل والبغال والبقر والغنم وما في معناها وأغنامهم تشبه أغنام عيذاب واليمن

---

(١) صبح الأعشى، ٥/٢٧٦

ومن الوحوش الأسد والنمر والفهد والفيل والزرافة والغزال وبقر الوحش وحمار الوحش والقردة وغيرها من الوحوش

وبها من الطيور الجوية الصقورة والبزاة بكثرة والنسور البيض والسود والغراب والحجل وطير الواجب بجملته والحمام والعصفور وغير ذلك مما لم يوجد بالديار المصرية

ومن الطيور البرية دجاج الحبش وأمثالها

ومن الطيور المائية البط وعندهم بنهرهم سمك يشبه البوري وسمك يشبه الثعبان يطول إلى مقدار ذراعين ونصف ويغلظ إلى مقدار كبار الخشب وبنهرهم أيضا **التمساح** وفرس البحر وغير ذلك

وبها من الحبوب الحنطة والشعير والحمص والعدس والبسلا والذرة وبعض الباقلا وحبوب أخرى غير ذلك منها حب يسمى قنابهول يستعملونه قوتا كالحنطة

والحنطة عندهم على مثال الحنطة الشامية والشعير حبه عندهم أكبر من حب الشعير المصرية والشامية ومنه ضرب يسمى طمجة

ولون الحمص عندهم إلى الحمرة

والباسلا عندهم عزيز الوجود في أكثر البلاد ولكنهم لا يفتقرون إليه للعلف لكثرة المراعي ببلادهم

وعندهم حب يسمى طافي على قدر الخردل ولونه إلى الحمرة ومكسرة إلى السواد يتخذون منه الخبز

وعندهم ببعض الأقاليم حب شبيه بالحنطة إلا أن له قشرين ينزع قشره بالهرس كالأرز ويتخذون منه طعاما يكون مغنيا عن الحنطة

وعندهم بزر الكتان وحب الرشاد وهم يزرعون على المطر في كل سنة مرتين مرة في الصيف ومرة في الشتاء تتحصل في كل مرة الغلات ." (١)

"وقوله " فإن أمثل نصفيها " أي أصلحهما، ويقال: فلان أمثل من فلان، أي هو أدنى منه إلى الخير. وأماثل القوم: خيارهم .

آخر :

رقطاء حدباء يبدي الكبد مضحكها ... قنواء بالعرض والعينان بالطول

لها فم ملتقى شدقيه نقرتها ... كأن مشفرها قد طر من فيل

---

(١) صبح الأعشى، ٢٩٢/٥

أسنانها أضعفت في خلقها عددا ... مظهرات جميعا بالرواويل
الرقطاء: المنقشةبالبرش. والقنا: طول الأنف، وإذا كان بالعرض كان كأنف الخنزير .
وقوله " ملتقى شدقيه نقرتها " ، أراد أنها لسعة فمها يلتقيان عند نقرة القفا. ومعنى طر قطع. وقوله " مظهرات " أي جعل لها ظهارة كما يجعل للفرش ظهارة، وكما قيل من الظهارة ظهر قيل من البطانة بطن، ويجوز أن يكون من قولك هو ظهيرك أي معينك. ويقال: بعير مظهر، أي شديد الظهر قوي. والظهر: ما غلظ من الأرض وارتفع، والظاهرة مثله، وهما مما تقدم. والرواويل: زوائد على عدد الأسنان، والواحد راوول .

آخر :
اصرميني يا خرقة المجدار ... وصليني بطول بعد المزار
فلقد سمتني بوجهك والوص ... ل قروحا أعيت على المسبار
ذقن ناقص وأنف غليظ ... وجبين كساجة القسطار
طال ليلي بها فبت أنادي ... يالثارات مستضاء النهار
قامة القصعل الضعيف وكف ... خنصراها كذينقا القصار
قوله " يا خلقة المجدار " يريد أنت غليظة ثقيلة، فكأنك في غلظ الجدار وثقله، وكما قيل من الجدار مجدار قيل في الغليظ الثقيل من الجبل مجبال. وقال امرؤ القيس :
إذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها ... تميل عليه هونة غير مجبال
ومفعال من أبنية الآلات، فهو كالمفتاح والمقياس والمدراك، وكان الأصل في الجدر الارتفاع والنتو. ويقال: جدرت الجدار. وقال بعضهم: الجدري منه اشتق.
والقروح: الجراح. والمسبار: الململول الذي يقدر به الجرح وغوره، وهو من سبرت، وتوسع في استعماله حتى وضع موضع جربت. والقسطار: الصيرفي، وساجته: لوحه الذي يقوم عليه كفتا الشاهين إذا وزن به.
وقوله " يالثارات " يا حرف النداء، واللا لام الاستغاثة. وإنما يستغيث بمن يرد عليه النهار .
والقصعل: القصير، والخليل أهمله وكذلك الخارزنجي والدريدي. والضئيل: الدقيق. ورواء بعضهم: " قامة الفصعل " ، بالفاء، وهو العقرب الصغير، والرجل اللئيم. والمراد أن في أعضائها تفاوتا فلا يتلاءم خلقها.
آخر :
ألام على بغضي لما بين حية ... وضبع وتمساح تغشاك من بحر

تحاكي نعيما زال في قبح وجهها ... وصفحتها لما بدت سطوة الدهر

هي الضربان في المفاصل خاليا ... وشعبة برسام ضممت إلى النحر

إذا سفرت كانت بعينك سخنة ... وإن برقعت فالفقر في غاية الفقر

وإن حدثت كانت جميع مصائب ... موفرة تأتي بقاصمة الظهر

حديث كقلع الضرس أو نتف شارب ... وغنج كحطم الأنف عيل به صبري

وتفتر عن قلح عدمت حديثها ... وعن جبلي طي وعن هرمي مصر

جمع بين الحية والضبع **والتمساح**، لأنه ليس يقصد التشبيه من وجه واحد، وإنما يريد التشبيه من وجوه كثيرة من الخلق والخلق. **والتمساح**: الدابة المعروفة، والرجل الكذاب. وجاء على هذا البناء شيء من الأسماء قليل لأن المصادر كلها على تفعال بفتح التاء، إلا حرفين وهما تبيان وتلقاء، وقد حصرتها في كتابي المسمى ب " عنوان الأديب " .." (١)

"ويروى مطروقة: بالقاف، اسمعينا: غنينا، وانبرت: اعترضت. وعلى رسلها أي على هيئتها، أي ترنمت برفق، وقيل انبرت: قصدت إلى ما أردناه منها، ومطروفة بالفاء، ومعناه ساكنة الطرف فاترته، كأنها طرفت عن كل شيء تنظر إليه. وقيل التي عينها إلى الرجال. ومن رواه مطروقة بالقاف فمعناه مسترخية أي غضيضة الطرف. وقيل: مسترخية لينة، ومنه سميت المطرقة: مطرقة، لأنها تلين ما يليها. ومنه قيل طراق لأنه يلين، ومنه ماء طرق: إذا خيض ومنه سمي الطراق لأن الناس فيهم من يفعل ذلك، وانبرت جواب إذا وهو العامل فيه، ومطروفة منصوب على الحال.

وما زال تشرابي الخمور، ولذتي ... وبيعي، وإنفاقي طريفي ومتلدي

تشراب: تفعال من الشرب إلا أن تشرابا يكون للكثير، والشرب يقع للقليل والكثير.

وليس في كلام العرب اسم على تفعال بكسر التاء إلا أربعة أسماء، والخامس مختلف فيه، يقال تبيان، ويقال للقلادة تقصار. وتعشار، وتبراك موضعان والخامس المختلف فيه **تمساح** وتمسح، **وتمساح** أكثر وأفصح، والطارف والطريف ما استحدثه الرجل، واكتسبه والمتلد والتالد والتليد، والتلاد ما ورثه عن آبائه ومعناه المتولد والتاء بدل من الواو.

إلى أن تحامتني العشيرة كلها ... وأفردت إفراد البعير المعبد

تحامتني: تركتني، واتقتني، العشيرة: أهل بيته، ويدخل فيهم غيرهم ممن خالطهم، وأفردت إفرادا مثل إفراد

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٧١/٢

البعير، والمعبد: الأجرب وقيل هو المهنوء الذي سقط وبره، فأفرد عن الإبل. أي تركت ولذاتي لما رأت أني لا أكف عن إتلاف المال والاشتغال باللذات.

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ... ولا أهل هذاك الطراف الممدد." (١)

"وليس في كلام العرب اسم على تفعال بكسر التاء إلا أربعة أسماء، والخامس مختلف فيه، يقال تبيان، ويقال للقلادة تفصار. وتعشار، وتبراك موضعان والخامس المختلف فيه **تمساح** وتمسح، **وتمساح** أكثر وأفصح، والطارف والطريف ما استحدثه الرجل، واكتسبه والمتلد والتالد والتليد، والتلاد ما ورثه عن آبائه ومعناه المتولد والتاء بدل من الواو.

إلى أن تحامتني العشيرة كلها وأفردت إفراد البعير المعبد

تحامتني: تركتني، واتقتني، العشيرة: أهل بيته، ويدخل فيهم غيرهم ممن خالطهم، وأفردت إفرادا مثل إفراد البعير، والمعبد: الأجرب وقيل هو المهنوء الذي سقط وبره، فأفرد عن الإبل. أي تركت ولذاتي لما رأت أني لا أكف عن إتلاف المال والاشتغال باللذات.

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهل هذاك الطراف الممدد

الغبراء: الأرض، وبنو غبراء: الفقراء، وتدخل فيهم الأضياف، والمعنى أنهم يجيئون من حيث لا يحتسبون، وأهل مرفوع معطوف على الضمير الذي في ينكرونني وقال الله تعالى (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا)، والطراف قبة من أدم يتخذها المياسير، والأغنياء، والممدد الذي قد مد بالأطناب، والطراف لفظه لفظ الواحد، ومعناه معنى الجمع.

ومعنى البيت أنه يخبر أن الفقراء يعرفونه لأنه يعطيهم، والأغنياء يعرفونه لجلالته.

ألا أيهذا اللائمي أحضر الوغى وأن شهدت اللذات هل أنت مخلدي

ويروى: ألا أيها اللاحي أن أحضر الوغى، واللاحي: اللايم، لحاه يلحوه ويلحاه إذا لامه. ويروى ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى على إضمار أن، وهذا عند البصريين خطأ لأنه أضمر ما لا يتصرف، وأعمله فكأنه قد أضمر بعض الاسم، والزاجر الناهي.

ومن رواه بالرفع فهو على تقديرين أحدهما أن يكون تقديره: أن أحضر فلما حذف أن رفع. ومثله على

---

(١) شرح المعلقت التسع، ص/٢٦

مذهب سيبويه قوله [تعالى] (أفغير الله تأمروني أعبد) المعنى عنده أن أعبد.
". (١)

"التاء وهي التنبال القصير ورجل تيتاء أي عذيوط وهو الذي يحدث عند الجماع وتبراك موضع وتعشار موضع وتقصار قلادة قصيرة في العنق وتيغار حب مقطوع وتمراج برج صغير للحمام وتمساح دابة تكون في الماء ورجل تمساح أي كذاب وتمتان واحد التماتين وهي خيوط يضرب بها الفسطاط ورجل تكلام كثير الكلام وتلقام كثير اللقم وتلعاب كثير اللعب وتمثال واحد التماثيل وتجفاف الفرس معروف وترباع موضع وترعام اسم شاعر وترياق في معنى درياق وطرياق فهذه الاسماء التي جاءت على تفعال أملاها الشيخ أبو زكريا عن أبي العلاء.

قال أبو محمد ومن المشاذ قولهم للرجل حيوة وللقط ضيون. وجه شذوذه أنه كان يجب أن يكون حية وضين لأن الواو والياء إذا اجتمعتا وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وهذا عقد من عقود التصريف وهذا يدل على أن الياء أخف من الواو. وعر طليل صفة العنق الغليظ. مأجج موضع ومهدد اسم امرأة وكان القياس أن تدغما فيقال ماج ومهد كمرد ومفر لكنهما ملحقان بجعفر ولو أدغما لذهب لفظ أفعل ولد الضأن الصغير والأنثى إمرة ورجل إمرٌ أحمق وهو الضعيف من الرجال وإمع وإمعه التابع الذي لا رأي له. هيّج رجل ضخم وفحل هيج وهو المنتفخ قال أبو محمد كل أفعل فالاسم منه مفعل بكسر العين إلا حرفاً واحداً نادراً لا يعرف غيره قالوا أسهب في كلامه فهو مسهب. قلت وجاء حرفان آخران حكاهما غيره قالوا ألفج فهو ملفج إذا أعسر وأحصن فهو محصن إذا تزوج. والسّرّية يجوز أن يكون اشتقاقها من السر كما ذكر وهو النكاح ويجوز أن تكون فعلية من السر وهو السرور لأنها تسر مالكها ويجوز أن تكون فعلية من السرور مثل علية من العلو لأن مالكها يشتريها أي يختارها يقال اشتريت الشيء أي اخترته ويجوز أن تكون فعلية من السراة وهو الظهر لأنها مركب كما قال الشاعر:

ما إن أرى وركوب الخيل يعجبني ... كمركب بين دملوج وخلخال

ولا يراد ركوب الظهر ولكن لما كانت مركباً وكان الظهر موضع الركوب من الدواب اشتق اسمها منه.

ومن باب ما جمعه وواحده سواء

أنشد أبو محمد على أن قناً قد يجمع أقنّة بيأً لجرير قبله

إن سليطاً في الخسار أنه ... أولاد قوم خلقوا أقنّة

(١) شرح المعلقات التسع للشيباني، /

أراد بن رياح بن يربوع وكرر أن توكيدا أراد أنه في الخسار وقوله أولاد قوم أي أولاد هذه القبيلة خلقوا خلق العبيد كقولهم للذي قدره قدر العبيد هو العبد زلمة والعبد القن الذي ملك هو وأبواه.

ومن أبنية نعوت المؤنث

قال أبو محمد وقال العجاج وذكر ريحا:

حدواء جاءت من جبال الطور

وصف قبله مركباً في قوله:

لأياً يثانيه عن الحؤور ... جذب الصراريين بالكرور

إذ نفخت في جله المشجور ... حدواء جاءت من جبال الطور

يصف مركباً من مراكب البحر شبه سرعة حمله بسرعة مره لأيا بعد بطء يثانيه يثنيه والحؤور مصدر حار يعني أنه عظيم والكرور جمع كر وهو حبل الشراع ويروى عن الجؤور مصدر جار يجور أي بعد بطء يقيمه على الطريق وواحد الصراريين صراري وهم الملاحون وجذب فاعل يثانيه ونفخت هبت وقوله في جله الجل الشراع والمشجور الذي يجعل فيه عود لئلا يرجع والحدواء الريح الشمال لأنها تحدو السحاب ومن جبال الطور أي الشام.

قال أبو محمد وقال امرؤ القيس:

ديمة هطلاء فيها وطف ... طبق الأرض تحري وتدر

الديمة المطر تدوم مع سكون وأقل وقت الديمة ثلث يوم والهطلاء المتتابعة القطر في تفرق وعظم وطبق الأرض أي تعم بمطرها الأرض وتحري تعمد وتدر تمطر. قال أبو محمد " وعلامات التأنيث تكون آخراً بعد كمال الاسم إلا كلتا فإن التاء وهي علامة التأنيث جعلت قبل آخر الاسم " قلت ليست التاء في كلتا للتانيث وإنما الألف للتأنيث والتاء فيها منقلبة عن واو وهي لام الفعل ووزنها فعلى وأصلها كلوى وأبدلت الواو تاء كما أبدلت في تراث وتخمة والتاء تبدل من الواو كثيراً وأصل كلا كلو فهذه الواو المنقلبة ألفاً في كلا هي المنقلبة تاءً في كلتا وأما بهماة فالألف ليست للتأنيث وإنما الهاء علامة التأنيث والألف قبلها زائدة لغير التأنيث إذ لا يجتمع في اسم علامتان للتأنيث.

ومما جاء فيه المصدر على غير الصدر أنشد أبو محمد للقطامي بيتا قبله:." (١)

---

(١) شرح أدب الكاتب، ص/١٥٠

"أو قول الشاعر، وهو يستخدم ما أسمته "كريستيفا" بـ "النفي المتوازي" والذي يعمد فيه الشاعر إلى قلب خطاب الآخر، ويكون معنى النص المرجعي فيه مقلوباً، وفي هذا البيت بالذات، فإن هذا القلب هو من نمط (الخرق) بلغة جيني، إذ يعمد الشاعر إلى قول مأثور ذي طابع قدسي إلى حد كبير، فيغريه: ففي مطلع قصيدة النبوءة يرد هذا البيت(٣٨):

"تأكل الحرة ثدييها إذا جاعت وفي أرض الملوك الفقراء"....

وغنى عن البيان أن النص المرجعي للبيت هو القول المأثور "تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها".

ولا يقتصر مثل هذا التعالق النصي على القصيدة والشعر، حسب، بل سنجد أمثلة له في السرد والقص الطويل والقصير، ولعل ماورد في رواية موسم الهجرة للشمال من تداخلات نصية مع التوراة، ومع سفر (أشعياء)، بالذات، الذي وصفه كولردج بأنه "شعر"(٣٩)، مثال على النص، الذي يتشرب خطابات سابقة، دون أن يمحوها كلية، بعد أن يضعها في سياق جديد تماماً. إن "مصطفى سعيد" بطل الرواية، يعترف بأن حبه لجين مورس كان مرضياً وملتوياً، يقول سعيد: ".... إلى أن يرث المستضعفون الأرض، وتسرح الجيوش، ويرعى الحمل آمناً بجوار الذئب، ويلعب الصبي كرة الماء مع **التمساح**، إلى أن يأتي زمن السعادة والحب هذا سأظل أعبر عن نفسي بهذه الطريقة الملتوية"(٤٠)، وهذه الرؤيا العظيمة للسلام والتعايش السلمي بين الأمم والشعوب، تحيل على مرجعها النصي، في التوراة، فقد جاء في سفر أشعياء قوله: "ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه كل الأمم، وتسير شعوب كثيرة، ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب... فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين، فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل لاترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب فيما بعد"(٤١).." (١)

"قال: ويصاد طير الماء بالقرعة وذلك أن تؤخذ قرعة يابسة صحيحة فيرمى بهم في الماء فإنهم تتحرك فإذا أبصرهم الطير تتحرك فزع فإذا كثر ذلك عليه أنس حتى لربما سقط عليهم، ثم تؤخذ قرعة فيقطع رأسها ويخرق فيها موضع عينين ثم يدخل الصائد رأسه فيهم ويدخل الماء فيمشي إليهم مشياً رويداً فكلما دنا من طائر أدخل يده في الماء فقبض على رجليه ثم غمسه في الماء ثم دق جناحه وخلاه فبقي طافياً فوق الماء يسبح برجله ولا يطيق الطيران، وسائر الطير لا يمكن انغماسه فإذا فزع من صيد ما يريد رمى بالقرعة ثم يلتقطهم ويحملهم.

الحشرات

---

(١) قراءات في الأدب والنقد، ص/٦٨

لعبد الله بن عمر عن أصناف الفار حدّثني يزيد بن عمرو قال. حدّثنا عبد الله بن الربيع قال: أخبرنا هشام بن عبد الله عن قتادة عن عبد الله بن عمرو أنه قال: الفأرة يهودية ولو سقيتهم ألبان الإبل ما شربتهم، والفار أصناف: منهن الزباب وهو أصم.

شعر للحارث بن حلزة قال الحارث بن حلزة:

وهم زباب حائر ... لا تسمح الآذان رعدا

والخلد وهو أعمى؛ وتقول العرب: هو " أسرق من زبابة " وفأرة البيش، والبيش سم قاتل؛ ويقال: هو قرون السنبل، وله فأرة تغتذيه لا تأكل غيره، ومن غير هذا فأرة المسك وفارة الإبل أفاحت أرواحهم إذا عرقت.

قالوا: ومن الحيات ما يقتل ولا يخطئ: الثعبان والأفعى والهندية؛ فأما سوى هذه فإنما يقتل بما يمده من الفزع، لأنه إذا فزع تفتحت منافسه فوغل السم إلى مواضع الصميم وعمق البدن، فإن نهشت النائم والمغمى عليه والطفل الصغير والمجنون الذي لا يعقل لم تقتل.

وأذناب الأفاعي تقطع فتهبت ونابهم يقطع بالعكاز فينبت حتى يعود في ثلاث ليال؛ والحية إن ننفث في فيهم حماض الأترج وأطبق لحيها الأعلى على الأسفل لم تقتل بعضتها أياماً صالحة. " ومن الناس من يبصق في فم الحية فيقتلها بريقه.

والحيات تكره ريح السذاب والشيح، وتعجب باللفاح؛ والبطيخ والحرف والخردل المرخف واللبن والخمر، وليس في الأرض حيوان أصبر على جوع من حية؛ ثم الضب بعدها فإذا هرمت صغرت في بدنها وأقنعها النسيم ولم تشته الطعام، ولذلك قال الراجز

حارية قد صغرت من الكبر

لصاحب الفلاحة في الحية وقال صاحب الفلاحة. إن الحية إن ضربتهم بقصبة مرة أوهنتهم القصبة في تلك الضربة وحيرتهم، فإن ألحت عليهم بالضرب انسابت ولم تكترث.

ما يعالج بن الملسوع قال. ومن جيد ما يعالج به الملسوع أن يشق بطن الضفدع ثم يرفد به موضع لسعة العقرب.

في الضفاع والضفدع لا يصيح حتى يدخل حنكه الأسفل في الماء، فإذا صار في فيه بعض الماء صاح، ولذلك لا تسمع للضفادع نقيقاً إذا خرجن من الماء، قال الراجز:

يدخل في الأشداق ماءً ينصفه ... حتى ينق والنقيق يتلفه

يريد أن النقيق يدل عليه حية البحر، كما قال الآخر:

ضفاع في ظلماء ليلٍ تجاوبت ... فدل عليهما صوتها حية البحر

وقال في السبخ: إنه إن انخرق فيه خرق بمقدار منخر الثور حتى تدخله الريح استحال ذلك السبخ ضفادع. والضفادع لا عظام لها، ويضرب بها المثل في الرسح؛ فيقال: " أرسح من ضفدع " و " أجحظ عينا من ضفدع " .

قالوا: وكل شيء يأكل فهو يحرك فكه الأسفل إلا **التمساح** فإنه يحرك فكه الأعلى.

سمك الرعاد في مصر من صاد منه سمكة لم تزل يده ترعد وتنتفض ما دام في شبكته أو شصه. والجعل ،إذا دفنته في الورد سكنت حركته حتى يتوهم من رآه قد مات، فإذا أعدته إلى الروث تحرك ورجع في حسه.

والعير إذا ابتلع في علفه خنفساء قتلته إن وصلت إلى جوفه حية. وأطول شيء ذماء الخنفساء فإنها يسرج على ظهرها فتصبر وتمشي.

والضب يذبح فيمكث ليلة ثم يقرب من النار فيتحرك.

والأفعى إذا ذبحت تبقى أياماً تتحرك وإن وطئها واطئ نهشته، ويقطع ثلثها الأسفل فتعيش وينبت ذلك المقطوع.

والكلب والخنزير يجرحان الجرح القاتل فيعيشان.

قالوا: وللضب ذكران وللضبة حران، خبرني بذلك سهل عن الأصمعي أو غيره. قال: ويقال لذكره نزك وأنشد:

سبحل له نزكان كانا فضيلة ... على كل حافٍ في البلاد وناعل

وكذلك الحردون. والذبان لا تقرب قدراً فيهم كمأة.

وسام أبرص لا يدخل بيتاً فيه زعفران.

ومن عضه الكلب الكلب احتاج إلى أن يستر وجهه من الذباب لئلا يسقط عليه.." (١)

"قالوا: ومما يصفّي من الماء الكدر فيصفو سريعاً أن يلقى فيه قطعٌ من خشب الساج أو قطعٌ من آجرٍّ جديدٍ.

قال بعض المحدثين:

يمنع أمه بالشمال ... وماؤها البارد الزلال

يصبح فيها وقايتونا ... يجري به الثلج في مثال

---

(١) عيون الأخبار، ص/١٧٦

في تحلية الماء المرّ الغليظ وقال صاحب الفلاحة: من أراد أ يعذب له الماء الزّعاق جعله في قدر جديدة من خزف وغطى فاها بأسحال ثم أوقد تحتها حتى تغلي ويحصل فيها نصف ذلك الماء ثم صفّاه وتركه، فإنه يجده شروباً.

في ماء دجلة وقالوا: ماء دجلة يقطع شهوة الرجال ويذهب بصهيل الخيل ونشاطها، ومن لم يأكل الدسم عليه انحل عظمه وييبس جلده، وهو مع هذا أهضم للطعام من غيره من المياه وأسرعها برداً.

ماء النيل قال: والنّيل يستقبل الشمال وينصب في وقت زيادة الأدوية ويزيد في وقت نقصانها. وزيادة أوّله وآخره معها؛ ولا تكون التماسيح إلا فيه؛ قال الشاعر:

أضمرت للنيل هجراناً ومقلية ... إذ قيل لي إنما التمساح في النيل

فمن رأى النيل رأى العين من كثبٍ ... فما أرى النيل إلا في البواقيل

والسقنقور أيضاً لا يخرج إلا منه.

لابن مزاحم وروي في الحديث عن الضحّاك بن مزاحم أنه قال: قذف الفرات في المدّ رمّانةً كأنها البعير البارك، وتحدّث أهل الكتاب أنها من الجنّة.

لابن ماسويه وقال ابن ماسويه: ينبغي للماء الغليظ الذي ليس يعذب أن يطبخ حتى يذهب منه نصفه، ثم يطرح فيه السويق أو الطين الأحمر فإنه يلطفه ويذهب غائلته ويعذبه ويمنع مدره.

منافع الفقع والجلاب والسكنجبين قالت الأطباء: الفقّاع المتخذ من دقيق الشعير نافع من الجذام. الجلاب قاطع لكثرة دم الحيض. السكنجبين نافع من الذّبحة إذا كانت من حرار، يشرب ويتغرغر به.

باب اللحمان وما شاكلها

للأطباء في لحم الماعز والضأن قالت الأطباء: لحم الماعز يورث الهمّ، ويحرك السوداء، ويرث النسيان، ويخبل الأولاد ويفسد الدم؛ وهو ضارٌّ لمن سكن البلاد الباردة. وأحمد اللحمان ما خصي من لمعز. والضأن نافع من المرّة السوداء إلا أن الممروري الذين يصرعون إذا أكلوا لحم الضان اشتد بهم ذلك حتى يصرعوا في غير أوا الصرع. وأوان الصرع الأهلّة وأنصاف الشهور.

في اللحم قال الشاعر:

كأن القوم عشّوا لحم ضأنٍ ... فهم نعجون قد مالت طلاهم

قالوا: واللحم أقلّ الطعام نجواً. ولحم الدجاج الهوم شرّ اللحمان وأغلظها.

في البيض، وحب الرمان والبيض إن سلق بالخلّ ثم أكل بالسماق وحبّ الرمان المفلّق والملح والمرّي عقل

الطبيعة.

منافع الزبد والمخ والدماغ والزبد إن طلي على منابت أسنان الطفل كان معيناً على نباتها وطلوعها، والمخ والدماغ يفعلان ذلك.

مضارّ الأطعمة ومنافعها

للنبي (في الكمأة والعجوة الكمأة والفطر - عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم يذكرون الكمأة وبعضهم يقول جدري الأرض، فقال: " الكمأة من المنّ وماؤها شفاءٌ للعين والعجوة من الجنة وهي شفاء من السقم " للأصمعي في الجراد والفطر ولحوم والإبل الأصمعي عن بعض مشايخه قال: ثلاثة أشياء ربّما صرعت أهل البيت عن آخرهم الجراد، ولحوم الإبل، والفطر.

أردأ الفطر وتقول الأطباء: إن أردأ الفطر ما نبت تحت ظلال الشجر، وأردأه كلّه ما كان في ظلّ شجر الزيتون فإنه قتال.

قالوا: والكمثّرى إذا طبخ مع الفطر أذهب ضرره.

قالوا: والفطر يورث الذبحة.

لأعرابي أكل فطراً فأصيب بذبحة قدم أعرابي المصر فأكل فطراً، فأصابته ذبحة، فقيل له: إن الطبيب بعث أن يحلب في فيك. فقال: مازلت أسمع باللئيم الراضع ولا والله لا أكونه. قالوا: فتموت إذاً. قال: وإن متّ.

ترياق الفطر وتقول الأطباء: إن أكل آكلٌ الفطر فأضرّ به، سقي الكرنب المعصور وسقي من خرء الدجاج وزن درهمين مع خل وعسلٍ مطبوخ وقيء به.

مضار الكمأة قالوا: والكمأة تورث وجع القولنج والسكتة والفالج ووجع المعدة.

قالوا: والذباب لا يقرب قدراً فيه كمأة.

ومن أراد اتخاذ الكمأة اليابسة جعلها في الطين الحرّ يوماً وليلةً ثم غسلها واستعملها.

أعرابي يبيع الكمء." (١)

"والمنى يطلق في مروج ترعى

يسقى ما يسقيه يحتبس في الأمعا

احتباس أيدي العار بحبال التوبيخ

قوة تتنقى من عطاه تنقياً

---

(١) عيون الأخبار، ص/٣٧٠

ويرى أكباده في الطسيس مرميا

تنبري أنياط وتقع ملويا

مثل شعر العانا إن حلق بالزرنيخ

وشراب الممدوح مثل سكر ذباح

فالزجاج يتقليط لخروج الأرواح

نقط أو ما جني على صلب **التمساح**

وبدا يتناثر ... بالعفن والتزنيخ

الوزير أبجعفر قد كثر تبجيلك

واش يقول البربر حن يروا تعجيلك

سو الأدب علمنا ذا الدوا أديلك

الطفل يتقدم للقبر قبل الشيخ

زجل هجو في الجرنيس النيار الزجال وموت أمه:

عزوا ابليس ونوح يا كفار

ماتت أم الجرنيس النيار

أي عجوز لقد فجع فيها!

كل شاطر إن كان في ذا الجيها

حلف الموت ألا يخليها

وأي رزياً جرت على الشطار

بيها كان الربض يفوح ....

إن دعت للفسوق تقول لبيك

وتزين قبح المعاصي إليك

بحل إبليس حتى تقع فالعار

خلت أولاد بحل فراخ البوم

السموجا والقرنسا والشوم

نفستهم في طالعا مذموم

من رآهم رأي وجوه أطيار

لم تخلى لهم في قاع الدير

غير بطناً وقف مع لغطير

وعرم من خروق لمسح ....

وقدير تهيج الأسحار

موتاً ماتت ما لا يمتها بشر

عينان أزرق ووجه مثل القدر

واللسان قد خرج لنصف الصدر

أذكر الله وهي تصيح النار

خرج الروح على دين الربى

وأبو مراً يصيح أيا حزبي

في جهنم تركب على ....

مع ابنة القلا وذيك العيار

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد

أما بعد حمد الله والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه، فهذا:

الكتاب الثاني

من الكتب التي يشتمل عليها:

كتاب المملكة المالقية وهو

كتاب الترييش في حلى مدينة بليش

مدينة في شرقي مالقة، عامرة، آهلة، ضخمة الأسواق؛ الحضارة أغلب عليها من البادية، وليس في قواعد أعمال مالقة مثلها في الحضارة، وحولها ضياع كثيرة، وقد مررت بها مع والدي وسألت: هل فيها من له نظم؟ فلم نجد من يؤبه به، وذكر لنا أحد أدبائها أن منها شاعرين.

عبد العزيز بن الطراوة

هو أحد الشاعرين، كان في زمن أبي سعيد بن عبد المؤمن ملك غرناطة ومالقة، وأنه وفد عليه ومدحه

بقصيدة مطلعها:

لا تسقني الكأس إلا من دم البطل ... ولا تغن بغير البيض والأسل

ومنها:

قد كنت أثني من الآمال جامحة ... فعند ما لحت لي لم يبق من أمل

وكان شغلي بهذا الدهر مذ زمن ... فليس لي الآن غير المدح من شغل

وقوله:

من لي به بدوي لا يهذبه ... لين الكلام ولا يرتاح للغزل

وكلما رمت لثماً منه قيض لي ... وجهاً يريني فيه اليأس من أملي

واهاً له من غزال ضاع في بقر ... اللثم عندهم كالطعن بالأسل

صالح بن جابر

هو الشاعر الثاني. عاصر ابن الطراوة المذكور وهاجاه، ومن شعره قوله:

لبكائي تبكي الغمام وإني ... لست راض عن دمع تلك الغمام

لو وفت بالذي أريد لدامت ... أبد الدهر في توالي انسجام

لست أرضى بغير دمعي دمعاً ... إنه ناثر دمي من نظام

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد

أما بعد حمد الله والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه، فهذا:

الكتاب الثالث

من الكتب التي يشتمل عليها:

كتاب المملكة المالقية وهو

كتاب تحية الريحانة في حلى مدينة بزليانة

من حصون مالقة على بحر الزقاق. منها:

أبو عبد الله محمد بن عامر

البزلياني الكاتب

من الذخيرة: كان في ذلك الأوان أحد شيوخ الكتاب، وجهابذة أهل الآداب، ممن أدار الملوك ودبرها،

وطوى الممالك ونشرها. والى بني عباد، صارت مصائره بعد تقلبه في البلاد. عنوان من نثره: من رقعة خاطب بها ابن عبد الله صاحب قرمونة عن حبوس ملك غرناطة:." (١)

" (وكان ورآءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) والمثل عمانى

٩٨٢ – أظلم من الشيب

٩٨٣ – . . من **تمساح**

٩٨٤ – . . من حية : ويروى من حية الوادي يزعمون أن رجلا أخذ حية وقد جمدت من البرد حتى لا حراك بها فلم يزل يدفيها تحت ثيابه حتى تحركت فنهشته فقال لها ويحك أهذا جزائي منك قالت لا ولكنه طبعي قال

(الهزج)

(غدير الحي من عدوان ... كانوا حية الأرض)

وقال مضرس بن ربعي بن لقيط

(الطويل)

(لعمرك أني لو أخاصم حية ... إلى فقعس ما أنصفتني فقعس)

(فما لكم طلسا إلى كأنكم ... ذئاب الغضا والذئب بالليل أطلس)

٩٨٥ – . . من ذئب : ربى بدوي ذئبا فلما شب فرس سخلة له فقال ." (٢)

" الخلافة ثم الوزارة وفي الأمثال نعم الظهير الوزير وأولى ما يظهر نبل السلطان وقوة تمييزه وجودة عقله في انتخاب الوزراء واستنقاء الجلساء ومحادثة العقلاء فهذه ثلاث خلال تدل على كماله وبهذه الخلال يجمل في الخلق ذكره وترسخ في النفوس عظمته والمرء موسوم بقرينة وكان يقال حلية الملوك وزينتهم وزراؤهم

وفي كتاب كليلة ودمنة لا يصلح السلطان إلا بالوزراء والأعوان وقال شريح بن عبيد لم يكن في بني إسرائيل ملك إلا ومعه رجل حكيم إذا رآه غضبان كتب إليه صحائف وفي كل صحيفة أرحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكلما غضب الملك ناوله الحكيم صحيفة حتى يسكن غضبه ومثل الملك الخير والوزير السوء الذي يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من الدنو منه كالماء الصافي فيه **التمساح** فلا

---

(١) المغرب في حلى المغرب، ص/١٠٥

(٢) المستقصى في أمثال العرب، ٢٣٢/١

يستطيع المرء دخوله وإن كان سابحا وإلى الماء محتاجا ومثل السلطان كمثل الطبيب ومثل الرعية كمثل المرضي ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والأطباء فإذا كذب السفير بطل التدبير وكما أن السفير إذا أراد أن يقتل أحد من المرضى وصف للطبيب نقيض دائه فإذا سقاه كمثل الطبيب على صفة السفير هلك العليل كذلك الوزير ينقل إلى الملك ما ليس في الرجل فيقتله الملك فمن ههنا شرط في الوزير أن يكون صدوقا في لسانه عدلا في دينه مأمونا في أخلاقه بصيرا بأمور الرعية وتكون بطانة الوزير أيضا من أهل الأمانة والبصيرة وليحذر الملك أن يولى الوزارة لئيما فاللئيم إذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالأشراف وتكبر على ذوي الفضل ودخل بعض الوزراء على بعض الخلفاء وكان الوزير من أهل العقل والأدب فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفة يميل إليه ويقربه فقال الوزير منشدا

(يا ملكا طاعته لازمه ... وحبه مفترض واجب)

(إن الذي شرفت من أجله ... يزعم هذا أنه كاذب)

وأشار إلى الذمي فاسأله يا أمير المؤمنين عن ذلك فسأله فلم ." (١)

" خواصه فمن خواصه أن صوته يقتل **التماسيح** وشحمه من طلى به يده لم يقربه سبع ومرارة الذكر منه تحل المعقود ولحمه ينفع من الفالج واذا وضعت قطعة من جلده في صندوق لم يقربه سوس ولا أرضة واذا وضع على جلد غيره من السباع تساقط شعره وهو من الحيوان الذي يعيش ألف سنة على ما ذكر وعلامة ذلك كثرة سقوط أسنانه

(الإبل) قيل ما خلق الله شيئا من الدواب خير من الإبل إن حملت أثقلت وإن سارت أبعدت وإن حلبت أروت وإن نحرت أشبعت وفي حديث (الإبل عز لأهلها والغنم بركة والخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة) وهي من الحيوان العجيب وان كان عجبه قد سقط لكثرة مخالطته الناس وقد أطاعها الله للآدمي وغيره حتى قيل ان قطارا كان ببعض حبله دهن فمرت فأرة فجذبته فسار معها القطار بواسطة جذبها له وهي مراكب البر ولذلك قرنها الله تعالى بالسفن فقال تعالى (وعليها وعلى الفلك تحملون) ولما كانت مراكب البر والبر فيه ما ماؤه قليل وما ماؤه كثير جعل الله تعالى لها صبرا على العطش حتى قيل إنه يرتع ظمؤها الى عشر وفي الحديث (لا تسبوا الإبل فانها من فنفس الله تعالى أي مما يوسع به على الناس) حكاه ابن سيده والذي يعرف لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان ليس لشيء من الطحول مثل ما للجمل عند هيجانه فإنه يسوء خلقه فيظهر زبده ويقل رغاؤه فلو حمل

---

(١) المستطرف، ٢٠٧/١

عليه ثلاثة أضعاف عادته حمل ويقل أكله ويخرج له عند رغرئه شقشقة لا تعرف من أي شيء هي من أجزائه وهو من الأحرار حتى قيل إنه لا ينزو لا على أمه ولا على أخته حتى قيل إن بعض العرب ستر ناقته بثوب ثم أرسل عليها ولدها فلما عرف ذلك عمد إلى أحليله فأكله ثم حقد على صاحبه حتى قتله وليس له مرارة ولذلك كثر صبره وقيل يوجد على كبده شيء رقيق يشبه المرارة ينفع الغشاوة ." (١)

" يدخل تحته ثم جعل الحوت على ماء ثم جعل الماء على الهاء ثم جعل الهواء على ماء ايضا ثم جعل الماء على الثرى على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق

الخواص شحم البقر إذا خلط بزرنيخ أحمر طرد العقارب وإذا طلي به إناء اجتمعت البراغيث إليه وإذاشرب لبنها زاد في الانعاظ وقرنها إذا سحق وجعل في طعام صاحب الحمى فأكله زالت الحمى ومرارتها إذا خلطت بماء الكراث نفعت من البواسير طلاء وإذا طلي به عل الأثر الأسود في البدن ازاله وخصيه الفحل إذا جففت وسحقت وجعلت في عسل وأكلت فانها تزيد في الباه وشعرها إذا احرق واستيك به نفع من وجع الاسنان وإذا خلط مع السكنجيين وشرب نفع من الطحال على ما ذكر (بومة) وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها أن تدخل على كل ير في وكره وتأكل أفراخه ولمعاداة الطيور لها يجعلها الصيادون في أشراكهم حتى يقع عليها الطير ونقل المسعودي عن الجاحظ أن البرمة لا تخرج بالنهار خوفا من العين لأنها تظن أنها حسناء وهي أصناف وكلها تحب الخلوة بنفسها

الخواص من خواصها أنها تنام باحدى عينيها والاخرى مفتوحة فإذا أخذت المفتوحة وجعلت تحت فص خاتم فمن لبسه لم ينم ما دام في يده وعكسها المغموضة وإذا أردت معرفة ذلك فالقهما في الماء فالراسبة للنوم والطافية لليقظة وإذا أخذ قلب البومة وجعل على الي اليسرى من المرأة وهي نائمة تحدثت بجميع بجميع ما فعلته في نومها (بوقير) طير أبيض يأتي منه في كل سنة طائفة إلى جبل بالصعيد يقال له جبل الطير فيه كوة فتجخهل من تلك الكوة فيمسك منها شيء فان أمسكت واحدة كان ذل العام متوسط الخصب وان أمسكت اثنتين كان كثير الخصب وإن لم تمسك شيئا كانت السنة مجذبة وأهل تلك الناحية تعرف ذلك وهذا الجبل بالقرب من بلدة مارية أم ابراهيم ولد النبي

(حرف التاء) (**تمساح**) حيوان عجيب على صورة الضب له فم واسع وفيه ستون نابا وقيل ثمانون وبين كل نابين سن صغيره وهي انثى في ." (٢)

---

(١) المستطرف، ٢/٢١٤

(٢) المستطرف، ٢/٢٢٧

" ذكر إذا أطبق فمه على شيء لا يفلته حتى يخلعه من موضعه وله لسان طويل وظهر كالسلحفاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة أرجل وذنب طويل وهو لا يوجد إلا بنيل مصر وقال المسافرون أنه يوجد ببحر الهند وطوله في الغالب ستة أذرع إلى عشرة في عرض ذراعين أو ذراع ويقيم في البحر تحت الماء أربعة أشهر لا يظهر وذلك في زمن الشتاء ويتغوط من فيه في الغالب ويحصل في فيه الدود فيؤذيه فيلهمه الله تعالى فيخرج إلى بعض الجزائر ويفتح فاه فيرسل الله تعالى له طيرا يقال له القطقاط فيدخل في فيه فيأكل ما فيه من الدود فيحصل له راحة فعند ذلك يطبق فمه على الطير ليأكله فيضربه بريشتين خلقهما الله تعالى في جناحيه كريشة الفصاد فيؤلمه فيفتح فاه فيخرج ولذلك يضرب به المثل فيقال جازه مجازاة التماح وزعم بعض الباحثين عن أحوال **التمساح** أن له ستين نابا وستين عرقا ويسفد ستين مرة ويبيض ستين بيضة ويحضن ذلك ستين يوما ويعيش ستين سنة فإذا أفرخ فما صعد لجبل صار ورلا وما نزل البحر صار **تمساحا** وفكه الأسفل لا يستطيع تحريكه لأن فيه عظما متصلا بصدره وإذا أراد السفاد أخذ انثاه وطلع بها إلى البر وقلبها وجامعها فإذا قضى حاجته قلبها ثانيا لأنه لو تركها على تلك الحالة بقيت حتى تموت وما ذلك إلا أنها لا تستطيع الانقلاب ليبوسة ظهرها وصلابته وقد سلط الله تعالى عليه أضعف الحيوان وهو كلب الماء يقال انه يتبلط بالطين ويغافل **التمساح** ويقذف بنفسه في فيه فيبتلعه لنعومته فإذا حصل في جوفه ذاب ا عليه من سخونة بطنه فيعمد إلى أمعائه فيقطعها ويقطع مراق بطنه فيقتله

الخواص عينه تشد على من به رمد اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى وشحمه إذا قطر في أذن من به صم نفعه

(تنين) ضرب من الحيات وهو طويل كالنخلة السحوق وجسده كالليل أحمر العينين لهما بريق واسع الفم والجوف يبتلع الحيوان وأول أمره يكون حية متمردة ثم تطغى وتتسلط على حيوان البر فيستغيث منها فيأمر الله تعالى ملكا فيحملها ويلقيها في البحر فتقيم فيه مدة ثم تتسلط على حيوانه ." (١)

" حبل من حبالها تأخذه الرعدة حتى لا يملك من نفسه شيئا كما يرعد صاحب الحمى فإذا رفع يده زالت عنه الرعدة فإن أعادها عادت إليه الرعدة وهذا أيضا من العجائب فسبحان الله جلت قدرته

وقال صاحب تحفة الألباب حدثني الشيخ أبو العباس الحجازي قال حدثني رجل يعرف بالهاروني من ولد هارون الرشيد أنه ركب سفينة في بحر الهند فراى طاوسا قد خرج من البحر أحسن من طاوس البر وأجمل ألوانا قال فكبر بالحسنة فجعل يسبح وينظر لنفسه وينشر أجنحته وينظر إلى ذنبه ساعة ثمن غاص

---

(١) المستطرف، ٢/٢٢٨

في البحر وفي البحر دابة يقال لها الدرفين تنجي الغريق لأنها تدنو منه حتى تضع يده على ظهرها فيستعين بالإتكاء عليها ويتعلق بها فتسبح به حتى ينجيه الله بقدرته فسبحان من من دبر هذا التدبير اللطيف وأحكم هذه الحكمة البالغة وزعموا أن السمك يتجه نحو الغناء والصوت الحسن ويصبو لسماعه وربما قيل إن بعض الصيادين يحفرون في البحر حفائر ثم يجلسون فيضربون بالمعازف والآت الطرب فيجتمع المسك ويقع في تلك الحفائر وقيل إن الدرفين وأنواع السمك إذا سمعت صوت الرعد هربت إلى قعر البحر وقيل إن خيل البحر توجد بنيل مصر وهي صفة خيل البر وقيل إنها تأكل **التماسيح** وربما خرجت فرعت الزرع وإذا رأى أهل مصر أثر حوافرها حكموا أن ماء النيل ينتهي في طلوعه إلى ذلك المكان وقيل إن في البحر المحيط شيئا يتراءى كالحصون فيرتفع على وجه الماء ويظهر منه صور كثيرة ويغيب ومن عجيب ما حكى أن فيه جزيرة فيها ثلاث مدن عامرة وهي كثيرة الأمطار وأهلها يحصدون زرعها قبل جفافه لقلة طلوع الشمس عندهم ويجعلونه في بيت ويوقدون حوله النيران حتى يجف وعجائبه لا تحصى ولا يمكن حصرها ويقال إن الاسكندر لما سار إلى بحر الظلمات مر بجزيرة بها أمة رؤوسهم مثل رؤوس الكلاب يخرج من أفواههم مثل لهب النار وخرجوا إلى مراكبه وحاربوه ثم تخلص منهم وسار فرأى صورا متلونة بألوان شتى وسمكا طوله مائة ذراع وأكثر وأقل فسبحان الله تعالى ما أكثر عجائب خلقه ." (١)

" عنه فلما دخل عليه قال له معاوية يا أبا إسحاق هل بلغك أن في الدنيا مدينة من ذهب ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين وقد ذكرها الله عز و جل في القرآن لنبيه بقوله عز من قائل (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد) وقد أخفاها الله تعالى عن أعين الناس وسيدخلها رجل من هذه الأمة يقال له عبد الله بن قلابة الأنصاري ثم التفت فرأى عبد الله بن قلابة فقال هاهو يا أمير المؤمنين وصفه واسمه في التوراة ولا يدخلها أحد بعده إلى يوم القيامة وقيل إن ذلك كان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأن الرجل الذي دخلها حكى ذلك لعمر بن الخطاب فلم ينكره ولا من كان حاضرا بل قال إن النبي قال يدخلها بعض أمتي والله سبحانه وتعالى أعلم

ومن المباني العجيبة الخورنق الذي بناه النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الأكبر بناه في عشرين سنة فلما انتهى أعجبه فخشي أن يبنى لغيره مثله فأمر أن يلقى بانيه من أعلاه فألقوه فتقطع واسم بانيه سنمار فصارت العرب تضرب به المثل يقولون جزاه جزاء سنمار قال الشاعر

---

(١) المستطرف، ٢/٢٩٣

(جازى بنوه أبا الغيلان عن كبر ... وحسن فعل كما يجزى سنمار) ومن المباني العجيبة حائط العجور واسمها دلوك القبطية وسبب بنائها لذلك أنها ولدت ولدا فأخذت له الرصد فقيل لها عليه من التمساح فلما شب الغلام خافت عليه فبنت الحائط وجعلته من العريش إلى إسوان شاملا لكورة مصر من الجانب الشرقي وقيل بنته خوفا على مصر وأهلها بعد غرق فرعون أن يطمع الملوك فيها وقد قيل إنها أرادت أن تخوف ولدها من التمساح حتى لا ينزل البحر فصورت له صورة التمساح فرآه شكلا مهولا فأذهله وأخذه الفزع والهم فضعف وانسل إلى أن مات لا مفر من قضاء الله تعالى ." (١)

"(ح) ويقولون: تتابعتْ عليه النوائِبُ. ووجه الكلام أن يقال تتايعتْ، بالياء المعجمة باثنتينِ من تحت، لأن التتابع يكون في الخير والشر، والتتايع يختص بالمنكر والشر، كما جاء في الخبر: (ما يحملكم على أن تتايعوا في الكذب كما يتتايع الفراش في النار).

(ص) ويقولون: المسلمون تتكافا دماؤهم. والصواب: تتكافأ، أي تتساوى.

قلت: الصواب: تتكافأ بهمز آخره.

(و) يقولون: تثاوبت. والصواب: تثاءبت، وهي الثُّؤَباء، ممدودة.

قلت: يقولونه بالواو، وهي بالهمزة.

(ح) ويقولون لمن أصابته الجنابة: قد تجنَّب. ومعنى تجنَّب أنه أصابته ريح الجنوب، فأما الجنابة فيقال فيه: أجْنَبَ.

(ص ح و) تقول العامة: تَجير، لعصارة التمر، بالتاء. وإنما هو ثَجير بالثاء.

قلت: الثجير، بالثاء المثلثة ثُفْل كل شيء يُعْصَر، وفي الحديث: لا تَثْجُرُوا، أي لا تخلطوا ثجير التمر مع غيره في النبيذ.

(ق) التحليق تذهب العامة الى أنه رمي شيء من علو الى أسفل، وهو غلط، إنما التحليق الارتفاع في الهواء، وحلق الطائر في كبد السماء إذا ارتفع في طيرانه.

(ز) ويقولون: قد تخلَّقتْ ثيابه، إذا بَلِيَتْ. والصواب: خَلِقَتْ ثيابه، تخْلَقُ، فهي خَلَقٌ، وأخلقتْ فهي مُخلِقة.

(ص) ويقولون: تخرّس على السلطان، إذا قال عليه ما لم يقل. والصواب: تخرَّصَ، بالصاد. وقد نطق القرآن به ماضع فقال: (قُتِلَ الخرّاصُونَ).

(و) وتقول العامة: تخاريس. والصواب: دخاريص، وهي فارسية معربة.

---

(١) المستطرف، ٣٠٥/٢

قلت: هي بالدال والصاد.

(وزص) ويقولون: تَرْكُوة. والصواب: تَرْقُوة.

قلت: يريد أنهم يقولونه: تركوة، بالكاف، وهي بالقاف. والترقوة العظم الذي بين ثُغْرة النّحْر والعاتِق، وهي فَعْلُوة، ولا تقل: تُرقُوة بالضم من أوله.

(و) تقول العامة: ما هذا التّرادُو؟. والصواب: ما هذا التّرادِي؟ وليس في العربية واو ساكنة في آخر الاسم ولا المصدر. وإنما العرب تقول: ترادأ فلان ترادؤاً، بالهمز، فإذا خففوا قالوا: الترادي.

(ز) ويقولون: جاء بلا تربُّق. والصواب: بلا ترفُّق، يقال: رَفَق الرجل يرفُق رِفْقاً وتَرفُّقاً.

(ص) ويقولون في قول كُثيّر:

ولما وقفنا والقلوبُ على الغَضَى ... وللدمعِ سَحٌ والفرائِصُ تُرْعَدُ

يقولون: ترعد بفتح التاء، والصواب: تُرعَد بضمها.

(ق و) وتقول العامة تَدَرْمَن على الشيء. والصواب: تمرّنَ.

قلت: يقولونه بدال وراء، والصواب بالميم والراء المشددة والنون.

(زص) ويقولون: تَدَعْدَعَ البناءُ. والصواب: تذَعْذَع، بالذال، وأصل التّذعْذُع: التفرُّق، قال الحسن البصري رضي الله عنه: لا أعلمنّ ما ضنّ أحدكم بماله، حتى إذا كان عند موته ذعذعه ها هنا وها هنا.

(ص) ويقولون: تدشَّيتُ. والصواب: تجشّأْتُ، بالجيم والهمزة، قال حسان بن ثابت:

ألا طِعانَ، ألا فرسانَ عاديةٍ ... إلا تَجشُّؤكم عندَ التنانيرِ

(ح) ويقولون في مصدر ذَكّر: تِذْكار، بكسر التاء. والصواب فتحها كما تفتح في تَسْآل وتَسيار وتَهيام، وعليه قول كُثيّر عزة:

وإنّي وتَهيامي بعزةَ بعد ما ... تخلّيتُ مما بيننا وتخلَّتِ

وجميع المصادر كذلك، إلا قولك تِلقاء وتِبيان، فأما أسماء الأجناس والصفات فقد جاء منها عدة على تِفعال بكسر التاء، كقولهم: تِجْفاف، **وتِمساح**، وتِقْصار، وهي المخنقة القصيرة، وتمراد وهي بيت صغير يتخذ للحمام.

(ص) سأل أبو زيد الأخفشَ فقال: كيف تقول يوم التروية؟ أتهمز؟ قال: نعم، قال ولِمَ؟ قال: لأني أقول: روّأتُ في الأمر.

قال: أخطأتَ، إنما هو تروَّيت من الماء، غير مهموز.

(س) أخبرني الهِزّاني عن الجَهْمِيّ قال: في الأنصار تَزِيدُ ابن جُشم بن الخزرج بن حارثة، وليس في العرب تزيد إلا هذا وتزيد بن حَيْدان في مَهْرة، وهم الذين تنسب لهم الرِّحال التزيدية، قال علقمة بن عَبَدَة:

.... فكُلُّها بالتّزِيديّاتِ مَعْكومُ

ثم قال الجهمي: وبيت أبي ذؤيب:

.... كأنّما ... كُسِيَتْ بُرودَ بَني يَزِيدَ الأذْرُعُ

بياء تحتها نقطتان.

(ص) ويقولون: تَسْبيجَة. والصواب: دسْتيجة.

(س ك) حدثنا عون بن محمد، ثنا محمد بن عمران الضبي قال: أنشدنا أبو عمرو الشيباني:." (١)

"(ص) ويقولون: خرجنا وُوحودَنا، وجاء القوم وُحودَهم. وذلك على غير الصواب، وإنما يقال خرج زيدٌ وحْدَه، وخرجا وحْدَهما وخرجوا وحْدَهم، هكذا على التوحيد والنصب.

(س) قال ابن دريد: سمعت أبا حاتم يقول: روى البغداذيون من شعر الأعشى:

.... بَناهُ قُصيٌّ وحْدَه وابنُ جُرْهُمِ

ثم قال أبو حاتم: هذا والله الجهل! أيقول أحد: رأيتُ زيداً وحْدَه وعمراً؟ وإنما الرواية:

.... بَناه قُصَيٌّ والمُضاضُ بنُ جُرْهُمِ

(و) العامة تقول: الوِداع، بكسر الواو. والصواب فتحها.

(ص) ويقولون لما يتعلق بأصواف الغنم بن البعر والبول: ودَحٌ. والصواب وَذَحٌ، بالذال معجمة، وصوف مُوَذَّح.

(ص) ويقولون الوَذْي. والصواب بالدال ساكنة غير معجمة.

(ق وص) ويقولون وَرَلٌّ، بتشديد اللام. والصواب وَرَل، بتخفيفها، على وزن جمَل، وهو، على ما يقال، ولد التمساح إذا خرج الى البَرّ وأقام به.

(و) العامة تقول وَرَن، بالنون.

وقرأتُ على شيخنا أبي منصور قال لم تجتمع الراء واللازم في شيء من لغة العرب إلا في أحرف يسيرة، هذا أحدها، وأُوُلٌ وهو جبل معروف، وغُرْلَة، وهي القُلْفة، وجَرَل، وهي الحجارة المجتمعة.

(ز) ويقولون: فرس وَرْدَا. والصواب وَرْدَةٌ، والذكر وَرْد، والجمع وِراد.

---

(١) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، ص/٣٩

(م ز) ويقولون لِسامّ أبْرَص: وَزْغَة، فيخففون.
والصواب وَزَغَة، والجمع وَزَغ وأوزاغ.
قلت: الصواب فيه تحريك الزاي.
(ص) يقولون لسامّ أبرص: وِزْغَة. والصواب وَزَغَة.
قلت: أراد أنهم يقولونه بكسر الواو.
(ص) ويقولون لواحد الأوسُق: وِسْق.
والصواب: وَسْق، وقد وردت اللغتان: وَسْق ووِسْق.
قلت: الذي ذكره الجوهري: قال الخليل: الوَسْق: هو حِمْل الجَمَل، والوِقْر: حِمْل البغل والحمار.
ورأيت في نسخة بالصحاح صحيحة موثوق بها: الوِسْق، بكسر الواو.
(ص) ويقولون: وقعتْ عليه وَسْمَة فيما فعَل.
والصواب وَصْمَة، بالصاد، والوَصْمة: العيب.
(ز) قولهم للثوب وِشاح.
والوِشاح، من حَلْي النساء، نظمان من لؤلؤ يُخالَفان ويُعطَف أحدهما على الآخر، وتتوشّح به المرأة على كَشْحها.
ويقال وِشاح وإشاح، وروى الفراء أيضاً وُشاح. ويُسمّى الوشاح كَشْحاً، لأنه على الكَشْح يكون، قال الهُذَليّ يصف سيْلاً:
كأنّ الظِّباءَ كُشوحُ النّسا ... ءِ يطفونَ فوقَ ذُراهُ جُنوحا.
(ص و) العامة تقول للماء الذي يُتوضّأ به: وُضوء، بضم الواو.
والصواب فتحها.
(ح) ونظير ذلك لفظة وَعَد تستعمل في الخير، قال عزّ اسمُه: وَعَد الله الذين آمنوا منكُم وعَمِلوا الصّالحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأرض...)، وتستعمل أيضاً في الشر، قال الله عز وجل: (النّارُ وعَدَها اللهُ الذين كَفَروا)، فأما الوعيد والإيعاد فلا يستعملانِ إلا في الشر.
(و) العامة تقول: نحن على وَفاز. والصواب أوْفاز، فإن الواحد وَفْزٌ، إذا لم يكن على طمأنينة.
(ك) حدثنا يعقوب بن بيان قال: حدثني علي بن الحسين الإسكافي قال: أنشدتُ أبا محلم أبياتاً أنشدنيها ابن الأعرابي:

لأنتُم بالحبالِ مُدَفَّناتٍ ... أمام الحَيّ للرَّخَمِ الوَقوعِ
أحقُّ بكم وأجدرُ أنْ تصيدوا ... من الفُرسان ترفُلُ في الدُّروعِ
إذا صادوا بغاثاً شيطوه ... وكان وفاءَ شاتهم القَروعِ
فقال أبو محلم: صحف، والله، ابن الأعرابي، وإنما هو وقاء شاتهم القروع.
قلت: قاله ابن الأعرابي وفاء شاتهم، بالفاء، وصوابه بالقاف.
(ص) ويقولون لما بين الفريضتين: وَقْصٌ.
والصواب وَقَص، بفتح القاف، والجمع أوقاص، فأما الوقْصُ، بالإسكان، فدَقُّ العُنُق، لا غير.
قلت: الوَقصُ: واحد الأوقاص في الصَّدَقة، وهو ما بين الفرضيضتين، نحو أن تبلغ الإبل خمساً ففيها شاةٌ، ولا شيء في الزيادة حتى تبلغ عشراً، فما بين الخمس الى العشر وَقَص، وكذلك الشَّنَق، وبعض العلماء يجعلون الوَقَص في الىبقر خاصة والشَّنَق في الإبل خاصة، وهما جميعاً ما بين الفريضتين.
(ص) يقولون بيت ذي الرمة:
وَقَفْتُ بها حتى ذوَى العودُ في الثّرَى ... وساقَ الثُريّا في مُلاءَتِه الفَجْرُ
والصواب: أنه أقامتْ به حتى ذوَى العُودُ في الثرى.." (١)

"ستون و ايضا فمن دهار في الجنوب الى وادي " نمية " سبعة والى " مهرت ديش " ثمانية عشر والى ولاية "كنكن " وقصبتها " تانة " على الساحل خمسة وعشرون . و يذكرون ان في براري كنكن المسماة دانك دابة تسمى شرو ذات اربع قوائم وعلى ظهرها شبه القوائم ارع اخرى نحو العلو ذات خرطوم صغير وقرنين عظيمين تضرب٢٤٠ بهما الفيل فتقطعه بنصفين وهي على هيئة الجاموس اعظم من كنده ، ويزعمون انها ربما نطحت دابة ما وشالت بها او بعضها نحو ظهرها فوقعت فيما بين قوائمها العليا فعفنت وتدودت فاخذت في ظهرها ولم تزل تحاك الاشجار حتى تعطب، ويقولون انها ربما سمعت بصوت الرعد فظنته حيوانا وقصدته وقلت قلة الثنايا نحوه ووثبت منها اليه فتردت وانحطمت ؛ فأما كنده فأنه كثير بأرض الهند وخاصة حول كنك على هيئة الجاموس اسود الجلد مفلسة ذو غباغب وذو ثلاثة حوافر في كل قائمة صفر واحد كبير الى قدام واثنان من الجانبين ذنبه غير طويل وعيناه منحطتان عن الموضع المعهود الى الخد وعلى طرف انفه قرن واحد له انعطاف الى فوق ، ويختص البراهمة بأكل لحمه، وشاهدت فتيا منه ضرب فيلا اعترض له فجرح٢٤١ بالقرن عضده ونطحه ، وكنت اظن انه الكركدن حتى اخبرني بعض من

(١) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، ص/١٠٩

ورد من سفالة الزنج ان الكرك المستعمل قرنه في نصب السكاكين هناك قريب منهذه الصفة ويسمى بالزنجية انبيلا بالوان شتى على هامته قرن مخروطي واسع الاسفل قليل الارتفاع سهمه في الداخل اسود والباقي ابيض وعلى جبهته قرن اخر اطول على صفة الاول ينتصب وقت العمل والنطح وهو يحدده على الاحجار حتى يصير قاطعا ثاقبا وله حوافر وذنب كذنب الحمار شعراني؛ ويوجد **التماسيح** في انهار الهند كما هي بالنيل حتى ظن الجاحظ بسلامة قلبه وبعده عن معرفة مجاري الانهار وصور البحار ان نهر مهران شعبة من النيل ولقد يوجد٢٤٢ فيها ايضا حيوانات عجيبة من **التماسيح** ومكر وصنوف السمك المستغربة و حيوان كالزق يظهر للسفن ويعوم ويلعب يسمونه برلو واظنه الدلفين او نوعا منه فقد قيل ان على رأسه شق للتنفس كما للدلفين ؛ وفي انهارهم الجنوبية حيوان يسمى كراه وربما يسمى جلتنت وايضا تندوه وهو دقيق طويل جدا ، زعموا انه يرصد من يدخل الماء ويقف فيه انسانا كان او بهيمة فيقصده ويأخذ في الدوران عليه بالبعد منه الى ان يفنى طوله ثم ينقبض وينعقد على ارجله ويصرعه ويهلكه، وسمعت بعضهم يحكى عن المشاهدة أن له رأسا كرأس كلب و ذنبا ذا شعب كثيرة طويلة يلفها على الحيوان عند الغفلة ثم يجريه بها الى الذنب حتى يلويه عليه و يستحكم الامر فلا ينجو منه . فنعود الى ما كنا فيه و نقول : ان من " بزانه " فيما بين الجنوب و المغرب الى مدينة " انهلواره " ستون و الى " سومنات " على الساحل خمسون و من انهلواره نحو الجنوب الى " لارديش " و قصبتها " بهروج " و " رهنجور٢٤٤ " اثنان وأربعون و هما على الساحل عن شرق " تانه " و من بزانه٢٤٥، نحو المغرب الى " مولتان " خمسون و الى " بهاتى " خمسة عشر و من بهاتى فيما بين الجنوب و المغرب الى " ارور " خمسة عشر و هي بلدة فيما بين شعبتي ماء " السند " و الى " بمهنوا " المنصورة عشرون و الى " لوهرانى " المصب ثلاثون ، و من "كنوج " نحو الشمال منحرفا قليلا نحو المغرب الى " شرشارهه " خمسون و الى " بنجور " ثمانية عشر و هو على الجبل و بحذائه في البرية بلد " تانشر " و الى " دهماله " قصبة " جالندهر " عند السفح ثمانية عشر و الى " بلاور " عشرة ثم نحو المغرب الى " لده " ثلاثة عشر ثم الى قلعة " راجكرى " ثمانية و منها نحو الشمال الى "كشمير " خمسة و عشرون ، و من "كنوج " نحو المغرب الى " ديامو " عشرة و الى "كتى " عشرة و الى " آهار " عشرة و الى " ميرت " عشرة و الى " بانبت " عشرة و بينهما نهر " جون " و الى "كويتل " عشرة و الى " سنام " عشرة ، ثم فيما بين المغرب و الشمال الى " آدت هولر " تسعة و الى " جحنير٢٤٦ " ستة و الى " مند هوكور " قصبة " لوهاور " على شرق نهر " ايراوه " ثمانية و الى نهر " جندراهه " اثنا٢٤٧عشر و الى " جيلم " على غرب ماء " بيت " و الى " ويهند " قصبة " القندهار " على

غرب ماء " السند " عشرون و الى " برشاور " أربعة عشر و الى " دنبور " خمسة عشر و الى "كابل " اثنا عشر و الى " غزنه " سبعة عشر؛ فأما كشمير فانها برية يحيط بها جبال عالية منيعة جنوبها و شرقها للهند و غربها لملوك أقربها " بلور شاه "." (١)

"القطب بلغتهم " درب٣٠٦ " والمحور " شلاك " وقلما تسمع من غير منجميهم الا قطبا واحدا لما تقدم من ذكر اعتقادهم فى قبة السماء ، وفي " باج بران " : ان السماء تستدير على القطب كدورة الخزاف والقطب يدور على نفسه ولا يتحرك من مكانه و يستوفى الدوران في ثلاثين مهورتا أي في يوم بليلته ، ولم أسمع منهم في القطب الجنوبي الا أن ملكا كان لهم يسمى " سومدت " قد استحق الجنة بحسن اعماله ولم يطب قلبه بنزع بدنه عن نفسه عند انتقاله فقصد " بسشت " الرش و أعلمه أنه يحب بدنهولا يريد مفارقته فآيسه عنحمل البدن الألرضي من الدنيا الى الجنة ، وعرض أيضا حاجته على اولاد بسشت فجبهوه ببزقهم٣٠٧ وسخروا به وصيروه جندالا مشنف الأذنين بقرطق جديد ، فجاء الى " بشفامتر " الرش على تلك الحالة فاستفظعها وسأله عنها فأخبره بها وقص عليه القصة بأجمعها ، فغضب امتعاضا له وأحضر البراهمة لعمل قربان كبير واولاد بسشت فيهم وقال لهم : انى اريد أن أعمل آخر و جنة اخرى بسب هذا الملك الصالح يبلغ فيها مشتهاه ، وأبتداء بعمل القطب وبنات نعش التى في الجنوب ، وخافه " أندر " الرئيس والروحانيون فجاؤوا اليه متضرعين يسألونه اهمال ما ابتدأ فيه على أن يحملوا سومدت ببدنه كما هو الى الجنة وفعلوا ذلك ، فترك عمل العالم الثاني الا ما كان عمل منه الى وقتئذ ؛ ومعلوم أن القطب الشمالى يوسم عندنا ببنات نعش والجنوبي بسهيل الا أن في بعض من يشبه العوام من اصحابنا من يزعم أن في ناحية الجنوب من السماء بنات نعش على هيئة الشمالى تدور حول ذلك القطب ، وليس ذلك بممتنع ولا مستبدع ان حصل خبره من جهة ممعن في أسفار البحر أمين ثقة ، وقد يظهر في البقاع الجنوبية ما لا نعرفه عن الكواكب ، فقد زعم " شريبال٣٠٨ أنه يظهر في الصيف بمولتان كوكب أحمر منخفض عن مدار سهيل يسمونه " شول٣٠٩وهو خشبة الصلب وان الهند يتشاءمون به ولذلك اذا كان القمر في " بوربا بتربت ط لم يسافروا نحو الجنوب فانه فيه ، وذكر " الجيهانى " في "كتاب المسالك " ك ان في جزيرة " لنكبالوس " يرى كوكب ضخم يعرف بذي الحمة في الشتاء وقت السحر من جهة مشرق الشمس على ارتفاع كقامة الدقل وقد يتالف من ذنب الدب الأصغر ومؤخرة وكواكب صغار هناك شكل مستطيل يسمى " فأس الرحا " ، و " برهمكوبت " يذكره بالسمكة ، وللهند في تصويرها على هيئة حيوان مائي ذي أربع

---

(١) تحقيق ما للهند، ص/٨٣

أرجل۳۱۱،يسمونه " شاكور " ويسمى أيضا " ششمار " أخبار جزافية ، وأظن ششمار هذا هو الضب الكبير فان أسمه بالفارسية " سسمار " وبينهما مشابهة ، ومنه مائى مثل **التمساح** و الأسقنقور ، فمن تلك الأساطير أن " براهم " لما أراد ايلاد البشر قسم نفسه بنصفين اسم الأيمن " براز " واسم الايسر " من وهو الذي سميت النوبة باسمه " مننتر " وصار لمَن ابنان أحدهما " بريربت " والاخر " اوتانباذ " الملك ال أحنف الرجل ، وله ابن اسمه " درب " لحقه استخفاف من امرأة أبيه فأعطى القدرة على ادارة الكواكب كلها كما يريد وكان ظهوره في " مننتر سوا ينبهب " وهى أول النوب وبقى في مكانه على الأبد ، وفي " باج بران " : ان اليح تحرك الكواكب حول القطب وهي مربوطة به برباطات لا يراها الناس فتتحرك على مثال الخشبة التي تدار في معاصر الدهانين فان أصلها كالثابت وطرفها دائر ، وفي كتاب " بشن دهرم " : ان " بجر " الذي هو من اولاد " بلبهدر " أخى " نارين " سأل " ماركنديو " الرش عن القطب ، فأجابه بأن " براهم " لما عمل العالم كان مظلما موحشا فعمل حينئذ كرة الشمس نيرة و اكر الكواكب مائية لنورها قابلة من الوجه الذي تواجهها به و وضع منها حول القطب أربعة عشر على هيئة " ششمار " تدير سائر الكواكب حول القطب فمنها نحو الشمال من القطب على اللحى الأعلى اوتانباذ وعلى الاسفل " جكم " وعلى الرأس " دهرم " وعلى الصدر " ناراين " وعلى اليدين نحو المشرق كوكبا " اشون " الطبيبين وعلى الرجلين " برن " و " ارجم " نحو المغرب وعلى المبال " سنبجر۳۱٤ " وعلى الدبر " متر " وعلى الذنب " اكن " و " مهيندر " و ط مريج " و ط كشب ط ، قال : والقطب هو " بشن " المطاع في أهل الجنة وهو أيضا الزمان الذي ينشئ وينمى ويبلى وينفي ، ثم قال : ومن قرأ هذا وعرفه بالتحقيق غفر الله له سيئات يومه وزيد في عمره المقدر أربع عشرة سنة : ما أسلم قلوب القوم فعندنا من يحيط بالف ونيف و." (١)

""""""""" صفحة رقم ۲۷۷ """""""

قراره فإن المثل والمثل والمماثلة والتمثيل كلاماً رائقاً وغاية شريفة .

الجواب : قال أبو علي مسكويه – رحمه الله : إن الأمثال إنما تضرب فيما لا تدركه الحواس مما تدركه .

والسبب في ذلك أنسنا بالحواس وإلفنا لها منذ أول كونها ولأنها مبادىء علومنا ومنها نرتقي إلى غيرها .

فإذا أخبر الإنسان بما لم يدركه أو حدث بما لم يشاهده وكان غريباً عنده – طلب له مثالاً من الحس فإذا أعطي ذلك أنس به وسكن إليه لإلفه له .

وقد يعرض في المحسوسات أيضاً هذا العارض .

---

(١) تحقيق ما للهند، ص/٩٧

أعني أن إنساناً لو حدث عن النعامة أو الزرافة والفيل **والتمساح** لطلب أن يصور له ليقع عليه ويحصل تحت حسه البصري ولا يقنع فيما طريقه حس البصر بحس السمع حتى يرده إليه فهذا الأمر في الموهوبات فإن إنساناً لو كلف أن يتوهم حيواناً لم يشاهد مثله لسأل عن مثله وكلف مخبره أن يصور له مثل عنقاء مغرب فإن هذا الحيوان وإن لم يكن له وجود فلا بد لمتوهمه أن يتوهمه بصورة مركبة من حيوانات قد شاهدها .

فأما المعقولات فلما كانت صورها ألطف من أن تقع تحت الحس وأبعد من أن تمثل بمثال الحس إلا على جهة التقريب – صارت أخرى أن تكون غريبة غير مألوفة .

والنفس تسكن إلى مثل وإن لم يكن مثلاً لتأنس به من وحشة الغربة .

فإذا ألفتها وقويت على تأملها بعين عقلها من غير مثال سهل حينئذ عليها تأمل أمثالها .

والله الموفق لجميع الخيرات .." (١)

"أُدْعَى أَباهُمْ ولم أُقْرَفْ بأمِّهم ... وقَدْ هَجَعْتُ ولم أَعْرِفْ لَهُمْ نَسبَا

أَنا ابْنُ مَحْكانَ أَخْوالي بنو مَطَرٍ ... أُنْمَى إِلَيْهِمْ وكانوا مَعْشَراً نُجُبَا

أوس بن مغراء

هو من بني ربيعة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد. وكان يهاجي النابغة الجعدي.

وهو القائل في بني صفوان الذين كانت فيهم الإفاضة من عرفة، وهم صفوان بن شجنة بن عطارد بن عوف بن كعب بن سعد:

ولا يَرِيمُونَ لنا في التَّعْرِيفِ مَوْقِفَهُمْ ... حتَّى يُقَال أَفِيضُوا آلَ صَفْوَانَا

مَجْداً بَناه لنا قِدْماً أَوَائلُنا ... وأَوْرَثُوهُ طوالَ الدَّهْر أُخْرَانَا

أبو الزحف الراجز

هو ابن عطاء بن الخطفي، ابن عم جرير الشاعر.

وعمر أبو الزحف حتى بلغ زمان محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس.

وهو القائل:

إِلَيْكَ أَشْكُو وجَعاً بِرُكْبَتي ... وهَدَجَاناً لم يَكُنْ من مِشْيَتي

كهَدَجَان الرَّألِ خَلْفَ الهَيْقَتِ ... مُزَوْزِياً لمَّا رَآها زَوْزَتِ

---

(١) الهوامل والشوامل . موافق للمطبوع، ص/٢٧٧

وقال الآخر، ولا أعرف اسمه:

إِلَيْكَ أَشْكُو وَجَعاً بمِرْفَقِي

وهَدَجَاناً لم يَكُنْ من خُلُقي ... كَهَدَجَانِ الرَّأل حَوْلَ النِّقْنِق

وأخذ هذا من أبي الزحف. استدللت على ذلك بأن أبا الزحف ذكر وجعاً بركبته، وذلك مما يعتري الشيوخ، كما قال الآخر:

وللكَبير رَثَيَاتٌ أَرْبَعُ ... الرُّكْبَتان والنَّسَا والأَخْدَعُ

ولما أراد هذا أن يتبعه اضطرته القافية إلى ذكر المرفق، وذلك مما لا يتشكاه من شكا علل الكبر.

السرداق الذهلي

كان السرداق هذا مولعاً بالشراب، فعاتبته ابنته على شرب الخمر، فقال لها يا بنية، لا صبر لي عنها، وقد صارت غذاءً! قالت له ففي نبيذ التمر لك عوض، فأمرها فاتخذت له نبيذ تمر، فشرب منه أياماً، فلم يوافقه، فعاد إلى الخمر، وقال:

عُرُوقُ الصَّدْرِ تَعْلَمُ أَنَّ هذَا ... له طُرُقٌ سِوَى طُرُقِ النَّبِيذِ

وقال في ابنته:

تَقُولُ ابنَتي لا تَشْرَبِ الخَمْرَ والْتَمِسْ ... شَرَاباً سِوَاهُ، والشَّرَابُ كَثِيرُ

فقُلْتُ ومَنْ لي بالشَّرابِ الذي إِذَا ... شَرِبْتُ عَرَاني في العِظَامِ فُتُورُ

أَأَشْرَبُ تَمْراً يَنْفُخُ البَطْنَ مُنْتِناً ... وأَتْرُكُها كالمِسْكِ حِينَ تَفُورُ

لها أَرَجٌ في البَيْتِ ما لم يَشُجَّها ... السُّقَاةُ يَكادُ المَرْءُ منه يَطيرُ

فذلكَ أَمْرٌ لَسْتُ عنه بمُقْصِرٍ ... وإِنْ دار صَرْفُ الدَّهْر حَيْثُ يَدُورُ

ومر بمجلسٍ من مجالس الأزد، وقد شرب، فاختلفت رجلاه! فقال شاب منهم إنها لمشية سكران، فأقبل عليه السرداق وقال:

مَعاذَ إِلهي لَسْتُ سَكْرانَ يا فَتَى ... وما اخْتَلَفَتْ رِجْلايَ إِلا منَ الكِبَرْ

ومَنْ يَكُ رَهْناً لِلَّيَالي ومَرِّها ... تَدَعْهُ كَلِيلَ القَلْبِ والسَّمْعِ والبَصَرْ

هدبة بن خشرم العذرى

هو هدبة بن خرشم بن كرز، من عذرة.

وكان هدبة صاحب زيادة بن زيادة بن زيد العذري، وهما مقبلان من الشام في نفر من قومهما، فكانوا

يتعاقبون السوق بالإبل، فنزل زيادة يسوق بأصحابه، فرجز فقال:

عُوجِي عَلَيْنا وارْبَعي يا فاطِمَا ... ما دُونَ أَنْ يُرَى البَعِيرُ قائِمَا

أَلا تَرَيْنَ الدَّمْعَ مِني ساجِمَا ... حِذارَ دارٍ مِنْكِ أَنْ تُلائِمَا

وكان لهدبة أخت يقال لها فاطمة، فظن أنه شبب بها، فنزل هدبة فساق بالقوم، ورجز بأخت زيادة، وكان يقال لها أم القاسم، فقال:

مَتَى تَظُنُّ القُلُصَ الرَّوَاسِمَا ... يَبْلُغْنَ أُمَّ قاسِمٍ وقَاسِمَا

خَوْداً كأَنَّ البَوصَ والمَآكِمَا ... منها نَقاً مُخَالِطٌ صَرَائِمَا

واللهِ لا يَشْفِي الفُؤَادَ الهَائِمَا ... تَمْسَاحُكَ اللَّبَّاتِ والمَعَاصِمَا

ولا اللِّمَامُ دُونَ أَنْ تُلازِمَا ... ولا اللِّزَامُ دُونَ أَنْ تُفَاقِمَا." (١)

"قولهم في الملك وجلسائه ووزرائه قالت الحكماء لا ينفع الملك إلا بوزرائه وأعوانه ولا ينفع الوزراء والأعوان إلا بالمودة والنصيحة ولا تنفع المودة والنصيحة إلا مع الرأي والعفاف .

ثم على الملوك بعد ذلك ألا يتركوا محسناً ولا مسيئاً ما دون جزاء فإنهم إذا تركوا ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء وفسد الأمر وبطل العمل .

وقال الأحنف بن قيس .

من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء ومن غص بالماء فلا مساغ له ومن خانه ثقاته فقد أتي من مأمنه .

وقال العباس بن الأحنف : قلبي إلى ما ضرني داعي يكثر أحزاني وأوجاعي كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي وقال آخر : كنت من كربتي أفر إليهم فهم كربتي فأين الفرار وأول من سبق إلى هذا المعنى عدي بن زيد في قوله للنعمان بن المنذر : وقال آخر : إلى الماء يسعى من يغص بريقه فقل أين يسعى من يغص بماء وقال عمرو بن العاص : لا سلطان إلا بالرجال ولا رجال إلا بمال ولا مال إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل .

وقالوا : إنما السلطان بأصحابه كالبحر بأمواجه .

وقالوا : ليس شيء أضر بالسلطان من صاحب يحسن القول ولا يحسن الفعل .

و لا خير في القول إلا مع الفعل ولا في المال إلا مع الجود ولا في الصدق إلا مع الوفاء ولا في الفقه إلا

---

(١) الشعر والشعراء، ص/١٤٧

مع الورع ولا في الصدقة إلا مع حسن النية ولا في الحياة إلا مع الصحة .
وقالوا : إن السلطان إذا كان صالحاً ووزراؤه وزراء سواء امتنع خيره من الناس ولم ينتفع منه بمنفعة وشبهوا ذلك بالماء الصافي يكون فيه التمساح فلا يستطيع أحد أن يدخله وإن كان محتاجا إليه .
صفة الإمام العادل." (١)

"بياض الرأس أقبح من سوادي ... وشيب الحاجبين هو الفضوح

فأمسك عنها حيناً ثم عاودها، فلما فضحته طلقها.
قالوا: وإن نظر البضان إلى نساء السودان بغير عين الشهوة فكذلك السودان في نساء البضان. على ان الشهوات عاداتٌ وأكثرها تقليد. من ذلك أن أهل البصرة أشهى النساء عندهم الهنديات وبنات الهنديات والأغوار. واليمن أشهى النساء عندهم الحبشيات وبنات الحبشيات. وأهل الشام أشهى النساء عندهم الروميات وبنات الروميات. وكل قومٍ فإنما يشتهون جلبهم وسبيهم. إلا الشاذ، وليس الشاذ قياس.
قالوا: وأطيب الأفواه نكهةً، وأشدها عذوبةً، وأكثرها ريقاً، أفواه الزنج. والكلاب من بين السِّباع أطيب أفواهاً منها.
قالوا: والسود ملاومٌ للعين، وإذا اعتلت فخيف عليها لم يكن لها دواءٌ خيرٌ من القعود في الظلمة وفي يد صاحبها خرقةٌ سوداء. فالسواد للإبصار، وخير ما في الإنسان البصر.
وقالوا: والسودان أكثر من البيضان، لأن أكثر ما يعد البيضان فارس والجبال وخراسان، والروم والصقالبة وفرنجة والأبر، وشيئاً بعد ذلك قليلاً غير كثير. والسودان يعدون الزنج والحبشة، وفزان وبربر، والقبط والنوبة، وزغاوة ومرو، والسند والهند، والقمار والدبيلا، والصين وماصين. والبحر أكثر من البر، وجزائر البحر ما بين الصين والزنج مملوءةٌ سوداناً، كسرنديب، وكله، وأمل، وزابج وجزائرها إلى الهند إلى الصين إلى كابل وتلك السواحل.
قالوا: وكان الأعمى الاشتيام يقول: السودان أكثر من البيضان، والصخر أكثر من الوحل، والرمل أكثر من التراب، والماء المالح أكثر من العذب.
قالوا: ومنا العرب لا من البيضان؛ لقرب ألوانهم من ألواننا. والهند أسفر ألواناً من العرب، وهم من السودان. ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " بعثت إلى الأحمر والأسود " . وقد علم الناس أن العرب ليست بحمر كما ذكرنا قبل هذا.

---

(١) العقد الفريد، ص/١٧

قال: فهذا المفخر لنا وللعرب على جميع البيضان إن أحبَّتْ ذلك العرب؛ وإن كرهته فإن المفخر لنا بالذي ذكرنا على الجميع.

قالوا: ولو لم نكثركم إلا بالزابج وحدها لفضلناكم بهم فضلاً مبيناً؛ وذلك أن ملك الزابج إن غضب على أهل مملكة ولم يتقوه بالخراج بعث ألف سنبوقة في كل سنبوقة ألف رجل على أن لا يجلدونهم ولا يقاتلونهم، ولكن يأمرهم أن يقيموا أبداً فيهم حتى يتَّقوهم بالخراج، فيكون ما يأكلون ويشربون ويغذون ويلبسون، أضر عليهم من مقدار الخراج المرار الكثيرة. فإن اتقوهم بالخراج وإلا أرسل إليهم ألف سنبوقة أخرى، فلا يجد ذلك الملك بداً من أن يتقيه بكل ما طلب، ولا يأمن أن يغضب فيأتي عليه وعلى أهل مملكته.

قالوا: ولقد نزل ملك الزابج على خليجٍ مرةً والخليج فراسخ في فراسخ، فبينما هو على مائدته وفي سرادقه على شواطئ الخليج، إذ سمع صارخةً فقال: ما هذا؟ وقطع الأكل. قالوا: امرأةٌ سقط ابنها في هذا الخليج فأكله **التمساح**. قال: وفي مكانٍ أنا فيه شيءٌ يشاركني في قتل الناس! ثم وثب فإذا هو في الخليج. فلما رأوه الناس سقطوا عن آخرهم، فخضخضوه وهو فراسخ في فراسخ، حتى أخذوا **تمساحٍ** فيه أخذ يدٍ.

فقال: إن أهل الزابج وأغبابها أكثر من شطر أهل الأرض.

قالوا: وآخر العمران كله سودانٌ، وما استدار من أقاصي العمران أكثر من أهل الواسطة، كطوق الرحى الذي يلي الهواء، الذي هو أوسع وأكثر ذرعاً مما قصر عنه من فلك الرحى ولنعتبر ذلك بالجناح المطيف، لا يرى أحد ذرعه مع قلة عرضه، ونجده أكثر ذرعاً من نفس الدار.

وليس خلف الزابج بيضانٌ، وكذلك جميع بلاد السودان الساكنة في الأطراف وفي آخر أطواق العمران.

قالوا: فهذا دليل على أنّا أكثر، وإذا كنّا أكثر كنَّا أفخر. وقد قال شاعركم:

ولست بالأكثر منه حصىً ... وإنما العزّة للكاثر

قالوا: والقبط جنسٌ من السودان وقد طلب منهم خليل الرحمن الولد فولد له منهم نبيٌّ عظيم الشأن، وهو أبو العرب إسماعيل عليه السلام.

وطلب النبيُّ صلى الله عليه وسلم منهم الولد، وولد له إبراهيم، وكنَّاه به جبريل.." (١)

"ش: هو منسوب إلى عبد شمس بن سعد بم زيد مناة بن تميم.

وعلى قوله " ٣٢،١١٧٠ "كل واحد.

---

(١) الرسائل للجاحظ، ص/٤٨

ش: قال أبو الحسن: واحد، وواخد، وواجد، وقد روى...

وعلى قوله " ٣١،١١٧٠ " يقر بعيني أن ارى من مكانه.

ش: روى نفطوية من مكانه.

وعلى قوله لبيد " ٣٢،١١٧٠ " مدمن يجلو بأطراف ... البيت.

ط: قوله " مدمن " يريد مدمن للخمر يشربها، وقبله: " الرمل "

ذعر البرك، وقد أفوعه ... شارب ينهض نهض المختزل

وعلى قوله الشاعر " ٣٣،١١٧٧ " دائم الطرف أقود.

ط: الأقود. من الرجال الذي لا يلتفتن وكل مكان يسطيل قائد، وفرس قيدود طويلة العنق، ولا يقال للمذكر.

وعلى قوله " ٣٣،١١٧٩ " هو القين.

ط: هذا البيت يروى لخلف بن خليفة الأقطع، وكان له أصابع من جلود، يهجوبه الفرزدق، وفيه يقول الفرزدق: " الطويل "

هو اللص، وابن لا لص مثله ... لثقب جدار، أو لطر الداهم

وعلى قوله " ٣٣،١١٧٩ " على حرد دماء الأساود.

ش: الحرد هاهنا الغيظ، والحنق، ليس كما قال.

وفي كلام أبي الحسن على قوله " ٣٣،١١٧٩ " رميلة أمه.

ش: وأبوه ثور بن أبي حارثة. أحد بني نهشل بن دارم، جعله ابن سلام في الطبقة الرابع من شعراء الإسلام.

وعلى قوله " ٣٣،١١٨٠ " اقبل سيل.

ط: هو لقطرب بن المستنير.

وعلى قوله " ٣٤،١١٨٢ " اسمه عبيد بن المضرحى.

ط: هذا قول أبي عبيدة: هو عبادة بن المضرحي. وقال علي بم حمزة: اسمه عبيد بن المضرحي " ١٢:ألف "كما قال أبو العباس، قال: وزعم الهجري أن اسمه عبدة ابن المجيب بن المضرحي، وحكى الإصبهاني في " الأغاني " ، أن اسم القتال عبد الله بم مجيب. قال: وسمى القتال لتمرده وفتكه، وذكر أبو عبيدة ان سبب قول القتا هذا الشعر، أنه نازع رجلا من قومه، فقال له الرجل أنت كل على قومك، والله إنك لخامل الحسب ذليل النفر، خفيف على كاهل خصمك، كل علي ابن عمك، فاقل القتال هذا الشعر.وذكر أبو الفرج الإصبهاني خلاف هذا، قال كان ،القتال في دينه، ودناءة نفسه شبيه الحطيئة، فمر بعلية بنت شيبة

بن عامر بن ربيعة بن كعب فسألها حبلا، فمنعته إياه، فهجا رهطها، فقال " " البسيط "

يا قبح الله طلعانا تجئ بهم ... أم الهنيبر من زلد لها وار

من كل أعلم منشق وتيرته ... وموذن، ما وفي شبرا بمشبار

أنا ابن أسماء... الشعر، وفيها يقول:

يا بنت جدى، لو وهبت لنا ... ثنتين من محكم بالقد أوتار

إما جديدا، وإما باليا خلقا ... عاد العذارى لقطعيه بأشبار

لكلن رزأ قليلا واعتنجت به ... صهباء بفمها حاجي، وتسيار

وعلى قوله " ٣٤،١١٨٥ " ورل وورلان ش:الورل: تمساح البر.

وعلى قوله " ٣٥،١١٨٦ " ذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها.

ط: قال الخليل: الأفاويق ما اجتمع في السحاب من الماء، فعلى هذا يكون الأفاويق ما اجتمع في الضرع من اللبن، ويمكن أن يكون جمع فواق، وهو ما بين الحلبتينز كأنه جمع فواقا على أفوقة، وجمع أفوقة " ١٢:ب " على افاويق، وز ا د الياء، كما قالوا: ناقة مطفل، ونوق مطافيل قال أبو النجم:

منها المطافل، وغير المطفل

ويكون انتصابه انتصاب الظرف كأنه قال: يرضعونها أوقات اجتماع لبنها، وينتصف في القول الأول على أنه مفعول ثان بمنزلة: اخترت الرجال زيدا، قال ابن دريد.الثعل خلف زائد صغير في ضرع الشاة، أو في أخلاف الناقة، فذ كانت الشاة كذلك فهو ثعول. وقال الفسوي: أفاويق جمع فواق. أو فواق مثل كراع وأكارع، وعروض وأعارض، وهذا الشعر في النعمان بن بشير، وكان عامل الكوفة لمعاوية. فأمره أن يزيدهم عشرة دنانير في أعطياتهم، فلم يفعل، وكان عثمانيا يبغض أهل الكوفة في رأيهم في علي " رضي الله عنه " ، وكان يصعد المنبر، فيكثر الوعظ والتذكير.

وعلى قوله " ٣٥،١١٨٨ " وليست بأمة

ط: قال ابن قتيبة. إن الأبن يشبه عبله، يراد أنه ينزع بالمولود في شبه الظئر وأنشد بيت القتال، وأنشد غيره:

إن تميما لم يراضع مسبعا

وعلى قوله " ٥،١١٨٨٣ " .

ط: قال الزبير، العرب ست طبقات: شعب وقبيلة وعمارة وبطن وفخذ وفصيلة. فالشعب في مضر وربيعة،

لأن القبيلة تشعبت منها، وسميت قبائل لأن العمائرتقابلت عليها، فمضر شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصي بطن، وهاشم فخذ والعباس فصيلة.." (١)

"وهم سبعة بالممدوح، والأنياب في المتعارف أربعة، إلا أن تكون الخلافة تمساح نيل أو كلب بحر؛ فإن أنياب كل واحد منهما ثمانية، اللهم إلا أن يريد أن كل واحد منهم ناب الخلافة في زمانه خاصة؛ فإنه يصح، وفيه من الزيادة على ما قبله أنه زاد واحداً في العدد، فإنه جعل كل ابن هو أبوه في الخلافة إلى أن بلغ راشداً، ولم يقصد إلى ذلك أحد من أصحابه، وإنما مقت شعره هذا تكريره كل اسم مرتين في بيت واحد، وهي أربعة أسماء.

باب التضمين والإجازة

وهذا باب يختلط على كثير من الشعراء ممن ليس له ثقوب في العلم ولا حذق بالصناعة، كجماعة ممن وسم في بلدنا بالمعرفة، وينسب إليها مكذوباً عليه فيها، كاذباً فيما ادعاه منها، ولتعرفنهم في لحن القول.

فأما التضمين فهو قصدك إلى البيت من الشعر أو القسيم فتأتي به في أواخر شعرك أو في وسطه كالمتمثل، نحو قول محمود بن الحسين كشاجم الكاتب:

يا خاضب الشيب والأيام تظهره ... هذا شباب لعمر الله مصنوع

أذكرتني قول ذي لب وتجربة ... في مثله لك تأديب وتقريع

إن الجديد إذا ما زيد في خلق ... تبين الناس أن الثوب مرقوع

فهذا جيد في بابه، وأجود منه أن لو يكن بين البيت الأول والآخر واسطة؛ لأن الشاعر قد دل بذلك على أنه متهم بالسرق، أو على أن هذا البيت غير مشهور، وليس كذلك، بل هو كالشمس اشتهاراً، ولو أسقط البيت الأوسط لكان تضميناً عجيباً، لأن ذكر الثوب قد أخرج الثاني من باب الأول إلا في المعنى، وهذا عند الحذاق أفضل التضمين، فإنما احتذى كشاجم قول ابن المعتز في أبيات له:

لا ذنب لي إن ساء ظنك بعدما ... وفيت لكم، ربي بذلك عالم

وها أنا ذا مستعتب متنصل ... كما قال عباس وأنفي راغم

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه ... وإن كنت مظلوماً فقل: أنا ظالم

وأبيات العباس بن الأحنف التي منها البيت المضمن هي قوله:

وصب أصاب الحب سوداء قلبه ... فأنحله، والحب داء ملازم

---

(١) القرط على الكامل، ص/٧٦

فقلت له إذ مات وجداً بحبه ... مقالة نصح جانبتها المآثم:

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه ... وإن كنت مظلوماً فقل: أنا ظالم

فإنك إن لم تحمل الذنب في الهوى ... يفارقك من تهوى وأنفك راغم

غير أن شيخنا أبا عبد الله روى هذه الأبيات أيضاً لابن المعتز.

فهذا النوع من التضمين جيد، وهو الذي أردنا من قبل؛ وأجود منه أن يصرف الشاعر المضمن وجه البيت المضمن عن معنى قائله إلى معناه، نحو قول بعض المحدثين، ونسبه قوم إلى ابن الرومي:

يا سائلي عن خالد، عهدي به ... رطب العجان وكفه كالجلمد

كالأقحوان غداة غب سمائه ... جفت أعاليه وأسفله ندي

هكذا أعرفه، وروى " عن جعفر " فصرف الشاعر قول النابغة في صفة الثغر:

تجلوا بقادمتي حمامة أيكةٍ ... برداً أسف لثاته بالإثمد

كالأقحوان غداة غب سمائه ... جفت أعاليه وأسفله ندي

إلى معناه الذي أراد.

ومن هذا المعنى أيضاً قول ابن الرومي بلا محالة:

وسائلة عن الحسن بن وهبٍ ... وعما فيه من كرم وخير

فقلت: هو المهذب غير أني ... أراه كثير إرخاء الستور

وأكثر ما يغنيه فتاه ... حسين حين يخلو بالسرير

فلولا الريح أسمع من بحجر ... صليل البيض تقرع بالذكور

فالبيت الأخير لمهلهل، فجاء قرع البيض بالذكور ههنا عجيباً، وإن كانت اللفظتان في المعنى غير اللفظتين.

ومن الشعراء من يضمن قسيماً نحو قول بعضهم، أظنه الصولي:

خلقت على باب الأمير كأنني ... قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

إذا جئت أشكو طول ضيق وفاقة ... يقولون: لا تهلك أسى وتحمل

ففاضت دموع العين من سوء درهم ... على النحر حتى بل دمعي محملي

لقد طال ترددي وقصدي إليكم ... فهل عند رسم دارس من معول

ومنهم من يقلب البيت فيضمنه معكوساً، نحو قول العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان لمسلمة بن

عبد الملك:

لقد أنكرتني إنكار خوف ... يضم حشاك عن شتمي وذحلي." [١]

" وقد خرج المثل فى هرمى مصر فى الثبات والقدم والحصانة وذكرهما أعرابى مع جبلى طيء فقال وهو يهجو امرأته بالقبح والبرودة والثقل

(ألام على بغضى لما بين حية ... وضبع **وتمساح** أتاك من البحر)

(تحاكى نعيما زال من قبح وجهها ... وصفحتها لما بدت سطوة الدهر)

(هى الضربان فى المفاصل دائبا ... وشعبة برسام ضممت إلى صدرى)

(إذا سفرت كانت لعينك محنة ... وإن برقت فالفقر فى غاية الفقر)

(حديث كقلع الضرس أو نتف شارب ... وغنج كهشم الأنف عيل به صبرى)

(وتفتر عن ثلج عدمت حديثها ... وعن جبلى طى وعن هرمى مصر)

٨٥٩ - (منارة الإسكندرية) إحدى عجائب الدنيا وأصلها مبنى على زجاج والزجاج منصوب فى ظهر سرطان من نحاس فى بطن أرض البحر وبين المنارة إلى يابس الأرض قناطر من زجاج وفى المنارة ثلاثمائة وخمسة وستون بيتا وكان فى أعلاها مرآة كبيرة ينظر الناظر فيها فيبصر مراكب الروم إذا أراد ملكهم أن يجهز جيشا فيها إلى مصر فإذا دفعت تلك المراكب فى البحر ورفع الشراع أبصرها هذا الناظر فى المرآة فينذر المسلمين حتى يستعدوا ويأخذوا حذرهم فاشتد ذلك على ملك الروم فلما صار بعض الخلفاء إلى الإسكندرية وجه إليه ملك الروم جاسوسا يعلمه أن فى تلك المنارة كنوزا لذى القرنين فأمر بهدمها فلما هدمت وقلعت المرآة بطل الطلسم ولم يجدوا الكنوز فتقرر عندهم أنها حيلة لقلع المرآة وطلب الجاسوس فلم يوجد فأمر الخليفة ببناء ما هدم بالجص والآجر وهو ثلث المنارة وكان طول هذه المنارة ثلاثمائة ذراع بذراع الملكى فيكون أربعمائة وخمسين ذراعا وهى غاية ما يرفع فى الهواء من البناء ." [٢]

" ٩٣٧ - (نيل مصر) يضرب به المثل كما يضرب بالبحور قال الأعشى

(فما نيل مصر إذ تسامى عبابه ... ولا بحر سيحان إذا راح مفعما)

(بأجود منه نائلا إن بعضهم ... إذا سئل المعروف صد وجمجما)

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص/١٣٨

(٢) ثمار القلوب، ص/٥٢٣

قال الجاحظ كفاك ماء نيل مصر وما هو عليه من خلاف جميع الأنهر ونضوبه فى وقت زيادة الأنهر وزيادته فى وقت نقصانها وليست **التماسيح** فى شىء من الأنهار إلا فيه ومضرتها معروفة بلا منفعة بوجه من الوجوه ولم ير **تمساح** قط فى دجلة ولا الفرات ولا سيحان ولا جيحان ولا نهر بلخ

٩٣٨ - (عجائب البحر) فى الخبر حدثوا عن البحر ولا حرج وقيل لبعض ركاب البحر ما أعجب ما رأيت عن عجائب البحر قال سلامتى منه

قال الجاحظ ما ظنك بماء إذا خبث وملح ولد الدر وأثمر العنبر وركب بعض الإعراب البحر مرة فرأى أهوالا من أمواجه ثم أتاه مرة أخرى وهو ساكن فقال ما يغرنى حلمك فإن عندى من جهلك العجائب

قال الجاحظ وليس ذلك بأعجب من شىء عاينه جميع من يركب البحر وذلك أن الطائر من طيره يطير فى الهواء فيعبث به طائر صغير فإذا أحرجه ذلك ذرق فتلقاه الطائر فابتلعه فلا هو يخطىء بذلك الذرق ." (١)

" ١ - (قامة الفصعل الضئيل وكف ... خنصراها كذينقا قصار)

وقال آخر

٢ - (ألام على بغضي لما بين حية ... وضبع **وتمساح** تغشاك من بحر)

٣ - (تحاكي نعيما زال في قبح وجهها ... وصفحتها لما بدت سطوة الدهر)

٤ - (هي الضربان في المفاصل خاليا ... وشعبة برسام ضممت إلى النحر)

٥ - (إذا سفرت كانت لعينك سخنة ... وإن برقعت فالفقر في غاية الفقر)

٦ - (وإن حدثت كانت جميع مصائب ... موفرة تأتي بقاصمة الظهر)

---

١ - الفصعل العقرب الصغير والضئيل الضعيف والكذينق مدقة القاصر وهو الصباغ

٢ - تغشاك أتاك والمعنى من العجب أن أكون ملوما على بغضي لها وهي موصوفة بهذه الصفات الدنية

٣ - تحاكى تماثل والسطو البسط على الإنسان بقهر وشدة والمعنى أنها تماثل في قبح وجهها قبح زوال النعمة وأراد المثل السائر أقبح من زوال النعمة يضرب لشدة القبح

---

(١) ثمار القلوب، ص/٥٦٩

٤ – البرسام داء يعرض للحجاب الذي بين الكبد والمعي ثم يتصل بالدماغ والمعنى إذا خلوت بها كانت خلوتها كضربان العروق بالألم في مفاصل من به داء المقرس وإن جذبتها إلى نفسك قاسيت منها ما يقاسي المبرسم

٥ – سفرت ظهرت وسخنة العين بالضم نقيض قرتها ويقال أسخن الله عينه أي أبكاه وقوله فالفقر في غاية الفقر يريد إذا تناهى الفقر فلا يكون وراءه شر منه والمعنى إذا كشفت وجهها جلب إلى العين حرارة تدمع بها وذلك لسماجة الوجه فكيف إذا كانت مبرقعة فإنها تكون فقرا ليس وراءه شر منه

٦ قاصمة الظهر الداهية ." (١)

"البحر : بسيط تام (دمُ المكارمِ بالفُسطاطِ مسفوحٌ ، ** والجودُ قد ضاعَ فيها ، وهْوَ مَطرُوحُ) (يا أهلَ مصرَ لقد غِبْتُمْ بأجْمَعِكمْ ، ** لمّا حوى قَصَبَ السَّبْقِ المَساميحُ) (أموالكم جمّةٌ ، والبخل عارضُها ، ** والنِّيلُ معْ جُودِهِ فيه **التماسيحُ**) ٤ (لولا ندَى ابْن جُوَيٍّ أحمدٍ نطقَتْ ** مني المفاصلُ فيكم والجَواريحُ)

". (٢)

"البحر : بسيط تام (أضمَرْتُ للنّيلِ هجراناً ومقليَةً ** مذْ قيلَ لي إنّما **التّمساحُ** في النّيلِ) (فمن رأى النّيلَ رأيَ العينِ من كَثَبٍ ، ** فما أرَى النّيلَ إلاّ في البواقيلِ)

". (٣)

" وكان أبو بكر بن الحاج قد هجا القاضي أبا الحسن بن توبة وجماعة من الفقهاء معه فضربه ضربا وجيعا وطيف به على الأسواق فقال ابن مسعود رضي الله عنه في ذلك

السواط أبلغ من قال ومن قيل ... ومن نباح سفيه بالأباطيل

مر المذاق كحر النار أبرده ... يعقل المتعاطي أي تعقيل

رأى من الطب ما بقراط لم يره ... في برء كل سخيف العقل مخذول

---

(١) ديوان الحماسة، ٢/٤١٩

(٢) ديوان الحسن بن هانئ، ص/٢٢٠

(٣) ديوان الحسن بن هانئ، ص/٧٥٥

ضئيل جسم تخاف الخيل سطوته أعدى وأطغى من التمساح في النيل

يرقص المرء ترقيصا بلا طرب لو كان اثقل أو أجسى من الفيل

عند السخيف به خبر وتجربة ... فقد رمى تحته ما عد بالفول

وقد حسا منه امراقا مفلفلة ... جشته شر الجشا من شر مأكول

وقد هجاه بهجو مؤلم وجع ... لا يشبه الشعر في نظم وتفصيل

فقل له إن جرى هجو بخاطره ... أذكر قيامك محلول السراويل

واذكر طوافك في الأسواق مفتضحا ... مجردا خاشعا في ذل معزول ." (١)

"يوم أهب صبا الهبات صباحه ... وروى حديث النصر عنك رواحه

فالسعد مشرقة لنا آفاقه ... والنصر بادية لنا أوضاحه

أوفى على عود الثناء خطيبه ... وشدا على غصن المنى صداحه

فالشام مبتل الثرى ميمونه ... والعام منهل الحيا سحاحه

والمحل زال كبارق متهلل ... لم الشعوب بومضه لماحه

فالحمد لله الذي إفضاله ... حلو الجنا عالي السنا وضاحه

عاد العدو بظلمة من ظلمه ... في ليل ويل قد خبا مصباحه

ركدت قبول قبوله من بعد أن ... هبت غرورا بالرياء رياحه

ومنها:

أوفى يريد له بجر جنوده ... ربحا فجرت خسرة أرباحه

حمل السلاح إلى القتال وما درى ... أن الذي يجني عليه سلاحه

ولى بكسر لا يرجى جبره ... وبقرح قلب لا تبل جراحه

ونجا إلى حلب ومن حلب الردى ... در وفيه نجاته وفلاحه

ومنها:

إن أفسد العصاة بحنثهم ... فالناصر الملك الصلاح صلاحه

ومنها:

فرح العدو بجمعه ولقيته ... فتحولت أحزانه أفراحه

---

(١) ديوان أبي إسحاق الإلبيري، ص/١٠٠

صحت على ضرب ا لكماة كسوره ... وتكسرت عند الطعان صحاحه

وافى بسرح للنقاد فكان في ... لقيا الأسود الضاريات سراحه

مجر كبحر دارعو فرسانه ... حيتاته وزعيمهم **تمساحه**

شحناؤه شحنت جواري فلكه ... جورا ومال بهلكه ملاحه

عدموا الفلاح من الرجال فجاءهم ... من كل صوب مكرها فلاحه

فهم لحرث لا لحرب حزبهم ... أيثير قرحا من يثار قراحه

قد فاظ لما فاض جيشك جأشه ... غيظا وغاض لبحركم ضحضاحه

كم سابق براده يردى سابح ... في بحر هلك ما نجا سباحه

ومنها:

كم عين عين غورت غواره ... وقليب قلب عورت متاحه

إن آذنت بالنتن ريح قتيلهم ... فالنصر نفاح الشذا فواحه

كم مارق من مأزق دمه على ... مسح الحسام مراقه مساحه

يصبيك نهد إن سباته ناهد ... ولديك جد إن أباه مزاحه

ولك الكعوب مقومات للردى ... وله الغداة كعابه ورداحه

راح النجيع بها صحاف صفاحكم ... ملأى وتملأ كل كاس راحه

وتجول في صهواتها فرسانكم ... وتدور في خلواته أقداحه

ويروقه الخمر الحرام وعندكم ... مما يراق من الدماء مباحه

ضرب الطلى بالمشرفي طلابكم ... وبراح من شرب الطلا طلاحه

محمر خد صقيلة تفاحكم ... وأسيل خد عقيلة تفاحه

ومنها:

لله جيش بالمروج عرضته ... أسد العرين رجاله ورماحه

ومن الحديد سوابغا أبدانه ... ومن المضاء عزائما أرواحه

وله فوارس بالنفوس سماحها ... أتعاد بالعرض المصون شحاحه

روض من الصفر البنود وحمرها ... والبيض، يزهى ورده وأقاحه

من كل ماضي الحد طلق غمده ... فتكا لأغماد الرقاب نكاحه." (١)

"لك الصدر والباع الرحيبان في العلا ... وذاك المحيا الطلق والأنمل السبط

لراجيكم ماء البشاشة والندى ... جميعا وحظ الحاسد النار والنفط

عنا لك طوعا نيل مصر ودجلة ... العراق ودان العرب والعجم والقبط

وللنيل شط ينتهي سيبه به ... ونيلك للراجين نيل ولا شط

وعفوك ورد والجناة جناته ... وبيضك شوك في العداة لها خرط

فداؤك ممتد المطال محجب ... وحاجبه للكبر والعجب ممتط

فداؤك قوم في الندي وفي الندى ... وجوههم سهم وأسهمهم مرط

لتبك دما عين العدو فقد جرى ... على الأرض من أوداجه دمه العبط

ومنها:

منعت حمى الإسلام للنصر معطيا ... غداة عوت من دونه الأذؤب المعط

وصلت وكم فرجت عنا ملمة ... بسهم الرزايا في الكرام لها لهط

بعودك عاد الحق واتضح الهدى ... وهب نسيم النصر وانفرج الضغط

وأنت أجرت الشام من شؤم جاره ... ولم يكف رهط الكفر حتى بغى رهط

أجرت وقد جاروا ودنت وقد عدوا ... وصلت وقد خارو ا ولنت وقد لطوا

فلا يعبإ المولى بمن ملء جأشه ... هوى وبقوم حشو جيشهم زط

كثير تعديهم قليل غناؤهم ... وهم لا أصابوا رشدهم همل رهط

عدلت فلا ظلم وطلت فلا مدى ... وقلت فلا مين وجدت فلا قحط

فميز مكان المخلصين فإنما ال ... أعادي أنأس في رءوسهم خلط

وقرب وليا صح فيك ضميره ... ولا يأمن التمساح من دأبه السرط

نبا بي مقام الجاهلين فعفته ... وقد نضنضت للنهش حياته الرقط

هم منعوا رفدي قبول ونائل ... وذا وشل برض وذا أكل خمط

وكم مطمع في خيره بشر وجهه ... ومشتمل منه على شره الإبط

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٢٠٨/٢

لأبدى بلا عذر حظوظ فضائلي ... نفار العذارى من عذار به وخط

وجئتك ألقى العز عندك ملقيا ... قلائد للأسماع من درها لقط

أعرني جميلا واصطنعني واصف لي ... جميلك حتى يشمت الحاسد الملط

أعني فعين الفضل عان مقيد ... بعقلة حرمان نداك لها نشط

وأوعز بتشريفي ورسمي فإنه ... لحمدي جزاء قد تقدمه الشرط

إلام زماني لا يزال مسلطا ... على نابه من أهله نابه السلط

سعت نحوكم مني مطايا مطالب ... لأنسعها في النجح عندكم مغط

فدم ظافرا أبا المظفر بالعدى ... حليف قبول لا يكون لها حبط

بقيت ولا زالت عداك مفيدة ... سعودا ولا تحسن صعودا ولاهبط

ولو كنت جارا للمعري لم يقل ... لمن جيرة سيموا النوال فلم ينطوا

ومدائحه كثيرة، ومنائحه غزيرة، وليس شرط هذا الكتاب، بسط هذا الباب؛ فاقتصرت على ما أوردته، وحصرت ما أفردته؛ فإن مللته أو استطلته، فاستمل ما استطبته، واستحل ما أحببته؛ واستحل سناه، وتخل عما سواه؛ فلعل غيرك يستمرىء ما تستمره، ويعرف بفهمه الثاقب وفكره الصائب ما تنكره؛ فقف حيث ينتهي إليه فكرك، وطف حول ما يشتمل عليه زكنك، نبه ذكرك ووجه قدرك.." (١)

"وكيف بالصبر على أسهم ... نصلها بالجمر راميها

القاضي الرشيد

أحمد بن علي بن الزبير

من أهل أسواق الساكن بمصر كان ذا علم غزير، وفضل كثير. أنشدني الأمير نجم الدين بن مصال بن سليم بن مصال له، ونحن في المخيم الملكي الناصري بظاهر بعلبك في ثاني رمضان سنة سبعين وخمسمائة، من قصيدة:

إذا ما نبت بالحر دار يودها ... ولم يرتحل عنها فليس بذي حزم

وهبه بها صبا ألم يدر أنها ... سيزعجه منها الحمام على رغم

ولولا الأجل الكامل الملك أرقلت ... بي العيس في البيداء والسفن في اليم

ولم تكن الدنيا تضيق على فتى ... يرى الموت خيرا من مقام على هضم

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٢١٢/٢

لم يعمل بشعره، ولم يرحل من ضره، وهذا ممدوحه الكامل ولد شاور الذي لم ينج من شره، فغن شاور قتله صبرا في سنة اثنتين وستين ونسب إليه أنه شارك أسد الدين شيركوه في قصده، فكافأه مكافأة **التمساح** وجعل قتله له مقام رفده.

وله الرسالة التي أودعها من كل علم مشكلة، ومن كل فن أفضله. ذكره لي محمد بن عيسى اليمني ببغداد سنة إحدى وخمسين وقال: وفد اليمن رسولا وأقام بها سنتين قال: وهو أستاذي في علم الهندسة. وأنشدني لنفسه باليمن:

لئن خاب ظني في رجائك بعد ما ... ظننت بأني قد ظفرت بمنصف

فإنك قد قلدتني كل منة ... ملكت بها شكري لدى كل موقف

لأنك قد حذرتني كل صاحب ... وأعلمتني أن ليس في الأرض من يفي

وأنشدني الشريف إدريس الإدريسي الحسني بدمشق سنة إحدى وسبعين للقاضي الرشيد بن الزبير في مدح الصالح بن رزيك من قصيدة أولها:

ما للغصون تميد سكرا ... هل سقيت بالمزن خمرا

منها في المدح:

جاري الملوك إلى العلا ... لكنهم ناموا وأسرى

سائل به عصب النفا ... ق غداة كان الأمر إمرا

أيام أضحى النكر معروفا ... وأمسى العرف نكرا

ومنها:

قسما بمن طاف الحجيج ... ببيته شعثا وغبرا

لولا طلائع لم نكن ... نرجو لميت الدين نشرا

وأنشدني ابن أخته القاضي محمد بن القاضي محمد بن إبراهيم المعروف بابن الداعي من أسوان وقد وفدت إلى دمشق سنة إحدى وسبعين قال: أنشدني خالي الرشيد ابن الزبير لنفسه من قصيدة:

تواصى على ظلمي الأنام بأسرهم ... وأظلم من لاقيت أهلي وجيراني

لكل امرىء شيطان جن يكيده ... بسوء ولي دون الورى ألف شيطان

وقد صنف كتاب جنان الجنان ورياض الأذهان، وذيل به اليتيمة، وطالعت منه جزءا، ذكر فيه شعرا.

ولده علي بن أحمد بن الزبير

رأيته في الحضرة السلطانية في القاهرة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وقد وقف ينشد الملك الناصر قصيدة قد اتخذها لقصده ذريعة وجر بها وفود النجح إلى آماله في تلك الشريعة شريعة، وكشفت بحواره حوار أدبه، وفصمت بسراره سوار أربه، فما أحاطت معرفتي له بمعرفة، ولا حصل لي من قدر قدره مرق رمق في مغرفة. لكنني لكونه ولد ذاك الكبير، أوردت من القصيدة التي أحضرها أبياتا تناسب عرف العبير.

مطلعها:

شيدت بالبيض والعسالة الذبل ... مجدا أناف على النسرين والحمل

ومنها:

تخضر أكناف أرض إن نزلت وإن ... نازلت تحمر أرض السهل والجبل

ما زلت أفرى دجى ليل التمام سرى ... ونور وجهك يهديني إلى السبل

بكل مهمهة يبكي الغمام بها ... خوفا ويخفق قلب البرق من وجل

تخشى الرياح الذواري من مهالكها ... فما تهب بها إلا على مهل

حتى أنخت المطايا في ذرى ملك ... يبشر النجح في تأميله أملي

ومنها:." (١)

"- كتب القصيدة العمودية والحرة ، أما باكورة أعماله الشعرية (الحفر في أرض صخرية) فقد خرج فيها على هذين النمطين. كما كتب المقالة النقدية والدراسة الأدبية وعالج المسرحية والرواية وأدب الأطفال والسيناريو وترجم بعض المقالات والدراسات إلى اللغة العربية، وظهر إنتاجه الأدبي والصحافي في العديد من الجرائد والمجلات التونسية والعربية.

- أسس سنة ١٩٧٥م نادي الشعر بدار الثقافة ابن خلدون (تونس) مع نخبة من الشعراء الشبان، ونجح لفترة في الجمع بين الاتجاهات الشعرية المختلفة في منتدى واحد.

- عضو باتحاد الكتاب التونسيين منذ ١٩٧٨م.

- شارك في بعض الملتقيات والأيام الأدبية التي نظمت في بعض الأقطار العربية ، منها :

- أسبوع الشعر التونسي بالمركز الثقافي التونسي بطرابلس (١٩٧٦م)

- المشاركة في بعثة أدبية إلى الجزائر في إطار التعاون بين اتحاد الكتاب التونسيين واتحاد الكتاب الجزائريين (ماي ١٩٨١م)

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٢٧١/٢

- مهرجان يونيو للأدب المقاتل بالجماهيرية الليبية (١٩٨١م)

الأعمال

- الحفر في أرض صخرية : (شعر) الدار التونسية للنشر ١٩٨١م
- عمران والنهر : (رواية) الدار المغاربية للنشر ١٩٩٥م
- علم العروض المطبق : شركة كاهية للنشر والتوزيع ١٩٩٦م
- أبو القاسم الشابي، النور والعاصفة (سيرة ودراسة): شركة كاهية للنشر والتوزيع ١٩٩٩م
- التراب في الحلق، تليه هل أتاكم حديث الخيول!؟ (شعر) تونس، سبتمبر ٢٠٠٣ م
- في رحاب الليل المزمن، تليه الكوريدا (شعر) طبع الشركة التونسية للنشر وفنون الرسم، تونس، ديسمبر ٢٠٠٤ م

قصص للأطفال :

- الحمار والثور: مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ، تونس ١٩٨٠م (ط٢ / ١٩٨٧م)
- العصفور والأرنب : الشركة التونسية للتوزيع ١٩٨١م
- الصقر الظالم : الشركة التونسية للتوزيع ١٩٨١م
- أبو ظفر والتمساح : الشركة التونسية للتوزيع ١٩٨٢م
- أصدقاء العصافير : ا لشركة التونسية للتوزيع ١٩٨٨م

مظفر النواب." (١)

"أبناء حرب ومروان وأسرتهم

بنو معيط ، ولاة الحقد والوغر

قوم قتلتم على الاسلام أولهم

حتى إذا استمكنوا جازوا على الكفر

أربع بطوس على قبر الزكي بها

إن كنت تربع من دين على وطر

قبران في طوس: خير الناس كلهم

وقبر شرهم، هذا من العبر!

---

(١) جمبع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١١٣/١

ما ينفع الرجس من قرب الزكي ، وما

على الزكي بقرب الرجس من ضرر

هيهات كل امرىء رهن بما كسبت

له يداه، فخذ ما شئت أو فذر

العصر العباسي >> دعبل الخزاعي >> ألام على بغضي لما بين حية

ألام على بغضي لما بين حية

رقم القصيدة : ١٧١٢٩

ألام على بغضي لما بين حية

وضبع **وتمساح** تغشاك من بحر

تحاكي نعيما زال في قبح وجهها

وصفحتها- لما بدت- سطوة الدهر

هي الضر بان في المفاصل ، خاليا

وشعبة برسام ضممت إلى النحر

إذا سفرت كانت لعينيك سخنة

وإن برقعت فالقفر في غاية القفر

وإن حدثت كانت جميع مصائب

موفرة تأتي بقاصمة الظهر

حديث كقلع الضرس أو نتف شارب

وغنج كحطم الأنف عيل به صبري

وتفتر عن قلح عدمت حديثها

وعن جبلي طي وعن هرمي مصر

شعراء العراق والشام >> أحمد مطر >> حالات ..

حالات ..

رقم القصيدة : ١٧١٣

بالتمادي

يصبح اللص بأوربا

مديرا للنوادي .

وبأمريكا

زعيما للعصابات وأوكار الفساد .

و بإ و طا ني التي

من شرعها قطع الأيادي

يصبح اللص

.. رئيسا للبلاد !

العصر العباسي >> دعبل الخزاعي >> مهدت له ودي صغيرا ونصرتي

مهدت له ودي صغيرا ونصرتي

رقم القصيدة : ١٧١٣٠

مهدت له ودي صغيرا ونصرتي." (١)

"هي قاعدة للريح * بأن تجري * عكس الشهوات

أن تسبح * عكس مجاذيف النزوات * وأشرعة الرغبات

هي قاعدة للريح بأن تسري * ماء مهمازا * تحت جليد الوقت * يحث خيول الساعة *كي تتصاهل مسرعة * من أقصى الروح * ترتل أدعية الآيات * تردد أسئلة النايات * تغني مشرعة ا

هي قاعدة للريح بأن تجري * عكس الملح المتغلغل في لحم الحلم المكسور * جنينا * في رحم المرآة عكس الموج المتزاحف * نحو الكهف الهش * بعيد نزول "اقرأ" * وبداية خاتمة الدعوات

عكس التيار الضارب * ظهر شوارعنا الحبلى * بهراءات الشرفات

هي قاعدة للريح * لأن قواعد قاعدة * في الشمس * تراود قارعة التاريخ بلا خجل * لتسفع هالات الحلمات * تفلي عانات النكبات

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤٧٨/١٣

هي قاعدة للريح * لأن قوارب قاعدة * في البحر * بلا قاع * وبلا راع * تتثاءب حافية الأحلام * وعارية الصهوات

هي قاعدة للريح * لأن دروعا مرميات

في الصحرا * قاعدة * تتمرغ في صدأ حر * وغبار مر * منذ عبور * أنقذ ماء الوجه * وأيقظ خيل الرهبة * من ليل الكبوات

هي قاعدة للريح * لأن **تماسيحا** متقاعدة * لا تمسح غير دموع * تكتبها * وتلحنها * علب الليل الحمراء * تغنيها كل الشاشات

هي قاعدة للريح * لأن عيونا *كانت أميات

صارت تتقرى * دون نواظير * سطرا ممحوا * تحت بياض * مصفر الصفحات

صارت تتحرى * دون نواطير * قطبا * في جلد الخيمة * مخفيات

هي قاعدة للريح * بأن تجري * عكس الشهوات

هي قاعدة * عكس الشهوات

هي قاعدة

العصر الإسلامي >> ذو الرمة >> وإني ليرضيني قليل نوالكم

وإني ليرضيني قليل نوالكم

رقم القصيدة : ٢٠٦٢٠

----------------------------------. " (١)

"من شدة الهول كالح

و لا يغرنك دنيا ،

نعيمها عنك نازح

و بغضها لك زين ،

و حبها لك فاضح !

العصر العباسي >> أبو نواس >> دم المكارم بالفسطاط مسفوح ،

دم المكارم بالفسطاط مسفوح ،

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١٠٤/٢١

رقم القصيدة : ٢٥٠٠٧

دم المكارم بالفسطاط مسفوح ،

والجود قد ضاع فيها، وهو مطروح

يا أهل مصر لقد غبتم بأجمعكم ،

لما حوى قصب السبق المساميح

أموالكم جمة ، والبخل عارضها،

والنيل مع جوده فيه **التماسيح**

لولا ندى ابن جوي أحمد نطقت

مني المفاصل فيكم والجواريح

العصر العباسي >> أبو نواس >> أية نار قدح القادح،

أية نار قدح القادح،

رقم القصيدة : ٢٥٠٠٨

أية نار قدح القادح،

و أي جد بلغ المازح

لله در الشيب من واعظ،

وناصح لو سمع الناصح

يأبى الفتى إلا اتباع الهوى ،

ومنهج الحق له واضح

فاسم بعينيك إلى نسوة ،

مهورهن العمل الصالح

لا يجتلي الحوراء من خدرها

إلا امرؤ ميزانه راجح

من اتقى الله، فذاك الذي

سيق إليه المتجر الرابح

شمر، فما في الدين أغلوطة ،

و رح لما أنت له رائح

العصر العباسي >> أبو نواس >> قد أغتدي في فلق الإصباح،

قد أغتدي في فلق الإصباح،

رقم القصيدة : ٢٥٠٠٩

قد أغتدي في فلق الإصباح،

بمطعم يوجز في سراح

مؤيد بالنصر والنجاح ،

غذته أظار من اللقاح

فهو كميش، ذرب السلاح،

لا يسأم الدهر من الضباح

منجد، يأشر للصياح،

ما البرق في ذي عارض لماح؟

ولا انقضاض الكوكب المنصاح ،

ولا انبتات الحوأب المنداح

حين دنا من راحة المشاح،

أجد في السرعة من سرياح." (١)

"تراث لفضل ، والربيع أبو الفضل

العصر العباسي >> أبو نواس >> أكثري ، أو فأقلي ،

أكثري ، أو فأقلي ،

رقم القصيدة : ٢٥٤٢٦

----

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣٩٢/٢٩

أكثري ، أو فأقلي ،

قد مللناك فمل

ما إلى حبك عود،

ما دعا الله مصلي

قد وهبناك لعمري

وتصدقنا بحمل

لم يكن مثلك لولا

سفه الرأي هوى لي

أيها السائل عنها

إسمع اللفظ المحلي

شخصها شخص قبيح،

ولها وجه مولي

وخفت عن كل عين ،

وخفت عن كل دل

ولها ثغر كأن ا

الله غشاه بكحل

تصف النكهة منها

جيفة في يوم طل

وتفلي حين تلقا

ك لتحظى بالتفلي

ردفها طست ، ولكن

بطنها زكرة خل

اشهدوا إني بريء

من هواها، متخلي

العصر العباسي >> أبو نواس >> خاف من الأرض أن تميد به

خاف من الأرض أن تميد به

رقم القصيدة : ٢٥٤٢٧

خاف من الأرض أن تميد به

فأوسع الناس كلهم ثقلا

أشرق بالكأس ، حين أنظره ،

ولو شربت الزلال والعسلا

العصر العباسي >> أبو نواس >> أيا سعيد بن وهب

أيا سعيد بن وهب

رقم القصيدة : ٢٥٤٢٨

أيا سعيد بن وهب

إسمع فديتك قيلي

إني هويت غزالا

مساعدا لي بسولي

إذا أتاه رسولي،

فلا يرد رسولي

العصر العباسي >> أبو نواس >> أضمرت للنيل هجرانا ومقلية

أضمرت للنيل هجرانا ومقلية

رقم القصيدة : ٢٥٤٢٩

أضمرت للنيل هجرانا ومقلية

مذ قيل لي إنما **التمساح** في النيل

فمن رأى النيل رأي العين من كثب ،

فما أرى النيل إلا في البواقيل

العصر العباسي >> البحتري >> قد خفت ألا أراكم آخر الأبد

قد خفت ألا أراكم آخر الأبد

رقم القصيدة : ٢٥٤٣." (١)

"وقرم لشول الحق إن حال وسقها

تجللها منه ضراب وإلقاح

جعلت عليه البر والبحر إسوة

ففي البر طيار وفي البحر سباح

وأقبسته من نور هديك فاهتدى

إلى حيث لا يهدى شراع وملاح

بفلك كأفلاك السماء نجومها

كمي ونبال وشاك ورماح

وغر إلى الغايات هيم نوازع

تهيم بها في لجة البحر أشباح

قرعت بها أمواج بحر تركته

وأمواجه تحت الكلاكل أطلاح

مفاتيح أقفال الفتوح التي نأت

وأنت بها في طاعة الله فتاح

وصابحة للمسلمين بغارة

غنائمهم فيها تمور وتنساح

حكمت برد الحق عنها فأسمحت

ولولا ظباك الحمر ما كان إسماح

غداة طمست الغي منهم بوقعة

وما قدر مصباح إذا لاح إصباح

مآثر لم يعطل بها قرن ناطح

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٢٥/٣١

وكيف وقرن الحق عنهن نطاح

قد اكتتبت في اللوح فخرا مؤيدا

صدور الدنا منها سطور وألواح

وآمالنا فيها بضائع متجر

سجاياك أموال لهن وأرباح

مساعي أبقين الدهور كأنها

جسوم لها منه نفوس وأرواح

محاسن تتلوها الليالي كأنها

علوم إليها تستهل وترتاح

فلو أعطيت غيد الكواعب سولها

لصيغ لها منها عقود وأوضاح

وبأس لو استعطى الكماة فضوله

لقد لهم منه سيوف وأرماح

إليها حدتني حادثات كأنها

بوارح يحدوهن برح وأبراح

على غول بحر من هموم عبابه

برحلي إلى غول المتالف طواح

إذا رام تغريقي فلج وغمرة

وإن مد في ظمئي فآل وضحضاح

وحسبي منه في الهواجر والسرى

جناح له من حسن ظني وإنجاح

وشأو مدى في مورد النجح شارع

وزند هدى في فحمة الليل قداح

إذا مد إظلام الأسى ظلم الدجى

تمثل لي من نور وجهك مصباح

وإن أبهمت أقفالها عني الفلا

تخيل لي من بشر برك مفتاح

فما صدني عن ملتقى الغيل ضيغم

ولا راعني في مورد الماء **تمساح**

ولا برحتني يا موفق نشوة

سجاياك لي فيها كئوس وأقداح

فكل فؤاد مخلص فيك مخلص

وكل لسان صادق لك مداح

العصر الأندلسي >> ابن دارج القسطلي >> أهنيك يا عيد الرغائب عيدا

أهنيك يا عيد الرغائب عيدا

رقم القصيدة : ٥٢٦٦٧

-----------------_---------__------_-

أهنيك يا عيد الرغ ائب عيدا." (١)

"أوفى على عود الثناء خطيبه

وشدا على غصن المنى صداحه

فالشام مبتل الثرى ميمونه

والعام منهل الحيا سحاحه

والمحل زال كبارق متهلل

لم الشعوب بومضه لماحه

فالحمد لله الذي إفضاله

حلو الجنى عالي السنا وضاحه

عاد العدو بظلمة من ظلمه

في ليل ويل قد خبا مصباحه

ركدت قبول قبوله من بعد أن

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤٢/٤٨

هبت غرورا بالرياء رياحه

أوفى يريد له بجر جنوده

ربحا فرجت خسرة أرباحه

وجنى عليه جهله بوقوعه

في قبضة البازي فهيض جناحه

حمل السلاح إلى القتال وما درى

أن الذي يجني عليه سلاحه

أضحى يريد مواصليه صدوه

وغدا يجيد رثاءه مداحه

ولى بكسر لا يرجى جبره

وبقرح قلب لا تبل جراحه

ونجا إلى حلب ومن حلب الردى

در وفيه نجاته وفلاحه

إن أفسد الدين العصاة بحنثهم

فالناصر الملك الصلاح صلاحه

فرح العدو بجمعه ولقيته

فتحولت أحزانه أفراحه

صحت على ضرب الكماة كسوره

وتكسرت عند الطعان صحاحه

وافى بسرح للنقاد فكان في

لقيا الأسود الـضاريات سراحه

مجر كبحر دارعو فرسانه

حيتانه وزعيمهم **تمساحه**

شحناؤه شحنت جواري فلكه

جورا ومال بهلكه ملاحه

عدموا الفلاح من الرجال فجاءهم

من كل صوب مكرها فلاحه

فهم لحرث لا لحرب حزبهم

أيثير قرحا من يثار قراحه

قد فاظ لما فاض جيشك جأشه

غيظا وغاض لبحركم ضحضاحه

كم سابق برداه يردى سابح

من بحر هلك ما نجا سباحه

كم عين عين غورت غواره

وقليب قلب عورت متاحه

إن آذنت بالنتن ريح قتيهلم

فالنصر نفاح الشذا فواحه

كم مارق في مأزق دمه على

مسح الحسام مراقه مساحه

يصيبك نهد إن سباه ناهد

ولديك جد إن أباه مزاحه

ولك الكعوب مقومات للردى

وله الغداة كعابه ورداحه

راح النجيع بها صحاف صفاحكم

ملأى وتملأ كل كاس راحه

وتجول في صهواتها فرسانكم

وتدور في خلواته أقداحه

ويروقه الخمر الحرام وعندكم

مما يراق من الدماء مباحه

ضرب الطلى بالمشرفي طلابكم

وبراح من شرب الطلا طلاحه

محمر خد صقيلة تفاحكم

وأسيل خد عقيلة تفاحه

لله جيش بالمروج عرضته

أسد العرين رجاله ورماحه." (١)

"وما روضة غناء حسنا كأنما

لوارفها من نسج نوارها مرط

إذا قادني للنرجس النضر ناضر

تلاه عذار للبنفسج مختط

وللورد خد للحياء مورد

وللبان قد جيده أبدا يعطو

تلوح به الأشجار صفا كأنها

سطور كتاب والغدير لها كشط

تغني على أعوادها الورق مثلما

يرتل للتوراة ألحانها سبط

كأن سقيط الطل عبرة مغرم

وبارقة من نار لوعته سقط

ترى لمحيا الشمس من هامر الحيا

لثام حياء دونه ليس ينحط

بأزكى وأذكى منك حسنا وإنما

بحسناك لا بالروض للعائذ الغبط

لك الصدر والباع الرحيبان في العلى

وذاك المحيا الطلق والأنمل السبط

لراجيكم ماء البشاشة والندى

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٢٣/٤٣

جميعا وحظ الحاسد النار والنفط

عنالك طوعا نيل مصر ودجلة العراق

ودان العرب والعجم والقبط

وللنيل شط ينتهي سيبه به

ونيلك للراجين نيل ولا شط

وعفوك ورد والجناة جناته

وبيضك شوك في العداة لها خرط

عدوك مثل الشمع في نار حقده

له عنق إصلاح فاسده القط

فداؤك ممتد المطال محجب

وحاجبه للكبر والعجب ممتط

فداؤك قوم في الندي وفي الندى

وجوههم سهم وأسهمهم مرط

لتبك دما عين العدو فقد جرى

على الأرض من أوداجه دمه العبط

منعت حمى الإسلام للنصر معطيا

غداة عوت من دونه الأذؤب المعط

وصلت وكم فرجت عنا ملمة

بسهم الرزايا في الكرام لها لهط

بعودك عاد الحق واتضح الهدى

وهب نسيم النصر وانفرج الضغط

وأنت أجرت الشام من شؤم جاره

ولم يكف رهط الكفر حتى بغى رهط

أجرت وقد جاروا ودنت وقد عدوا

وصلت وقد خاروا ولنت وقد لطوا

فلا يعبأ المولى بمن ملء جأشه

هوى وبقوم حشو جيشهم زط

كثير تعديهم قليل غناؤهم

وهم ولا أصابوا رشدهم همل رهط

عدلت فلا ظلم وطلت فلا مدى

وقلت فلا مين وجدت فلا قحط

فميز مكان المخلصين فإنما الأعادي

أناس في رؤوسهم خلط

وقرب وليا صح فيك ضميره

ولا يأمن **التمساح** من دأبه السرط

نبا بي مقام الجاهلين فعفته

وقد نضنضت للنهش حياته الرقط

هم منعوا رفدي قبول ونائل

وذا وشل برض وذا أكل خمط

وكم مطمع في خيره بشر وجهه." (١)

"متحليا بالدر والعقيان

ما أنفس الوقت الذي في قربه

يقضى وما يعطي بلا أثمان

تجري وراء نطافه أشجاننا

فكأنهن يسلن بالأشجان

للحسن آيات مواثل حوله

من مثلج صدرا ومن فتان

ما تخدع العينان فيه جماله

كدمال ما تتحقق العينان

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٧٣/٤٣

أنظر بأيمنه إلى الرأس الذي

يزهى بروعة تاجه الروماني

تكسو جلالتها لصباح وقد بدا

يزدان بالأنوار والألوان

وانظر بأيسره إلى الطود الذي

فيه من الإبداع فن ثاني

تجد الأصيل مشققا ونضارة

بين الجذوع يسيل والأغصان

وتجد سناما مستطيلا قاتما

يهتز في بحر من اللمعان

يلعوه **تمساح** تضرب دونه

موج السنى ويعب ظالظمآن

سرح بحيث تشاء طرفك لا يقع

إلا على ما فوق كل بيان

أتى الطبيعة وهي أرم أقبلت

بثديها وبها أبر لبان

تسقي مدارجها وتلقى درها

عفوا على الأغوار والقيعان

فإذا سموت إلى الذى ترنو إلى

ما دونها من مرتمي العقبان

أخذتك بالتقوى ولست بمتق

وعرفت سر صوامع الرهبان

ألنفس في إشر اقها من شاهق

تثنى بهيبته إلى الإيمان

جزين في هذي الحلى موفورة

نعماؤها مرفوعة البنيان

أما الهواء فما أرق إذا سرى

بين الصنوبر عابق الأردان

والماء ما اصفى موارده وما

أشفى نداه لمهجة الحران

هذا المعاش موإنه غنم لمن

يهوى الحياة خلت من الآدران

وخلت من الآفات والعلل التي

تأتي من الكفات في العمران

يا أهل جزين الذين تجلموا

بمكارم الأخلاق والعرفان

من نخبة في شيبها وشبابها

غر الخلال وصفوة الاعيان

طوقتموني بالجميل ولم أكن

اهلا لهذا الفضل والإحسان

شعراء العراق والشام >> جبران خليل جبران >> قضيت عمري لا مستديتا

قضيت عمري لا مستديتا

رقم القصيدة : ٥٤١٦٣

قضيت عمري لا مستديتا

ولا مليا بأن أدينا

لكن علمي ببنك مصر

ونفعه لم يزل يقينا

يا من يشيدون صرح مال

صرح معال تشديونا

أنتم لوطانكم محبون

حب صدق لا مدعونا

لستم تقولون ما تخلونه

لوكن تحققونا

طلعت حرب طلعت حربا

على أعادي الحمى زبونا

بالنطق عذبا والراي عضبا." (١)

"غب ليالى الصقيع

يحتل عيني رواق شمخت

أضلاعه وانعقدت عقد

زنود تبتنيه، تبتني الملحمه

ومن غنى تربتنا تستنبت

البلور والرخام

تكدس البلور من رؤيا عيون

ضوأت واحترقت في حلك الظلام

وفرخت أعمدة الرخام

من طينة الأقبية المعتمه

تلك التي مصت سيول الدمع،

مصت ربوات

من طحين اللحم والعظام

واختمرت لألف عام أسود وعام

فكيف لا يفرخ منها ناصع الرخام

أعمدة تنمو ويعلوها رواق أخضر

صلب بوجه الريح والثلوج

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣٦٤/٤٥

المحور الهادىء والبرج الذي

يصمد في دوامة تبتلع البروج

***

رؤيا يقين العين واللمس

وليست خبرا يحدو به الرواة

***

ما كان لي أن أحتفي

بالشمس لو لم أركم تغتسلون

الصبح في النيل وفي الأردن والفرات

من دمغة الخطيئه

وكل جسم ربوة تجوهرت في الشمس،

ظل طيب، بحيرة بريئه.

أما **التماسيح** مضوا عن أرضنا

وفار فيهم بحرنا وغار

وخلفوا بعض بقايا

سلخت جلودهم،

ما نبتت مطرحها جلود،

حاضرهم في عفن الأمس الذي

ولى ولن يعود

أسماؤهم تحرقها الرؤيا بعيني

دخانا ما لها وجود.

***

ربي، لماذا شاع في الرؤيا

دخان أحمر ونار

أحببت لو كانت يدي سيلا،

ثلوجا تمسح الذنوب

من عفن الأمس تنمي الكرم والطيوب،

تضيع في بحري **التماسيح**

وحقد الأنهر الموحله

وينبع البلسم من جرح

على الجلجله.

أحببت، لا، ما زال حبي مطرا

يسخو على الأخضر في أرضي،

عداه حطب وقود

تحرقها الرؤيا بعيني دخانا

ما لها وجود،

وسوف يأتي زمن أحتضن

الأرض وأجلو صدرها

وأمسح الحدود

(١٠)

رحلاتي السبع روايات عن

الغول، عن الشيطان والمغاره

عن حيل تعيا لها المهاره،

أعيد ما تحكي وماذا، عبثا،." (١)

"عيون جاحظة في الشرفة وخزانة الملابس

والستائر تهتز بفعل ريح مجهولة،

وإذ أعبر بأرجل مثقلة بالنوم وصخب الضواري

وفحيحها، أتعثر بأحشاء **تمساح** يشبه خريطة

مدينة لم أرها قبل اليوم.

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١٨٩/٤٩

شعراء الجزيرة العربية >> سيف الرحبي >> الشرق

الشرق

رقم القصيدة : ٦٥٦٥

بداية كل يوم

وأنا أقتلع خطواتي الأولى

نحو الغابة،

ينبلج الشرق في دمي

شمسا غريبة

فأرى خيولا تندفع

وتلامس أعرافها السماء.

شعراء الجزيرة العربية >> سيف الرحبي >> في ضوء هذا الفجر الأصم

في ضوء هذا الفجر الأصم

رقم القصيدة : ٦٥٦٦

في ضوء الفجر، في ضوء الفجر الجميل

في ضوء هذا الفجر الأصم الذي لا يسمع ندائي

في ضوء السماء التي تمرح القطايا في شغافها

في انسلال الجناح المغتبط بطيرانه

فوق الجبال

في شروق العاصفة وهي تحمل حقل أبي

إلى بلد آخر

في هذا الضوء الشامخ

أكد لي الموت جل مواهبه الفريدة.

شعراء الجزيرة العربية >> سيف الرحبي >> سماء خاصة

سماء خاصة

رقم القصيدة : ٦٥٦٧

هذا النسر الذي يعيد تشكيل السماء

وفق مزاجه الخاص، يهبط أحيانا ليرى

إبداع لوحته التي رسمها بعيدا عن الله...

هذا النسر ذو المنقار الذي يحمل

العواصف كالأرانب يترنح من فرط النشوة

والذكرى:

نبع حط عليه مع أنثاه

سهوب وأودية قطعها مع صديق قديم

ذرى الهملايا

والجبل الأخضر...

كبش السماء الهائج يتذكر أيضا مجد حروبه الشخصية

والسلالة التي أوشكت على الانقراض،

حالما بنسور تملأ فضاء وحدته.

شعراء الجزيرة العربية >> سيف الرحبي >> مكيف هواء

مكيف هواء

رقم القصيدة : ٦٥٦٨

يتنفس بصعوبة

بصعوبة أكثر من اللازم

وكأنما كائن بشري ينتزع من حلقه

عظمة قذفها بركان

ومن خياشيمه التكنولوجية،

يبصق الهواء المر على جسد أكثر مرارة." (١)

"السجين

رقم القصيدة : ٦٦١١

اليرقة التي صارت فراشة

فوق جدار السجين

كان يرقبها

وعيناه على الحقول الفسيحة

شعراء الجزيرة العربية >> سيف الرحبي >> طقس

طقس

رقم القصيدة : ٦٦١٢

اليوم واضح وضوح شمس لا تغيب

الرياح نائمة في الأعماق

الحيتان في مخابئها تئن من وطأة السفاد

القوارب تتهيأ للصيد

والغربان تحلم بشتاءات الجزر

المعزولة

في (مصيرة) و (الدمينيات)

المأهولة بالسلاحف.

لكن يبدو أن غبار الكواكب قادم

طلائعه بدأت تغمر الجبال.

شعراء الجزيرة العربية >> سيف الرحبي >> نخلة

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤١/٥٠

نخلة

رقم القصيدة : ٦٦١٣

نخلة مستوحشة

على حافة البحر

تحدق فيه بتوجس وريبة

كأنما قراصنة سينقضون بعد قليل

على جسمها الجميل

نخلة وحيدة

جمالها الخارق

صنع من خوف وانتظار

جمالها الحزين.

شعراء الجزيرة العربية >> سيف الرحبي >> هواء الغرفة

هواء الغرفة

رقم القصيدة : ٦٦١٤

بيدك التي تحط

على القفص الصدري الضيق

على الراحة والجبين،

يتوسع العالم

وتنحل الغيوم الندية في هواء الغرفة

بيدك تستلين الألم من رأسي

كطائر يستل سمكة من جدول عكر

سمكة الألم المعتوهة.

شعراء الجزيرة العربية >> سيف الرحبي >> الملكة

الملكة

رقم القصيدة : ٦٦١٥

الملكة في كسلها

في نومها البطيء وعطالتها الجمالية

تصطاد اليقظة في مئزرها

تصطاد **تمساح** الأمزون الوليد.

بطيئا، بطيئا يغطس في كهف الظلمات

حيث تسكن الأبدية.

شعراء الجزيرة العربية >> سيف الرحبي >> هذا الصباح

هذا الصباح

رقم القصيدة : ٦٦١٦

بماذا أصف هذا الصباح

الذي تبدين فيه جميلة

ورائقة

بعد هجمة الصداع الأخيرة.

العشبة التي تعافت بعد مرور

الزلزال.

صباح الخميس

الذي فاجأتنا الأنباء فيه." (١)

"يكتظ برعاة منتعظين كثيران

وأرصفة

ترغي شحاذين وحواة وشرطة

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٥٥/٥٠

هكذا يبتدئ المشهد

ثم ......

تمر شاحنة محملة **بتماسيح** تمد أعناقها خارج القضبان ، أتذكرني متأبطا رأسي أدندن معناي كشحاذ يملح طعناته ـ يا لحماقة السندان ـ خارجا من الزحام الذي يقرظ موتاه ، ضائعا كنقوش على مدخنة . مرة سقط قوسقزح فامتطاه الصبي، عض على دش

ظلام يعم المشهد ، يختفي (الأنا) ويبقى (الهو) وحيدا في دائرة من ضوء شاحب سرعان ما تعم عتمة ويضاء (الهو) يجلس وحيدا فيختلق الحكاية ، وفي عتمته يكور للحظة شمسا . يطمئن نفسه " بين لحظة وضحاها ... " فيبتدئ الأمل شكا مبطنا ب

لم يمت ،

لكنه أصيب بخيبة أمل أبدية

هكذا ينتهي المشهد

ثم ...... أضرب النافذة بقبضة روح معربدة

لماذا كلما ينام المنفى تنسل الذكريات تترى كشكوك ؟

أنا وذاكرتي جياد محشورة في مصعد عاطل

أو كخزاف يجمع رؤوس أحلامه في خزانة مثل كيزان

أنصت

لهت اف موتى يتسلقون التلال

وصراخ (سدى) مطعونة

كلما ينام المنفى أنسل خارجا

أصفر كخائف في عتمة

أو كقفص محايد

يتكرر المشهد

واقف

كفزاعة أهش على بنات الحياء

واضح

كشمعدان في شباك عاهرة

شعراء العراق والشام >> حميد العقابي >> العالم الجديد

العالم الجديد

رقم القصيدة : ٦٨٣٥

فلكي أعمى

يفتح نافذة لمداه

فيرى :

أمكنة غاضت

وخرائب فاضت

وزمانا ينهار

إلى آخره .....

الفلكي الأعمى

يرسم خارطة برؤاه

شعراء العراق والشام >> حميد العقابي >> زيارة

زيارة

رقم القصيدة : ٦٨٣٦

في الطريق إلى المقبره

كانت أجسادهم مثل سعف

من الخوف يرتعدون

وكنا صغارا

نقلد أحزانهم

جلسوا عند قبر ندي التراب

عزفوا دمعهم بالنحيب

وعادوا

وهم يضحكون

وبال." (١)

"يطمئن فئرانا تقضم حواف النوم

بأسنان حادة

كأصواتهم

و لأن أعضاءنا ناقصة

.سيئن الخشب في المفاصل

٦

من الدخان

نولد

و ليس من أرحام الأمهات

كما أوهمتنا العائلة صغارا

لكن المرايا التي تعكس كؤوسا متكررة بين الأصابع

ضللت رؤوسنا

.تلك المثقلة بفاكهة حامضة

٧

هذا الدمع المنسكب في تراب

غير قادر على إعادة الروح لخلايا الكلوروفيل الميتة في أوراق

لم تنج من حريق أشعلناه

بأعقاب السجائر

بغروب تركناه وحيدا وراءنا

دون قصد

دون دراية بما يعنيه الجحيم آنذاك

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٩٩/٥١

.و لم تغفره لنا الغابة–الأم

و إلا بماذا تفسرون تعثرنا

بجذور قاتمة

و ظلال تتمايل

كلما خطونا؟

٨

مغروسون في الحرمان

حتى أعناقنا المتغضنة

و لا لذة

تحف العروق

غير هواء قليل

.تسربه الأجنحة العابرة لذبولنا

لم نكبر

إنما المدرسة هي التي صغرت

بسياجها المطوق لبراءتنا

و أشجار السرو

.و الباصات

.ما كان لنا أن نتبع خطونا على النار

.ما كان لأيدينا أن تمتد لتلك الكؤوس

٩

لن نألف الضغينة التي تجمعنا

و أقدامنا المثبتة في دائرة

لن تطأ هذه العتمة ثانية

ربما، بعد أيام قليلة

نعود بلا شمس إلى المقهى

.بلا عصافير على الحواف

١٠

معبأة بدخان يبدل هيئته

من جبل إلى **تمساح**

تحدق في عزلتنا

في ملل يبادلنا ورق الكوتشينة

و علبة الكبريت

فيما الذين صلبوا طاقتنا على خشب النماذج

يقتلعون الأحلام التي لم تنضج

بمناجل تلمع

دون أن يغيروا ثيابهم

يهشمون حيواتنا

بمدنها الصغيرة

.و مقاهيها المبتلة على أرصفة تتآكل

أطفالها الذاهبون إلى المدرسة شاحبون

كما لو أن قلوبهم تفحمت في الليل

.لتلائم البيوت التي يعلو بعواميدها الصراخ

شعراء العراق والشام >> سوزان عليوان >> شمس مؤقتة (١١ – ٢٠)

شمس مؤقتة (١١ – ٢٠)." (١)

"كذلك الغموض في القصة

شمس سوداء في غيم النراجيل

القطة نائمة

النادل ببابيونته المعوجة يتثاءب

عند السياج الخشبي غريبان

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣٥٠/٥١

ساقان عاريتان

أظفار مطلية بالشهوة

ندب يجرح ضحكتها

من أين جاءت بأسمائنا؟

كيف انضمت الطاولتان؟

نخون وعدنا لأمهاتنا

و نأخذ قطع حلوى من أشخاص لا نعرفهم

تفتح دون مواربة قلبها

:بيتا مؤثثا بالبشر

الخائن لأنوثتها

أطفال معوقون بأمومة ناقصة

الرجل الذي يأكل نصف الكلام

و يقضم بكثير من القسوة تفاحتها

المشعوذ ذو الأرنب و العينين الزجاجيتين

عجائز بعدد التجاعيد

في البيت

تحف من أصابعها

نباتات

.إمرأة وحيدة

شعراء العراق والشام >> سوزان عليوان >> على رمال متحركة

على رمال متحركة

رقم القصيدة : ٧١٨٩

لو أن هنالك إلها"

لو أنه يحبنا حقا

إلى الجحيم سنذهب
نحن لا نعرف أحدا في الجنة
"و نراجيلنا يلزمها جمر كثير
في لوحة
:تساءلت
لماذا تتصارع كل هذه الرؤوس"
بخوذياتها المختلفة
"للوصول لشمس واحدة؟
ذات مرة استعانت بسجادة
لتشرح نظرية الكون
تجمعنا حولها
صحراء بعيدة
أباريق طين و ناس
هل ندرك الآن
أن العالم أوسع من المقهى الذي نرتاده كل ليلة
أن هنالك بشرا غيرنا؟
الجبل أمها
وحده استطاع أن يحتويها
فرحت
لان أباها مات سكرانا في رماده
لا بد أن العصافير ستسعل حد الاختناق
فيما تبني أعشاشها بين تجاويف العظام
التمساح الذي في بانيو شقتها
لعنة البلحة في العائلة
خلافاتها الدائمة مع الجيران

.كم كانت بساطتها ترعبنا

شعراء العراق والشام >> سوزان عليوان >> نعامة صغيرة على الحب

نعامة صغيرة على الحب

رقم القصيدة : ٧١٩٠

كأنما قلبها علبة ألوان

"أنا طائر"

كانت تردد طفلة

هل كان ضروريا

أن تكسر ساقيها مرتين

كي ينتبهوا؟

شبيهة بمساحيقها

بملابسها

بالبطاقات التي تزحم بها حيطان الغرفة

لئلا تنام في البياض وحيدة

في الشارع." (١)

"يتهافت عليها الأطفال

لعلهم ينتزعون من جسمها قطعة حلوى

بالخفاشتين لقبونا

هم ذاتهم

الذين تغذوا

عن الدم السائل من براءتنا

جدتها

في البلد البعيد

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣٦٣/٥١

حدثتها عن نجمة تملكها

إرث الجدة تأخر كثيرا

ما زالت تنتظره

.ما زال ريشها يحلم بالهواء

العودة إلى أعلى الصفحة

على رمال متحركة

لو أن هنالك إلها"

لو أنه يحبنا حقا

إلى الجحيم سنذهب

نحن لا نعرف أحدا في الجنة

"و نراجيلنا يلزمها جمر كثير

في لوحة

:تساءلت

لماذا تتصارع كل هذه الرؤوس"

بخوذياتها المختلفة

"للوصول لشمس واحدة؟

ذات مرة استعانت بسجادة

لتشرح نظرية الكون

تجمعنا حولها

صحراء بعيدة

أباريق طين و ناس

هل ندرك الآن

أن العالم أوسع من المقهى الذي نرتاده كل ليلة

أن هنالك بشرا غيرنا؟

الجبل أمها

وحده استطاع أن يحتويها

فرحت

لان أباها مات سكرانا في رماده

لا بد أن العصافير ستسعل حد الاختناق

فيما تبني أعشاشها بين تجاويف العظام

التمساح الذي في بانيو شقتها

لعنة البلحة في العائلة

خلافاتها الدائمة مع الجيران

.كم كانت بساطتها ترعبنا

العودة إلى أعلى الصفحة

أظفار مطلية بالشهوة

كان صباحا داكنا كقهوتنا

كعينيها الحادتين

كذلك الغموض في القصة

شمس سوداء في غيم النراجيل

القطة نائمة

النادل ببابيونته المعوجة يتثاءب

عند السياج الخشبي غريبان

ساقان عاريتان

أظفار مطلية بالشهوة

ندب يجرح ضحكتها

من أين جاءت بأسمائنا؟

كيف انضمت الطاولتان؟

نخون وعدنا لأمهاتنا

و نأخذ قطع حلوى من أشخاص لا نعرفهم

تفتح دون مواربة قلبها

:بيتا مؤثثا بالبشر

الخائن لأنوثتها

أطفال معوقون بأمومة ناقصة

الرجل الذي يأكل نصف الكلام

و يقضم بكثير من القسوة تفاحتها

المشعوذ ذو الأرنب و العينين الزجاجيتين

عجائز بعدد التجاعيد

في البيت

تحف من أصابعها

نباتات

.إمرأة وحيدة

العودة إلى أعلى الصفحة

قبل أن يرسمها الله

صرصار ليل على الحائط يغني

كل حجرة زنزانة." (١)

"التي استعملتها لابتزازي...

المصنوعة من جلد **التمساح**..

على دبابيس الشعر..

ومبارد الأظافر...

والسلاسل المعدنيه..

التي لجأت إليها..

لأخذ اعترافاتي...

٧

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣٦٤/٥١

أريد أن أطلق الرصاص..
على صوتك المتسلل عبر أسلاك الهاتف
فلم أعد مهتما بهواية جمع العصافير...
أريد أن أطلق الرصاص..
على حروف اسمك..
فلم أعد مهتما..
بهواية جمع الأحجار النادره..
أريد أن أطلق الرصاص..
على كل قصائدي.. التي كتبتها لك..
وعلى كل الإهداءات الهيستيريه..
في ساعات الحب الشديد..
في ساعات الغباء الشديد..
٨
أريد أن أذهب إلى البحر..
حيث الشواطئ مفتوحة ككتاب أزرق
ففمي.. أصبح كغابة الفطر..
من قلة الشمس..
وعواطفي أصبحت كالمخطوطات القديمه..
من قلة الزائرين..
وقلة القراءة...
٩
أريد..
أن أكسر دائرة الطباشير..
وأنهي هذه الرحلة اليوميه..
بين شفتك العليا.. وشفتك السفلى..

بين جسدك البارد كمدن النحاس

١٠

أريد أن أحتج على شيء ما...

أن أصطدم بشيء ما..

أن أنتحر من أجل شيء ما..

فلم يعد عندي ما أفعله..

سوى أن ألعب الورق مع ضجري

هو يخسر.. وأنا أخسر..

هو يخبرني أنك كنت حبيبه..

هو يعطيني مسدسه لأنتحر..

وأنا أطلعه على مكاتيبك القديمه..

فيقتل نفسه...

ويقتلني...

١١

أستأذن في أن أقتلك..

إنني أعرف أن كل غمائم السماء..

وكل الحمائم ستفرش ريشها الأبيض.. تحت

وكل شقائق النعمان..

ستطلع من حقول جسدك..

ولكن برغم هذا..

سأبقى مصمما على قتلك..

لا من أجلي وحدي..

ولكن من أجل كل الأسرى.. والجرحى.. ومشوهي الحب..

ومن أجل كل الذين حكمتهم بالأشغال الشاقة

المؤبده..

وفرضت عليهم.

أن ينقلوا الرمل بملاعق الشاي..

من نهدك الأيمن.. إلى نهدك الأيسر..

من نهدك الأيسر.. إلى نهدك الأيمن..." (١)

"سمراء الرحمة

فاتحة النسمات

(٤)

ناشدتك

ألا يلج السكين بعنقي

حتى يلج الماء الأبيض

من عينيك

إلى ... قلبي

(٥)

ضاحكة.. كنت تردين

إذا ماثرت لفرط شقاوتك

وتتكنين على خاصرة الجرح

أسير على ثرثرة حكايات الهزلية

ثم أعاود مد سخافات الأصغاء

فيبدو صوتك

لونا لا مرئيا

إلا فيما بين الخطو الراكض خلفك

واستسلام الكف

(٦)

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٨/٥٢

كنا من عام

نتوضأ عند حدود الليل

وكنت.. إذا ما انقطع الماء

يذوب الكف

فنهرع. نرشف بعض الشوق

ونروى ذاكرة التحنان

مرت كل فصول العام

ولما يأن المطر

فهل لا زلت هناك.. لأذهب

أم أسترخي تحت تجاعيد الأيام.

(٧)

الشاعر الطويل بيننا

ارادة تموت

وقلبي الطموح – يا شريكتي –

ذبابة – في خيط عنكبوت.

(٨)

مرة .. ننسحق

في انكسار الضلوع

مرة .. يلفنا الخشوع

مرة .. لم يكن

في الحشا.. غير جوع.

شعراء مصر والسودان >> حسين القباحي >> صهد مطلي بالطيب

صهد مطلي بالطيب

رقم القصيدة : ٦٩٣٦٥

النسوة لازلن يقطعن – على مضض – أيديهن
ومكتحلات بالوجع المرئي
يجئن إلى الفردوس
ولا يصغين لهرولة الأرواح إلى
أساقط عند امرأة ... واحدة
جمرا
.. ودخانا
.. وضجيج
.. لم أسمع
ساعة أن رشقت نرجسة
في صدري.. لحن شكايتها
ترفع سبابتها
كي أدخل من فوهة الوقت
إلى أشياء تبعثرها للناس
فيحتشدون
ترقص واحدة
كانت – ذات مساء –
تصنع دائرة من رائحة الطين
وترمي بالدجل الباقين
... ينفطر الوجه المكسو
بحمرة خجل عذري
حين الخيط الأبيض
يمتقع قليلا
.. تلك امرأة
كانت .. ذاكرة للنيل

وتفاحات للقلب الطفل

وبهرجة للعيد

توغل ماجنة في رئتي

تحاصر أضرحة الوطن / التيه

هل كانت تبحر في الأرض

.. أم الأرض افترشت راحتها

أم كان بكاء النهدين

يغلف قاربها / الوقت

ليرسو مكتئبا.. وحزين

ها وجه مشاء خلف تماسيح النيل

ومحترف بالرانين إليه

يتنبأ .. بحقول الحنطة والحناء

يجاوز مد البحر

إلى جزر يحتال

ليعرف معنى للخمر المتبرج." (١)

"وأعظم عشاق التاريخ..

كانوا لا يعرفون القراءة..

(١٩)

دعي بورجوازيتك ، يا سيدتي

وسرير لويس السادس عشر

الذي تنامين عليه..

دعي عطورك الفرنسية

وحقائبك المصنوعة من جلد التمساح..

واتبعيني..

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٢٢٣/٥٣

إلى جزر المطر..

والأناناس..

والتوابل الحارقة..

حيث مياه السواحل ساخنة كجسدك..

وثمار المانغو..

مستديرة كنهديك..

إرمي كل شيء وراءك..

واقفزي على صدري..

كسنجاب إفريقي..

فأنا يعجبني..

أن تتركي خدشا واحدا على سطح جلدي.

أو جرحا واحدا على زاوية فمي..

أتباهى به..

أمام رجال العشيرة..

آه .. يا امرأة التردد .. والبرود

يا امرأة ماكس فاكتور.. وإليزابيت آردن

متحضرة أنت إلى درجة لا تحتمل..

تجلسين على طاولة الحب..

وتأكلين بالشوكة والسكين

أما أنا يا سيدتي..

فبدوي يختزن في شفتيه

عصورا من العطش..

ويخبئ تحت عباءته

ملايين الشموس..

فلا تغضبي مني..

إذا خالفت آداب المائدة

ونزعت عن رقبتي الفوطة البيضاء

وعريتك من ملابسك التنكرية

وعلمتك ..

كيف تأكلين بكلتا يديك

وتعشقين بكلتا يديك

وتركضين على رمال صدري

كمهرة بيضاء

تصهل في البادية..

(٢٠)

لأنني أحبك..

يحدث شيء غير عادي

في تقاليد السماء..

يصبح الملائكة أحرارا في ممارسة الحب..

ويتزوج الله .. حبيبته..

شعراء العراق والشام >> نزار قباني >> رسالة حب (٢١)-(٢٨)

رسالة حب (٢١)-(٢٨)

رقم القصيدة : ٦٨٧١٢

----

(٢١)

وعدتك..

أن أبقى محتفظا بوقاري

كلما ذكروا اسمك أمامي

أرجوك . أن تحرريني من وعدي القديم.

لأنني كلما سمعتهم..

يتلفظون باسمك..

أبذل جهد الأنبياء..

حتى لا أصرخ..

(٢٢)

أتغرغر بذكرياتك الصغيرة الملونة

كما يتغرغر عصفور بأغنية..

كما تتغرغر نافورة بيت أندلسي

بمياهها الزرقاء...

(٢٣)

فكرت أن أستولدك طفلا..

يأتي.. وفي فمه قصيدة.

فكرت أن استولدك قصيدة..

فكرت..." (١)

"منتظر وطنا .. لا يأتي

وشواطئ دافئة .. وطيور ..

لا أدري .. كيف أقول الشعر

فحيث ذهبت يلاحقني الساطور ..

كل الأوراق مفخخة..

كل الأقلام مفخخة ..

كل الأثداء مفخخة ...

وسرير الحب ..

يريد جواز مرور ...

يا ربي:

وهذا الوطن القابع بين الماء .. وبين الماء ..

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٦/٥٤

حزين كالسيف المكسور ..

فإذا ودعنا كافورا ..

يأتينا .. أكثر من كافور ..

يا ربي :

إن الأفق رمادي

إن كنت تريد مساعدتي

يا ربي .. فاجعلني عصفور ...

وأنا أشتاق لقطرة نور

إن كنت تريد مساعدتي

يا ربي .. فاجعلني عصفور ...

شعراء العراق والشام >> نزار قباني >> تصميم

تصميم

رقم القصيدة : ٦٨٩٠٠

ليس في وسعك ، يا سيدتي ،

أن تصلحيني

فلقد فات القطار .

إنني قررت أن أدخل

في حرب مع القبح ..

ولا رجعة عن هذا القرار ..

فإذا لم أستطع إيقاف جيش الروم

أو زحف التتار

وإذا لم أستطع أن أقتل الوحش

فحسبي أنني

أحدثت ثقبا في الجدار ...

شعراء العراق والشام >> نزار قباني >> إذا

إذا

رقم القصيدة : ٦٨٩٠١

إذا أردت أن تكون شاعرا

مختلف الملامح ..

وفاتكا .. وجارح ..

فأخرج على غرائز القطيع .

شعراء العراق والشام >> نزار قباني >> خيارات

خيارات

رقم القصيدة : ٦٨٩٠٢

ليس هنالك لعب بالكلمات

فعلى الشاعر أن يختار معاركه

أو يختار السكنى

في بيت الأموات ...

شعراء العراق والشام >> نزار قباني >> **التماسيح**

التماسيح

رقم القصيدة : ٦٨٩٠٣

يعمر الحاكم في بلادنا

ألف سنه ..

وعندما يذهب ـ مضطرا ـ إلى ضريحه

يهنئ المشيعون بعضهم

وترقص الأزهار خلف نعشه

والأحصنه ...." (١)

"وابتنى القصر من ضلوع الملا

يين ؛ و جوع الأجير و الفلاح

فخلعنا عن صدره قلب " شمـ

شون " و عن وجهه قناع " سجاح "

نحن سرنا على ادماء إليه

و على النار و القنا و الصفاح

وانطلقنا على المنايا كأنا

نتمنى الحتوف في كل ساح

لم ترنح مصباحنا أي ريح

دمنا الزيت في فم المصباح

نحن شعب خضنا إلى الفجر هولا

فاغرا في الطريق **كالتمساح**

و عبرنا ليلا كألسنة الحيات

و الدرب عاصف بالتلاحي

و تفشت دماؤنا في الروابي

السمر ؛ كالعطر في مهب الرياح

بيننا و المرام خطوة عزم

واثب كالضحى شباب الطماح

قسما لم نقف عن السير حتى

نضفر الغار في جبين الكفاح

شعراء الجزيرة العربية >> عبدالله البردوني >> رحلة التيه

رحلة التيه

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٩٤/٥٥

رقم القصيدة : ٦٧٥٤٤

هدني السجن و أدمى القيد ساقي

فتعاييت بجرحي ووثاقي

و أضعت الخطو في شوك الدجى

و العمى و القيد و الجرح رفاقي

و مللت الجرح حتى ... ملني

جرحي الدامي و مكثي وانطلاقي

و تلاشيت فلم يبق سوى

ذكريات الدمع في وهم المآقي

***

في سبيل الفجر ما لاقيت في

رحلة التيه و ما سوف ألاقي

سوف يفنى كل قيد و قوى

كل سفاح ، و عطر الجرح باقي

سوف تهدي نار جرحي إخوتي

و أعير الأنجم الوسنى احتراقي

فلنا شعب فمن ينكرني

و هو في دمعي و سهدي و اشتياقي ؟

أنا ألقاه شجونا و منى

فألاقيه هنا قبل التلاقي

شعراء الجزيرة العربية >> عبدالله البردوني >> الحكم للشعب

الحكم للشعب

رقم القصيدة : ٦٧٥٤٥

لن يستكين و لن يستسلم الوطن

توثب الروح فيه و انتحى البدن

أما ترى كيف أعلا رأسه

و مضى يدوس أصنامه

و هب كالمارد الغضبان متحشا

بالنار يجتذب العليا و يحتضن

فزعزعت معقل الطغيان ضربته

حتى هوى و تساوى التاج و الكفن

و أذن الفجر من نيران مدفعه

و المعجزات شفاه و الدنا أذن

تيقظت كبرياء المجد في دمه

واحمر في مقلتيه الحقد و الإحن

***

يا صرعة الظلم شق الشعب مرقده." (١)

"كنهر من الزنوج

يئن في أحشاء الصقيع المتراكم

على جثث القياصرة والموسيقيين

ينقل في ذيله سوقا كاملا

من الوحل والثياب المهلهله

ذلك الوحل الذي يغمر الزنزانات

والمساجد الكئيبة في الشمال

الطائر الذي يغني يزج في المطابخ

الساقية التي تضحك بغزاره

يربى فيها الدود

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٢٦٧/٥٥

تتكاثر فيها الجراثيم
كان الدود يغمر المستنقعات والمدارس
خيطان رفيعة من التراب والدم
وتتسلق منصات العبودية المستديره
تأكل الشاي وربطات العنق ، وحديد المزاليج
من كل مكان ، الدود ينهمر ويتلوى كالعجين ،
القمح ميت بين الجبال
وفي التوابيت المستعمله كثيرا
في المواخير وساحات الإعدام
يعبئون شحنه من الأظافر المضيئه إلى الشرق
وفي السهول التي تنبع بالحنطة والديدان ...
حيث الموتى يلقون على المزابل
كانت عجلات القطار أكثر حنينا إلى الشرق ،
يلهث ويدوي ذلك العريس المتقدم في السن
ويخيط بذيله **كالتمساح** على وجه آسيا .
كانوا يعدون لها منديلا قانيا
في أماكن التعذيب
ومروحة سميكة من قشور اللحم في سيبريا ،
كثير من الشعراء
يشتهون الحبر في سيبريا .
. . .
البندقية سريعة كالجفن
والزناد الوحشي هادىء أمام العينين الخضراوين
ها نحن نندفع كالذباب المسنن
نلوح بمعاطفنا وأقدامنا

حيث المدخنة تتوارى في الهجير
وأسنان القطار محطمة في الخلاء الموحش
الطفلة الجميلة تبتهل
والأسير مطارد على الصخر .
أنام وعلى وسادتي وردتان من الحبر
الخريف يتدحرج كالقارب الذهبي
والساعات المرعبه تلتهب بين العظام
يدي مغلقة على الدم
وطبقة كثيفة من النواح الكئيب
تهدر بين الأجساد المتلاصقة كالرمل
مستاءة من النداء المتعفن في شفاه غليظه
تثير الغثيان
حيث تصطك العيون والأرجل
وأنين متواصل في مجاري المياه
شفاه غليظة ورجال قساة
انحدروا من أكمات العنف والحرمان
ليلعقوا ماء الحياة عن وجوهنا
كنا رجالا بلا شرف ولا مال." (١)

"بعدة نساء على فراش واحد
الجريمة تعدو كالمهر البري
وأنا مازلت ألعق الدم المتجمد على الشفة العليا
مالحا كان ، من عيوني يسيل
من عيون أمي يسيل
سطحوه على الأرض

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٥٥/٤٩٠

الأشرعة تتساقط كالبلح

لقد فات الأوان

إنني على الأرض منذ أجيال

أتسكع بين الوحوش والأسنان المحطمه

أضربه على صدره إنه كالثور

سفله ، دعني آكل من لحمه

بشدة كان الألم يتجه في ذراعي

بشدة ، بشدة ، نحن عبيد يا ليلى

كنت في تلك اللحظه

أذوق طعم الضجيج الانساني في أقسى مراحله

مئات السياط والأقدام اليابسه

انهمرت على جسدي اللاهث

وذراعي الممددة كالحبل

كنت لا أميز أي وجه من تلك الوجوه

التي نصادفها في السوق والباصات والمظاهرات

وجوه متعطشة نشوى

على الصدر والقلب كان غزال الرعب يمشي

بحيرة **التماسيح** التي تمر بمرحلة مجاعه

مجاعة تزدرد حتى الفضيله

والشعور الالهي المسوس

لقد فقدنا حاسة الشرف

أمام الأقدام العارية والثياب الممزقه

أمام السياط التي ترضع من لحم طفلة بعمر الورد

تجلد عارية أمام سيدي القاضي

وعدة رجال ترشح من عيونهم نتانة الشبق

والهياج الجنسي

وجوه طويلة كقضبان الحديد

تركتني وحيدا في غرفة مقفلة ، أمضغ دمي

وأبحث عن حقد عميق للذكرى .

النجيع ينشد على طرف اللسان

والغراب ينهض إلى عشه

الألم يتجول في شتى الأنحاء

والمغيص يرتفع كالموج حتى الهضبه

كادت تنسحب من هذا النضال الوحشي

من هذا المغيص المروع

رأسي على حافة النافوره

وماؤها الفضي يسيل حزينا على الجوانب

من وراء المياه والمرمر

يلوح شعر قاسيون المتطاير مع الريح

وغمامة من المقاهي

والحانات المغرورقة بالسكارى

تلوح بنعومة ورفق عبر السهول المطأطئة الجباه

لم يعد يورق الزيتون

ولم تدر المعاصر ، كلهم أذلاء

وأضلاعي تلتهب قرب البحيره

إنها تسقي الزهور ، أنا عطشان يا سيدي

في أحشاء الصحراء

أنقذني يا قمر أيار الحزين .

. . .

استيقظي أيتها المدينة المنخفضه

فتيانك مرضى ،." (١)

"و هو في أكفانه

شعراء العراق والشام >> بدر شاكر السياب >> المعبد الغريق

المعبد الغريق

رقم القصيدة : ٦٨٠٤٧

خيول الريح تصهل و المرافىء يلمس الغرب

صواريها بشمس من دم و نوافذ الحانة

تراقص من وراء خصاصها سرج و جمع نفسه الشرب

بخيط من خيوط الخوف مشدودا إلى قنينة و يمد آذانه

إلى المتلاطم الهدار عند نوافذ الحانه

و حدث و هو يهمس جاحظ العينين مرتعدا

يعب الخمر شيخ عن دجى ضاف و أدغال

تلامح وسطها قمر البحيرة يلثم العمدا

يمس الباب من جنبات ذاك المعبد الخالي

طواه الماء في غلس البحيرة بين أحراش مبعثرة و أدغال

هنالك قبل ألف حين مج لظاه من سقر

فم يفتح البركان عنه فتنفض الحمى

قرارة كل ما في الواد من حجر على حجر

تفجر باللظى رحم البحيرة ينثر الأسماك و الدم مرغيا سما

وقر عليه كلكل معبد عصفت به الحمى

تطفأ في المباخر جمرها و توهج الذهب

ولاح الدر و الياقوت أثمار من النور

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤٩٤/٥٥

نجوما في سماء تزحف دونما السحب

تمرغ فوقها **التمساح** ثم طفا على السور

ليحرس كنزه الأبدي حتى عن يد الظلماء و النور

و أرسى الأخطبوط فنار موت يرصد البابا

سجا في عينه الصوراء صبح كان في الأزل

تهزأ بالزمان يمر ليل بعد ليل و هو ما غابا

ففيم غرور هذا الهالك الإنسان هذا الحاضر المشدود بالأرجل ؟

أعمر ألف عام ؟ ليته شهد الخلائق و هي تعبر شرفة الأول

ألا يا ليته شهد السلاحف تستحق الدنيا

قياصرها و يمنع درعها ما صوب الزمن

إليها من سهام الموت

لكن الذي يحيا

بقلب يعبر الآباد يكسر حده الوهن

فيصمت عمره أزل يمس حدوده أبد من الأكوان في دنيا

هنالك ألف كنز من كنوز العالم الغرقي

ستشبع ألف طفل جائع و تقيل آلافا من الداء

و تنقذ ألف شعب من يد الجلاد لو ترقى

إلى فلك الضمير

أكل هذا المال في دنيا الأرقاء

و لا يتحررون ؟ و كيف و هو يصفد الأعناق

يربطها إلى الداء

كأن الماء في ثبج البحيرة يمنع الزمنا." (١)

"فلا يتقحم الأغوار لا يخطو إلى الغرف

كأن على رتاج الباب طلسما فلا وسنا

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١٨٨/٥٧

ولكن يقظة أبد و لا موت يحد حدود ذاك الحاضر الترف
كأن تهجد الكهان نبع في ضمير الماء يدفق منه الغرف
إذن ما عاد من سفر إلى أهله عوليس
إذن فشراعه الخفاق يزرع فائر الأمواج
بما حسب الشهور وعد حتى هده البؤس
فيا عوليس شاب فتاك مبسم زوجك الوهاج
غدا حطبا ففيم تعود تفري نحو أهلك أضلع الامواج
هلم فماء شيني في انتظارك يحبس الأنفاس
فما جرحته نقرة طائر أو عطرته أنامل النسم
هلم فان وحشا فيه يحلم فيك دون الناس
و يخشى أن تفجر عينه الحمراء بالظلم
و أن كنوزه العذراء تسأل عن شراعك خافق النسم
أما فجعتك في طروادة الآهات من جرحي
و محتضرين
يا لدم أريق فلطخ الجدران
ورد ترابها الظمآن طينا رده جرحا
كبيرا واحدا جرحا تفتح في حشا الإنسان
ليصرخ بالسماء
فيا لصوت رددته نوافذ الحجرات و الجدران
لأجل فجور أنثى و اتقاد متوج بالثار
تخصب من دم المهجات حتى سلم الأفن
وحل بلا أوان يومنا و تساوت الأعمار
كزرع منه ساوى منجل
وهناك في الشفق
تنوح نساءنا المترملات يولول الأطفال عند مدارج الأفق

هلم فقد شهدت كما شهدت دما و أشلاءا

تفجر في بلادي قمقم ملأته بالنار

دهور الجوع و الحرمان

أي خليفة قاءا ؟

رأينا أن أفئدة التتار و أذؤب الغار

أرق من الرعاع القالعين نواظر الأطفال و الشاوين بالنار

شفاه الحلمة العذراء

يا نهرا من الحقد

تدفق بالخناجر و العصي بأعين غضبى

نجوما في سماء شدها قابيل بالزند

فليتك حين هز الموصل الأعصار (دربا

و لا بيتا و لا قبرا نجا فيها) شهدت الأعين الغضبى

و ليتك في قطار مر حين تنفس السحر

فقص على سرير السكة الممدود أمراسا

تعلق في نهايتين جسم يحصد النظر

عليه الجرح بعد الجرح بعد الجرح أكداسا

ليهوي جسم حفصة لابسا فوق النجيع دما

و أمراسا

و فيم نخاف في ثبج البحيرة أو حفافيها

كواسج ضاريات أو **تماسيح** التظت لهبا." (١)

"ماذا يهمك من أنا؟

ما دمت أحرث كالحصان

على السرير الواسع..

ما دمت أزرع تحت جلدك

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١٨٩/٥٧

ألف طفل رائع..

ما دمت أسكب في خليجك

رغوتي وزوابعي..

ما شأن أفكاري؟

دعيها جانبا..

إني أفكر عادة بأصابعي...

شعراء العراق والشام >> نزار قباني >> النقاط على الحروف

النقاط على الحروف

رقم القصيدة : ٦٨٢٩٤

لا تكوني عصبيه!!

لن تثيريني بتلك الكلمات البربريه

ناقشيني بهدوء ورويه

من بنا كان غبيا؟

يا غبيه..

إنزعي عنك الثياب المسرحيه..

وأجيبي..

من بنا كان الجبانا؟.

من هو المسؤول عن موت هوانا؟.

من بنا قد باع للثاني.. القصور الورقيه؟

من هو القاتل فينا والضحيه؟.

من ترى أصبح منا بهلوانا..؟

بين يوم وعشيه؟

*

إمسحي دمع التماسيح..

وكوني منطقيه..

أزمة الشك التي نجتازها

ليس تنهيها الحلول العاطفيه..

أنت نافقت كثيرا...

وتجبرت كثيرا..

ووضعت النار في كل الجسور الذهبيه

أنت منذ البدء ، يا سيدتي

لم تعيشي الحب يوما.. كقضيه

دائما. كنت على هامشه..

نقطة حائرة في أبجديه..

قشة تطفو..

على وجه المياه الساحليه.

كائنا..

من غير تاريخ.. ومن غير هويه..

لا تكوني عصبيه!

كل ما أرغب أن أسأله.

من بنا كان غبيا...

يا غبيه؟

شعراء العراق والشام >> نزار قباني >> دموع شهريار

دموع شهريار

رقم القصيدة : ٦٨٢٩٥

ما قيمة الحوار؟

ما قيمة الحوار؟

ما دمت، يا صديقتي، قانعة

بأنني وريث شهريار..
أذبح، كالدجاج، كل ليلة
ألفا من الجواري..
أدحرج النهود كالثمار..
أذيب في الأحماض.. كل امرأة
تنام في جواري..
لا أحد يفهمني..
لا أحد يفهم ما مأساة شهريار
حين يصير الجنس في حياتنا
نوعا من الفرار..
مخدرا نشمه في الليل والنهار..
ضريبة ندفعها." (١)

"و ذهبت ألتمس السلو و أطلقت
نفسي زمام جوادها الركاض
يجتاز نار مفازة مشبوبة
و يخوض برد جداول و رياض
ولقيت غيرك غير أن حشاشتي
لم تلق غير الوقد و الإرماض
و اعتضت باللذات عنك فلم تجد
روحي كلذة حلمك المعتاض
و أطلعت ثم عصيت، ثم وجدتني
بيديك لا عن ذلة و تغاضي
لكن لأنك إن خطرت تمثلت
دنياك تسعى لي بأروع ماضي !

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤٨١/٥٧

شعراء مصر والسودان >> علي محمود طه >> نداء القلب

نداء القلب

رقم القصيدة : ٦٦٤٤٦

حبيبة قلبي نأت دارها

و لم تنأ عني و عن ناظري

أرى وجهها مشرقا بالجمال

يطل من الشاطئ الآخر

هو النهر يفصل ما بيننا

مدلا **بتمساحه** الغادر

نوسد رملته شاخصا

إلي و ما كنت بالخائر

إليها على رغمه فلأخص

غوارب تياره الثائر

إذا ما تقاذفني موجه

و سال على بدني الضامر

مضيت كأني على مائه

أنيل الثرى قدمي عابر

لقد حال سابسة ماؤه

بسلطان هذا الهوى الساحر

و صيرني سحر هذا الهوى

و بي قوة القادر الظافر

ألا إن سلطان هذي المياه

ليعنو سلطانها القاهر

شعراء مصر والسودان >> علي محمود طه >> فاروس الثاني

فاروس الثاني

رقم القصيدة : ٦٦٤٤٧

نبأ في لحظة أو لحظتين

طاف بالدنيا و هز المشرقين

نبأ ، لو كان همس الشفتين

منذ عام ، قيل إرجاف و مين !

و تراه أمة بالضفتين

أنه كان جنين العلمين

موسيلني ! أين أنت اليوم؟ أين؟

حلم ؟ أم قصة ؟ أم بين بين ؟

***

قصر فينيسيا إليك اليوم يهدي

لعنة الشرفة في قرب و بعد

عجبا ! يا أيهذا المتحدي

كيف ساوك سقوط المتردي ؟

إمبراطورك في هم و سهد

صائحا في لياه لو كان يجدي ؟

أين فاروس وليت بجندي ؟

أبن وليت بسلطاني و مجدي ؟

***

أعتزلت الحكم ؟ أم كان فرارا

بعد أن ألفيت حوليك الدمارا

سقت بالمجزرة الزغب الصغارا

بعد أن أفنيت في الحرب الكبارا

يا لهم في حومة الموت حيارى

ذهبوا قتلى و جرحى و أسارى." (١)

"مما أساءت له سوءاتنا الكبر

أزرى بنا حين خاطرنا بذمتنا

فاجتاحنا ضاربا ناقوسه الخطر

جوا .. وبحرا .. وبرا ، في مصائرنا

تحكم النسر .. **والتمساح** .. والنمر

و نازعتنا الجهات الست وجهتنا

الفوق والتحت ثم الأربع الأ خر

في كمب دافيد إجرام أعد ، وفي

أوسلو اجتماع ، وفي مدريد مؤتمر

و زعزعت ثم أعلام و أشرعة

من السفينة ، والألواح والدسر

والريح قاصفة .. والشمس كاسفة

والبدر منخسف .. والنجم منكدر

وعطلت طرق الإحساس في دمنا

الذوق والشم والأسماع والبصر

عشرون واثنان ، شالت من بيارقها

ثلاثة ، وأطيح التسعة العشر

فلا قريش ، ولا بكر ، ولا جشم

و لا تميم ، ولا قيس ، ولا مضر !

ممالك ما أقيمت حولها جدر

لكنها قد أقيمت بينها جدر

برق الصواعق ، رعد الطائرات ، إلى

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٢٩/٥٩

غيم الحرائق،شاموا الغيث وانتظروا
فبال بوش على آنافهم كرما
فأعلنوا الشكر ، ظنا أنهم مطروا
لم يبق من ديننا ، أو من عروبتنا
إلا الدعاية ، والأسماء ، والصور
و جملة من شعارات نرددها
يكاد من ثقلها التاريخ ينأطر
ما نحن إلا صغار في حقيقتنا
و بالقياس إلينا يكبر الصغر
عوراتنا كلها للعين ظاهرة
أما الضمير لدينا فهو مستتر
محرم في لهانا ، والرؤوس عثا
فيها جمادى ، وفي أجوافنا صفر
واستحكم الذل واستشرى الهوان بنا
حتى قبلنا بما لا تقبل الحمر
نهيب بالحظ يستبقي بقيتنا
و الحظ ليس له دخل ، بل القدر
لما اقتفينا هداة ضل سعيهم
ساروا بنا كيف شاءوا، لا كما أ مروا
قال اذهبوا (حيث ألقت) إنكم بشر
على المجاز ، وإلا لستم البشر !!
*** ***
من أي بقعة رمل عربنا خلقوا
من أي طينة أرض سبخة فطروا
الناس حطت على المريخ صاعدة

و نحن في هوة عمياء ننحدر

و الناس وحدها بغي ، و واحدنا

في ذاته اثنين مقسوم ومنشطر." (١)

"سقوط في الضوء

رقم القصيدة : ٦٥٦٨٣

- ١ -

قيامة أخرى

مدينة أخرى

تنهار في قلبي

مع اي ريح عدت يا رعبي

توقظ في مأساتي الكبرى؟

عاد الرداء الاسود القديم

ينفض عن اكمامه الغبار

يلبس خطواتي واشواقي

عادت جيوش الزنج والتتار

ترجم، بالنيران، احداقي

تهدم، في صدري واوراقي،

منازل العنكبوت

تطردني من جنتي –

في ظلمة التابوت.

أنا شهيد اليقظة الطاغيه

بعثت من جديد

ولدت في كارثة ثانيه.

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤٨٣/٦١

- ٢ -

كنت، في صحوة حسي،

نائما بين الطبول

ملقيا مرساة نفسي

تحت اقدام الخيول

ألمح العالم، في رغوة كأسي،

عائما بين دخان الانبياء

راقصا فوق قبور الشعراء

راكعا عند تماثيل الوحول.

لم يكن لي سيد غير الجنون

أحتمي، في ليله الصاخب ،

من وجه النهار

لا أبالي ما يقول الاخرون

فأنا أنفق عمري

قبل أن يمضي القطار.

- ٣ -

خرجت من أصداف احزاني

مشوها، منهزما، كالغراب

أنعب، في أرجاء ميدا ني.

أنا إله الموت والخراب

أبحث عن قبري وأكفاني

بين نيوب الغول والذئاب

أنبش عن هويتي

تحت حطام الذاكره

أرغمت أن أعيد رحلتي

حول محيط الدائره.

شعراء العراق والشام >> كمال خير بك >> مغامرة

مغامرة

رقم القصيدة : ٦٥٦٨٤

عيناك زوبعتان تنهمران في قبري

نهدان يرضع منهما شعري

عيناك ساريتان تندفعان في بحري

والنوء صعب الموج كالصخر

لا تبحري .. عودي الى البر

فالمد لا يغوي ولا يغري

اليوم يحملنا ويجمعنا

وغدا تفرقنا يد الجزر.

شعراء العراق والشام >> كمال خير بك >> الاعمى

الاعمى

رقم القصيدة : ٦٥٦٨٥

جثة الشمس على جفني

وأقدام العبيد

ويد تفصل عن عظمي لحمي

آه، هل أولد في لحم جديد؟

قدمي تنبض أشباحا

وأشعارا ذبيحه

قدمي كهف خرافي الحجاره

أجهضت فيه نعامات الحضاره.

آه، اني أبصر الموت

على أحداق شعبي

كالتماسيح الجريحه

آه .. في صدري غابات

من الاصنام تجري." (١)

"تاريخ الشعر المشين

فدعوني أحدثكم ببساطة

رصيدي من العاطفة

يخصني وحدي

رصيدي من- الذهن الفاعل

مقسم بين- مكانين واسعين جدا

في المكان الأول

والذي يشبه قارة حية

من قارات الله الست

توجد كلمة واحدة

هي- (لا)

في المكان الثاني

حاولت أن أزرع به الرضى أزرع ال(نعم)

لكن الأرض صرخت في وجهي

لا- لا أقبل-

كذبا

شعراء المغرب العربي >> علي الفزاني >> شهرزاد

شهرزاد

رقم القصيدة : ٦٦٠٩٩

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤٥/٦٢

ظمت شهرزاد الذكية

ذات الجمال الطري العابث

تحكي ألف ليلة وليلة

بالإضافة إلى أيام العطلات الرسمية

كان الملك شهريار

يصغي باهتمام

مبتهجا كان ومسرورا ومغتبطا

لم يتجهم وجهه أبدا

لم يدون في مفكرته السوداء شيئا غير طبيعي

لم يطلب جهاز تسجيل مرئي أو مسموع

لم يكن- شهريار عادلا- فلا ملك عادل

لكن الأنثى الذكية

لم تتحدث عن المجاعات والغليان الشعبي

لم تشر إلى- لعبة الأمم والدوائر السرية

لذا- قلدها الملك شهريار

حزمة من اللآلئ والعقود والأحجار الكريمة

وضع في رصيدها كل أنواع العملة الصعبة

وينفق أحفادها للآن

على ملذاتهم بسخاء

الشعب المسكين للآن يقول:

هذه امرأة ذكية ولطيفة

لقد خرجت من المحنة الطويلة

بسلام!

شعراء المغرب العربي >> علي الفزاني >> الذي مات

الذي مات

رقم القصيدة : ٦٦١٠٠

-١-

رجل وقع من طائرة نفاثة

وقع في فوهة بركان ثائر

-٢-

رجل تفجرت تحت بيته قنبلة عنقودية

وسقطت فوقه خمسون قنبلة نابالم

-٣-

رجل أكله **تمساح** إفريقي ضخم

ابتلعه تماما

-٤-

سبعون أفعى في كل واحدة رأس ولها

سبعون من الأنياب السامة جدا

عضت- رجلا واحدا

-٥-

هؤلاء جميعا لم يموتوا

بعضهم بلغ التسعين من العمر

وبعضهم يقود جرارات ثقيلة

-٦-

لكن رجلا واحدا

قوي البنية كثور أسباني

كفيل إفريقي شاب

تعثرت- أذناه- بخبر موجز

من إذاعة– شرقية

سقط لتوه ميتا

وتحلل جسده بعد عشرين

ثانية!

.---------" (١)

"شاعر البقاع و المتاهات الانيقة

!!!

تغوص فى شرايين المدينة

بعض الطحالب الحمراء

وينضح الوريد بالدماء

هناك فى مدينتى

مدينة اللقاء

حبيبتى عيونها البقاء

وروحها النقاء

وصدرها السماء

وقلبها الجنون

!!!

فى مدينة اللقاء

يزحف القدر

لاعناق

لامجون

ويهرب الشجر

تحفر القبور فى الحزون

لا موتى يدفنون

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣٢٤/٦٣

لا موتى يدفنون

لا موتى يدفنون

شعراء مصر والسودان >> معز عمر بخيت >> البحث عن شيء غير مفقود

البحث عن شيء غير مفقود

رقم القصيدة : ٦٤٦٣٢

شيء يدعونى أن أقطف أقلاما عطشى

و أسطر شيئا للأطلال

شيء فى الاسراء صلاة

تجمع بين تراويح الصوم

بقايا الصبح و سرب خيال

شيء ممزوج كالخفقان

مفتاح الزخر رحيل الرعشة

بعض حنان ...

يا جدر الشمس

هنا قومى

ذوبى فى فرط الاشعال

سوقى للمجد مشاويرى

فعظام الليل اصطكت كالاسنان

تهاوت كالاجيال

و أتيت أنا من خلف الوقت

من صدف الصحو أتيت أنا

من قلب اللحظة و الأهوال

أجمع اصداء من بعضى

أنساق اليها بجلال

!!!

أتيت أنا ...

وبقرب البحر نزلت

بمدينة اسكندر كنت

نقبت عن الدهشة و الآمال

أبحرت سنينا وبحثت

فى بركة قصر التين ...

ببيت الموج استوطنت

كانت كل الاشواق **تماسيح**

تعبث فى الشاطىء

كانت خفقات الريح تدق على الصمام

تفتح أدواج الجرأة

كالالهام ...

كانت كالنبرة كالطائر ...

كانت كالزحف الابدى

تتدفق ولها ومخاطر

كانت يا أحلى ما كانت

زهرات الموج ...

بكاء الشفق المتناثر

صمت الزيف ونعش النطق

أنين الدمعة والخاطر

!!!

فجمعت البوح ...

رشفت الروح ...

سكبت الشوق على الاكليل

خطت اوراق النشوة عصر البدء

على القنديل

فازدان الشرق افترق البرق

اندهش الليل و كان رحيل

فذهبت أنا ...

من خلف البحث أناجى وجه الفجر

وأبحث عن صدحات نامت كالاشراق

كان الاشراق جليا ...

كان تماما كالاشراق

لكنى لم أدر العنوان

وذهبت هناك أسائل قوما

من كل الاجناس وكل الالوان

بحثت عن اللقيا ...

نقبت كنوز القوم." (١)

"... ... ...

في ٢٠٠١/٠١/٠٣

شعراء العراق والشام >> نزيه أبو عفش >> سورة: "الآخر..."

سورة: "الآخر..."

رقم القصيدة : ٦٥١٧٨

سورة: "الآخر..."

أو: خندق الميليشيا

"أنا الآخر، وأنتم الآخرون.

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣٩١/٦٥

تسمونني أخا

وأدعوكم: إخواني!!..."

أبدا، أبدا

لست الشقيق ولا الصاحب ولا شريك الحياة.

أبدا، أبدا...

لست شقيقي ولا صاحبي ولا شريك حياتي.

كلانا: "آخر"...

كلانا: مجرد آخر!...

*

لي عيناك وقلبك

لي فمك ورئتاك وآلام ندمك...

رجفتك من الخوف

وشهقة روحك في حضرة الجمال.

لكن، فجأة،

تحت قشرة التآخي الكوني

لسلالات الديكة **والتماسيح** والأرانب،

ينكشف عطش الفولاذ، وشذوذ الدم،

ونهم ميليشيات أبناء الرب

إلى احتكار عضوية "نادي العراة" السماوي:

تنكشف صورة "الآخر"

مكفرا في عماء سريرة الآخر...

(تنكشف السكين!!...)

وينكشف أن:

كلانا آخر الآخر

كلانا قابيل...

وكلانا ذبيحته.

... ...

فإذن

لا تلم الضعف

لا تلم الخوف

لا تلم حيرة المنبوذ

لا تلم رعشة يد الجبان

لا تلم شهوة المطارد

إلى خندق

أو وكر

أو سقيفة بيت.

لكن...

لم سلاحك الذي يتحفز تحت ضوضاء العرس

لم سلاح أخيك (أخيك "الآخر"!...)

الذي يتربص خلف تحصينات "العدو"...

لم الضغينة مقنعة بتسامح رسلها العميان...

لم قوة يقين "الآخر"

الذي لا يرى في "الآخر"

غير ضلال "الآخر..."

لم الخندق الذي حفرناه معا

(أنت الآخر وأنا آخر الآخر)

حفرناه معا...

وها نحن الآن، على ضفتيه العدوتين

– ملثمين بعقائدنا وبغضائنا،

ملثمين بأكذوبة أخوة الحيوانات –

منطرحان كل خلف تلة ترابه... أو تلة عقيدته:

العين على الهدف

والإصبع على الزناد." (١)

"فإني جبان تخليت عنك غداة الوداع

تركتمك للموت

للقاتلين الجياع

****

أتسمح لي أن أعفر وجهي

أمرغ شعري

بباقي الدماء

أمزق وزري

لأعرف باب السماء

وعذري إليك ، إلى شمس عينيك

أني جبان

ولكنني رغم جبني

بكيتك ملء عيون الزمان

نقشت اسمك البكر عبر المدى والمكان

ولم أقرع الرأس – رأسك – مستنكرا

مثل أصحابنا الآخرين

****

ومهما فعلت فإني انؤ بعاري

أجرر في الليل ظلي

وأكره وجه نهاري

إلى أن أجسد في الواقع الجهم

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٢٩٧/٦٧

في ساعة الصفر ثأري

واغسل في نار " تموز " ذلي

****

قتلناك حين هتفنا : الشريف البطل

يموت احتراقا لتحيا البلاد

ولما احترقت اختفينا

كأنا رماد

كأنا بقية نجم أفل

وجفت بأفواهنا كلمات الجهاد

وكنت البطل

وكنت الأمل

تقدمت نازلت آخر وحش قديم

تعاركتما ثم ألقيته مثخنا بالجراح

وأسلمته للجحيم

ولكنه قبل أن يختفي

مد أظفاره شج وجه الصباح

فأغمضت عينيك

ودعت ..

لكننا لم نكن في الوداع

فأجهشت : أواه

ياللوفاء المضاع

شعراء الجزيرة العربية >> عبدالعزيز المقالح >> في انتظار عودة الشهيد

في انتظار عودة الشهيد

رقم القصيدة : ٦٥٢٧٩

لا تنتظرن ..

قد يطول الليل قبل ان يعود من رحلته النائية الشهيد

جف الغناء في الذرى

وضاع عند السفح

رجع البوق والنشيد

فامسحن دمعة تحدرت على تمائم الأطفال

وأبصقن في وجوه .. في عمائم الرجال

الواقفين في انتظار عودة الشهيد

ليغسل الديار من أحزانها

لكي يموت من جديد

****

لا تنتظرن

سوف تمتلى الطريق بالأشباح

سيأكل الظلام الزرع ، يمضغ الأرواح

سيختفي **تمساح**

ويستوي على ظهورنا **تمساح**

حتى يعود من رحلته الشهيد قادما مع الصباح

"بلقيس" في سحابة الحزن تمر بالسفوح بالجبال

بحثا عن الأبطال

أشلاؤهم لما تزل مهجورة يغفو عليها ينحني الرماد

وحين يلقى رأسه الشهيد

حين تعود كفه إلى الزناد

ستصرخ الجبال : عاد

وتصرخ السهول : عاد

****

لا تنتظرن ..." (١)

"وشيتا يجيك بالليل

ناسا يجوك طاشين

وواحدين يجوك نازلين

من السما العشرين ،

زى الخدر .. داجين

شايلين كلام الكتاب

وشايلين كتاب الكلام ،

وشايلين . . كمان شايلين

كل السمح .. والزين ،

-٢-

سمع كلام السفيه

وقمت دجيت

ومشيت وراك يا سراب

ناما .. أنا حفيت ،

كل ما أدور أرتاح ..

أشم دعاشك قريب

وأتابع السكة ،

يا سكة آخرك وين

يا سكه وين الوصول

داير لى ضلا زين

وزول يقول لى الزين

يقعد حداى يكب الجبنه .. فنجانين

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣٧٢/٦٧

وأقول كفاى .. ويقول .. تدفنى .. تانى .. اتنين

يا حليل ضلول الضحا

ويا حليل بيوت الطين

ويا حليلن الطيبين

العندهم حقك .. حتى ولكان ملين

-٣-

يا حليل نسايم الليل

فى مقرن النيلين

وحليوة الحلوين

عينيها براقين

شايلين خريف وشتا

وصابين علينا . . حنين

-٤-

يا حليل أهلنا الكتار

والمو أهل . . وكتار

يجوك وكت الفرح

ويجوك ساعة الترح

وبينن ساعة الترح

وبينن اللتنين

يجوك خفاف وسراع

ويقولو ليكا .. سلام

ويجيك معاهم سلام

-٥-

يا حليل كبوبنا وعجاجنا

ويا حليل سجمنا ورمادنا

وزعلنا دون أسباب

وفرحنا دون أسباب

وبكانا دون أسباب

يا حليلو هه الما غاب

راقد تقول **تمساح**

حارس العقاب بالناب

راقد تقول محدود

فى الدنيا . . من غير حد

طيب . . وزين . . وفقير

وغروره فايت الحد

يا اخوانا – بالله

قولو لى كيف الزول

يقدر يخون بلده

مهما تكون بلده

تعبانه . . فايته الحد ،

شعراء مصر والسودان >> سيد أحمد الحردلو >> لازم نقول الحق

لازم نقول الحق

رقم القصيدة : ٦٣٤٣٤

نوع القصيدة : عامي

-١-

لازم نقول الحق

ما الحق ده سودانى

مولود فى جرف النيل

شارب من الجدول

ولا بسلو جبه قطن

ودارع صديرى نخيل

وتقيان كما السودان

ومارق يقول .. يا ليل

-٢-

لازم نقول الحق

م الجنس سودانى

والأصل سودانى

والفصل سودانى

يا سلام عليك يا جنا." (١)

"وحررني السير المتواصل في الشمس السوداء

أعطاني السهل المفتوح غناء الثور

وكنت كأشجار الصمغ لهذا الفرح البحري

أنوح فإن الأخبار تجيء الآن

بأنك تقتتلين بلا معنى

حوطت عليك ضلوع اللوعة يا باكر

إن رياح قوادات تتجمع من كل الدنيا

وقيادات باعتك

لعن الله الولد الغارز مقودة الخشبي

في ثدييك ليزداد حليبه

وصرخت بوادي الرحمة

يا الله أعمي في ولد يزني في بقعة مولده

أصوات جنودك

والكيزان الذهبية مشرعة

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٨/٦٨

أبدا ويموت الأعداء

وتصطف السفن السود على المرسى

لا يتقوس ظهر الثورة إلا يصبح قوسا

أعرف بين جنودك عبد الله

وآدم.. والولد الأسود (دكنج)

وأعرف موسى يا بلد الثورة...

والأشجار

لقيتك في بلد الأخزان عروسا

ناديتك في الليل حبيبة

قليل إن الفارب يغرق إذ يتمايل صاحبه

وإن البقرلت يمتن وأنت الراعية السوداء

إلهي ليسدل شيء فوق المسرح

كل الأدوار إرتبكت

****

شعراء العراق والشام >> مظفر النو ا ب >> مرثية لأنهار من الحبر الجميل

مرثية لأنهار من الحبر الجميل

رقم القصيدة : ٦٤١٣١

يسافر في ليلة الحزن

صمتي

غيوما

تتبعته ممطرا

واشتريت دروب المتاعب ألوي أعنتها فوق رسغي

ليالي أطول من ظلمات الخليقة

خال سوى من فتات من الصبر

في ركن زاويتي

والدجى ممطر

****

أأنت الوديع كساقيه

من خبايا الربيع

قتلت ؟!

وغص بنعيك من قتلوك

كأنك مقتلهم لا القتيل

****

لم إستفردوك بقبر عدو ، وراء الضباب؟!!!!

وفيم تسألت ذات مساء من الحزن

عمن سيأخذ ثأرك !

هل كنت تعرف أن الرجال قليل ؟؟؟

هل التصفيات بديل عن الأرض

والفشل المستمر؟!

وأي مقايضات تلك

خير الرجال

بشر النقود

ومن شركاء الجريمة ؟!!!!

ما هذه المسرحية بالدم والنار

تبكي **التماسيح** فيها ؟!

لقد طالت المسرحية

والصبغ سال على أوجه البعض

****

ألا ننتهي ؟؟

صار صوت الملقن

أعلى من البهلوان المهرج فوق رؤوس الجماهير

هل سوف نخرج مما على نفسنا

نتضاحك." (١)

"ومدرعات .

محفوظة ياقريتى .. فالنوق من لحم ودم ،

لا من حديد !

حوتان يقتتلان .. أيهما يكون المنتصر ؟ !

ياسيداتى .. يا أميراتى الحسان ..

من يومها أدركت ما الموت الزؤام وما الجلاء ..

فالموت فى الميدان أكوام كحقل القمح فى يوم الحصاد

يا قريتى .. ها أنت مثل مدينتى ..

كلتاكما فى الهم .. فى البلوى .. سواء !

(١٤)

ووجدتنى فى غابة سوداء (٣) .. آلاف الكتب .

يا رحلة فى صحبة البومة والذئب .. وآوى .. وابن آوى !

والقرد والتمساح والجحش ، وذى القرنين والقرن الوحيد !

الحرف أنت . كما تكون يكون .. أى الناس أنت ؟ !

الحرف قديس – إذا ما كنت قديسا – وداعر ..

ان كنت بين الناس داعر !

يا غابة الأقلام .. ياسوق الضمائر !

– ما أنت أول فارس .. ما أنت آخر فارس ..

قد ضيعته الكتب ، ألقت فوق عينيه الغشاوة ،

فإذاك تخلط أى شىء ..

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤٣٣/٦٩

بأى شىء !

واذا طواحين الهواء عمالقة ،

واذا قطيع الضأن جيش مقبل كالصاعقة ،

واذا الحظيرة قلعة، والطشت تاج من ذهب ،

واذا النعيق نفير الاستقبال . (ها قد جاء كيخوت العظيم) !

يا للخديعه الكذب ..

يا أيها الآتون من بعدى الحذار ..

كل الحذار من الكتب !

(١٥)

- أنكون ..

ياترى أم لا نكون !

أمن الحكمة أن نحيا الحياة ..

كيفما كانت .. ونرضى حظنا ،

أم نخوض البحر فى هول الصراع ..

عزلا .. دون شراع ،

أم ترى الحكمة فى أن ننتحر ؟ !

يا دجى .. ياصمت .. يا .. يا .. ياجنون ..

أنكون ..

ياترى أم لانكون !

- يا سؤالا حائرا منذ قرون ،

هائما ليس يقر !

- أيها الهاتف من أنت ؟ !

- أنا بصقة قبر !

- أنا خفاش عجوز ،

يكره الضوء كما تكره أنت الظلمات ،

أيها الضارب فى التيه بليل ..
كيف فى التيه المفر ؟
يا صديقى .. خذ طريقى .. وانتحر !
- انتحر ؟ !
- راحة الراحات ، ترياق الألم ،
وخلاصات خلاصات الحكم ..
أنت لاتملك غير الكلمات ،
حيلة العاجز عن كل الحيل
(كلمات .. كلمات .. كلمات)
غصن صفصاف هزيل ..." (١)

"يستدعينى الملك بإسفنجة . كى يبعث بى للقتل العاجل . فى إحدى السفن الإسفنجية . ماذا يمسك بالإسفنج . فى قاع البحر فلا يطفو للسطح ؟. الحيتان ؟. الحيتان بهذا العصر . تسبح فى رمل الشطآن . كيف يكون البحر ؟ . هذى آية آيات العصر . الدفتر .. والهامش . ياسفن الموت خ

*المشهد الرابع :
فورتنبراس : إذهب أيها القائد فأبلغ
تحياتى ملك الدنمرك ، قل له إن
فورتنبراس بعد إذنه يطلب لجيشه ماوعد
من سلامة العبور خلال مملكته !
* * *

"يامة القمر ع الباب . نور قناديله . يأمة أرد الباب . ولا أناديله " . جيش الأعداء على الأبواب . والملك "القادم" يرسل للملك العم . ملتمس الذئب من الأغنام . مات يولونياس . لكن البولونياسية . أدت فى الصمت مهمتها . صنعت شعبا داخل شعب . فهنا ياخلى شعبان . ماذا
- أوة .. لتصطبغ أفكارى بالدم منذ
اليوم وإلا فلا غناء فيها !

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٦١/٧٢

*المشهد السادس :

غضب الشعب لمقتل بولونياس . أى الشعبين غضب . ويقود الشعب الغاضب من بين الشعبين . إبن بولونياس . هذا يفتاحى . من طهرك يايفتاح . فلماذا عاد ابن الثعبان القرد **التمساح** . سرا .. للدنمرك . كى يشعلها نارا ؟ . هذا دأب اليفتاحية . ألفتنة والحرب الأهلية . إن فشلت ف

* * *

"... ثم احضر أنت على عجل كأنك

تفر من الموت إن لدى من الكلمات ما أود

أن أسر بها فى أذنك وما يمكن أن ينعقد لها

لسانك ومع ذلك فهى أعجز من أن تعبر عما

فى الأمر من خطورة .. " !

*الفصل الخامس :

*المشهد الأول :

– ألا يشعر هذا الرجل أدنى شعور

نحو عمله حتى يغنى وهو يحفر قبرا ؟

لكأنى كنت بمسرح . فى مشهد حفر القبر لأوفيليا. فلقد كان الحفار . يلقى بالجمجمة بعيدا كى القمها الدور .. . ماذا لو سجلت جميع الأدوار . فى دفترى الأسود ؟؟ . كيف لهذا الدفتر ذى الأوراق المعدودة . أن يحوى كل الدنمرك ؟ . لكن الحوت الميت . تأكله دودة . فلنرجع ل

– كم ينقضى على المرء هنا قبل أن يتعفن ؟!

*المشهد الثانى :

* * * *." (١)

" (جزتنا بنو سعد لحسن فعالنا ... جزاء سنمار وما كان ذا ذنب)

وقال غيره

(جزاني جزاه الله شر جزائه ... جزاء سنمار بما كان قدما)

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٧٢/٧٥

والناس يقولون في هذا المعنى جازاه مجازاة التمساح ويحكون ان التمساح يأكل اللحم فيدخل في خلال أسنانه فيفتح فاه فيجيء طائر فيسقط عليها فيخللها ويأكل اللحم فيكون طعاما للطائر وراحة للتمساح فربما ضم التمساح فاه على الطائر فيقتله

وروى فيه خرافة فتركتها

وأعجب من هذا الطائر طائر يطير في البحر ويتبعه طائر صغير لا يفارقه حيث يذهب فإذا أضجره ذرق فلا يخطىء فمه فيبتلعه وينصرف ويتركه

٤٤٢ – قولهم جانيك من يجنى عليك

يقال ذلك للرجل يأخذ البرىء بجرم المجرم

ويقولون لا تجني يمينك على شمالك والمعنى ان القريب لا يؤخذ بذنب القريب

واما قول النبي لرجل وابنه (لا يجني عليك ولا تجني عليه) فالمعنى ان الرجل إذا قتل رجلا خطأ لم يؤخذ بالدية ولا ابنه ولا بنو أعمامه ويقولون (كل شاة تناط برجليها) ." [١]

" الباب السابع عشر

فيما جاء من الأمثال في أوله ظاء

فهرسته

الظلم مرتعه وخيم

ظهر بحاجته

ظمء حمار

فهرست الأمثال المضروبة في التناهي والمبالغة الواقع في أوائل أصولها الظاء

أظلم من حية

أظلم من حية الوادي

أظلم من أفعى

أظلم من ورل

أظلم من ذئب

أظلم من تمساح

---

(١) جمهرة الأمثال / العسكري، ٣٠٦/١

أظلم من شيب

أظلم من حبارى

أظلم من فلحس

أظلم من صبي

أظلم من ليل

أظمأ من رمل

أظمأ من حوت

أظمأ من حجر

أظل من حجر ." (١)

" ١١٦٨ - أظلم من أفعى

قال الراجز

(وأنت كالأفعى التي لا تحتفر ... وتغتدى سادرة فتحتجر)

١١٦٩ - أظلم من ورل

وذلك أنه مثل الحية إذا قصد جحرا أخلاه له أهله وهربوا منه لخشونة بدنه

١١٧٠ - أظلم من الذئب

وأصله أن أعرابيا ربى ذئبا فلما شب افترس سخلة له فقال الأعرابي

(فرست شويهتي وفجعت طفلا ... ونسوانا وأنت لهم ربيب)

(نشأت مع السخال وأنت طفل ... فما أدراك أن أباك ذيب)

(إذا كان الطباع طباع سوء ... فليس بمصلح طبعا أديب)

وقال آخر

(وأنت كذئب السوء ليس بآلف ... أبى الذئب إلا أن يخون ويظلما)

١١٧١ - أظلم من التمساح

وقد مر حديثه ." (٢)

---

(١) جمهرة الأمثال / العسكري، ٢٧/٢

(٢) جمهرة الأمثال / العسكري، ٣٠/٢

"٤(إذا مد إظلام الأسى ظلم الدجى ** تمثل لي من نور وجهك مصباح) ٤(وإن أبهمت أقفالها عني الفلا ** تخيل لي من بشر برك مفتاح) ٤(فما صدني عن ملتقى الغيل ضيغم ** ولا راعني في مورد الماء **تمساح**) ٤٤ (ولا برحتني يا موفق نشوة ** سجاياك لي فيها كئوس وأقداح) ٤٥ (فكل فؤاد مخلص فيك مخلص ** وكل لسان صادق لك مداح)

". (١)

"فيها. فأجبنها إلى ذلك؛ واجتمعن في الهاوية، فسمع الفيل نقيق الضفادع، وقد اجهده العطش، فأقبل حتى وقع في الوهدة، فارتطم فيها. وجاءت القنبرة ترفرف على رأسه؛ وقالت: أيها الطاغي المغتر بقوته المحتقر لأمري، كيف رأيت عظم حيلتي مع صغر جثتي عند عظم جثتك وصغر همتك؟ فليشر كل واحد منكم بما يسنح له من الرأي. قالوا بأجمعهم: أيها الفيلسوف الفاضل، والحكيم العادل، أنت المقدم فينا، والفاضل علينا، وما عسى أن يكون مبلغ رأينا عند رأيك، وفهمنا عند فهمك؟ غير أننا نعلم أن السباحة في الماء مع **التماسيح** تغرير؛ والذنب فيه لمن دخل عليه في موضعه. والذي يستخرج السم من ناب الحية فيبتلعه ليجربه جان على نفسه، فليس الذنب للحية. ومن دخل على الأسد في غابته لم يأمن من وثبته. وهذا الملك لم تفزعه النوائب، ولم تؤدبه." (٢)

"واعلم أن الأدب يذهب عن العاقل الطيش، ويزيد الأحمق طيشا؛ كما أن النهار يزيد كل ذي بصر نظرا، ويزيد الخفاش سوء النظر.

وقد أذكرني أمرك شيئا سمعته، فإن يقال: إن السلطان إذا كان صالحا، ووزراؤه وزراء سوء، منعوا خيره، فلا يقدر أحد أن يدنو منه. ومثله في ذلك مثل الماء الطيب الذي فيه **التماسيح**: لا يقدر أحد أن يتناوله، وإن كان إلى الماء محتاجا. وأنت يا دمنة أردت ألا يدنو من الأسد أحد سواك. وهذا أمر لا يصح ولا يتم أبدا. وذلك للمثل المضروب: إن البحر بأمواجه، والسلطان بأصحابه. ومن الحمق الحرص على التماس الإخوان بغير الوفاء لهم، وطلب الآخرة بالرياء، ونفع النفس بغير الضر. وما عظتي وتأديبي إياك إلا كما قال الرجل للطائر: لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم، ولا تعالج تأديب من لا يتأدب. قال دمنة: وكيف كان ذلك؟." (٣)

---

(١) ديوان ابن دارج القسطلي، ص/٥٧٨

(٢) كليلة ودمنة ابن المقفع ص/١٩

(٣) كليلة ودمنة ابن المقفع ص/١٤٥

"فيهم من يفعل ذلك، وانبرت جواب إذا وهو العامل فيه، ومطروفة منصوب على الحال.

وما زال تشرابي الخمور، ولذتي ... وبيعي، وإنفاقي طريفي ومتلدي

تشراب: تفعال من الشرب إلا أن تشرابا يكون للكثير، والشرب يقع للقليل والكثير.

وليس في كلام العرب اسم على تفعال بكسر التاء إلا أربعة أسماء، والخامس مختلف فيه، يقال تبيان، ويقال للقلادة تفصار. وتعشار، وتبراك موضعان والخامس المختلف فيه **تمساح** وتمسح، **وتمساح** أكثر وأفصح، والطارف والطريف ما استحدثه الرجل، واكتسبه والمتلد والتالد والتليد، والتلاد ما ورثه عن آبائه ومعناه المتولد والتاء بدل من الواو.

إلى أن تحامتني العشيرة كلها ... وأفردت إفراد البعير المعبد

تحامتني: تركتني، واتقتني، العشيرة: أهل بيته، ويدخل فيهم غيرهم ممن خالطهم، وأفردت إفرادا مثل إفراد البعير، والمعبد: الأجرب وقيل هو المهنوء الذي سقط وبره، فأفرد عن الإبل. أي تركت ولذاتي لما رأت أني لا أكف عن إتلاف المال والاشتغال باللذات.

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ... ولا أهل هذاك الطراف الممدد." (١)

"يقفله منها ما دام حيا فاشتد عليهم المقام وجاعوا حتى أكلوا الدواب من الجهد والجوع حتى يتنحى الرجل عن دابته فتقطع بالسيوف فبلغ رأس الدابة كذا وكذا درهما ولج سليمان في أمرهم فكان ذلك يغم عمر فلما ولي رأى أنه لا يسعه فيما بينه وبين الله عز وجل أن يلي شيئا من أمور المسلمين ثم يؤخر قفلهم ساعة فذلك الذي حمله على تعجيل الكتاب

عزله أسامة عن مصر وحبسه إياه

وكتب بعزل أسامة بن زيد التنوخي وكان على خراج مصر وأمر به أن يحبس في كل جند سنة ويقيد ويحل عن القيد عند كل صلاة ثم يرد في القيد وكان غاشما ظلوما معتديا في العقوبات بغير ما أنزل الله عز وجل يقطع الأيدي في خلاف ما يؤمر به ويشق أجواف الدواب فيدخل فيها القطاع ويطرحهم **للتماسيح** فحبس بمصر سنة ثم نقل إلى أرض فلسطين فحبس بها سنة ثم مات عمر رحمه الله وولي يزيد بن عبد الملك فرد

(١) شرح المعلقات التسع أبو عمرو الشيباني ص/٦٢

أسامة على مصر

عزله يزيد بن أبي مسلم عن إفريقية

وكتب بعزل يزيد بن أبي مسلم عن إفريقية وكان عامل سوء يظهر التأله والنفاذ لكل ما أمر به السلطان مما جل أو صغر من السيرة بالجور والمخالفة للحق وكان في هذا يكثر الذكر والتسبيح ويأمر بالقوم فيكونون بين يديه يعذبون وهو يقول سبحان الله والحمد لله شد يا غلام موضع كذاوكذا لبعض مواضع العذاب وهو يقول لا إله إلا الله والله أكبر شد يا غلام موضع كذاوكذا فكانت حالته تلك شر الحالات فكتب بعزله فهذا سبب الثلاثة التي عجل بها

انصراف عمر عن مظاهر الخلافة وإقباله على إحياء الكتاب والسنة

قال ولما دفن سليمان وقام عمر بن عبد العزيز فقربت إليه المراكب فقال ما هذه فقالوا مراكب لم تركب قط يركبها الخليفة أول ما يلي فتركها وخرج يلتمس بغلته وقال يا مزاحم ضم هذا إلى بيت مال المسلمين ونصبت له سرادقات وحجر لم يجلس فيها أحد قط كانت تضرب للخلفاء أول ما يلون فقال ما هذه فقالوا سرادقات وحجر لم يجلس فيها أحد قط يجلس فيها الخليفة أول ما يلي قال يا مزاحم ضم هذه إلى أموال المسلمين ثم ركب بغلته وانصرف إلى الفرش والوطاء الذي لم يجلس عليه أحد يفرش للخلفاء أول ما يلون فجعل يدفع ذلك برجله حتى يفضي إلى الحصير ثم قال يا مزاحم ضم هذا لأموال المسلمين

وبات عيال سليمان يفرغون الدهان والطيب من هذه القارورة إلى هذه القارورة ويلبسون ما لم يلبس من الثياب حتى تتكسر وكان الخليقة إذا مات فما لبس من الثياب أو مس من الطيب كان لولده وما لم يلبس من الثياب وما لم يمس من الطيب فهو للخليفة بعده فلما أصبح عمر قال له أهل سليمان هذا لك وهذا لنا قال وما هذا وما هذا قالوا هذا مما لبس الخليفة من الثياب ومس من الطيب فهو لولده وما لم يمس ولم يلبس فهو للخليفة بعده وهو لك قال عمر ما هذا لي ولا لسليمان ولا لكم ولكن يا مزاحم ضم هذا كله إلى بيت مال المسلمين ففعل فتوامر الوزراء فيما بينهم فقالوا أما المراكب والسرادقات والحجر والشوار والوطاء فليس فيه رجاء بعد أن كان منه فيه ما قد علمتم وبقيت خصلة." (١)

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ابن عبد الحكم، أبو محمد ص/٣٧

"قال: فهذا المفخر لنا وللعرب على جميع البيضان إن أحبت ذلك العرب؛ وإن كرهته فإن المفخر لنا بالذي ذكرنا على الجميع.

قالوا: ولو لم نكثركم إلا بالزابج وحدها لفضلناكم بهم فضلا مبينا؛ وذلك أن ملك الزابج إن غضب على أهل مملكة ولم يتقوه بالخراج بعث ألف سنبوقة في كل سنبوقة ألف رجل على أن لا يجلدونهم ولا يقاتلونهم، ولكن يأمرهم أن يقيموا أبدا فيهم حتى يتقوهم بالخراج، فيكون ما يأكلون ويشربون ويغذون ويلبسون، أضر عليهم من مقدار الخراج المرار الكثيرة. فإن اتقوهم بالخراج وإلا أرسل إليهم ألف سنبوقة أخرى، فلا يجد ذلك الملك بدا من أن يتقيه بكل ما طلب، ولا يأمن أن يغضب فيأتي عليه وعلى أهل مملكته.

قالوا: ولقد نزل ملك الزابج على خليج مرة والخليج فراسخ في فراسخ، فبينما هو على مائدته وفي سرادقه على شواطئ الخليج، إذ سمع صارخة فقال: ما هذا؟ وقطع الأكل. قالوا: امرأة سقط ابنها في هذا الخليج فأكله **التمساح**. قال: وفي مكان أنا فيه شيء يشاركني في قتل الناس! ثم وثب فإذا هو في الخليج. فلما رأوه الناس سقطوا عن آخرهم، فخضخضوه وهو فراسخ في فراسخ، حتى أخذوا **تمساح** فيه أخذ يد.." (١)

"سنبوقة في كل سنبوقة ألف رجل على أن [لا] يجلدوهم ولا يقاتلوهم، ولكن يأمرهم أن يقيموا أبدا فيهم حتى يتقوهم بالخراج، فيكون ما يأكلون ويشربون ويغذون ويلبسون، أضر عليهم من مقدار الخراج المرار الكثيرة.

فإن اتقوهم بالخراج وإلا أرسل إليهم ألف سنبوقة أخرى، فلا يجد ذلك الملك بدا من أن يتقيه بكل ما طلب، ولا يأمن أن يغضب فيأتي عليه وعلى أهل مملكته.

قالوا: ولقد نزل ملك الزابج على خليج مرة والخليج فراسخ في فراسخ، فبينا هو على مائدته وفي سرادقه على شاطىء الخليج، إذ سمع صارخة فقال: ما هذا؟ وقطع الأكل. قالوا: امرأة سقط ابنها في هذا الخليج فأكله **التمساح**. قال: وفي مكان أنا فيه شيء يشاركني في قتل الناس! ثم وثب فإذا هو في الخليج. فلما [رآه] الناس سقطوا عن آخرهم، فخضخضوه وهو فراسخ في فراسخ، حتى أخذوا كل **تمساح** فيه أخذ يد.

فيقال: إن أهل الزابج وأغبابها أكثر من شطر أهل الأرض.

قالو ا: وآخر العمران كله سودان، وما استدار من أقاصي العمران أكثر من أهل الواسطة، كطوق الرحى الذي يلي الهواء، الذي هو أوسع وأكثر ذرعا مما قصر عنه من فلك الرحى ولنعتبر ذلك بالجناح المطيف، لا

---

(١) الرسائل للجاحظ الجاحظ ٢١٧/١

يرى أحد ذرعه مع قلة عرضه، ونجده أكثر ذرعا من نفس الدار.

وليس خلف الزابج بيضان، وكذلك جميع بلاد السودان الساكنة في الأطراف وفي آخر أطواق العمران.

قالوا: فهذا دليل على أنا أكثر، وإذا كنا أكثر كنا أفخر. وقد قال شاعركم:

ولست بالأكثر منه حصى ... وإنما العزة للكاثر

قالوا: والقبط جنس من السودان وقد طلب منهم خليل الرحمن." (١)

"الخفاش والوطواط من الطير، وإن كانا أمرطين ليس لهما ريش ولا زغب ولا شكير ولا قصب «١» وهما مشهوران بالحمل والولادة، وبالرضاع، وبظهور حجم الآذان، وبكثرة الأسنان. والنعامة ذات ريش ومنقار وبيض وجناحين، وليست من الطير.

وليس أيضا كل عائم سمكة، وإن كان مناسبا للسمك في كثير من معانيه. ألا ترى أن في الماء كلب الماء، وعنز الماء، وخنزير الماء؛ وفيه الرق «٢» والسلحفاة، وفيه الضفدع وفيه السرطان، والبينيب «٣» ، **والتمساح** والدخس «٤» والدلفين واللخم «٥» والبنبك «٦» ، وغير ذلك من الأصناف. والكوسج والد اللخم، وليس للكوسج أب يعرف. وعامة ذا يعيش في الماء، ويبيت خارجا من الماء، ويبيض في الشط ويبيض بيضا له صفرة، وقيض وغرقئ، وهو مع ذلك مما يكون في الماء مع السمك.

١٤-[تقسيم الحيوان]

ثم لا يخرج الحيوان بعد ذلك في لغة العرب من فصيح وأعجم، كذلك يقال في الجملة، كما يقال الصامت لما لا يصنع صمتا قط ولا يجوز عليه خلافه، والناطق لما لم يتكلم قط، فيحملون ما يرغو، ويثغو، وينهق، ويصهل، ويشحج، ويخور، ويبغم، ويعوي، وينبح، ويزقو، ويضغو، ويهدر، ويصفر، ويصوصي، ويقوقي، وينعب، ويزأر، وينزب، ويكش، ويعج «٧» ، على نطق الإنسان إذا جمع بعضه على بعض. ولذلك أشباه، كالذكور والإناث إذا اجتمعا، وكالعير التي تسمى لطيمة، وكالظعن؛ فإن هذه الأشياء إذا وجد بعضها إلى بعض، أو أخذ بعضها من بعض،." (٢)

"بأرجلها؟ وما بال كل شيء أصل لسانه مما يلي الحلق وطرفه مما يلي الهواء، إلا لسان الفيل؟ ولم قالت الهند: لولا أن لسانه مقلوب لتكلم «١» ؟ ولم صار كل ماضغ وآكل يحرك فكه الأسفل، إلا **التمساح** فإنه يحرك فكه الأعلى «٢» ؟ ولم صار لأجفان الإنسان الأشفار، وليس ذلك للدواب إلا في الأجفان

---

(١) الرسائل السياسية الجاحظ ص/٥٥٣

(٢) الحيوان الجاحظ ١/٢٧

العالية؟ وما بال عين الجرادة وعين الأفعى لا تدوران؟ وما بيضة العقر «٣» وما بيضة الديك «٤» ؟ ولم امتنع بيض الأنوق؟ وهل يكون الأبلق العقوق؟ وما بال لسان سمك البحر عديما؟ وما بال الغريق من الرجال يطفو على قفاه، ومن النساء على وجهه؟ ولم صار القتيل إذا قتل يسقط على وجهه ثم يقلبه ذكره؛ وأين تذهب شقشقة البعير وغرمول الحمار والبغل وكبد الكوسج بالنهار، ودم الميت؟ ولم انتصب خلق الإنسان من بين سائر الحيوان؟

وخبرني عن الضفادع، لم صارت تنق بالليل وإذا أوقدت النار أمسكت؟.

وقالوا: قد عارضناكم بما يجري مجرى الفساد والخرافة. لنردكم إلى الاحتجاج بالخبر الصحيح المخرج للظاهر.

فإن أعجبتك هذه المسائل، واستطرفت هذا المذهب، فاقرأ رسالتي إلى أحمد ابن عبد الوهاب الكاتب، فهي مجموعة هناك.

٢٣٤-[كثرة أصناف الكلاب]

والكلاب أصناف لا يحيط بها إلا من أطال الكلام. وجملة ذلك أن ما كان منها للصيد فهي الضراء، وواحدها ضروة، وهي الجوارح والكواسب، ونحن لا نعرفها إلا السلوقية؛ وهي من أحرار الكلاب وعتاقها، والخلاسية هجنها ومقاريفها. وكلاب الرعاء من زينيها وكرديها فهي كرادتها.." (١)

"يقوته وهو أعمى لا يبصر، وأصم لا يسمع، وبليد لا يتصرف، وأبله لا يعرف!. ومع ذلك أنه لا يجوز باب جحره، ولا يتكلف سوى ما يجلب إليه رازقه ورازق غيره.

وأي شيء أعجب من طائر ليس له رزق إلا أن يخلل أسنان التمساح، ويكون ذلك له.

٣٢٦-[الطائران العجيبان]

وأي شيء أعجب من طائرين، يراهما الناس من أدنى جدود البحر «١» من شق البصرة، إلى غاية البحر من شق السند، أحدهما كبير الجثة يرتفع في الهواء صعدا، والآخر صغير الجثة يتقلب عليه ويعبث به، فلا يزال مرة يرفرف حوله ويرتقي على رأسه، ومرة يطير عند ذناباه، ويدخل تحت جناحه ويخرج من بين رجليه، فلا يزال يغمه ويكربه حتى يتقيه بذرقه، فإذا ذرق شحا له فاه فلا يخطئ أقصى حلقه حتى كأنه دحا به في بئر، وحتى كأن ذرقه مدحاة بيد أسوار «٢» ، فلا الطائر الصغير يخطئ في التلقي، وفي معرفته أنه لا رزق له إلا الذي في ذلك المكان؛ ولا الكبير يخطئ التسديد «٣» ، ويعلم أنه لا ينجيه منه إلا أن يتقيه بذرقه،

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢٠٤/١

فإذا أوعى ذلك الذرق «٤» ، واستوفى ذلك الرزق، رجع شبعان ريان بقوت يومه، ومضى الطائر الكبير لطيته.

وأمرهما مشهور وشأنهما ظاهر، لا يمكن دفعه ولا تهمة المخبرين عنه.

٣٢٧-[اختلاف طباع الحيوان]

فجعل تعالى وعز بعض الوحوش كسوبا محتالا، وبعض الوحوش متوكلا غير محتال، وبعض الحشرات يدخر لنفسه رزق سنته؛ وبعضا يتكل على الثقة بأن له كل يوم قدر كفايته، رزقا معدا وأمرا مقطوعا. وجعل بعض الهمج يدخر، وبعضه يتكسب، وبعض الذكورة يعول ولده، وبعض الذكورة لا يعرف ولده، وبعض الإناث تخرج «٥» ولدها، وبعض الإناث تضيع ولدها وتكفل ولد غيرها، وبعض الأجناس معطوفة على كل ولد من جنسها، وبعض الإناث لا تعرف ولدها بعد استغنائه عنها." (١)

"كلها بعد القيام بشأن فراخ نفسه، أنه يتعاهد فرخ العقاب الثالث، الذي تخرجه من عشها، لأنها أشره وأرغب بطنا، وأقسى قلبا وأسوأ خلقا من أن تحتمل إطعام ثلاثة.

وهي مع ذلك سريعة الجزع، فتخرج ما فضل عن فرخين. فإذا أخرجته قبله كاسر العظام وأطعمه، لأن العقاب من اللائي تبيض ثلاث بيضات في أكثر حالاتها.

٣٦١-[دفاع أسدي عن أكل قومه لحوم الكلاب]

قال: وعير رجل من بني أسد بأكل لحوم الكلاب، وذهب إلى قوله: [من الرجز]

يا فقعسي لم أكلته لمه ... لو خافك الله عليه حرمه «١»

فما أكلت لحمه ولا دمه

قال: فقال الأعرابي: أما علمت أن الشدة والشجاعة، والبأس والقوة من الحيوان، في ثلاثة أصناف: العقاب في الهواء، والتمساح في ساكن الماء، والأسد في ساكن الغياض.

وليس في الأرض لحم أشهى إلى التمساح ولا إلى الأسد من لحم الكلب. فإن شئتم فعدوه عدوا لهما، فإنهما يأكلانه من طريق الغيظ وطلب الثأر، وإن شئتم فقولوا غير ذلك.

٣٦٢-[بنو أسد أشبه بالأسد]

وبنو أسد أسد الغياض «٢» ، وأشبه شيء بالأسد، فلذلك تشتهي من اللحمان أشهاها إلى الأسد. والدليل على أنهم أسد، وفي طباع الأسد، أنك لو أحصيت جميع القتلى من سادات العرب ومن فرسانهم، لوجدت

---

(١) الحيوان الجاحظ ٣١١/٢

شطرها أو قريبا من شطرها لبني أسد.

٣٦٣-[أنفة الكلب]

قالوا: ثم بعد ذلك كله أن الكلب لا يرضى بالنوم والربوض على بياض الطريق، وعلى عفر التراب، وهو يرى ظهر البساط، ولا يرضى بالبساط وهو يجد الوسادة، ولا يرضى بالمطارح دون مرافق المطارح «٣» فمن نبله في نفسه أن يتخير أبدا أنبل موضع." (١)

"كذي الأفعى تربها لديه ... وذي الجني أرسله تساب «١»

فلا رب المنية يأمنها ... ولا الجني أصبح يستتاب

الجني: إبليس؛ لذنوبه. والأفعى هي الحية التي كلم إبليس آدم من جوفها.

ومن لا علم عنده يروي أيضا أن إبليس قد دخل جوف الحمار مرة، وذلك أن نوحا لما دخل السفينة تمنع الحمار بعسره ونكده، وكان إبليس قد أخذ بذنبه. وقال آخرون: بل كان في جوفه فلما قال نوح للحمار: ادخل يا ملعون! ودخل الحمار، دخل إبليس معه، إذ كان في جوفه. قال: فلما رآه نوح في السفينة قال: يا ملعون من أدخلك السفينة؟ قال: أنت أمرتني. قال: ومتى أمرتك؟ قال: حين قلت، ادخل يا ملعون، ولم يكن ثم ملعون غيري.

٤٩٨-[شعر أمية في الديك والغراب والحمامة]

قال أمية بن أبي الصلت: [من الخفيف]

هو أبدى من كل ما يأثر النا ... س أماثيل باقيات سفورا «٢»

خلق النخل مصعدات تراها ... تقصف اليابسات والخضورا «٣»

والتماسيح والثياتل و ا لإ ... يل شتى والريم واليعفورا «٤»

وصوارا من النواشط عينا ... ونعاما خواضبا وحميرا «٥»

وأسودا عواديا وفيولا ... وذيابا والوحش والخنزيرا

وديوكا تدعو الغراب لصلح ... وإوزين أخرجت وصقورا»

قال: ثم ذكر الحمامة فقال «٧» : [من الخفيف]

سمع الله لابن آدم نوح ... ربنا ذو الجلال والإفضال." (٢)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٣٣٦/٢

(٢) الحيوان الجاحظ ٤٢٢/٢

"الحالات، وتختلف في أجناسه الوجوه: فمنها ما يكون مثل زق الحمام لفرخه، والزق في معنى القيء أو في معنى التقيؤ وليس بهما؛ وجرة البعير والشاة والبقرة في معنى ذلك، وليس به. والبعير يريد أن يعود في خضمه [١] الأول واستقصاء طعمه. وربما كانت الجرة رجيعا. والرجيع: أن يعود على ما قد أعاد عليه مرة حتى ينزعه من جوفه، ويقلبه عن جهته.

٦٤١-[زق الحمام]

والحمام يخرجه من حوصلته ومن مستكنه وقراره، وموضع حاجته واستمرائه، بالأثرة والبر، إلى حوصلة ولده. قد ملك ذلك وطابت به نفسه ولم تغنث عليه نفسه ولم يتقذر من صنيعه، ولم تخبث نفسه، ولم تتغير شهوته. ولعل لذته في إخراجه أن تكون كلذته في إدخاله، وإنما اللذة في مثل هذا بالمجاري، كنحو ما يعتري مجرى النطفة من استلذاذ مرور النطفة، فهذا شأن قلب الحمام ما في جوفه، وإخراجه بعد إدخاله. **والتمساح** يخرجه على أنه رجعه ونجوه الذي لا مخرج له ولا فرج له في سواه.

٦٤٢-[طبيعة الإنسان والحيوان في الطعام]

وقد يعتري ذلك الإنسان لما يعرض من الداء، فلا يعرف إلا الأكل والقيء، ولا يعرف النجو إلا في الحين على بعض الشدة. وليس ما عرض بسبب آفة كالذي يخرج على أصل تركيب الطبيعة.

والسنور والكلب على خلاف ذلك كله، لأنهما يخرجانه بعارض يعرض لهما من خبث النفس، ومن الفساد، ومن التثوير والانقباض ثم يعودان بعد ذلك فيه من ساعتهما، مشتهيين له، حريصين عليه.

والإنسان إذا ذرعه ذلك لم يكن شيء أبغض إليه منه، وربما استقاء وتكلف ذلك لبعض الأمر. وليس التكلف في هذا الباب إلا له.

وذوات الكروش كلها تقعص بجرتها، فإذا أجادت مضغه أعادته، والجرة هي الفرث، وأشد من ذلك أن تكون رجيعا، فهي تجيد مضغها وإعادتها إلى مكانها، إلا أن ذلك مما لا يجوز أفواهها. وليس عند الحافر من ذلك قليل ولا كثير، بوجه من الوجوه.

---

[١] الخضم: الأكل بأقصى الأضراس «القاموس: خضم» .." (١)

"وقد يعتري سباع الطير شبيه بالقيء، وهو الذي يسمونه «الزمج» [١] . وبعض السمك يقيء قيئا ذريعا، كالبال [٢] ، فإنه ربما دسع الدسعة، فتلقى بعض المراكب، فيلقون من ذلك شدة. والناقة الضجور

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧٩/٣

ربما دسعت بجرتها في وجه الذي يرحلها أو يعالجها، فيلقى من ذلك أشد الأذى. ومعلوم أنها تفعل ذلك على عمد.

فلذوات الأقدام في ذلك مذهب، ولذوات الكروش من الظلف والخف في ذلك مذهب، ولذوات الأنياب في ذلك مذهب، وللسمك **والتمساح** الذي يشبه السمك في ذلك مذهب.

ويزعمون أن جوف **التمساح** إن هو إلا معاليق فيه، وأنه في صورة الجراب، مفتوح الفم، مسدود الدبر، ولم أحق ذلك، وما أكثر من لا يعرف الحال فيه.

٦٤٣-[القوة التناسلية لدى الحمام]

ثم رجع بنا القول في الحمام بعد أن استغنى ولده عنه، وبعد أن نزعت الرحمة منه، وذلك أنه يبتدئ الذكر الدعاء والطرد، وتبتدئ الأنثى بالتأتي والاستدعاء، ثم تزيف وتتشكل، ثم تمكن وتمنع، وتجيب وتصدف بوجهها، ثم يتعاشقان ويتطاوعان، ويحدث لهما من التغزل والتفتل ومن السوف والقبل، ومن المص والرشف، ومن التنفخ والتنفج، ومن الخيلاء والكبرياء، ومن إعطاء التقبيل حقه، ومن إدخال الفم في الفم، وذلك من التطاعم، وهي المطاعمة. وقال الشاعر [٣] : [من البسيط]

لم أعطها بيدي إذ بت أرشفها ... إلا تطاول غصن الجيد بالجيد

كما تطاعم في خضراء ناعمة ... مطوقان أصاخا بعد تغريد

هذا مع إرسالها جناحيها وكفيها على الأرض، ومع تدرعها وتبعلها ومع تصاوله وتطاوله، ومع تنفجه وتنفخه، مع ما يعتريه مع الحكة والتفلي والتنفش حتى تراه وقد رمى فيه بمثله.

ثم الذي ترى من كسحه بذنبه، وارتفاعه بصدره، ومن ضربه بجناحه، ومن

---

[١] الزمج: طائر دون العقاب حمرته غالبة، يصيد به الملوك الطير. حياة الحيوان ١/٥٣٨.

[٢] البال: حوت عظيم، جناحه كالشراع الظيم. وأهل المراكب يخافون منها أعظم خوف. حياة الحيوان ١/١٥٩.

[٣] البيتان بلا نسبة في اللسان والتاج (طعم) ، والثاني في أساس البلاغة (طعم) ، والتهذيب ٢/١٩٢، وتقدم البيتان في الفقرة (٥٦٦) ، مع بيت ثالث.." (١)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٣/٨٠

"وزعم بعض الأطباء والفلاسفة، أن الحيات والأفاعي تؤكل نيئة ومطبوخة، ومشوية، وأنها تغذو غذاء حسنا.

وزعم أبو زيد، أنه دخل على رؤبة، وعنده جرذان قد شواهن، فإذا هو يأكلهن، فأنكر ذلك عليه، فقال رؤبة: هن خير من اليرابيع والضباب وأطيب؛ لأنها عندكم تأكل الخبز والتمر وأشباه ذلك. وكفاك بأكل الجرذان [١] ! ولولا هول الحيات في الصدور من جهة السمرم، لكانت جهة التقذر أسهل أمرا من الجرذان.

وناس من السفالة يأكلون الذبان. وأهل خراسان يعجبون باتخاذ البزماورد من فراخ الزنابير، ويعافون أذناب الجراد الأعرابي السمين. وليس بين ريح الجراد إذا كانت مشوية وبين ريح العقارب مشوية فرق. والطعم تبع للرائحة: خبيثها لخبيثها، وطيبها لطيبها.

وقد زعم ناس، ممن يأكلون العقارب مشوية ونيئة، أنها كالجراد السمان.

وكان الفضل بن يحيى يوجه خدمه في طلب فراخ الزنابير ليأكلها. وفراخها ضرب من الذبان.

فأما لحوم البراذين فقد كثر علينا وفينا، حتى أنسنا به. وزعم بعضهم أنه لم يأكل أطيب من رأس برذون وسرته. فأما السرة والمعرف [٢] فإنهم يزاحمون بها الجداء والدجاج. ويقدمون الأسرام المحشوة.

ومن أصحابنا من يأكل السراطين أكلا ذريعا. فأما الرق [٣] والكوسج [٤] فهو من أعجب طعام البحريين.

وأهل البحر يأكلون البلبل فهو اللحم الذي في جوف الأصداف.

والأعرابي إذا وجد أسود سالخا، رأى فيه ما لا يرى صاحب الكسمير في كسميره.

---

[١] ورد الخبر في الأغاني ٢٠/٣٥٠، وفيه أنه يأكل الفئران.

[٢] المعرفة: موضع العرف من الفرس.

[٣] الرق: ضرب من دواب الماء يشبه **التمساح**، والرق أيضا: العظيم من السلاحف. حياة الحيوان ٥٢٧/١.

[٤] الكوسج: نوع من السمك تنفر منه الحيوانات البحرية، وهي القرش. حياة الحيوان ٢٩٩/٢.." (١)

"لون الجمل الأورق. فإذا كانت في رأس الخضيب بالحمرة تراها حمراء. فإن نصل خضابه صار فيها شكلة، من بين بيض وحمر.

وقد نرى حرة بني سليم، وما اشتملت عليه من إنسان، وسبع، وبهيمة، وطائر، وحشرة فتراها كلها سوداء

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢٨٢/٤

. [١]

وقد خبرنا من لا يحصى من الناس أنهم قد أدركوا رجالا من نبط بيسان [٢] ، ولهم أذناب إلا تكن أذناب التماسيح والأسد والبقر والخيل؛ وإلا كأذناب السلاحف والجرذان، فقد كان لهم عجوب [٣] طوال كالأذناب.

وربما رأينا الملاح النبطي في بعض الجعفريات على وجهه شبه القرد. وربما رأينا الرجل من المغرب فلا نجد بينه وبين المسخ، إلا القليل.

وقد يجوز أن يصادف ذلك الهواء الفاسد، والماء الخبيث، والتربة الردية، ناسا في صفة هؤلاء المغربيين والأنباط، ويكونون جهالا، فلا يرتحلون؛ ضنانة بمساكنهم وأوطانهم، ولا ينتقلون. فإذا طال ذلك عليهم زاد في تلك الشعور، وفي تلك الأذناب، وفي تلك الألوان الشقر، وفي تلك الصور المناسبة للقرود.

قالوا: ولم نعرف، ولم يثبت عندنا بالخبر الذي لا يعارض، أن الموضع الذي قلب صور قوم إلى صور الخنازير، هو الموضع الذي نقل صور قوم إلى صور القرود.

وقد يجوز أن تكون هذه الصور انقلبت في مهب الريح الشمالي، والأخرى في مهب الجنوب. ويجوز أن يكون ذلك كان في دهر واحد؛ ويجوز أن يكون بينهما دهر ودهور.

قالوا: فلسنا ننكر المسخ إن كان على هذا الترتيب؛ لأنه إن كان على مجرى الطبائع، وما تدور به الأدوار، فليس ذلك بناقض لقولنا، ولا مثبت لقولكم.

قال أبو إسحاق: الذي قلتم ليس بمحال، ولا ينكر أن يحدث في العالم برهانات، وذلك المسخ كان على مجرى ما أعطوا من سائر الأعاجيب، والدلائل والآيات. ونحن إنما عرفنا ذلك من قبلهم. ولولا ذلك لكان الذي قلتم غير ممتنع.

ولو كان ذلك المسخ في هذا الموضع على ما ذكرتم، ثم خبر بذلك نبي، أو دعا به نبي، لكان ذلك أعظم الحجة.

---

[١] رسائل الجاحظ ٣١٣/٢، وانظر الرسائل ٢١٩/١- ٢٢٠. وربيع الأبرار ٤٨١/٥.

[٢] بيسان: مدينة بالأردن بالغور الشامي، وهي بين حوران وفلسطين. معجم البلدان ٥٢٧/١.

[٣] العجوب: جمع عجب، وهو أصل الذنب. (القاموس: عجب) .." (١)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢٩٦/٤

"الأفعى والجرارة، لما قصرت قصبة الأهواز عن توليده وتلقيحه. وبليتها أنها من ورائها سباخ [١] ومناقع مياه غليظة وفيها أنهار تشقها تسايل كنفهم، ومياه أمطارهم ومتوضآتهم.

فإذا طلعت الشمس فطال مقامها، وطالت مقابلتها لذلك الجبل، قبل بالصخرية التي فيه تلك الجرارات.

فإذا امتلأت يبسا وحرارة، وعادت جمرة واحدة، قذفت ما قبلت من ذلك عليهم.

وقد تحدث تلك السباخ وتلك الأنهار بخارا فاسدا، فإذا التقى عليهم ما تحدث السباخ وما قذفه ذلك الجبل، فسد الهواء. وبفساد الهواء يفسد كل شيء يشتمل عليه ذلك الهواء.

وحدثني إبراهيم بن عباس بن محمد بن منصور، عن مشيخة من أهل الأهواز، عن القوابل، أنهن ربما قبلن [٢] الطفل المولود، فيجدنه في تلك الساعة محموما.

يعرفن ذلك ويتحدثن به.

١٠٥٠-[عيون فراخ الحيات والخطاطيف]

قال: ويعرض لفراخ الحيات مثل الذي يعرض لفراخ الخطاطيف؛ فإن نازعا لو نزع عيون فراخ الخطاطيف، وفراخ الحيات، لعادت بصيرة.

١٠٥١-[مفارقة السلحفاة والرق والضفدع للماء]

وزعم أن السلحفاة والرق، والضفدع، مما لا بد له من التنفس، ولا بد لها من مفارقة الماء، وأنها تبيض وتكتسب الطعم وهي خارجة من الماء، وذلك للنسب الذي بينها وبين الضب، وإن كان هذا بريا وهذا بحريا.

١٠٥٢-[شبه بعض الحيوان البري بنظيره من البحري]

ويزعمون أن ما كان في البر من الضب والورل والحرباء، والحلكاء، وشحمة الأرض، والوزغ والعظاء [٣] مثل الذي في البحر من السلحفاة والرق، **والتمساح،**

---

[١] سباخ: جمع سبخة، وهي الأرض تعلوها ملوحة. (القاموس: سبخ) .

[٢] قبلت القابلة الولد: تلقته عند خروجه. (القاموس: قبل) .

[٣] الورل والضب والحرباء وشحمة الأرض والوزغ، كلها متناسبة في الخلق. حياة الحيوان ٢/٤١٨ (الورل) .." (١)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٣٢٩/٤

"والضفدع، وأن تلك الأجناس البرية وإن اختلفت في أمورها، فإنها قد تتشابه في أمور، وأن هذه الأجناس البحرية من تلك، ككلب الماء من كلب الأرض.

١٠٥٣-[صبر بعض الحيوان عن الطعم]

وقد زعم صاحب المنطق أن الحية وسام أبرص من العظاء، **والتمساح**، تسكن في أعشتها الأربعة أشهر الشديدة البرد، لا تطعم شيئا، وأن سائر الحيات تسكن بطن الأرض. فأما الأفاعي فإنها تسكن في صدوع الصخر.

وليس لشيء من الحيوان من الصبر عن الطعم ما لهذه الأجناس. وإن الفيل ليناسبها من وجهين: أحدهما من طول العمر، فإن منها ما قد عاش أربعمائة سنة.

والوجه الآخر أن الفيلة مائية وهذه الأجناس مائية وإن كان بعضها لا يسكن الماء.

١٠٥٤-[داهية الغبر]

قال: وسمعت يونس بن حبيب يقول [١] : «داهية الغبر» قال [٢] : وقيل ذلك لأنها ربما سكنت بقرب ماء، إما غدير وإما عين، فتحمي ذلك الموضع. وربما غبر ذلك الماء في المنقع حينا وقد حمته. وقال الكذاب الحرمازي [٣] : [من الرجز]

يا ابن المعلى نزلت إحدى الكبر ... داهية الدهر وصماء الغبر

قال: وسأل الحكم بن مروان بن زنباع، عن بني عبد الله بن غطفان، قال: أفعى إن أيقظتها لسعتك، وإن تركتها لم تضرك.

١٠٥٥-[نادرة تتعلق بالحيات]

وذكر عن سعيد بن صخر قال: نهش رجل من أهل البادية كثير المال، فأشفى على الموت، فأتاهم رجل فقال: أنا أرقيه، فما تعطوني؟ فشارطوه على ثلاثين درهما، فرقاه وسقاه أشياء ببعض الأخلاط، فلما أفاق قال الراقي والمداوي: حقي! قال الملدوغ: وما حقه، قالوا: ثلاثون درهما. قال أعطيه من مالي ثلاثين درهما في نفثات نفثها، وحمض سقاه! لا تعطوه شيئا!

---

[١] من الأمثال قولهم «إنه لداهية الغبر» وهو في مجمع الأمثال ١/٤٤، وجمهرة الأمثال ١/٤٥٠، والمستقصى ١/٤٢١، وفصل المقال ١٤١، وأمثال ابن سلام ٩٩، والغبر: عين ماء بعينه تألفه الحيات.

[٢] ورد القول في أس‌اس البلاغة «غبر» .

[٣] الرجز في مصادر المثل السابق، واللسان والتاج وأساس البلاغة (غبر) .." (١)

"قال: والسباع تشتهي رائحة الفهود، والفهد يتغيب عنها، وربما فر بعضها منه فيطمع في نفسه، فإذا أراده السبع وثب عليه الفهد فأكله.

قال: **والتمساح** يفتح فاه إذا غمه ما قد تعلق بأسنانه، حتى يأتي طائر فيأكل ذلك، فيكون طعاما له وراحة **للتمساح**.

قال: وأما السلحفاة فإنها إذا أكلت الأفعى أكلت صعترا جبليا، وقد فعلت ذلك مرارا، فربما عادت فأكلت منها ثم أكلت من الصعتر مرارا كثيرة، فإذا أكثرت من ذلك هلكت.

قال: وأما ابن عرس، فإنه إذا قاتل الحية بدأ بأكل السذاب، لأن رائحة السذاب مخالفة للحية، كما أن سام أبرص لا يدخل بيتا فيه زعفران.

قال: والكلاب إذا كان في أجوافها دود أكلت سنبل القمح.

قال: ونظن أن ابن عرس يحتال للطير بحيلة الذئب للغنم؛ فإنه يذبحها كما يفعل الذئب بالشاة.

قال: وتتقاتل الحيات المشتركة في الطعم.

وزعم أن القنافذ لا يخفى عليها شيء من جهة الريح وتحولها وهبوبها، وأنه كان بقسطنطينية رجل يقدم ويعظم؛ لأنه كان يعرف هبوب الريح ويخبرهم بذلك وإنما كان يعرف الحال فيها بما يرى من هيئة القنافذ.

١١٢٣-[القول في العيون]

والعيون الحمر للعرض المفارق، كعين الغضبان، وعين السكران، وعين الكلب، وعين الرمد.

والعيون الذهبية، عيون أصناف البزاة من بين العقاب إلى الزرق.

والعيون التي تسرج بالليل، عيون الأسد، وعيون النمور، وعيون السنانير، وعيون الأفاعي.

قال أبو حية [١] : [من الطويل]

غضاب يثيرون الذحول، عيونهم ... كجمر الغضا ذكيته فتوقدا

---

[١] ديوان أبي حية ١٣٦ «الذحول: جمع ذحل، وهو الثأر» .." (٢)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٣٣٠/٤

(٢) الحيوان الجاحظ ٣٧١/٤

"ويروى: «ملم» وهو اسم امرأة.

وذلك أن الطير تتحسر [١] وتتحسر معها الحبارى. والحبارى إذا نتفت أو تحسرت أبطأ نبات ريشها، فإذا طار صويحباتها ماتت كمدا [٢] .

وأما قوله: «أو تلم» يقول: أو تقارب أن تظعن [٣] .

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «كل شيء يحب ولده حتى الحبارى!» [٤] . يضرب بها المثل في الموق [٥] .

١٥٥٤-[سلاح الحبارى في سلاحها]

قال [٦] : وللحبارى خزانة بين دبره وأمعائه، له فيها أبدا سلح رقيق لزج، فمتى ألح عليها الصقر- وقد علمت أن سلاحها [٧] من أجود سلاحها، وأنها إذا ذرقته بقي كالمكتوف، أو المدبق [٨] المقيد فعند ذلك تجتمع الحباريات على الصقر فينتفن ريشه كله طاقة طاقة [٩] وفي ذلك هلاك الصقر.

١٥٥٥-[سلاح بعض الحيوان]

قال: وإنما الحبارى في سلاحها كالظرابي في فسائها، وكالثعلب في سلاحه [٧] ، وكالعقرب في إبرتها، والزنبور في شعرته، والثور في قرنه، والديك في صيصيته [١٠] ، والأفعى في نابها، والعقاب في كفها، والتمساح في ذنبه.

وكل شيء معه سلاح فهو أعلم بمكانه. وإذا عدم السلاح كان أبصر بوجوه

---

[١] تتحسر: تخرج من الريش العتيق إلى الحديث.

[٢] ورد هذا القول في ثمار القلوب (٧٠٥) .

[٣] تظعن: ترحل.

[٤] ورد قول عثمان في النهاية ١/٣٢٨، وهو من الأمثال في مجمع الأمثال ٢/١٤٦، والمستقصى ٢/٢٢٧.

[٥] الموق: الحمق.

[٦] الخبر في نهاية الأرب ١٠/٢١٥، وانظر ربيع الأبرار ٥/٤٤٨، وما تقدم في ١/١٦٢.

[٧] السلاح: النجو.

[٨] المدبق: الذي ألزق بالدبق، والدبق: حمل شجر في جوفه كالغراء يلزق بجناح الطائر فيصاد به.

[٩] الطاقة: شعبة من ريحان، أو قوة من الخيط.

[١٠] الصيصة: الشوكة التي في رجل الديك.." (١)

"على صغر النحلة وضعف أيدها [١] ، ثم ارم بعقلك إلى قول الله: ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا

[٢] ، فإنك تجدها أكبر من الطود، وأوسع من الفضاء. ثم انظر إلى قوله: حتى إذا أتوا على واد النمل

[٣] . فما ترى في مقدار النملة في عقل الغبي، وغير الذكي؟! فانظر كيف أضاف الوادي إليها، وخبر عن حذرها ونصحها لأصحابها، وخوفها ممن قد مكن، فإنك تجدها عظيمة القدر، رفيعة الذكر، قد عظمها في عقلك، بعد أن صغرها في عينك.

١٦٣٣-[عجز الإنسان وصغر قدره]

وخبرني عن الله تعالى، أما كان قادرا أن يعذب الكنعانيين، والجبابرة، والفراعنة، وأبناء العمالقة: من نسل عاد وثمود، وأهل العتو والعنود- بالشياطين ثم بالمردة، ثم بالعفاريت، ثم بالملائكة الذين وكلهم الله تعالى بسوق السحاب، وبالمد والجزر، وبقبض أرواح الخلق. وبقلب الأرضين، وبالماء والريح، وبالكواكب والنيران، وبالأسد والنمور والببور [٤] وبالفيلة والإبل والجواميس، وبالأفاعي والثعابين وبالعقارب والجرارات، وبالعقبان والنسور، **وبالتماسيح**، وباللخم [٥] والدلفين.

فلم عذبهم بالجراد والقمل والضفادع؟! وهل يتلقى عقلك قبل التفكير إلا أنه أراد أن يعرفهم عجزهم، ويذكرهم صغر أقدارهم، ويدلهم على ذلك بأذل خلقه، ويعرفهم أن له في كل شيء جندا، وأن القوي من قواه وأعانه، والضعيف من ضعفه، والمنصور من نصره، والمخذول من خلاه وخذله، وأنه متى شاء أن يقتل بالعسل الماذي والماء الزلال كما يقتل بالسم الساري، والسيف الماضي قتل؟

ولم كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى على جسده البثرة ابتهل في الدعاء وقال: «إن الله تعالى إذا أراد أن يعظم صغيرا عظمه» ؟! ولم قال لنا: فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات

[٦] ؟! فافهم عنه تعالى ذكره، وتقدست أسماؤه قوله: «آيات» ثم قال:

---

[١] الأيد: القوة.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٥/٢٣٨

[٢] ٩٦/النحل: ١٦.

[٣] ٨٨/النمل: ٢٧.

[٤] الببر: ضرب من السباع، قيل إنه متولد من الزبرقان واللبوة.

[٥] اللخم: سمك بحري يقال له الكوسج. حياة الحيوان ٢/٣٠٥.

[٦] ١٣٣/الأعراف: ٧.." (١)

"وقال الآخر [١] : [من الطويل]

من المهديات الماء بالماء بعدما ... رمى بالمقادي كل قاد ومعتم [٢]

وقال الآخر: [من الطويل]

وداع دعا والليل مرخ سدوله ... رجاء القرى يا مسلم بن حمار

دعا جعلا لا يهتدي لمبيته ... من اللوم حتى يهتدي ابن وبار

وقال الحسن بن هانئ [٣] : [من الطويل]

أضمرت للنيل هجرانا ومقلية ... إذ قيل لي إنما **التمساح** في النيل [٤]

فمن رأى النيل رأي العين من كثب ... فما أرى النيل إلا في البواقيل [٥]

وقال ابن ميادة [٦] : [من الطويل]

أتيت ابن قشراء العجان فلم أجد ... لدى بابه إذنا يسيرا ولا نزلا

فإن الذي ولاك أمر جماعة ... لأنقص من يمشي على قدم عقلا

ومن هذا الباب قوله [٧] : [من البسيط]

إني رأيت أبا العوراء مرتفقا ... بشط دجلة يشري التمر والسمكا

كشرة الخيل تبقى عند مذودها ... والموت أعلم إذ قفى بمن تركا

هذي مساعيك في آثار سادتنا ... ومن تكن أنت ساعيه فقد هلك ا

ومن هذا الباب قوله [٨] : [من الوافر]

ورثنا المجد عن آباء صدق ... أسأنا في ديارهم الصنيعا

إذا المجد الرفيع تعاورته ... ولاة السوء أوشك أن يضيعا

وقال جران العود [٩] : [من الطويل]

---

(١) الحيوان الجاحظ ٥/٢٨٨

[١] البيت للعجير السلولي في البخلاء ٢٢٠.

[٢] القادي: القادم من السفر. المعتمي: القاصد.

[٣] ديوان أبي نواس ٥٦١.

[٤] مقلية: بغضا.

[٥] البواقيل: جمع بوقال، وهو كوز بلا عروة.

[٦] ديوان ابن ميادة ١٩٧، وتقدم البيتان في ٣/٣٩- ٤٠.

[٧] تقدمت الأبيات في ٣/٣٩.

[٨] تقدمت الأبيات في ٣/٤٠.

[٩] البيت لجران العود في ديوانه ٥٣، وتقدم في ٣/٢٣.." (١)

"١٦٧٦-[الشك في أخبار البحريين والسماكين والمترجمين]

فكيف أسكن بعد هذا إلى أخبار البحريين، وأحاديث السماكين، وإلى ما في كتاب رجل لعله أن لو وجد هذا المترجم أن يقيمه على المصطبة، ويبرأ إلى الناس من كذبه عليه، ومن إفساد معانيه بسوء ترجمته.

١٦٧٧-[الأجناس التي ترجع إلى صورة الضب]

والذي حضرني من أسماء الحشرات، مما يرجع عمود صورها إلى قالب واحد، وإن اختلفت بعد ذلك في أمور. فأول ما نذكر من ذلك الضب.

والأجناس التي ترجع إلى صورة الضب: الورل، والحرباء، والوحرة [١] ، والحلكة [٢] ، وشحمة الأرض، وكذلك العظاء، والوزغ، والحرذون. وقال أبو زيد:

وذكر العظاية هو العضرفوط. ويقال في أم حبين حبينة وأشباهها مما يسكن الماء الرق، والسلحفا، والغيلم، **والتمساح**، وما أشبه ذلك.

١٦٧٨-[الحشرات]

ومما نحن قائلون في شأنه من الحشرات: الظربان، والعث [٣] والحفاث [٤] والعربد [٥] ، والعضرفوط [٦] ، والوبر [٧] ، وأم حبين، والجعل، والقرنبى [٨] والدساس [٩] ، والخنفساء، والحية، والعقرب، والشبث [١٠] والرتيلاء [١١] ، والطبوع،

(١) الحيوان الجاحظ ٥/٣١٦

[١] الوحرة: دويبة حمراء تلزق بالأرض شبيهة بسام أبرص. حياة الحيوان ٤١١/٢.

[٢] الحلكة: دويبة شبيهة بالعظاية تغوص في الرمل. حياة الحيوان ٣٣٧/١.

[٣] العث: دويبة تأكل الصوف والجلود.

[٤] الحفاث: ضرب من الحيات تأكل الفأر وأشباه الفأر، انظر ما تقدم في ٣٣١/٤، س ١٠- ١٣.

[٥] العربد: حية أحمر أرقش، لا يظلم إلا إذا أوذي.

[٦] العضرفوط: العظاءة الذكر. حياة الحيوان ٣١/٢.

[٧] الوبر: دويبة أصغر من السنور تقيم في البيوت. حياة الحيوان ٤٠٩/٢.

[٨] القرنبى: دويبة طويلة الرجلين مثل الخنفساء؛ أو أعظم منها بيسير. حياة الحيوان ٢٠٩/٢.

[٩] الدساس: ضرب من الحيات، أصم؛ يندس تحت التراب. حياة الحيوان ٤٧٩/١.

[١٠] الشبث: العنكبوت، أو هي دويبة لها ست قوائم طوال صفراء الظهر؛ وظهور القوائم، سوداء الرأس؛ زرقاء العينين، وقيل: دويبة كثيرة الأرجل عظيمة الرأس واسعة الفم مرتفعة المؤخر، وهي التي تسمى شحمة الأرض. حياة الحيوان ٥٩٥/١.

[١١] الرتيلاء: نوع من العناكب تسمى عقرب الحيات، لأنها تقتل الحيات والأفاعي. حياة الحيوان ٥٢٣/١.." (١)

"١١- تلتهم المرو على شهوة ... أحب شيء عندها الجمر [١]

١٢- وضبة تأكل أولادها ... وعترفان بطنه صفر [٢]

١٣- يؤثر بالطعم، وتأذينه، ... منجم ليس له فكر

١٤- وكيف لا أعجب من عالم ... حشوته التأبيس والدغر [٣]

١٥- وحكمة يبصرها عاقل ... ليس له من دونها ستر

١٦- جرادة تخرق متن الصفا ... وأبغث يصطاده صقر

١٧- سلاحه رمح فما عذره ... وقد عراه دونه الذعر

١٨- والدب والقرد إذا علما ... والفيل والكلبة واليعر [٤]

١٩- يحجم عن فرط أعاجيبها ... وعن مدى غاياتها السحر

---

(١) الحيوان الجاحظ ٣٢٨/٦

٢٠- وظبية تخضم في حنظل ... وعقرب يعجبها التمر

٢١- وخنفس يسعى بجعلانه ... يقوتها الأرواث والبعر

٢٢- يقتلها الورد وتحيا إذا ... ضم إليها الروث والجعر

٢٣- وفأرة البيش إمام لها ... والخلد فيه عجب هتر [٥]

٢٤- وقنفذ يسري إلى حية ... وحية يخلى له الجحر

٢٥- وعضرفوط ماله قبلة ... وهدهد يكفره بكر

٢٦- وفرة العقرب من لسعها ... تخبر أن ليس لها عذر

٢٧- والببر فيه عجب عاجب ... إذا تلاقى الليث والببر

٢٨- وطائر أشرف ذو جردة ... وطائر ليس له وكر [٦]

٢٩- وثرمل تأوي إلى دوبل ... وعسكر يتبعه النسر [٧]

٣٠- يسالم الضبع بذي مرة ... أبرمها في الرحم العمر

٣١- وتمسح خلله طائر ... وسابح ليس له سحر [٨]

---

[١] المرو: حجر أبيض براق.

[٢] العترفان: الديك.

[٣] التأبيس: الإغاظة والترويع. الدغر: توثب المختلس.

[٤] اليعر: صغار الغنم.

[٥] الهتر: العجب.

[٦] الجردة: التجرد، أي التجرد من الزغب والريش.

[٧] الثرمل: أورد الجاحظ في تفسيره للبيت فيما سيأتي «الثرملة» : أنثى الثعالب، وهي مسالمة للدوبل» . الدوبل: الذئب العرم.

[٨] التمسح: التمساح. السحر: الرئة.." (١)

"١٨٥٦-[التمساح والسمك]

وأما قوله:

---

(١) الحيوان الجاحظ ٦/٤٦٥

٣١- «وتمسح خلله طائر ... وسابح ليس له سحر»

فالتمساح مختلف الأسنان، فينشب فيه اللحم، فيغمه فينتن عليه، وقد جعل في طبعه أن يخرج عند ذلك إلى الشط، ويشحا [١] فاه لطائر يعرفه بعينه، يقال إنه طائر صغير أرقط مليح. فيجيء من بين الطير حتى يسقط بين لحييه ثم ينقره بمنقاره حتى يستخرج جميع ذلك اللحم، فيكون غذاء له ومعاشا، ويكون تخفيفا عن التمساح وترفيها [٢] . فالطائر الصغير يأتي ما هنالك يلتمس ذلك الطعم، والتمساح يتعرض له، لمعرفته بذلك منه.

وأما قوله:

«وسابح ليس له سحر» .

فإن السمك كله لا رئة له. قالوا: وإنما تكون الرئة لمن يتنفس. هذا، وهم يرون منخري السمك، والخرق النافذ في مكان الأنف منه، ويجعلون ما يرون من نفسه إذا أخرجوه من الماء أن ذلك ليس بنفس يخرج من المنخرين، ولكنه تنفس جميع البدن.

١٨٥٧-[العث والحفاث]

وأما قوله:

٣٢- «والعث والحفاث ذو نفخة ... وخرنق يسفده وبر»

فإن الحفاث دابة تشبه الحية وليست بحية، وله وعيد شديد، ونفخ وتوثب، ومن لم يعرفه كان له أشد هيبة منه للأفاعي والثعابين. وهو لا يضر بقليل ولا كثير، والحيات تقتله. وأنشد [٣] : [من الكامل]

أيفايشون وقد رأوا حفاثهم ... قد عضه فقضى عليه الأسود [٤]

---

[١] يشحا: يفتح.

[٢] انظر ما تقدم في ٤/٢٢٨، س ٥- ٦.

[٣] ثمة بيت بقافية «الأشجع» لجرير في ديوانه ٩١٣، واللسان والتاج (حفث، فيش) .

[٤] يفايشون: يفاخرون. الأسود: أخبث الحيات.." (١)

"والشاهمرك [١] . على أن النسور والشاهمرك لا يتعرضان للكبار.

ويعلم الزنبور أن سلاحه في شعرته فقط، كما تعلم العقرب أن سلاحها في إبرتها فقط. وتعلم الذبان والبعوض

---

(١) الحيوان الجاحظ ٦/٤٩٦

والقملة، أن سلاحها في خراطيمها. وتعلم جوارح الطير أن سلاحها في مخالبها. ويعلم الذئب والكلب أن سلاحهما في أشداقهما فقط. ويعلم الخنزير والأفعى أن سلاحهما في أنيابهما فقط.

ويعلم الثور أن سلاحه قرنه، لا سلاح له غيره. فإن لم يجد الثور والكبش والتيس قرونا، وكانت جما [٢] ، استعملت باضطرار مواضع القرون.

والبرذون يستعمل فمه وحافر رجله.

ويعلم **التمساح** أن أحد أسلحته وأعونها ذنبه، ولذلك لا يعرض إلا لمن وجده على الشريعة؛ فإنه يضربه ويجمعه إليه حتى يلقيه في الماء.

وذنب الضب أنفع من براثنه [٣] .

١٨٨٣-[لجوء بعض الحيوان إلى الخبث والحيلة والفرار]

وإنما تفزع هذه الأجناس إلى الخبث، وإلى ما في طبعها من شدة الحضر [٤] إذا عدمت السلاح؛ فعند ذلك تستعمل الحيلة: مثل القنفذ في إمكان عدوه من فروته، ومثل الظبي واستعمال الحضر في المستوي، ومثل الأرنب واستعماله الحضر في الصعداء [٥] .

وإذا كان ممن لا يرجع إلى سلاحه ولا إلى خبثه كان إما أن يكون أشد حضرا ساعة الهرب من غيره، وإما أن يكون ممن لا يمكنه الحضر ويقطعه الجبن، فلا يبرح حتى يؤخذ.

١٨٨٤-[ما يقطعه الجبن من الحيوان]

وإنما تتقرب الشاة بالمتابعة والانقياد للسبع، تظن أن ذلك مما ينفعها؛ فإن

---

[١] الشاهمرك: معرب الشاه مرغ، ومعناه ملك الطير. وهو الفتي من الدجاج. حياة الحيوان ١/٥٩٤، وانظر ما تقدم في ١/٢٥، الفقرة (١٣) .

[٢] الجم: جمع أجم وجماء، وهو الذي لا قرن له.

[٣] ربيع الأبرار ٥/٤٦٨، وانظر ما تقدم ص ٣٧٨.

[٤] الحضر: الارتفاع في العدو.

[٥] انظر ما تقدم ص ٥٠٢، الحاشية رقم (٥) .." (١)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٦/٥١٤

"٤٣- «وتمسح النيل عقاب الهوا ... والليث رأس وله الأسر

٤٤- ثلاثة ليس لهم غالب ... إلا بما ينتقض الدهر»

فإنهم يزعمون أن الهواء للعقاب، والأرض للأسد، والماء **للتمساح**. وليس للنار حظ في شيء من أجناس الحيوان: فكأنه سلم الرياسة على جميع الدنيا للعقاب والأسد **والتمساح**؛ ولم يمد الهواء، وقصر الممدود أحسن من مد المقصور.

١٩١٣-[رواية المعتزلة للشعر]

وروت المعتزلة المذكورون كلهم رواية عامة الأشعار، وكان بشر أرواهم للشعر خاصة.

١٩١٤-[الهوائي والمائي والأرضي من الحيوان]

وقولهم: الطائر هوائي، والسمك مائي، مجاز كلام، وكل حيوان في الأرض فهو أرضي قبل أن يكون مائيا أو هوائيا؛ لأن الطائر وإن طار في الهواء فإن طيرانه فيه كسباحة الإنسان في الماء، وإنما ذلك على التكلف والحيلة. ومتى صار في الأرض ودلى نفسه لم يجد بدا من الأرض.

١٩١٥-[بقية قصيدة بشر الأولى]

وأما بقية القصيدة التي فيها ذكر الرافضة والإباضية والنابتة فليس هذا موضع تفسيره.

١٩١٦-[تفسير القصيدة الثانية]

[١] وسنقول في قصيدته الأخرى، بما أمكننا من القول إن شاء الله تعالى.

انقضت قصيدة بشر بن المعتمر الأولى.

١٩١٧-[الأوابد والأحناش]

وأما قوله:

٢-

«أوابد الوحش وأحناشها»

فإن الأوابد المقيمة [٢] ، والأحناش الحيات، ثم صار بعد الضب والورل والحرباء والوحرة وأشباه ذلك- من الأحناش.

---

[١] تقدمت القصيدة ص ٤٦٧.

[٢] أي المقيمة بالقفر.." (١)

"باب ما يستدل به في شأن الحيوان على حسن صنع الله

وإحكام تدبيره، وأن الأمور موزونة مقدرة. قالوا: الأشياء البياضة طائر، ومشترك، وذو أربع، ومنساح. فمنها ما يبيض في صدوع الصخر وأعالي الهضاب.

ومنها ما يعيش في الجحرة كسائر الحيات.

وأما الدساس منها فإنها تلد ولا تبيض، وهي لا ترضع ولا تلقم، والخفاش تلد ولا تبيض وترضع، وهذا مختلف.

والدجاج والحجل والقطا وأشباه ذلك من الدراريج وغيرها أفاحيصها في الأرض.

والحمام منها طوراني جبلي، ومنها ألوف أهلي. فالجبلي تبيض في أوكار لها في عرض مقاطع الجبال، والأهلي منها يبيض في البيوت. والعصافير بيوتها في أصول أجذاع السقف. والخطاطيف تتخذ بيوتها، في باطن السقف في أوثق ذلك وأمنعه.

والرخم لا ترضى من الجبال إلا بالوحشي منها، ومن البعيد في أسحقها وأبعدها عن مواضع أعدائها، ثم من الجبال إلا في رؤوس هضابها، ثم من الهضاب إلا في صدوع صخورها. وبذلك يضرب بامتناع بيضها المثل.

وأما الرق والضفدع والسلحفاة **والتمساح**، وهذه الدواب المائية، فإنها تبيض في الأرض وتحضن. وأما السراطين فإن لها بيوتا في عرض شطوط الأنهار والسواقي، تمتلئ مرة ماء وتخلو مرة.

ومن الحيوان ما لا يجثم، كالضبة فإنها لا تجثم على بيضها، ولكن تغطيها بالتراب وتنتظر أيام انصداعها.

٢٠٥٤-[أسماء مواضع الفراخ والبيض]

فإذا كان مواضع الفراخ والبيض من القطا وأشباه القطا فهو أفحوصة، وإذا كان من الطير الذي يهيئ ذلك المجثم من العيدان والريش والحشيش فهو عش، وإذا كان من الظليم فهو أدحي. ذكر ذلك أبو عبيدة والأصمعي. وكلها وكور ووكون، ووكنات ووكرات.." (٢)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٥٣١/٦

(٢) الحيوان الجاحظ ٤١/٧

"وعن الإخبار عن حملها ووضعها، ومواضع أعضائها، والذي خالفت فيه الأشكال الأربعة التي تحيط بالجميع مما ينساح أو يعوم، أو يمشي أو يطير، وجميع ما ينتقل عن أولية خلقه، وما يبقى على الطبائع الأول من صورته وعما يتنازعه من شبه الحيوان، أو ما يخالف فيه جميع الحيوان، وعن القول في شدة قلبه وأسره، وفي جرأته، على ما هو أعظم بدنا وأشد كلبا، وأحد أظفارا، وأذرب أنيابا، وهربه مما هو أصغر منه جرما وأكل حدا، وأضعف أسرا، وأخمل ذكرا.

وعن الإخبار عن خصاله المذمومة، وأموره المحمودة وعن القول في لونه وجلده وشعره، ولحمه وشحمه وعظمه، وبوله ونجوه، وعن لسانه وفمه، وعن أذنه وعينه، وعن خرطومه وغرموله، وعن مقاتله وموضع سلاحه، وعن أدوائه ودوائه، وعن القول في أنيابه وسائر أسنانه، وسائر عظامه، وفرق ما بين عظامه وعظام غيره، وعن مواضع عجزه وقوته، والقول في ألبانها وضروعها، وعدد أخلافها وأماكن ذلك منها، وعن سياحتها ومشيها وحضرها وسرعتها، وخفة وطئها ولين ظهورها، وإلذاذ راكبها، وعن ثبات خفها في الوحل والرمل، وفي الحدر والصعداء، وعن أمن راكبها من العثار.

وكيف حالها عند اهتياجها واغتلامها، وعن سكونها وانقضاء هيجانها عند حملها، وعن طربها وطاعتها لسواسها، وفهمها لما يراد منها، وكيف حدة نظرها والفهم الذي يرى في طرفها، مع الوقار والنبل، والإطراق والسكون، ولم اجتمعت الملوك عربها وعجمها وأحمرها وأسودها على اقتنائها والتزين بها، والفخر بكثرة ما تهيأ لهم منها، حتى صارت عندهم من أكرم الهدايا، وأشرف الألطاف، وحتى صار اتخاذها مروءة وعتادا وعدة، ودليلا على أن مقتنيها صاحب حرب.

وفي تفضيل خصال الفيل على خصال البعير، وفي أي مكان يكون أنفع في الحرب من الفرس، وأصبر عند القتال من النمر، وأقتل للأسد من الجاموس، وأكلب من الببر إذا تعرم «١» ، وأشد من الكركدن إذا اغتلم، حتى لا يبلغه مقدار ما يكون من **تماسيح** الخلجان، وخيل النيل، وعقبان الهواء، وأسد الغياض.

٢٠٦١-[قصيدة هاورن مولى الأزد في الفيل]

وقد جمع هاورن مولى الأزد الذي كان يرد على الكميت ويفخر بقحطان،." (١)

"٢٠٨٣-[بعض خصائص الحيوان]

وكل سمك يكون في الماء العذب فإن له لسانا ودماغا، إلا ما كان منها في الماء الملح، فإنه ليس لسمك البحر لسان ولا دماغ «١» .

---

(١) الحيوان الجاحظ ٤٦/٧

وكل شيء يأكل بالمضغ دون الابتلاع فإنه إنما يحرك فكه الأسفل، إلا **التمساح** فإنه إنما يحرك فكه الأعلى «٢» .

وكل ذي عين من ذوات الأربع من السباع والبهائم الوحشية والأهلية، فإنما الأشفار لجفونها الأعالي إلا الإنسان، فإن الأشفار للأعالي والأسافل.

وكل حيوان ذي صدر فإنه ضيق الصدر، إلا الإنسان فإنه واسع الصدر وليس لشيء من ذكورة جميع الحيوان وإناثها ثدي في صدره إلا الإنسان والفيل «٣» . وقال ابن مقبل «٤» : [من البسيط]

وليلة مثل ظهر الفيل غيرها ... طلس النجوم إذا اغبر الدياميم «٥»

٢٠٨٤-[ضخامة الفيل وظرفه]

والفيل أضخم الحيوان وهو مع ضخمه أملح وأظرف وأحكى وهو يفوق في ذلك كل خفيف الجسم، رشيق الطبيعة.

وإنما الحكاية من جميع الحيوان في الكلب والقرد والدب والشاة المكية.

وليس عند الببغاء إلا حكاية صور الأصوات، فصار مع غلظه وضخمه وفخامته أرشق مذهبا، وأدق ظرفا، وأظهر طربا. وهذا من أعجب العجب. وما ظنكم بعظم خلق ربما كان في نابيه أكثر من ثلاثمائة من «٦»

.

٢٠٨٥-[قول المتعصبين على الفيل]

فقال من يعارضهم: قد أجمعوا على أن أعظم الحيوان خلقا السمكة والسرطان.." (١)

"وقراءة الكتب، وذلك أنهم يزعمون أن النمرة لا تضع ولدها أبدا إلا وهو متطوق بأفعى، وأنها تعيش وتنهش، إلا أنها لا تقتل. ولو كنت أجسر في كتبي على تكذيب العلماء ودراسي الكتب، لبدأت بصاحب هذا الخبر.

وليس هذا عندي كزعمهم أن الأفعى تلد وتبيض، لأن تأويل ذلك أن الأفعى تتعضل «١» بيضها، فإذا طرقت بالبيض تلوت فحطمته في جوفها، ثم ترمي بتلك القشور والخراشي «٢» أولا فأولا، كما لا بد لكل ذات حمل أن تلقي مشيمتها.

ويزعم كثير من الأعراب أن الكمأة تتعفن، ويتخلق منها أفاعي. فهذا الخبر وإن كنت لا أتسرع إلى رده فإني على أصحابه ألين كنفا «٣» .

---

(١) الحيوان الجاحظ ٦٣/٧

٢١١٢-[قرن الكركدن]

وأما قرن الكركدن فخبرني من رآه ممن أثق بعقله، وأسكن إلى خبره، أن غلظ أصله وسعة جسمه يكون نحوا من شبرين، وليس طوله على قدر ثخنه. وهو محدد الرأس، شديد الملاسة، ململوم الأجزاء مدمج، ذو لدونة وعلوكة في صلابة، لا يمتنع عليه شيء. ويجهز من عندنا بالبصرة إلى الصين؛ لأنه يقع إلينا قبلهم، فإذا قطعوه ظهرت في مقاطعه صور عجيبة. وفيه خصال غير ذلك، لها يطلب «٤» .

٢١١٣-[خيل النهر]

وقد كنا نزعم أن الهواء للعقاب، والماء **للتمساح**، والغياض للأسد حتى زعم أصحابنا أن في نيل مصر خيولا تأكل **التماسيح** أكلا ذريعا وتقوى عليها قوة ظاهرة، وتغتصبها أنفسها فلا تمتنع عليها، وعارضوا من أنكر خيل الماء، بخنازير الماء وبكلاب الماء، وبدخس الماء.

٢١١٤-[إنقاذ بعض حيوان البحر للغريق]

ولم أجدهم يشكون أن بعض الحيوان الذي يكون في البحر مما ليس بسمك وهو يعايش السمك- وقد ذهب عني اسمه- أنه متى أبصر غريقا عرض له وصار تحت بطنه وصدره، فلا يزال كالحامل له والمزجي والمعين، حتى يقذف به إلى جزيرة، أو ساحل، أو جبل.." (١)

"من شدة مخالفة البلدة لطبائعها ونقضها لقواها. وإنما أسرع إليها الموت عندكم للذي يعتريها من الآفات والأعراض في دوركم، فاجتمعت عليها خصال، أول ذلك أنها مع الوحش وفي صميم بلادها أجرأ وأقوى، وأشهم نفسا وأمضى، فلما اصطدناها بالحيل، وصيرناها مقصورة أهلية بعد أن كانت وحشية وفي غير غذائها، لأنها كانت تشرب إذا احتاجت، وتأكل إذا احتاجت وتأخذ من ذلك على مقادير ما تعرف من موقع الحاجة، فلما صارت إلى قيام العبيد عليها، والأجراء بشأنها، والوكلاء بما يصلحها دخل ذلك من النقض والخور، والخطأ والتقصير، على حسب ما تجد في سائر الأشياء، ثم لم نرض بذلك حتى نقلناها من تلك البلدة على إنكارها لتلك اللدة، فصيرناها إلى الضد بعد أن كانت في الخلاف.

وقد علمنا أن سبيلها سبيل سائر الحيوان، فإن الإبل تموت ببلاد الروم وتهلك وتسوء حالها، والعقارب تموت في مدينة حمص «١» ، **والتماسيح** تموت إن نقلت إلى دجلة والفرات، والناس يصيبهم الجلاء فيموتون ويتهافتون. وقد علمنا أن الزنج إذا أخرجوا من بلادهم فما يحصل بالبصرة عندنا منهم إلا اليسير. وكذلك لو نقلوا إليكم بزر الفلفل والساج والصندل والعود، وجميع تلك الأهضام «٢» ، فما امتناع نبات

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧٦/٧

العاج ببلادكم إلا كامتناع نبات الآبنوس، وإن كان ينبت في حيوان والآخر في أرض.
فلا يفتخرن مفتخر في الأسد في هذه البلدة إذا قاوم الفيل. والأسد هاهنا في بلاده وفي الموضع الذي تتوفر أموره عليه، لأن أسد العراق هي الغاية، وأقواها أسد السواد ثم أسد الكوفة. ولأن الفيلة عندكم أيضا ترى عندكم السنانير، وقد جعل الله في طبع الفيل الهرب من السنور والوحشة منه، كما أن بعض شجعانكم يمشي إلى الأسد، ويقبض على الثعبان، ولا يستطيع النظر إلى الفأر والجرذان، حتى يهرب منها كل الهرب، ويعتريه من النفضة واصفرار اللون ما لا يعتري المصبور على السيف وهو يلاحظ بريقه عند قفاه «٣» .
٢١١٨-[خوف عبد الله بن خازم من الجرذ]
وذكر علي بن محمد السميري قال «٤» : بينما عبد الله بن خازم السلمي عند عبيد." (١)
"والنوبة، أنهم يشربون الماء الكدر، ويأكلون السمك النيء فيعتريهم طحال شديد «١» ، فإذا شدوا على بطونهم ضرسا من أضراس خيل الماء وجدوه صالحا لبعض ما يعرض من ذلك. ويزعمون أن أعفاج هذا الفرس تبرئ من الصرع الذي يكون في الأهلة.
٢١٢٢-[دفاع صاحب الأسد]
وقال بعض من ينصر الأسد: إن الأسد في الهند أضعف، بل هي ضعيفة جدا، والفيل في بلادهم أقوى، والوحشي منها أجرأ، والمغتلم لا يقوم له إلا الكركدن؛ وإنه ليهجم عليه فيحجم عنه حتى تذهب عنه سكرة الغلمة، فيرجع إلى معرفة حال الكركدن فلا يطور طواره «٢» ، ولا يحل بأداني أرضه.
وأما الفيل فإذا كان غير هائج والأسد في غير أيام هياجه ثم يكون الأسد عراقيا ويكون سواديا ويكون من أجمة أبزيقيا فإن الفيل لا يقوم له.
٢١٢٣-[قول صاحب الفيل]
وقال صاحب الفيل: الفيل لا يعاين أسدا أبزيقيا حتى تفسخه البلدة، وتهدمه الوحشة، ويمرضه الغذاء، ويفسده الماء. وهو لا يصل إلى ذلك المكان حتى يجمع بينه وبين ذلك الأسد، وحتى يسمع تجاوب السنانير وتضاغيها «٣» - وهو أسمع من قراد- فيغب «٤» ذلك في صدره، وتتزايد تلك الوحشة في نفسه، فمتى رأى أسدا قائما فربما دعته الوحشة منه، والبغض المجعول فيه، إلى الصدود والذهاب عنه.
فيظن كثير من الناس أن ذهابه هرب، وأن صدوده جبن، وإنما هو من الوحشة منه، والكراهة لمنظرته. وربما اضطره الأسد بخرقه حتى ينقض حلمه، ويغلب وقاره، فيخبطه خبطة لا يفلح بعدها أبدا.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧٩/٧

٢١٢٤-[فخر صاحب فرس الماء]

قال صاحب الفرس: زعمتم أن الأسد في الأرض كالعقاب في الهواء، **وكالتمساح** في الماء، وأن **تمساحا** وأسدا اعتلجا على شريعة فقتل كل واحد منهما." (١)

"صاحبه، وكأن **التمساح** ضرب الأسد بذنبه في الشريعة، وضغم الأسد رأسه فماتا جميعا.

قال: والفرس المائي بالنيل يقتل **التماسيح** ويقهرها ويأكلها ولا يساجلها الحرب، ولا تقع بينهما مغالبة ومجاذبة، وتكون الأيام بينهما دولا. فهذه فضيلة ظاهرة على الأسد، وشرف فرس الماء راجع إلى فرس الأرض، فإن كان فرس الأرض لا يقوى على الأسد ولا على النمر ولا على الببر، فإن ابن عمه وشكله في الجنس قد قوي على **التمساح** وهو رئيس سكان الماء.

قالوا: أما واحدة فإن **التمساح** ليس برئيس سكان الماء إلا أن تريد بعض سكان الأودية والأنهار والخلجان والبحيرات في بعض المياه العذبة. والكوسج واللخم والسرطان والدلفين وضروب من السباع مما يعايش السمك ليس **التمساح** من بابه.

وعلى أن **التمساح** إنما يأكله ذلك الفرس وهو في الماء، وليس **للتمساح** في جوف الماء كبير عمل إلا أن يحتمل شيئا بذنبه ويحتجنه «١» إليه، ويدخله الماء، وربما خرج إلى الأرض للسفاد ولحضن البيض، فلا يكون على ظهر الأرض شيء أذل منه.

وذله على ظهر الأرض شبيه بذل الأسد في وسط الماء الغمر «٢» . ولعمري أن لو عرض له هذا الفرس في الشرائع فغلبه لقد كان ذلك من مفاخره، فلذلك لم تذكر الخيل في باب الغلبة، والقتال والمساجلة، والانتصاف من الأعداء.

والفرس قد يقاتل الفرس في المروج إذا أراد أن يحمي الحجور، كما يحمي العير العانة ويقاتل دونها كل عير يريد مشاركته فيها، وهذا شيء يعرض لجميع الفحولة في زمن الهيج.

وقد يصاول الجمل الجمل فربما قتل أحدهما صاحبه، ولكن هذه الفحولة لا تعرض لشيء من الحيوان في غير هذا الباب.

وإن أراد الفرس أسد، فليس عنده من إحراز نفسه وقتل عدوه ما عند الجاموس، فإن فضله الجاموس بقرنيه، فإن السلاح الذي في فم الفرس لو استعمله لكان سلاحا، ولو استدبر الأسد فركله ورمحه وعضه بفيه، لكان ذلك مما يدفع عنه ويحمي لحمه.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٨١/٧

وليس للجاموس في أظلافه وفي يديه ورجليه وفي فمه سلاح، فقد دلت الحال على أن مدار الأمر إنما هو في شجاعة القلب.." (١)

"إذا ما علت نشزا تمد زمامها ... كما امتد نهي الأصلف المترقرق «١»

وما يبتغي مني العداة تفاقدوا ... ومن جلد جاموس سمين مطرق «٢»

وأبيض من ماء الحديد اصطفيته ... له بعد إخلاص الضريبة رونق

٢١٧٦-[شعر فيه ذكر الفيل]

وقال كعب بن زهير «٣» في اعتذاره إلى النبي صلى الله عليه وسلم: [من البسيط]

لقد أقوم مقاما لو يقوم به ... أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل

لظل يرعد إلا أن يكون له ... من الرسول بأمر الله تنويل

وذكر أمية بن أبي الصلت سفينة نوح فقال «٤» : [من الخفيف]

تصرخ الطير والبرية فيها ... مع قوي السباع والأفيال

حين فيها من كل ما عاش زوج ... بين ظهري غوارب كالجبال

وقال أمية «٥» أيضا: [من الخفيف]

خلق النحل معصرات تراها ... تعصف اليابسات والمخضورا

والتماسيح والثياتل والأي ... ل شتى والريم واليعفورا

وصوارا من النواشط عينا ... ونعاما خواضبا وحميرا

وأسودا عواديا وفيولا ... وسباعا والنمر والخنزيرا

٢١٧٧-[طيب عرق الفيل]

وتزعم الهند أن جبهة الفيل في بعض الزمان تعرق عرقا غليظا غير سائل، يكون أطيب رائحة من المسك. وهذا شيء يعتريه كل عام. وموضع ذلك الينبوع في جبهته «٦» .." (٢)

"ويقولون: «أشتر مرك» للنعامة، على التشبيه بالبعير والطائر، يريدون تشابه الخلق، لا على الولادة. ويقولون للجاموس «كاوماش» على أن الجاموس يشبه الكبش والثور، لا على الولادة، لأن كاو بقرة، وماش اسم للضأن.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٨٢/٧

(٢) الحيوان الجاحظ ١٢٥/٧

وقال آخر: تضع أم الزرافة ولدها من بعض السباع، ولا يشعر الناس بذلك الذكر. قالوا: كاوماش على شبه الجواميس بالضأن، لأن البقر والضأن لا يقع بينهما تلاقح. والتفليس «١» الذي في الزرافة لا يشبه الذي في النمر، وهو بالببر أشبه، وما النمر بأحق به من هذا الوجه من الفهد.

٢٢١٠-[تسافد الأجناس المختلفة]

وقد يمكن أن تسمح الضبع للذئب، والذئبة للذبخ، والكلبة للذئب وكذلك الثعلب والهرة، وكذلك الطير وأجناس الحمام كالورداني والورشان والحمام، وكالشهري من بين الحجر والبرذون، والرمكة والفرس، والبغل من بين الرمكة والحمار.

فأما بروك الجمل على النمرة، والجمل لا بد أن تكون طروقته باركة، فكيف تبرك النمرة للجمل، والسباع إنما تتسافد وتتلاقح قائمة، وكذلك الظلف والحافر، والمخلب، والخف. والإنسان **والتمساح** يتبطنان الأنثى. والطير كله إنما يتسافد ويتلاقح بالأستاه من خلف وهي قائمة.

٢٢١١-[شواذ السفاد]

وزعموا أن الغراب يزاق. والحمر والقبج ربما ألقحا الإناث إذا كانا على علاوة الريح «٢» . ولا تكون الولادة إلا في موضع إلقاء النطفة والشيء الذي يلقح منه.

وأما السمكة فقد عاين قوم معارضة الذكر للأنثى، فإذا سبح الذكر إلى جنب الأنثى عقف ذنبه وعقفت ذنبها، فيلتقي المبالان فتكون الولادة من حيث يكون التلقيح، لا يجوز غير ذلك.

والذين يزعمون «٣» أن الحجلة تلقح من الحجل إذا كانت في سفالة الريح، من." (١)

"أنفسها وأولادها من كلاب القناص ومن السباع التي تطيف بها، بالقرون. قال الطرماح «١» : [من الرمل]

أكل السبع طلاها فما ... تسأل الأشباح غير انهزام

٢٢٢٠-[قصة في سفاد الخنزير]

وقال ابن النوشجاني «٢» : أقبلت من خراسان في بعض طرق الجبال فرأيت أكثر من ميلين متصلين في مواضع كثيرة من الأرض، أثر ست أرجل، فقلت في نفسي: ما أعرف دابة لها ست أرجل! فاضطرني الأمر إلى أن سألت المكاري، فزعم أن الخنزير الذكر في زمان الهيج يركب الخنزيرة وهي ترتع أو تذهب نحو مبيتها، فلا يقطع سفاده أميالا، ويداه على ظهرها ورجلاه خلف رجليها، فمن رأى تلك الآثار، رأى ست

(١) الحيوان الجاحظ ١٤٤/٧

أرجل، لا يدري كيف ذلك.

٢٢٢١-[ما يعرف بطول السفاد]

قال: فالخنزير في ذلك على شبيه بحال الذباب الذكر إذا سقط على ظهر الأنثى، في طول السفاد. وإن الجمل في ذلك لعجيب الشأن، فأما العدد فالعصفور، ويحكى أن للورل في ذلك ما ليس لشيء، يعني في القوة، وأنشد أبو عبيدة: [من الرجز]

في عظم أير الفيل في رهز الفرس ... وطول عيس جمل إذا دحس «٣»

٢٢٢٢-[فرس الماء]

قال عمرو بن سعيد: فرس الماء يأكل **التمساح**. قال «٤» : ويكون في النيل خيول، وفي تلك البحور- يعني تلك الخلجان- مثل خيول البر، وهي تأكل **التماسيح** أكلا شديدا، وليس **للتماسيح** في وسط الماء سلطان شديد إلا على ما احتمله بذنبه من الشريعة.

قال: وفرس الماء يؤذن بطلوع النيل، بأثر وطء حافره، فحيث وجد أهل مصر أثر تلك الأرجل عرفوا أن ماء النيل سينتهي في طلوعه إلى ذلك المكان.." (١)

"بني:

والد الشبوط ١/٩٨؛ ٥/١٩٨؛ ٦/٣٢٧

بيضه أكبر من بيض الشبوط ١/١٠٠

طعم بيضه ١/١٠٠

صفته ٣/٩.

بهونية:

من أنواع الإبل ١/٩٢؛ ٣/٧٥.

بهيمة:

سواد بهائك حرة بني سليم ٤/٢٩٦

لذتها بالعلوفة ١/١٣٥

لذتها في أكل الخبط ٢/٣٠٤

خصاؤها ١/٨٦

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧/١٤٧

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧/١٧٠

علة كثرة البيض ٤٣/٧

عظم البيض على قدر البياضة ٤٣/٧

صغر بيض الأبكار ٨٨/٣؛ ٤٣/٧

عجائب البيض ٤٣/٧

البيض المستطيل." (١)

"الأبلق العقوق ٢٠٤/١؛ ٢٥٤/٣

تغير لون شعره ٢٣٣/١

الحجر فوق الفرس في الطعام ٧٥/١

إيثار العربي فرسه باللبن ٤١/١

كراهته للماء الصافي ٧٩/٥؛ ٨٠/٧

فزعه مما يراه في الماء ٨٠/٧

اختلاف صوته ٢٨/١

فهم الإنسان صوته ٢٨/١

لا يجمد مرق لحمه ٢٨٦/٤

لا يزاوج ٣٠٩/٤

هيجه عند معاينة الأنثى ١٦٩/٥

غيرته ٣٠٩/٤

تشممه لأنثاه ٣٦٦/٢؛ ٤٥٦/٤، ٤٧٠؛ ٧/٧

يحلم ويحتلم ٣٦٤/٢

معاينة احتلامه ٣٦٤/٢

ولد البكر ٣٦٦/٢

غناؤه في الحرب ١٣٨/١؛ ٢٦٢/٤؛ ٤٤/٥؛ ٤٦/٧، ٨٤، ١١١

مبالغته في الجزع من عذبة السوط ١٩١/١

معرفته لاسمه ٥٤/٧

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢٠٠/٧

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧/٢٠٩

قتل الكلب الأسود ٢/٤٠٥

يأكل الإنسان لحمه ١/١١٠؛ ٢/٣١٧، ٣٣٦؛ ٤/٢٨١

تقاتل الكلاب ٢/٣٣٧؛ ٥/١٣٥

أفضلها للهراش ٢/٢٩٤

خضوع بعضها لبعض ٥/٢٢٥

مقاتلة الديكة للكلاب ١/٢٤٩

قد يصارع الثعلب ٧/١٤٩

شدة حب **التمساح** له ٢/٣٣٦

طلب الأسد له ٢/٣١٨، ٣٣٦

مساورته للأسد ٢/٣٩٤

حاله مع الأسد والنمر والذئب ورؤساء." (١)

"(والله لا يشفى الفؤاد الهائما ... **تمساحك** اللبات والمعاصما

ولا اللمام دون أن تلازما ... ولا اللزام دون أن تفاقما «١»

وتعلق القوائم القوائما) «٢»

فتشاتما، فلما وصلا إلى ديارهما جمع زيادة رهطا من أهل بيته، فبيت هدبة، فضربه على ساعده، وشج أباه خشرما، وقال زيادة فى ذلك:

شججنا خشرما فى الرأس عشرا ... ووقفنا هديبة إذ هجانا

«وقفنا» من التوقيف فى اليدين والرجلين، وهو سواد وبياض يكون فيهما:

(تركنا بالعويند من حسين ... نساء يلتقطن به الجمانا «٣»

فقال هدبة:

فإن الدهر مؤتنف جديد ... وشر الخيل أقصرها عنانا)

وشر الناس كل فتى إذا ما ... مرته الحرب بعد العصب لانا «٤»." (٢)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧/٢١٥

(٢) الشعر والشعراء الدِّينَوري، ابن قتيبة ٢/٦٨١

"قالوا: وكل شيء يأكل فهو يحرك فكه الأسفل إلا **التمساح** فإنه يحرك فكه الأعلى. وبمصر سمك يقال له الرعاد، من صاد منه سمكة لم تزل يده ترعد وتنتفض مادام في شبكته أو شصه «١» . والجعل «٢» إذا دفنته في الورد سكنت حركته حتى يتوهم من رآه أنه قد مات، فإذا أعدته إلى الروث تحرك ورجع في حسه. والبعير إذا ابتلع في علفه خنفساء قتله إن وصلت إلى جوفه حية. وأطول شيء ذماء «٣» الخنفساء فإنها يسرج على ظهرها فتصبر وتمشي.

والضب «٤» يذبح فيمكث ليلة ثم يقرب من النار فيتحرك. والأفعى إذا ذبحت تبقى أياما تتحرك وإن وطئها واطيء نهشته، ويقطع ثلثها الأسفل فتعيش وينبت ذلك المقطوع. والكلب والخنزير يجرحان الجرح القاتل فيعيشان.

قالوا: وللضب «٥» ذكران وللضبة حران، خبرني بذلك سهل عن الأصمعي أو غيره. قال: ويقال لذكره نزك وأنشد: [طويل]

سبحل له نزكان كانا فضيلة ... على كل حاف في البلاد وناعل «٦»." (١)

"وقال صاحب الفلاحة: من أراد أن يعذب له الماء الزعاق «١» جعله في قدر جديدة من خزف وغطى فاها بأسحال «٢» ثم أوقد تحتها حتى تغلي ويحصل فيها نصف ذلك الماء ثم صفاه وتركه، فإنه يجده شروبا «٣» .

وقالوا: ماء دجلة يقطع شهوة الرجال ويذهب بصهيل الخيل ونشاطها، ومن لم يأكل الدسم عليه انحل عظمه وييبس جلده، وهو مع هذا أهضم للطعام من غيره من المياه وأسرعها بردا.

قال: والنيل يستقبل الشمال وينضب في وقت زيادة الأودية ويزيد في وقت نقصانها. وزيادة أوله وآخره معها؛ ولا تكون **التماسيح** إلا فيه؛ قال الشاعر [بسيط]

أضمرت للنيل هجرانا ومقلية ... إذ قيل لي إنما **التمساح** في النيل «٤»

فمن رأى النيل رأيا العين من كثب ... فما أرى النيل إلا في البواقيل «٥»

والسقنقور «٦» أيضا لا يخرج إلا منه.

وروى في الحديث عن الضحاك بن مزاحم أنه قال قذف الفرات في." (٢)

---

(١) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ١١٤/٢

(٢) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٣٠١/٣

"بلاد النوبة

فأما من قصد من العلاقي إلى بلاد النوبة الذين يقال لهم: علوة فيسير ثلاثين مرحلة بعضها إلى كباو، ثم إلى موضع يقال له: الأبواب، ثم إلى مدينة علوة العظمى التي تسمى سوبة وبها ينزل ملك علوة، والمسلمون يختلفون إليها ومنها يأتي خبر ابتداء النيل.

ويقال: إن جزيرة علوة متصلة بجزيرة السند والنيل يجري من وراء علوة إلى أرض السند في النهر الذي يقال له: مهران كما يجري في نيل مصر ويزيد فيه في وقت زيادته بمصر.

وفي الجزيرة التي بأرض علوة مثل ما بجزائر السند من الفيلة والكركدنات وأشباه ذلك، وفي نهر مهران التماسيح كما في نيل مصر.

ومن أسوان إلى أول بلاد النوبة الذين يقال لهم: مقرا، وهو موضع يقال له:

ماوا، وبهذا الموضع كان زكريا بن قرقي خليفة أبيه قرقي ملك النوبة.

ومن ماوا إلى مدينة النوبة العظمى التي ينزلها ملك النوبة وهي سال ودنقلة ثلاثون مرحلة.

بلاد البجة

ومن العلاقي إلى أرض البجة «١» الذين يسمون الحداربة والكدانين خمس وعشرون مرحلة، ومدينة ملك البجة الحداربة يقال لها: هجر «٢» يأتيها الناس من المسلمين للتجارات.

والبجة ينزلون خيام جلود وينتفون لحاهم وينزعون فلك ثدي الغلمان لئلا يشبه ثديهم ثدي النساء ويأكلون الذرة وما أشبهها، ويركبون الإبل، ويحاربون عليها كما يحارب على الخيل، ويرمون بالحراب فلا يخطئون.." (١)

"وأنشدني عمى الفضل قال أنشدني ابن حبيب:

قربت لي أملا فأصبح حسرة ... ووعدتني وعدا فصار وعيدا

فلأصبرن على الشقاء فربما ... عاد الشقي مع النبلاء سعيدا

وأنشدني عمى الفضل قال أنشدني إسحاق.

لا تحسبن السودد الجهل والخنا ... واكل الموالي كالسديف المسرهد

ولكن كما قد كان سودد حاجب ... إذا كنت أعلى سورة المجد تقتدى

له كل عام غزوة ووفادة ... يفك أسارى أو يجئ بمرفد

---

(١) البلدان لليعقوبي اليعقوبي ص/١٧٤

كذاك فسد إن كنت لا بد سيدا ... ومن يعط أثمان المحامد يحمد

وأنشدني عمى الفضل لأبي العتاهية:

من كل شيء يمل الفتى ... يمل من الشيء قد يدمنه

وأعجب من غافل والبلى ... تصايح في سمعه ألسنه

وأنشدني عمى الفضل عن أبي حبيب للراجز:

تفرقوا عني وعن رباح ... نحن غلاماها إلى الصباح

وما لها في الصبح من رواح ... غير العصا والسائق الملحاح

وأنشدني عمى قال أنشدني أيضا:

قد غلب الناس بنو الطماح ... بالمين والتكذاب **والتمساح**." (١)

"لابن العاص في العدل

: وقال عمرو بن العاص: لا سلطان إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل.

وقالوا: إنما السلطان بأصحابه كالبحر بأمواجه.

قالوا: ليس شيء أضر بالسلطان من صاحب يحسن القول ولا يحسن الفعل ولا خير في القول إلا مع الفعل، ولا في المال إلا مع الجود، ولا في الصدق إلا مع الوفاء، ولا في الفقه إلا مع الورع، ولا في الصدقة إلا مع حسن النية، ولا في الحياة إلا مع الصحة.

قالوا: إن السلطان إذا كان صالحا ووزراؤه وزراء سوء امتنع خيره من الناس ولم يستطع أحد أن ينتفع منه بمنفعة. وشبهوا ذلك بالماء الصافي يكون فيه **التمساح**، فلا يستطيع أحد أن يدخله وإن كان محتاجا إليه.

صفة الإمام العادل

كتاب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز في وصف الإمام العادل

: كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة إلى الحسن بن أبي الحسن البصري أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل فكتب إليه الحسن رحمه الله:

اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل «١» ، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف «٢» . والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي

---

(١) أمالي اليزيدي اليزيدي ص/١٢٧

الشفيق على إبله الرفيق بها، الذي يرتاد لها أطيب المرعى، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنها من أذى الحر والقر «٣» . والإمام العادل يا أمير المؤمنين، كالأب الحاني على." (١)

"قالوا: وكل شيء يأكل فهو يحرك فكه الأسفل، ما عدا **التمساح**؛ فإنه يحرك فكه الأعلى.

وبمصر سمكة يقال لها الرعاد، من اصطادها لم تزل يده ترعد ما دامت في شبكته.

والجعل «١» إذا دفنته في الورد سكنت حركته حتى تحسبه ميتا، فإذا دفنته في الروث تحركت ورجعت نفسه! والبعير إذا ابتلع خنفساء قتلته إذا وصلت [إلى] جوفه حية.

والضب يذبح ثم يمكث ليلة، ثم يقرب من النار فيتحرك.

والأفعى تذبح فتبقى أياما تتحرك، وإذا وطئها أحد نهشته، ويقطع ثلثها الأسفل فتعيش وينبت ذلك المقطوع.

قالوا: وللضب ذكران، وللضبة حران، حكاه أبو حاتم عن الأصمعي؛ ويقال لذكره: النزك، وأنشد:

سبحل له نزكان كانا فضيلة ... على كل حاف في البلاد وناعل «٢»

وسام أبرض لا يدخل بيتا فيه زعفران.

ومن عضه كلب كلب احتاج أن يستر وجهه من الذباب لئلا يسقط عليه.

وخرطوم الذباب يده ومنه يغني، وفيه يجري الصوت كما يجري الزامر الصوت في القصبة بالنفخ! والسلحفاة إذا أكلت أفعى أكلت سعترا جبليا.

وابن عرس إذا قاتل الحية أكل السذاب «٣» .

والكلاب إذا كان في أجوافها داء أكلت سنبل القمح.

والأيل «٤» إذا نهشته الحية أكل السراطين قال ابن ماسويه: فلذلك يظن أن." (٢)

"الرازية، والأكسية القزوينية، والثياب السعيدية، والحلل اليمانية، والأردية المصرية، والملاحم الخراسانية، والثياب الطاهرية، والحلل الأندلسية، والدر العماني، والياقوت السرنديبي، والحرير الصيني، والخز السوسي، والديباج التستري، والبزيون الرومي، والكتان المصري، والوشي الكوفي، والعتابي الأصبهاني، ولا علم أن ببلاد المغرب ومصر عجائب لا تكون إلا بها مثل منارة الإسكندرية وعمود عين الشمس، والهرمان وجسر أذنة، وقنطرة سنجة، وكنيسة الرها، وسور أنطاكية، والأبلق الفرد، وبرهوت، وهاروت، والفرس الذي في أقصى المغرب، والأسد الذي بهمذان، والسمكة والثور بنهاوند، وإيوان كسرى بالمدائن، وتخت

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣٣/١

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢٧١/٧

شبديز في الطاق، وبناء قصر شيرين والدكان، وأساطين قصر اللصوص، وعجائب رومية، **والتمساح** بالنيل، والرعاد والسقنقور، وغير ذلك مما لا يحصى ولا يعد. وقالوا: أبعد الناس نجعة في الكسب بصري، وحميري، ومن دخل فرغانة القصوى، والسوس الأقصى، فلا بد أن يرى فيها بصريا، أو حميريا على أن أهل إصبهان والخوز معروفون بذلك، ويجد في كل بلد منهما صفا قائما.

ومما قالوا في التقلب في البلدان والتباعد في الأطراف قول أبي العتاهية في الرشيد:

ولولا أمير المؤمنين وعدله ... إذا لبغى بعض البلاد على بعض

وسيارة هادون في الأرض بالهدى ... ليحكم بالإبرام لله والنقض

لئن كان ذو القرنين أدرك غاية ... لحسبك من هارون ما سار في الأرض

وقال آخر في غزوة خراسان:

وما كان ذو القرنين يبلغ سعيه ... ولا غزو كسرى للهياطلة الجرد

وجواب آفاق وطلاع أنجد ... وطلاب وتر لا ينام على حقد

وقال آخر في تقلبه في البلاد:

خليفة الخضر من يربع على وطن ... في بلدة فظهور العيس أوطاني

بالشأم داري وبغداذ الهوى وطني ... بالرقمتين وبالفسطاط إخواني." (١)

"أهل الصعيد ولا يستعرفون، فبني ذلك من أهل النوبة. وقيل أمر بعض الملوك أفلاطون فبني بناحية مصر مما يلي البر حائطا طوله ثلاثون فرسخا ما بين الفرما إلى أسوان حاجزا بينهم وبين الحبشة.

وبالفسطاط صورة امرأة من حجر عظيمة قاعدة، على رأسها إجانة وعلى كل واحدة من ركبتيها درجة إلى غرفة، تسمى أم يزيد الخولانية.

وقالوا: البط ترعى بمصر كما ترعى الغنم، وبها الثعابين وليس هي في بلد غيرها، وإليها حول الله عصا موسى، قال الله عز وجل: فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين

يعني أنه حولها ثعبانا. ومن أعاجيب مصر النمس، وليس ذلك لأحد غيرهم، وهي من عجائب الدنيا، وذلك أنها دويبة متحركة كأنها قديرة، فإذا رأت الثعبان دنت منه، فينطوي الثعبان عليها يريد أن يعضها ويأكلها، فتزفر زفرة تقد الثعبان بقطعتين، وربما قطعته قطعا، ولولا النمس لأكلت الثعابين أهل مصر، وهي هناك أنفع لأهلها من القنافذ لأهل سجستان، وسجستان بلد كثير الأفاعي وفي شروطهم أن لا يقتل لهم

---

(١) البلدان لابن الفقيه ابن الفَقيه ص/١٠٩

قنفذ ولا يصاد. وبمصر أعجوبة أخرى وهي التمساح، لا يكون إلا في النيل، ويكون في نهر السند مهران «١» ، فإذا عض أوغل أسنانه واختلفت، فلم يدع ما أخذه حتى يقطع بأسنانه ما قبض من شيء، وحنكه الأعلى يتحرك ولا يتحرك الأسفل، وليس ذلك في غيره من الدواب، ولا يعمل الحديد في جلده، وما بين رأسه وذنبه عظم واحد، وليس يلتوي ولا ينقبض لأنه ليس في ظهره خرز، وإذا انقلب لم يستطع أن يتحرك، وإذا سفد الذكر الأنثى خرج من النيل فيلقيها على ظهرها ثم يأتيها مثل ما يفعل الرجل بالمرأة، فإذا فرغ أقلبها، وإن أقرها على ظهرها صيدت، لأنها لا تقدر أن تنقلب، وذنب التمساح حاد جدا، فربما قتل من الضربة، وربما جر الثور إلى نفسه فيأكله، وله بيض مثل بيض الأوز، ويبيض ستين بيضة، وله ستون فإذا سفد ففي ستين مرة، فإذا خرج التمساح من بيضة خرج مثل الحرذون في خلقه وجسمه، فيعظم حتى يكون عشرة أذرع أو." (١)

"أكثر، وهو يزيد كلما عاش، وإن أخذ من جانب حنكه الأيمن، أول سن في الحنك وعلق على من به حمى نافض تركته من ساعته، وربما دخل اللحم في خلال أسنانه فيفتح فاه، وله صديق من الطير يشبه بالطيطوى، يجيئه حتى يسقط على شدقه فيخلل بمنقاره ذلك اللحم، فيكون ذلك طعاما للطير، وترفيها للتمساح لأنه ينقى ما في أسنانه من اللحم ويحرسه هذا الطائر ما دام ينقى أسنانه فإن رأى صيادا أو إنسانا يريده. أو ابن عرس فإنه عدوه أعلمه ذلك وذلك إن ابن عرس يجيء إلى التمساح وهو نائم ويحب النوم على شط النهر فيستحم في الماء ويتمرغ في الطين ثم ينتفض حتى يقوم شعره في فم التمساح فيقتله قتلا عنيفا أو يأكل ما في جوفه فلذلك الطير يحرس التمساح وإذا رأى ابن عرس مقبلا أنبه التمساح وآذنه فيهرب التمساح إلى الماء وليس هذا بأعجب من الخلد وهي دابة عمياء فتخرج من جحرها فتفتح فاها فيتساقط الذبان في فيها وأشداقها ولا تزال تضم فاها على الذبان وتبلعه حتى تشبع ثم تدخل جحرها وليس هذا بأعجب من طائرين يراهما الناس من أدنى حدود البحر من شق البصرة إلى غاية البحر من شق السند أحدهما كبير والآخر صغير يقال لأحدهما جوانكرك ويسمى الآخر جرشي فلا يزال الصغير يرنق على رأس الكبير ويعبث به ويطوف حوله ويخرج من بين رجليه ويغمه ويكربه حتى يتقيه بذرقة فإذا ذرق الجرشي تلقاه الجوانكرك فلا يخطئ أقصى حلقه حتى كأنه ردى به في بئر فإذا استوفى ذلك الذرق رجع شبعان ريان بقوت يومه ومضى ذلك الكبير لطيته وأمرهما مشهور ظاهر، وأعجوبة أخرى وهو إن الدخس من دواب الماء مما يقايس السمك وليس بسمك يعرض للغريق فيدنو منه حتى يضع الغريق يده على ظهره فيسبح

---

(١) البلدان لابن الفقيه ابن الفَقيه ص/١١٨

والغريق يذهب معه ويستعين بالاتكاء عليه والتعلق به حتى ينجيه، وهو عند البحريين مشهور، قالوا ومن ادهن بشحم حرذون ثم ألقى نفسه على التمساح في الماء صاده والحرذون دويبة تكون بمصر وزبله ينفع من وجع العين ويقاتل العقرب وإذا ظفر بالجدي أكل أذنه، وأهل مصر يعدون كون التمساح في النيل من غرائب ما عندهم وهو كثير في خلجان سندان والزنج ولكنهم لا يعرفون له هناك هذا الطائر الذي يخلل أسنانه، وكون التمساح موصول في نيل." (١)

"مصر بوادي مهران وهو وادي السند ومن هناك أتاه. وبمصر من العجائب الفرس الذي يكون في النيل يأكل التماسيح وغيره من الدواب ويربي هذا الفرس إذا كان فلوا في البيوت مع النساء والصبيان وفي سنه شفاء من وجع المعدة. والنوبة والحبشة تتعالج به لأنهم يأكلون الأطعمة الغليظة فيشرفون على الموت من وجع المعدة فيأخذون سن هذا ويتعالجون به فيبرؤون وأعفاجه تبرئ من الجنون الذي يأخذ في الأهلة. ومن عجائب النيل دابة تسمى ذا القرن تكون في النيل على أنفها مثل السيف الحاد تقطع الصخرة إذا ضربتها وربما قتلت به الفيل.

وأهل مصر يعدون النيل من أحد عجائبهم وذلك أنه مخالف لجميع الأودية التي عليها ضبع العالم وكل سرب ومغيض فإنما استقباله من ناحية الشمال وليس النيل كذلك لأن مجراه من ناحية الجنوب وليست التماسيح في شيء من هذه الأودية المعروفة لا ترى بالفرات ولا دجلة ولا سيحان ولا جيحان ولا نهر بلخ، ولا فيها من الفساد والدواب الخبيثة، وشرب أهل مصر في البواقيل «١» ،

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : «تغور المياه كلها وترجع إلى أماكنها، إلا نهر الأردن ونيل مصر والحجرات وعرفات ومنا» .

وقال ابن الكلبي: إذا طلع العيوق غارت المياه كلها ونقصت إلا نيل مصر، ويمتد النيل لسبع من أيار. وقال عبد الله بن عمرو: نيل مصر سيد الأنهار، سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب، فإذا أراد الله أن يجريه أمر كل نهر أن يمده، فأمدته الأنهار بمائها، فإذا فجر الله به الأرض عيونا وانتهى من جريته إلى ما أراد الله، أوحى الله عز وجل إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره، وفي الخبر أربعة أنهار من الجنة: النيل، والفرات، وسيحان، وجيحان.

وقال بعضهم: النيل يخرج من خلف خط الاستواء من بحيرتين يقال لهما بحيرتا النيل، وهو يطيف أرض الحبشة ويجيء فيمر بين بحر القلزم- وهو بحر الفرما- وبين المفازة، فيجيء فيصب بدمياط، ويخرج إلى

---

(١) البلدان لابن الفقيه ابن الفَقيه ص/١١٩

البحر الرومي المغربي، ودمياط على البحر الرومي المغربي. وقال أبو الخطاب: قال المشتري ابن الأسود: غزوت بلاد أنبية عشرين غزاة، من السوس الأقصى، فرأيت النيل بينه وبين البحر الأجاج." (١)

"٨٤/٢ ولأهل المغرب البغال البربرية [١٣٠ ب] والجواري الأندلسيات والنمور الزنجية.

ثم ما قد خص به أهل مصر، من النيل وعجائب ما فيه من طرائف السمك **والتماسيح**، ولهم السمك الرعاد إذا وقع في شبكة الصياد ارتعدت يده ولم يملك من أمره شيئا حتى يخلي هذا النوع من شبكته.

ولهم السقنقور وخاصيته في الجماع لا تدفع. ولهم الثياب الدبيقية والشطوية، والأردية التي تكاد سلوكها تختفي عمن نظر إليها. ويقال إن نساجيها أوسخ الناس وأقذرهم، وهم يأكلون الأطعمة الكريهة الروائح من السموك المملحة واللحوم الغثة ولا يغسلون أيديهم وتنتن روائحهم. وإذا قطعوا الثوب بعد ما قد ناله من وسخهم ودرن أبدانهم ما لا يوصف، وجد في نهاية الحسن وطيب الرائحة.

وكذلك أيضا نساجي الديباج بتستر وحاكة الخز بالسوس على ما وصفنا من القذر والنتن والرائحة الكريهة والوسخ، وتخرج الثياب من أيديهم وهم ينسجون هذه الثياب التي تخفى دقة من الحسن والرائحة بغير أثر ولا تغير. وهذه خاصيته يشكل أمرها على سائر من تفقدها وأراد الوقوف على العلة فيها.

ولهم أيضا ضروب أخر من الثياب، منها المسير، وهم أحذق الناس بعمل ثياب الصوف والأكسية.

ولهم البغال المصرية والحمر المريسية والثياب التنيسية والاسكندرية.

ولأهل اليمن الحلل اليمانية والثياب السعيدية والبرد العذيبية. والعدنية. وفي بلادهم الورس والكندر. ولهم النجائب المهرية والسيوف اليمانية. وفي بلادهم القردة والنسناس وغير ذلك من أنواع العجائب.

ثم العراق وسط الأرض وخزانة السلطان ودار المملكة.

وما قد أعطي أهل الكوفة من عمل الوشي والخز وغير ذلك من أنواع الثياب." (٢)

"رومية، **والتمساح**، والرعاد، والسقنقور، وذات الحوافر وغير ذلك من العجائب التي لا تحصى [١٣٢ ب] فتبارك الله أحسن الخالقين.

منارة ذات الحوافر

وكان سنب بناء (ذات الحوافر) بهمذان وهي منارة عالية في رستاق يقال له ونجر بقرية يقال لها أسفجين.

٧٨/٢ وكان السبب في بنائها، أن شابور بن أردشير قال له منجموه إن ملك هذا سيزول وإنك ستشقى

---

(١) البلدان لابن الفقيه ابن الفَقيه ص/١٢٠

(٢) البلدان لابن الفقيه ابن الفَقيه ص/٥١٣

أعواما كثيرة حتى تبلغ إلى حد الفقر والمسكنة، ثم يعود إليك الملك. قال: وما علامة رجوعه؟ قالوا: إذا أكلت من خبز الذهب على مائدة حديد، فذاك علامة رجوع ملكك. فاختر أن يكون ذلك في شبيبتك أو في كبرك.

قال فاختار أن يكون في شبيبته. وحدوا له في ذلك حدا، فلما بلغ الحد اعتزل ملكه ترفعه أرض وتخفضه أخرى إلى أن صار إلى هذه القرية، فتنكر وآجر نفسه من عظيم القرية. وكان معه جراب فيه تاجه وثيابه، فأودعه الرجل الذي آجره نفسه.

فكان يحرث له نهارا ويسقي زرعه ليلا. فإذا فرغ من سقي الزرع طرد الوحش عن الزرع حتى يصبح. فبقي على ذلك سنة. فرأى الرجل منه حذقا ونشاطا وأمانة في كل ما يأمره به. فرغب فيه الرجل واسترجحه فزوجه بعض بناته. فلما حولها إليه كان شابور يعتزلها ولا يقربها. فلما أتى لذلك شهر، شكت إلى أبيها فاختلعها منه.

[وبقي شابور يعمل عنده. فلما كان بعد حول آخر سأله أن يتزوج ابنته الوسطى ووصف له جمالها وكمالها وعقلها فتزوجها. فلما حولها إليه كان شابور أيضا معتزلا لها ولا يقربها. فلما تم لها شهر سألها أبوها عن حالها مع زوجها فاختلعها منه] «١» .

فلما كان حول آخر وهو الثالث، سأله أن يتزوج ابنته الصغيرة. ووصف له جمالها وعقلها وكمالها. فتزوجها، فلما حولت إليه، كان شابور معتزلا لها لا." (١)

"وبها نخيل وثمار كثيرة، وزروعهم على ماء النيل، تمتد فتعم «١» المزارع من حد أسوان إلى حد الاسكندرية وسائر الريف، فيقيم الماء من «٢» عند ابتداء الحر إلى الخريف، ثم ينصرف فيزرع ثم لا يسقى بعد ذلك، وأرض مصر لا تمطر ولا تثلج، وليس بأرض مصر مدينة يجرى فيها الماء «٣» دائما غير الفيوم، والفيوم هذه مدينة وسطة، يقال إن يوسف النبي عليه السلام اتخذ لهم مجرى يدوم لهم فيه الماء، وقوم بحجارة وسماء اللاهون.

وأما النيل فإن ابتداء مائه لا يعلم، وذلك أنه يخرج من مفازة من وراء أرض الزنج لا تسلك، حتى ينتهى إلى حد الزنج، ثم يقطع فى مفاوز وعمارات أرض النوبة، فيجرى على عمارات متصلة إلى أن يقع فى أرض مصر، وهو نهر يكون عند امتداده أكبر من دجلة والفرات إذا جمعا، وماؤه أشد عذوبة وحلاوة وبياضا من سائر أنهار الإسلام، وفى هذا النهر يكون التمساح والسقنقور وسمكة يقال لها الرعادة «٤» ، لا يستطيع

---

(١) البلدان لابن الفقيه ابن الفَقيه ص/٥١٨

أحد أن يقبض عليها وهى حية، حتى يرتعش وتسقط من يده، فإذا ماتت فهى كسائر السمك، وأما **التمساح** فإنه دابة من دواب الماء مستطيل الرأس، طول رأسه يكون نحوا من نصف طول بدنه، وله أنياب لا يعض على دابة ما كانت من سبع أو جمل إلا مده فى الماء، وربما خرج من الماء فمشى فى البر، وليس له فى البر سلطان ولا يضر أحدا، وجلده يشبه السفن الذي تتخذ منه مقابض السيوف، لا يعمل السلاح «٥» فيه إلا تحت يديه ورجليه «٦» ومكان الإبط، وأما السقنقور فإنه صنف من السمك، إلا أن له يدين ورجلين، ويتعالج به للجماع، ولا يكون فى مكان إلا فى النيل. وعلى حافات النيل من حد أسوان إلى أن يقع فى البحر مدن وقرى منظومة متكاثفة، وأسوان هذه ثغر النوبة إلا أنهم مهادنون، وبصعيد مصر جنوبى النيل معدن الزبرجد فى برية منقطعة عن العمارة، ولا يعلم فى الأرض معدن له غير هذا، وفى شمالى النيل جبل بقرب الفسطاط يسمى اا‌مقطم، فيه وفى نواحيه حجر الخماهن، ويمتد هذا الجبل إلى النوبة، وعند هذا الجبل بحذاء الفسطاط قبر الشافعى فى جملة المقابر. وأما الاسكندرية فهى مدينة على شط البحر، كثيرة الرخام فى الفرش والأبنية والعمد، وبها منارة قد أسست فى الماء من صخر رفيع السمك جدا، تشتمل على زيادة من ثلثمائة بيت، لا يصل المرتقى إليها إلا بدليل. ويسمى ما علا من النيل عن الفسطاط الصعيد، وما تسفل منه الريف، ومن حد الفسطاط فى جنوبى النيل أبنية عظيمة يكثر عددها، مفترشة على سائر الصعيد «٧» ، وبحذاء الفسطاط على نحو من فرسخين منها أبنية عظيمة، أكبرها اثنان ارتفاع." (١)

"وبحذائها من شمالى النيل مدينة صغيرة يقال لها بوصير، بها قتل مروان بن محمد، ويقال إن سحرة فرعون الذين حشرهم فى يوم موسى من بوصير؛ فأما أسوان فإن بها نخيلا كثيرا وزروعا، وهى أكبر مدن الصعيد، وإسنا «١» وإخميم متقاربتان فى العمارة، صغيرتان عامرتان بالنخيل والزروع، وذو النون المصرى الناسك من إخميم؛ والفرما على شط البحيرة، وهى مدينة صغيرة خصبة، وبها قبر جالينوس اليونانى، ومن الفرما إلى تنيس نحو فرسخين فى البحيرة، وبتنيس تل عظيم مبنى من أموات منضدين بعضهم على بعض، يسمى هذا التل بوتون، ويشبه أن يكون ذلك من قبل موسى عليه السلام، لأن أرض مصر فى أيام موسى كان دينهم الدفن، ثم صارت للنصارى ودينهم الدفن، ثم صارت للإسلام، ورأيت عليهم أكفانا من جنس الخيش، وجماجم وعظاما فيها صلابة إلى يومنا هذا؛ وعين شمس ومنف هما قريتان قد خربتا، كل واحدة منهما من الفسطاط على نحو أربعة أمي ا ل، وعين شمس من شمالى الفسطاط ومنف من جنوبيه، ويقال إنهما كانتا مسكنين لفرعون، وعلى رأس جبل المقطم فى قلته مكان يعرف بتنور فرعون، يقال إنه كان إذا

---

(١) المسالك والممالك للاصطخري أو مسالك الممالك - مصر الإصطخري النص/٤٠

خرج من أحد هذين الموضعين يوقد فيه، فيعد فى المكان الآخر ما يعد له. وفى نيل مصر مواضع لا يضر فيها **التمساح**، منها عند الفسطاط وبوصير وغير ذلك من أماكن معروفة؛ وحوالى الفسطاط زرع ينبت مثل القضبان يسمى البلسان، يتخذ منه دهن البلسان، لا يعرف بمكان فى الدنيا إلا هناك؛ وأما العباسة وفاقوس وجرجير فإنها من أرض الحوف، ويعرف شمالى النيل أسفل من الفسطاط بالحوف، وجنوبيه بالريف، ومعظم رساتيق مصر وقراها فى هذين الموضعين.

وأما معدن الذهب فمن أسوان إليه خمسة عشر يوما، والمعدن ليس فى أرض مصر ولكنه فى أرض البجة وينتهى إلى عيذاب، ويقال إن عيذاب ليست من أرض البجة، وإنما هى من مدن الحبشة، والمعدن أرض مبسوطة لا جبل فيها، وإنما هى رمال ورضراض، ويسمى ذلك المكان الذي فيه مجمع الناس العلاقى، وليس للبجة قرى ولا خصب فيه غناء، وإنما هم بادية ولهم نجب، يقال إن ما فى النجب أسير منها، ورقيقهم ونجبهم وسائر ما بأرضهم يقع إلى مصر وبمصر بغال وحمير ولا يعرف فى شيء من بلدان الإسلام أحسن ولا أثمن منها، ولهم من وراء أسوان حمير صغار فى مقدار الكباش، ملمعة تشبه البغال الملمعة، إذا أخرجت من مواضعها لم تعش، ولهم حمير يقال لها السملاقية بأرض الصعيد، زعموا أن أحد أبويها من الوحشى والآخر من الأهلى، فهى أسير تلك الحمير، وبالجفار حيات فى مقدار الشبر، تثب من الأرض حتى تقع فى المحامل فتلسع، وأهل مصر فى أخبارهم يزعمون أن الجفار فى أيام فرعون كانت معمورة بالقرى والمياه، وأن الذي قال الله تعالى ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون «٢» هو الجفار، ولذلك سمى العريش عريشا.." (١)

"وأما أنهارها فإن لهم نهرا يعرف بمهران، وبلغنى أن مخرجه من ظهر جبل يخرج منه بعض أنهار جيحون، فيظهر مهران بناحية الملتان فيجرى على حد بسمد والرور، ثم على المنصورة حتى يقع فى البحر شرقى الديبل، وهو نهر كبير عذب جدا، ويقال إن فيه **تماسيح** مثل ما فى النيل، وأنه مثل النيل فى الكبر وجريه مثل جريه، يرتفع على وجه الأرض ثم ينضب، فيزرع عليها مثل ما ذكرناه فى أرض مصر. والسندروذ من الملتان على نحو من ثلاث مراحل وهو نهر كبير عذب، بلغنى أنه يفرغ إلى مهران؛ وأما مكران فإن الغالب عليها البوادى والمباخس، وهى قليلة الأنهار جدا؛ ولهم ما بين المنصورة ومكران مياه من نهر «١» مهران كالبطائح، عليها طائفة من السند يعرفون بالزط؛ فمن قارب منهم هذا الماء فهم فى أخصاص، وطعامهم السمك، وطير الماء فى جملة ما يتغذون به، ومن بعد منهم فى البرارى فهم مثل الأكراد.

---

(١) المسالك والممالك للاصطخري أو مسالك الممالك - مصر الإصطخري النص/٤٢

قد انتهينا فى حد المشرق إلى آخر حدود الإسلام، ونرجع إلى حد الروم غربا، فنصف أقاليمها إلى آخر الإسلام فى حد المشرق، فالذى نبتدئ به أرمينية والران وأذربيجان، وقد جعلناها إقليما واحدا.." (١)

"ولا تثلج وليس بارض مصر مدينة يجرى فيها الماء دائما غير الفيوم، والفيوم هذه مدينة وسطة يقال ان يوسف النبي عم اتخذ لهم مجرى يدوم لهم الماء وقوم بحجارة وسماه اللاهون واما النيل فان ابتداء مائه لا يعلم وذلك انه يخرج من مفازة من وراء ارض الزنج لا تسلك حتى ينتهى الى حد الزنج ثم يقطع فى مفاوز وعمارات ارض النوبة فيجرى على عمارات متصلة الى ان يقع فى ارض مصر، وهو نهر يكون عند امتداده اكبر من دجلة والفرات اذا جمعا وماؤه اشد عذوبة وحلاوة وبياضا من سائر انهار الاسلام، وفى هذا النهر يكون **التمساح** والسقنقور وسمكة يقال لها الرعادة لا يستطيع احد ان يقبض عليها وهى حية حتى يرتعش وتسقط من يده فاذا ماتت فهى كسائر السمك. واما **التمساح** فانه دابة من دواب الماء مستطيل الراس طول راسه يكون نحوا من نصف طول بدنه وله انياب لا يعض على دابة ما كانت من سبع او جمل الا مده فى الماء وربما خرج من الماء فمشى فى البر وليس له فى البر سلطان ولا يضر احدا وجلده يشبه السفن الذى تتخذ منه مقابض السيوف لا يعمل السلاح فيه الا تحت يديه ورجليه ومكان الابط، واما السقنقور فانه صنف من السمك الا ان له يدين ورجلين ويتعالج به للجماع ولا يكون فى مكان الا فى النيل وعلى حافات النيل من حد اسوان الى ان يقع فى البحر مدن وقرى." (٢)

"ثم صارت للنصارى ودينهم الدفن ثم صارت للاسلام، ورأيت عليهم اكفانا من جنس الخيش وجماجم وعظاما فيها صلابة الى يومنا هذا وعين شمس ومنف هما قريتان قد خربتا كل واحدة منهما من الفسطاط على نحو أربعة اميال وعين شمس من شمالى الفسطاط ومنف من جنوبيه ويقال انهما كانتا مسكنين لفرعون، وعلى رأس جبل المقطم فى قلته مكان يعرف بتنور فرعون يقال انه كان اذا خرج من احد هذين الموضعين يوقد فيه فيعد فى المكان الآخر ما يعد له وفى نيل مصر مواضع لا يضر فيها **التمساح** منها عند الفسطاط وبوصير وغير ذلك من اماكن معروفة وحوالى الفسطاط زرع ينبت مثل القضبان يسمى البلسان يتخذ منه دهن البلسان لا يعرف بمكان فى الدنيا الا هناك واما العباسة وفاقوس وجرجير فانها من أرض الحوف ويعرف شمالى النيل اسفل من الفسطاط بالحوف وجنوبيه بالريف ومعظم رساتيق مصر وقراها فى هذين الموضعين واما معدن الذهب فمن اسوان اليه خمسة عشر يوما والمعدن ليس فى ارض مصر ولاكنه

---

(١) المسالك والممالك للاصطخري أو مسالك الممالك - مصر الإصطخري النص/١٠٧

(٢) المسالك والممالك للاصطخري أو مسالك الممالك - ليدن الإصطخري ليدن/٥٠

فى أرض البجة وينتهى الى عيذاب، ويقال ان عيذاب ليست من ارض البجة وانما هى من مدن الحبشة، والمعدن أرض مبسوطة لا جبل فيها وانما هى رمال ورضراض ويسمى ذلك المكان الذى فيه مجمع الناس العلاقى، وليس للبجة قرى ولا خصب فيه غنآء وانما هم بادية ولهم نجب يقال ان ما فى النجب اسير منها ورقيقهم ونجبهم وسائر ما بارضهم يقع الى مصر." (١)

"٤ فراسخ وبانية هى بين المنصورة وبين قامهل على مرحلة من المنصورة واما انهارها فان لهم نهرا يعرف بمهران وبلغنى ان مخرجه من ظهر جبل يخرج منه بعض انهار جيحون فيظهر مهران بناحية الملتان فيجرى على حد بسمد والرور ثم على المنصورة حتى يقع فى البحر شرقى الديبل وهو نهر كبير عذب جدا ويقال ان فيه **تماسيح** مثل ما فى النيل وانه مثل النيل فى الكبر وجريه مثل جريه يرتفع على وجه الارض ثم ينضب فيزرع عليها مثل ما ذكرناه فى ارض مصر والسندروذ من الملتان على نحو من ثلاث مراحل وهو نهر كبير عذب بلغنى انه يفرغ الى مهران واما مكران فان الغالب عليها البوادى والمباخس وهى قليلة الانهار جدا ولهم ما بين المنصورة ومكران مياه من مهران كالبطائح عليها طائفة من السند يعرفون بالزط فمن قارب منهم هذا الماء فهم فى اخصاص وطعامهم السمك وطير الماء فى جملة ما يتغذون به ومن بعد منهم فى البرارى فهم مثل ال ا كراد قد انتهينا فى حد المشرق الى آخر حدود الاسلام ونرجع الى حد الروم غربا فنصف اقاليمها الى آخر الاسلام فى حد المشرق فالذى نبتدأ به ارمينية والران واذربيجان وقد جعلناها اقليما واحدا

ارمينية والران واذربيجان

فاما ارمينية والران واذربيجان فانا جمعناها فى صورة واحدة وجعلناها اقليما واحدا والذى يحيط بها مما يلى المشرق الجبال والديلم وغربى." (٢)

"لبسوا بعد التبابين ... نفيسات البرود

لازموا المسجد ضلالا ... من الأمر الرشيد

لحوانيت بنوها ... بفنا كل عمود

وتسموا وتكنوا ... بعد جرجه وشنود

وألاحوا بجباه ... من نطاح الحصر سود

---

(١) المسالك والممالك للاصطخري أو مسالك الممالك – ليدن الإصطخري ليدن/٥٤

(٢) المسالك والممالك للاصطخري أو مسالك الممالك – ليدن الإصطخري ليدن/١٨٠

تحت أميال طوال ... كبراطيل اليهود

نصبوها كالمقاعيد ... على رءوس القرود

وتراهم للوصايا ... وعدالات الشهود

في مراء وجدال ... وقيام وقعود

وخشوع وابتهال ... وركوع وسجود

وعلى القسمة أضرى ... من **تماسيح** الصعيد

وأشاروا للهدايا ... بأبي عبد الحميد

حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثني محمد بن عبد الصمد، عن أبي خيثمة علي بن عمرو بن خالد، عن أبيه، قال: "كان من أحسن ما عمله لهيعة في ولايته، أن قضى في أحباس مصر كلها، فلم يبق منها حبسا حتى حكم فيه، إما ببينة ثبتت عنده، وإما بإقرار أهل الحبس.

قال: فذكرت ذلك له يوما، وقلت له: لقد أحسن القاضي فيما فعل من ذلك.

فقال لي: يا أبا الحسن، كنت أحب ذلك من زمان، وسألت الله أن يبلغني الحكم فيها، فلم أترك شيئا منها حتى حكمت فيه، وجددت الشهادة به "

حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثني إبراهيم بن مطروح، قال: حدثنا عيسى بن لهيعة، أن أباه «حكم في أحباس مصر كلها، وجددها ما كان في أيادي القضاة منها، وما كان في أيدي أهلها»

حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا عاصم بن رازح، قال: سمعت نصر بن نصر، يقول: سمعت لهيعة بن عيسى القاضي، يقول: «أنا تاسع تسعة ولوا قضاء مصر من حضر موت»." (١)

"يخرج من مفاوز وراء بلاد الزنخ وقد رأيت فى رسالة جغرافيا أن مبدأ النيل بطيحتان مدورتان يصب الى كل واحدة خمسة أنهار من جبل القمر ويخرج من هاتين البطيحتين من كل واحدة أربعة أنهار الى بطيحة مدورة فى الإقليم الأول قطرها جزآن ومركزها عند طول نج «٤» والعرض من الإقليم الأول ب «٥» لآ ثم يخرج من هذه البطيحة نهر هو نيل مصر ويصب اليه نهر يجرى من عين يخرج من خط الاستواء عند طول نط لآ ويأتى الى قرب من بلد النوبة فينقسم قسمين يصب أحدهما الى النيل عند طول نج «٦» لآ والعرض عند يو لآ «٧» فى الإقليم الأول والثانى «٨» مصبه فى الإقليم الثانى عند طول نج «٩» لآ وعرض يح لآ ثم يمتد ولا يزال ينعطف انعطافات كثيرة ليس هذا موضع شرحها حتى يأتى الى اسوان ثم

---

(١) كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي الكندي، أبو عمر ص/٣٠٤

يمر الى مصر مماسا لها عند طول ند لآ والعرض كط لآ ثم يتفرق من مصر فى سبعة خلجان الى البحر الأول الى الإسكندرية عند طول نا م والآخر عند طول نج «١٠» لآ والثالث عند طول نج ل والرابع عند طول نج م والخامس عند نج نه «١١» والسادس عند طول ندك «١٢» والسابع عند طول ند ل كما نصوره فى الصفحة الأخرى من هذه الورقة والله الموفق،] وهو نهر يكون عند امتداده أكبر من دجلة والفرات إذا اجتمعا وماؤه أشد عذوبة وحلاوة وبياضا من سائر أنهار الإسلام [وهو متصل بالبرية التى لا تسلك لجنها] «١٥» ، وذكره بطلميوس فى كتاب جغرافيا «١٦» فلم يعز أصله الى مكان، ويكون فيه التماسيح والسقنقور وسمكة تعرف بالرعادة «١٧» لا يستطيع أحد أن يقبض عليها وهى حيه حتى ترتعش يده وتسقط منها فإذا ماتت فهى كسائر السمك، والتمساح دابة [٤٤ ب] من دواب الماء مستطيل الذنب والرأس ورأسه نحو نصف طول ذنبه وله أنياب لا تقبض بها على دابة ما كانت من سبع أو جمل إلا مده فى الماء وله على كل شيء سلطان إلا الجاموس فإنه لا قوام له بالكبير منها ويخرج من الماء فيمشى فى البر ويقيم فيه خارج الماء اليوم والليلة ونحو ذلك وليس سلطانه فى البر كسلطانه فى الماء وقد يتضرى «٢٣» بعضها فى البر على الناس فيكون من جاوره معه فى." (١)

"أذية حتى يحتال فى قتله وله جلد لا يعمل فيه شيء من السلاح إلا تحت إبطيه وباطن فخذيه، والسقنقور صنف يتولد منه ومن السمك فلا يشاكل السمك لأن له يدين ورجلين ولا التمساح لأن ذنبه أجرد أملس غير مضرس وذنب التمساح مسيف مضرس ويتعالج بشحم السقنقور للجماع ولا يكون بمكان إلا فى النيل [من حد اسوان] «٥» أو بنهر مهران من أرض الهند والسند وكذلك التمساح، وكانت مدينة اسوان ثغرا على النوبة قديما إلا أنهم اليوم مهادنون، (١٧) وبصعيد مصر من جنوب النيل معدن الزبرجد فى برية منقطعة عن العمارة ويكون من حد جزائر بنى حدان الى نواحى عيذاب «٩» وهى ناحية للبجة وقوم من العرب من ربيعة وليس بجميع الأرض معدن للزمرد غيره وفى شمال النيل جبل يمتد عليه الى الفسطاط يعرف بالمقطم فيه وفى نواحيه حجر الخماهن «١٢» وشيء من البلار وتحاده ناحية الزمرد ويمتد هذا الجبل الى أقاصى بلد السودان «١٣» وفيه بنواحى مصر قبر محمد بن إدريس الشافعى الفقيه رحمه الله فى جملة المقابر التى فى سفحه لأهل مصر ويقال أنه دفن بها من الأنبياء يوسف ويعقوب والأسباط وموسى وهرون وبها ولد عيسى عليه وعليهم السلم بكورة اهناس ولم تزل نخلة مريم [تعرف «١٧» باهناس الى آخر أيام بنى أمية، (١٨) ومن مشاهير مدنها وعجيب آثارها الإسكندرية وهى مدينة

---

(١) صورة الأرض ابن حَوْقَل ١٤٨/١

على نحر بحر الروم رسومها بينة وآثار أهلها ظاهرة تنطق عن ملك وقدرة وتعرف عن تمكن فى البلاد وسمو ونصرة «٢٠» وتفصح عن عظة وعبرة كبيرة الحجارة جليلة العمارة وبها من العمد العظام وأنواع الأحجار الرخام الذي لا تقل القطعة منه إلا بألوف ناس قد علقت بين السماء والأرض على فوق المائة ذراع مما يكون الحجر منها فوق رؤوس أساطين دائر." (١)

"يضر فيها **التمساح** كعدوة بوصير والفسطاط، ولعين شمس الى ناحية الفسطاط نبت يزرع كالقضبان يسمى البلسم يتخذ منه دهن البلسان لا يعرف بمكان من الأرض إلا هناك ويؤكل لحاء هذه القضبان فيكون له طعم صالح وفيه حرارة وحروفة لذيذة، وشبروا «٤» ضيعة فى وقتنا هذا جليلة فى محل مدينة يعمل فيها شراب العسل عند زيادة النيل فلا يخالط العسل والماء ثالث من خلط وهذا الشراب مشهور فى جميع الأرض لذته ومحل نشوته وخمر رائحته، والى جانبها قرية تعرف بدمنهور ويعمل بها بعض ما يعمل بشبروا وجميع مالها للسلطان، وفاقوس وجرجير مدينتان من أرض الحوف والحوف ما كان من النيل أسفل الفسطاط وما كان من النيل جنوبيه يعرف بالريف، ومعظم رساتيق مصر وقراها فى الحوف والريف، (٣٢) وأهلها نصارى قبط ولهم البيع الكثيرة الغزيرة الواسعة وقد خرب منها الكثير العظيم وفيهم قلة شر إلا مع عمالهم والمتقبلين لنواحيهم وكان فيهم أهل يسار وذخائر وأموال واسعة وصدقات ومعروف وأدركت من اليسار فيهم والمعروف منهم على المسلمين ما يطول شرحه ولم يك بشيء من البلدان ما يقاربه أو يدانيه، ومن أولاد القبط غيلان أبو مروان رئيس الغيلانية فرقة من الشيعة وآسية بنت مزاحم ومارية أم إبراهيم ابن نبينا عليه السلام وهاجر أم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلم، وربما ولدت المرأة [القبطية الولدين والثلاثة والأربعة فى بطن واحد بحمل واحد وليس ذلك] «٢٠» بمكان ولا فى شيء من البلدان ولا ذلك بالخصوص بل ربما جرى فى السنة دفعات وذلك أن ماءهم على قولهم أنيث يريدون ماء النيل وفيه «٢٢» خاصية لذلك على قولهم، ومما يقارب ذلك وليس بالمنتشر العلم ولا فى جميع الأقطار أن غنم تركستان تلد الشاة فى." (٢)

"المنصورة وقامهل على مرحلة من المنصورة وقامهل على مرحلتين من المنصورة «٢» ، (١٤) وأما أنهارهم فأعظمها نهر مهران ومخرجه من ظهر جبل يخرج منه بعض أنهار جيحون وتمده أنهار كثيرة وعيون غزيرة ويظهر على توافره بناحية الملتان فيجرى على حد بسمد «٥» ويمر بالرور ثم على المنصورة حتى يقع

---

(١) صورة الأرض ابن حَوْقَل ١/ ١٥٠

(٢) صورة الأرض ابن حَوْقَل ١/ ١٦١

فى البحر شرقى الديبل وهو نهر كبير عذب جدا وفيه التماسيح كتماسيح النيل وهو كالنيل فى الكبر وجريه كجريه بماء الأمطار الصيفية ويرتفع على وجه الأرض ثم ينضب فيزرع عليه حسبما يزرع بأرض مصر، [٩٢ ب] والسندروذ «٩» من الملتان على نحو ثلاثة أيام وهو نهر كبير عذب يفرع الى مهران قبل بسمد «١٠» وبعد الملتان، ونهر الجندرور نهر أيضا كبير عذب طيب وعليه مدينة الجندرور ويفرع الى مهران دون السندروذ «١١» الى نواحى المنصورة، والغالب على أرض مكران البوادى والزروع البخوس لأنها قليلة الأنهار جدا وفيما بين المنصورة ومكران مياه من مهران كالبطائح عليها طوائف من السند يعرفون بالزط فمن قارب منهم هذا الماء فهم بأخصاص كأخصاص البربر وطعامهم السمك وطير الماء فى جملة ما يغتذون به ولهم سموك كبار جليلة وليس أغذيتهم من السمك كأغذية أهل الشحر من سمك الورق «١٧» الذي أكبر ما يكون منه كالإصبع [ودونها] «٢٢» ، ومن بعد من الزط عن الشط فى «١٨» البوادى فهم كالأكراد يتغذون الألبان والأجبان وخبز الذرة، (١٥) وقد انتهيت من حد المشرق الى آخر حدود الإسلام [ولم أقصر إن شاء الله] «٢١» فيما قصدت ولا أعلمنى توخيت فيه زيادة لتجمل ولا نقصا لناحية إزراء وتقول،." (١)

"٧- الفيوم:

مدينة تقع إلى الغرب من النيل «١» ، وفيها مياه جارية إضافة إلى النيل.

٨- بوصير:

مدينة إلى الشرق من النيل «٢» ، ومنها السحرة الذين كانوا مع فرعون وجاءوا بالسحر.

وتكثر في نهر النيل التماسيح في كل مكان منه حتى إنها تختطف الناس والمواشي من على ضفاف النهر، وحين تصل إلى هذه المدينة تضعف ولا تستطيع إيذاء أحد بسبب طلسم صنع هناك، بحيث يستطيع الأطفال إمساكها والركوب عليها ويتجولون دون أن تلحق بهم أي أذى؛ بينما تلحق الأذى بكل مكان تصله غير هذه المدينة.

٩- الأشمونين، إخميم، بلينا:

ثلاث مدن تقع إلى الغرب من نهر النيل، عامرة نزهة وفيرة النعم تكثر فيها أشجار الأبنوس.

١٠- أسوان:

آخر مدينة في مصر، وهي ثغر في مقابل النوبيين على غرب النيل، وهي غنية وأهلها مقاتلون. وتوجد في

---

(١) صورة الأرض ابن حَوْقَل ٢/٣٢٨

الجبال القريبة منها في الواحات معادن الزمرد والزبرجد التي لا توجد في أي مكان آخر من العالم. وفي جبال الواحات توجد الخراف الوحشية. كما توجد بعد أسوان على الحد بين مصر والنوبة الحمر الوحشية الكثيرة المرقطة والسود والصفر، وخراف صغار حين يخرجون من تلك الأرض يموتون.." (١)

"٩- طرطوشة:

مدينة عامرة على ساحل بحر الروم، متصلة بحدود غلجسكش والإفرنجة وهما من بلاد الروم.

١٠- بلنسية، مرسية، بجانة:

مدن تقع على على ساحل خليج بحر الروم، وهي ذوات نعم.

١١- مالقة:

مدينة على ساحل بحر الروم، ترتفع منها جلود **التماسيح** التي تصنع منها مقابض السيوف الصلبة جدا.

١٢- الجزيرة:

مدينة على ساحل؛ وهي أول بلاد المسلمين، وتبدأ الأندلس منها.

١٣- شذونة، إشبيلية، أخشنبة:

مدن على ساحل بحر الأوقيانوس المغربي، قليلة النعم والسكان «١» .

١٤- شنترين:

آخر مدينة من حدود الأندلس، تقع على ساحل بحر الأوقيانوس.

يرتفع منها العنبر الأشهب الذي هو في غاية الجودة.

فلم يبق في حدود المغرب أي مكان آخر.." (٢)

"كأن راكبها إذ جد مرتحلا ... بالسير منها مقي غير مرتحل

لجامها في يد النوتي من دبر ... مقوم زيغها والميل من قبل

ما زال سائقها يجرى على مهل ... جريا يفوت اجتهاد الخيل والإبل

حتى تناهضت إلى حيث انتهى شرف الد ... نيا وأشرف باغيها على الأمل

وأيضا:

مخضرمة الجنبين صادقة السرى ... تراقب من ذي الركب ما لا يراقبه

---

(١) حدود العالم من المشرق الى المغرب مؤلف: حدود العالم من المشرق إلى المغرب ص/١٧٩

(٢) حدود العالم من المشرق الى المغرب مؤلف: حدود العالم من المشرق إلى المغرب ص/١٨٣

تكاد نفوس القوم تجرى يجريها ... إذا غالبت من موجه ما تغالبه

يصد حباب الماء عن جنباتها ... إذا البحر ساحت في السفين مراكبه

وللحسين بن الضحاك:

إلى سر من را والمصيف وظله ... دأبنا وأدأبنا السفين المقيرا

تكابد أنفاس الهجير روائحا ... وتخطر في برد من الليل أخضرا

إذا ما استخفتها الرياح حسبتهانسورا تلت في لامع الليل أنسرا

تقيم على قصد الطريق صدورها ... شكائم في الأذناب ساجا وعرعرا

وللعباسي:

زنجية كردية الحلى فوقها ... جناح لها فرد على الماء يخفق

يؤدبها أولادها بعصي۰م ... فتحبس قسرا كيف شاءوا وتطلق

وله في سمارية:

كأني حين تعتذر المطايا ... على فتخاء ناشرة جناحا

بخرق تقصر الألحاظ عنه ... بعيد الماء يبتلع الرياحا

ولبعض المحدثين في سماريات:

والماء تهوى تارة ... فيه سفائنه وتصعد

فكأنهن عقارب ... دبت على صرح ممرد

ومما يدخل في هذا الباب قول محمد بن أبي عينية يصف البصرة وهي تجمع البر والبحر:

يا جنة فاتت الجنان فما ... تبلغها قيمة ولا ثمن

ألفتها فاتخذتها وطنا ... إن فؤادى لحسنها وطن

زوج حتانها الضباب بها ... فهذه كنة وذا ختن

فانظر وفكر فيما تطيف به ... إن الأديب المفكر الفطن

من سفن كالنعام مقبلة ... ومن نعام كأنه سفن

ويدخل في هذا الباب قول علي بن العباس:

ولم أتعلم قط من ذي سباحة ... سوى الغوص والمضعوف غير مغالب

ولم لا ولو ألقيت فيها وصخرة ... لوافيت منها القعر أول راسب

وأيسر إشفاقي من الماء أنني ... أمر به في الكوز مر المجانب

وأخشى الردى منه على كل شارب ... فكيف بأمنيه على كل راكب

وقد ألم علي في هذا المعنى بقول أبي نواس، وهو ماحدثنا به محمد به يحيى قال: حدثنى علي بن سراج، عن أبي وائل اللخمي قال: حدثني إبراهيم بن الخصيب قال: وقف أبو نواس بمصر على النيل، فرأى رجلا قد أخذه التمساح فقال:

أضمرت للنيل هجرانا ومقلية ... إذ قيل لي إنما التمساح في النيل

فمن رأى النيل رأى العين من كثب ... فما أرى النيل إلا في البواقيل

البواقيل: الكيزان، واحدها بوقال.

باب

في الرياع والمنازل والأطلال

وذكر السراب والآل." (١)

"في بحر الصين بعد ما يلقاه [١] عدة انهار في الأقاليم وطعم مائه ولونه وزيادته وكون التماسيح فيه كالنيل [٢] واما نهر الرس والملك والكر فانهن يخرجن [٣] من بلاد الروم فيسقين إقليم الرحاب ثم يفضن [٤] في بحيرة الخزر [٥] واما انهار [٦] الأهواز فإنها عدة انهار تنحدر [٧] على الإقليم من الجبال ثم تجتمع بحصن مهدى وتفيض في بحر الصين عند عبادان [٨] ، ووجدت في كتاب ٥ بالبصرة اربعة انهار من الجنة في الدنيا النيل وجيحون والفرات والرس واربعة من انهار النار الزبداني والكر وسنجة [٩] والسم واما نهر المروين وهراة وسجستان وبلخ فإنها تخرج من اربعة [١٠] جوانب بلد الغور ثم تنحدر الى هذه الكور فتسقيها [١١] واما طيفورى [١٢] فإنه ينحدر من جبال جرجان فيسقى [١٣] الكورة، ونهر الرى يخرج من فوق البلد من شبه فوارة ثم ينشعب [١٤] وينحدر ١٠ على البلد، وزندرود ينحدر من جبال أصفهان ثم يدخل اليهودية [١٥] ويسقى الكورة [١٦] ، واما انهار فارس فإنها [١٧] تفيض في خمس بحيرات في الإقليم [١٨] ونهر

[(،)] وطوله في الإسلام ثلاثمائة ميل وسائر انهار الشام من بلاد الروم الى بحر الروم الا بردا فإنه يتفجر من جبال فوق دمشق ويشق القصبة ويسقى الكورة ثم ينقسم بقسمين قسم يتبحر شرقى الكورة وقسم ينزل

---

(١) الأنوار ومحاسن الأشعار الشمشاطي ص/٨٠

الى الأردن ويقر في البحيرة المقلوبة بعد ما يلقاه عدة من الأنهار ويخرج منه خليج الى انطاكية يقلب. في بحر الروم

[١] . تلقاهC, Bsinepunctis

[٢] . وخروجه بقرب أول جيحونCprohis:

[٣] . فمخرجهنC

[٤] . يعضنB

[٥] . ومقرهن ببحر الخزرCProhis:

[٦] . نهرC

[٧] . على الإقليم ؛deindeCom.تنحدرB

[٨] شرقى عبادان ودجلة غربيها.C ووجدت- والسم.Deindeom.verba وعبادان جزيرة بينهما

De. [٩] وسبخه.uentiincertussum.Cf.Rankingadvers.p.B٣٨.

[١٠] . اربعBetC

[١١] واما انهار خراسان فإنها تنحدر من اربع جوانب الغور فتسقى الكورC

[١٢] . فإنه omisso (sic) وطيقورىC

[١٣] . فتسقىC

Com. [١٤] تنشعب.B على البلد

[١٥Com. [

[١٦] ونهر السغد ينحدر من الجبال ثم يمد.Caddit:الى بخارا فيشق البلد وله بحيرة خلف الصغانيان

[١٧] بن.Bom.utquoqueC وانهارsedhichabet

،useapitisomissis. [١٨] الأقاليم C." (١)

"ريح [١] الشمال تراكضت أمواج البحر ودفعت ماء النيل من البحيرة فإذا هبت الجنوب ردت ماء البحر عن البحيرة وغلب عليها النيل وملأ أهل تنيس [٢] صهاريجهم في تلك الأشهر الأربعة بالروايا والقرب وسمعت جماعة بالفرما يذكرون ان النيل ربما بلغ المناير، ويصل [٣] النيل أيضا الى [٤] قصبة الاسكندرية ويدخلها [٤] في شباك حديد فيملون [٥] صهاريجهم ثم ينقطع وفي النيل دابة تسمى **التمساح** على شبه

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٢٣

الحرذون رأسه ثلث بدنه [٦] لا يعمل فيه السلاح الا تحت إبطيه وفمه يختطف الإنسان وأكثر ما يظهر [٧] بالصعيد وسردوس، ومن أمثالهم احذر سردوس، ولو كان الماء في قدوس،، والقادوس كوز الدولاب، وكنت يوما في سفينة عند سردوس فحكت فقلت أبالأرض حكت قيل لا ولكن بظهر تمساح [٨] ولم يكن النيل يبلغ للفيوم فشكوا ذلك الى يوسف عم فبنى وسط النهر سدا عظيما وجعل في [٤] أسفله منافس في قنى زجاج فرد السد الماء فارتفع [٩] حتى حاذى ارض الفيوم فسقاها فهي اليوم [١٠] أكثر لرض مصر ماء الا ترى ان بها مزارع الارز أولا ترى الى ثقل خراجها وكثرة دخلها [٤] والماء حين زيادته [١١] ينهال من فوق السد فربما خلوا المراكب مع الجرية [١٢] فانحدرت سالمة وربما عطفت فانقلبت [١٣] فإذا استغنوا عن الماء فتحت المنافس وانحط الماء وكلما قرب الى النيل من الآبار [١٤] حلوة وما بعد كريهة وأطيب الحمامات ما كان على الشط ولهم قنى تدخل البلد يستقى لها الماء بالدواليب وعلى النيل أيضا دواليب كثيرة تسقى البساتين وقت نقصانه [١٥] ، وماء الفيوم حار [١٦] لانه يجرى على مزارع الرز [١٧] وهم يقولون ان الجدي أول ما يولد يقول اخرجوا يا غربلة، وبالإسكندرية سمك مخطط [١٨] يسمى الشرب [١٩] من اكل منه راى منامات وحشة الا ان يكون ممن

---

[١] ، أرياحC

[٢] . فحلت بحيرة تنيس فملئواC

[٣] . اليهم ويدخل.C إلينا inBscriptumest النيلpro

[٤Com. [

[٥] ثم etom.منه.Cadd.ينقطع

[٦] . جثتهC

[٧] . يضرC

[٨] وبينا نحن نسير سردوس إذ حكت.C السفينة فقالوا هذا تمساح

[٩] . وارتفعC

[١٠] . منCadd.

[١١] . جيز زيادةC

[١٢Csinepunctis. [

[١٣] . انقلبتCtantum

[١٤] . من الأبار الى النيلc

c. [١٥] وعلى النيل دواليب تسقى البساتينtantum

[١٦] . ٨ بن. Cf.infra٤٣٦ ردىc

[١٧] . الارزc

[١٨] . سمط محيطc

[١٩] . السرب c." (١)

"وقرأت في كتاب الطلسمات انهما طلسمان للتماسيح ويجوز هذا الا ترى ان التماسيح في كورة الفسطاط [١] لا تضر [٢] مع عظمها وكثرتها، وفي الفسطاط [٣] عند قصر الشمع امرأة ممسوخة [٤] على رأسها سفل من حجر يقال انها كانت غسالة لآل فرعون وانها [٥] آذت موسى فمسخت على طريق الصعيد بيوت تسمى البرابي فيها تصاوير كثيرة وبها وبالهرمين عقود وطروح كثيرة [٦] ، بحلوان مغاير عجيبة منكرة يتيه الإنسان فيها وذكروا [٧] ان فيها طريقا [٨] الى القلزم أملس كأنما اجرى عليها الماء المالح [٩] منارة الاسكندرية قد ارسى أساسها في شبه جزيرة صغيرة يدخل اليها في طريق ضيقة [١٠] بالصخر محكمة فالماء [١١] يسطع المنارة من جانب الغرب وكذلك حصن المدينة الا ان المنارة في جزيرة وفيها [١٢] ثلاثمائة بيت يصعد الى بعضها الفارس بفرسه والى كلها [١٣] بدليل وهي مشرفة على جميع مدن البحر ويقال انه كان [١٤] فيها مرآة يرى فيها كل مركب اقلع من سواحل البحر كلها وانه ما زال عليها قيم ينظر فيها كل يوم وليلة فإذا تراءى له مركب اعلم الأمير فأنفذ الطيور الى السواحل ليكونوا على عدة فبعث كلب الروم من احتال وتلطف حتى جعل قيما ثم ذهب بها وقيل بل كسرها وطرحها في البحر، وفي كتاب الطلسمات انها بنيت طلسما لئلا يغلب ماء البحر على ارض مصر وان كلب الروم احتال في هدم رأسها من أجل ذلك فلم يصل اليه [١٥] بالجفار طلسم للرمال [١٦] حتى لا تغلب على المدن والقرى ولا تكون الطلسمات الا بمصر والشام ويقال هي من عمل الأنبياء ورأيت [١٧] بفارس أيضا طلسمات وأسماء شهورهم القبطية أول الشتوية توت وفيه النيروز بابه [١٨] هتور كيهك

---

[١] . هذه الكورةc

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٢٠٨

[٢] . تؤذىC

[٣] . بالفسطاطC

pro [٤] سفره.Com.B اجانة ١٣ بن Cf.Ibnal -FaqIh (Cs.p.) ٦٠ سفل

[٥] . وكانتC

Com.Deinde. [٦] بمدينة حلوانC

[٧] . فيها الإنسان ذكرواC

[٨] . طرق ،C طريقB

[. ٩C] وثم حمام فوقه حمام اخرprohis:

[١٠] . ضيقB

[١١] . والماءC

[١٢] دخلة في.C البحر فيها

[١٣] . بقيتهاC

[١٤] . انC

[١٥] . فما ضرC

[١٦etmoxC] الرمال) .B يغلب (B؟ يغلب

[١٧] . وقد رأيتC

[١٨] ٢٦٣ بن.Vid.MaqrIzII بان ،C باب.B كهيك et همر ٢٨et Mas udIIII,

.Deindec٣٩٩,p. [؟]."(١)

"يسمى الكيجى يزن أربعين منا حنطة ربما وجد ثمانية بدرهم الى اربعة واسم كيل الملتان مطل يزن اثنى عشر منا حنطة [١] وتسمى دراهم السند القاهريات لكل واحد خمسة ولهم الطاطرا في الواحد درهمان الا ثلثا ودراهم الملتان على عمل دراهم الفاطمى وينفق فيها القنهرى [٢] الذي بغزنين يشبه القروض باليمن الا ان القروية عندهم اجل [٣] وخصائصهم ليمونتهم وهي ثمرة مثل المشمش حامضة جدا واخرى مثل الخوخ يسمونه الانبج لذيذ والفالج الذي تراه بالمشرق وفارس يولد البخاتي وهو أعظم من البخت له سنامان مليح لا يستعمل ولا يملكه الا الملوك ولا تكون البخت الا منه، والنعال [٤] الكنباتية [٥] في أهل مكران

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٢١١

غبا [٦] ألوانهم سمرة ولسانهم وحش يلبسون القراطق ويسبلون الشعور ويشققون الأذان مثل الهند وأكثر نواحي الإقليم على ما ذكرنا ومهران لا يخالف النيل [٧] في شيء من الحلاوة والزيادة وكون **التماسيح** فيه [٨] وخروجه من الناحية التي يظهر منه بعض شعب [٩] جيحون قبل

---

[١] . ومن طوران مكي واسم كيل الملتان مطل تزن (يزن l.اثنى عشر منا.c حنطة ومنهم مكي ولأهل طوران الكيجى تسع أربعون (أربعين l.منا حنطة. ثمنه من درهم الى اربعة

[٢] . الفهريB

[٣] ونقودهم الدراهم تسمى c القنهريات يزن الدرهم خمسة ولهم الطاطرا يزن درهمين الا ثلث (ثلثا l. LectioB.وأرطال الملتان ونقودهم مثل التي للمغربى وينفق فيهم القنهريات. ١٤ بن IbnH ٢٢٨ القندهاريات estPro القنهريات .estinIst ١٧٣ lectio, القاهريات

[٤] . والبغالB

[٥] والخصائص ثمرة مثل المشمش تسمى الليمونة (الليموية cod) c.حامضة جدا واخرى مثل الخوخ تسمى الانبج (الابيح cod).لذيذة ومن عندهم يحمل الفالج لنتاج البخاتي وهو أعظم من البخت له سنامان لا يوجد الا عند ورسومهم يرسلون الشعور مسبلة ويلبسون القراطق ويشققون.Deindehabet:الملوك الأذان مثل الهند ويكثرون لبس الأزر الا التجار والمشايخ واقل ما يلبسون الخفاف وأهل الملتان لا يحنكون العمائم وفي أهل مكران غبا وسمرة وكلامهم يشاكل. أصوات الطيور

[٦Bom. [

[٧] . ولهم انهار اما مهران فلا يخالف نيل مصرC

[٨Com. [

[٩] . بقرب أول مخرج c." (١)

"٩٢٩- فلان أضرط الناس في دار فارغة.

فإذا كان خبيث الباطن، لين الظاهر، قالوا:

[٩٣٠]- هو ماء تحت التبن.

وفي قريب منه:

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٤٨٢

٩٣١- فلان يخنق بالزبد. أي: يخاشن باللين، وينال حاجته بالرفق.

فإذا كرهت أحدا، وتأذيت به، وخفته، قلت:

٩٣٢- إذا رأيت فلانا رأيت **التمساح** في الماء.

فإذا رأيته قد هاج واغتم بشيء ورد عليه، قلت:

٩٣٣- قد لسعه الحربش «١» . والحربش: صنف من الحيات دقيق خبيث.

فإذا كان يعرض غيره لما يخافه، ويبريء نفسه، قيل:

٩٣٤- هو يصطاد العقارب بيد غيره.

فإذا كان رفيعا فصار وضيعا، قيل:

---

[٩٣٠]- المجمع ٢: ٤١٠.." (١)

"[١٣٣٦]- كأنه سنور عبد الله. وذلك إذا كان لا يزيد «١» سنا إلا ازداد نقصانا وجهلا. وفيه يقول المحدث [من الطويل] :

كسنور عبد الله بيع بدرهم ... صغيرا، فلما شب بيع بقيراط «٢»

وإذا كان يكافيء بالخير شرا، قلت:

١٣٣٧- كافأنا كما يكافيء **التمساح**. ومكافأة **التمساح**، كلاهما.

وقيل:

١٣٣٨- كأنه زنبيل الحوائج. إذا كان ممتهنا مبتذلا خسيسا.

١٣٣٩- وكأنه مالك لا يرحم من بكى. إذا كانت به قسوة.

وتقول في الجسيم الجبان:

١٣٤٠- كأنه حبارى.

وفي الوحش:

[١٣٣٦]- ينظر ثمار القلوب: ٤١١، والمجمع ٢: ١٧٣.." (٢)

---

(١) الأمثال المولدة الخُوَارِزْمي، أبو بكر ص/٢٢٨

(٢) الأمثال المولدة الخُوَارِزْمي، أبو بكر ص/٣٠٣

"إلى الماء فيجري الماء بإذن الله عز وجل، والتمساح إذا خرج من النيل فينام على الأرض ويفتح فاه فيجيء طير يسمى الطيطوي ويدخل في فمه وينظفه من الدود، أبد الدهر أرزاق تلك الطيور من ذلك. وفي المغرب موضع يتولد من الطين والماء منه الفأرة. وفي دامغان عين من شرب منه يطلق بطنه فإذا حمل ونقل من موضعه يتحجر وإن احتاجوا إلى الريح وقت الدياس ألقوا خرقة حيض في العين فتهيج الريح، وبحد العراق عين يأوي إليها العباد وكل من به مرض أو ألم يشرب من مائها يبرأ من المرض، وفي أرض سقلاب نهر في كل سبت يجري ماؤه ثم يجف في الباقي، وفي حد أرض الأندلس نهر عظيم لا يعبر به الفارس والراجل إلا يوم السبت وعلى طريق النهر صنم معمول مكتوب على صدره من عبر ورأى لا يرجع. وفي حد الموصل قرية فيها رحى آلاتها من الحجر فإذا أرادوا أن يطرحوا الغلة يقولون بحق يونس إلا وقفت فيقف الحجر. وفي رستاق الطبرية نهر جار نصف مائه حلو ونصفه بارد. وبحد كرمان نهر عليه جسر من الحجر فكل من يعبر عليه يتقيأ ولو كانوا عشرة آلاف رجل.

وبطوس عين من اغتسل بمائها تأخذه الحمى في الحال. وفي نهر كرسمك يدعى طريحا من أكل من ذلك السمك يعمى، وبين البصرة والأهواز نهر في كل وقت يعلو الماء على قدر." (١)

"قصة ابن التمساح

وحكى أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب المعروف بالحاتمي، قال: رأيت بمصر رجلا يعرف بابن التمساح، فسألت جماعة من أهل مصر، من العامة، عن ذلك.

فقالوا: هذا وطئ التمساح أمه، فولدته.

فكذبت ذلك، وبحثت عن الخبر، فأخبرني جماعة من عقلاء مصر، أن التمساح بها يأخذ الناس من الماء فيفترسهم.

وربما أخذهم وهو شبعان، فيحمل المأخوذ بيده على صدره، حتى يجيء به إلى أجراف أسفل مصر بمسافة، وهي جبال حجارة فيها مغارات إلى النيل، لا يصل إليها الماشي ولا سالك الماء لبعدها عن الجهتين.

فيتسلق التمساح إلى بعض المغارات، فيودع بها الإنسان الذي أخذه، حيا أو ميتا بحسب الاتفاق ويمضي. فإذا جاع ولم يظفر بشيء، عاد إلى الموضع فيفترس الإنسان الذي خبأه هناك.

قال: فكان قد قبض على امرأة في بعض الأوقات، فجعلها في المغارة، فذكرت المرأة: أنها حينما استقرت

---

(١) مفيد العلوم ومبيد الهموم الخُوَارِزْمي، أبو بكر ص/٥٥٣

في المغارة، وانصرف التمساح، رأت هناك رجلا حيا، وآثار جماعة قد افترسهم التمساح.

وأنها سألت الرجل عن أمره، فذكر أن التمساح تركه هناك منذ يومين.

قالت: وأخذ الرجل يؤانسني بالحديث، إلى أن طالبني بنفسي.

فقلت: يا هذا اتق الله.

فقال: التمساح قد مضى، ومن ساعة إلى ساعة فرج، ولعل أن تجتاز بنا." (١)

"سفينة قبل عودته فنطرح أنفسنا إليها.

فوعظته، فلم يلتفت إلى كلامي، واغتصبني نفسي، فواقعني.

وما نزل حتى جاء التمساح، فأخذه من فوقي، ومضى، فبقيت كالميتة فزعا.

فأنا كذلك، إذ سمعت وقع حوافر الخيل، وصوت أقدام كثيرين، فأخرجت رأسي من الغار، وصحت واستغثت، فاطلع أحدهم.

وقال: ما أنت؟ فقلت: حديثي طريف، أرموا لي حبلا أتخلص به إليكم.

فرموا لي حبلا، فشددت نفسي، واستظهرت جهدي، وأطراف الحبل في أيديهم.

فقلت: اجذبوني.

فجذبوني، فصرت معهم على ظهر المغارة، بعد أن توهنت، وتسلخت يدي.

فسألوني عن خبري، فأخبرتهم، فأركبوني شيئا، وأدخلوني البلد، فلما كان وقت عادة حيضي، تأخرت عني، ثم ظهر الحمل، فولدت ابني هذا بعد تسعة أشهر.

وكرهت أن أخبر كل أحد بهذا الحديث، فنسبت ذلك إلى التمساح، وأستتر أمري بذلك.." (٢)

"(جزتنا بنو سعد لحسن فعالنا ... جزاء سنمار وما كان ذا ذنب)

وقال غيره

(جزاني جزاه الله شر جزائه ... جزاء سنمار بما كان قدما)

والناس يقولون في هذا المعنى جازاه مجازاة التمساح ويحكون أن التمساح يأكل اللحم فيدخل في خلال أسنانه فيفتح فاه فيجيء طائر فيسقط عليها فيخللها ويأكل اللحم فيكون طعاما للطائر وراحة للتمساح فربما ضم التمساح فاه على الطائر فيقتله

---

(١) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ١٦٨/٤

(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ١٦٩/٤

وروي فيه خرافة فتركتها

وأعجب من هذا الطائر طائر يطير في البحر ويتبعه طائر صغير لا يفارقه حيث يذهب فإذا أضجره ذرق فلا يخطىء فمه فيبتلعه وينصرف ويتركه

٤٤٢ - قولهم جانيك من يجني عليك

يقال ذلك للرجل يأخذ البرىء بجرم المجرم

ويقولون لا تجني يمينك على شمالك والمعنى أن القريب لا يؤخذ بذنب القريب

وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم لرجل وابنه (لا يجني عليك ولا تجني عليه) فالمعنى أن الرجل إذا قتل رجلا خطأ لم يؤخذ بالدية ولا ابنه ولا بنو أعمامه ويقولون (كل شاة تناط برجليها)." (١)

"الباب السابع عشر

فيما جاء من الأمثال في أوله ظاء

فهرسته

الظلم مرتعه وخيم

ظهر بحاجته

ظمء حمار

فهرست الأمثال المضروبة في التناهي والمبالغة الواقع في أوائل أصولها الظاء

أظلم من حية

أظلم من حية الوادى

أظلم من أفعى

أظلم من ورل

أظلم من ذئب

أظلم من **تمساح**

---

(١) جمهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ٣٠٦/١

أظلم من شيب

أظلم من حبارى

أظلم من فلحس

أظلم من صبى

أظلم من ليل

أظمأ من رمل

أظمأ من حوت

أظمأ من حجر

أظل من حجر." (١)

"١١٦٨ - أظلم من أفعى

قال الراجز

(وأنت كالأفعى التي لا تحتفر ... وتغتدى سادرة فتحتجر)

١١٦٩ - أظلم من ورل

وذلك أنه مثل الحية إذا قصد جحرا أخلاه له أهله وهربوا منه لخشونة بدنه

١١٧٠ - أظلم من الذئب

وأصله أن أعرابيا ربى ذئبا فلما شب افترس سخلة له فقال الأعرابى

(فرست شويهتى وفجعت طفلا ... ونسوانا وأنت لهم ربيب)

(نشأت مع السخال وأنت طفل ... فما أدراك أن أباك ذيب)

(إذا كان الطباع طباع سوء ... فليس بمصلح طبعا أديب)

وقال آخر

(وأنت كذئب السوء ليس بآلف ... أبى الذئب إلا أن يخون ويظلما)

١١٧١ - أظلم من **التمساح**

وقد مر حديثه." (٢)

---

(١) جمهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ٢٧/٢

(٢) جمهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ٣٠/٢

"والشاعر قد فرغ من هذا المعنى وسيره في قريضه المشهور المتداول حيث يقول:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

على أن هذا الشاعر قد أثبت العيب وإن كان قد وصفه بكلول العين عنه، ودل على المساوي وإن كان السخط مبديها، وهذا لأن الهوى مقيم لابث والرأي مجتاز عارض، ولا بد للهوى من أن يعمل عمله، ويبلغ مبلغه، وله قرار لا يطمئن دونه، وحد هو أبدا يتعداه ويتجاوزه، وله غول تضل، **وتمساح** يبتلع، وثعبان – إذا نفخ – لا يبقي ولا يذر، والرأي عنده غريب خامل، وناصح مجهول.

وقال بعض الحكماء: فضل ما بين الرأي والهوى أن الهوى يخص والرأي يعم، والهوى في حيز العاجل، والرأي في حيز الآجل، والرأي يبقى على الدهر، والهوى سريع البيود كالزهر، والرأي." (١)

"١٤٠ – قال صاحب الكتاب: ويقال السلطان إذا كان صالحا ووراءه وزراء سوء منعت الخاصة خيره والعامة عدله. مثل الماء الصافي العذب فيه **التماسيح** فلا يستطيع أحد دخوله والاستسقاء منه وان كان محتاجا.

" ١٨٣ " قال الفرزدق أيضا:

لئن كنت ملكا ذا صلاح مطهرا ... لمن وزراء السوء أنت معيب

أليس الذي تختصه غير آيب ... بخير ولا راج جداك غريب

ولا العدل نرجوه الأنام فما لنا ... إلى غير باري الخلق فيك مجيب

" ١٨٤ " وقال جرير لابن عمر بن عبد العزيز:

لئن كنت ممنوعا نوالك إنه ... ليحرمنيه ظالم وحسود

كما حرم الرواد مرتع روضة ... حمت سبلها من أن ترام أسود

١٤١ – قال صاحب الكتاب: ويقال يصيب الملك الظفر بالحزم والحزم باجالة الرأي والرأي بتحصين الأسرار.

" ١٨٥ " قال أمية بن أبي الصلت:

بالحزم تظفر قبل البأس والجلد ... والحزم بالرأي تجنيه مدى الأبد

والرأي تحصين أسرار تروم بها ... إدراك حاجك في قرب وفي بعد

---

(١) أخلاق الوزيرين = مثالب الوزيرين أبو حيّان التوحيدي ص/١٧

" ١٨٦ " أخذ هذا المتنبي فقال:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هي أول وهو المحل الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفس حرة ... بلغت من العلياء كل مكان

١٤٢ - قال صاحب الكتاب: يطلع على أسرار الملوك من قبل أربعة وجوه: من قبل النساء أو من قبل صاحب الرأي أو من قبل الحشم أو من الرسل المستعلمين الخبر.

" ١٨٧ " قال القطامي: فحصن السر عن قوم ذوي ثقة من النساء وعن ذي الرأي والحشم

١٤٣ - قال صاحب الكتاب: ويقال من حصن سره كان له من تحصينه أمران: إما ظفر بما يريد وإما السلامة من عيبه وضرره، ان أخطأه ما كان يؤمل من الظفر.

" ١٨٨ " قال عبيد بن الأبرص الأسدي:

أحصن سري فالسلامة ستره ... من العيب إن أخطأت ما كنت أطلب

فإن أنا لم أخطئ وكنتمظفرا ... فستر الذي قد كان مني أصوب

١٤٤ - قال صاحب الكتاب: ويقال إذا كان الملك محصنا للأسرار متخيرا للوزراء مهيبا عند العامة بعيدا من أن يعلم ما في نفسه أحد، لا يضيع عنده حسن بلاء ولا يسلم منه ذو جرم وكان مقدرا لما يفيد وما ينفق كان خليقا بأن لا يسلب صالح ما أوتي.

" ١٨٩ " قال عدي بن زيد في المروداخ بن بخت نصر وضربه مثلا للنعمان بن المنذر في حبسه:

ألا في الول الماضي اعتبار ... لذي عقل أخي فهم بصير

تخير للوزارة من رعاه ... بإشفاق ونصح في الأمور

وحصن سره فعلا مهيبا ... يجازي القل بالجم الكثير

من الإحسان والإكرام فعلا ... يزان به إلى يوم النشور

وأنفق ما أفاد بحسن هدي ... وتقدير بلا سرف مبير

وأجمل في الرعية منه رأيا ... كفاه علم أخبار الخبير

يلاحظ من دنا بثبات ذهن ... فيعلم بالضمير هوى الضمير

وواتاه الزمان تدبير وحزم ... من الموت المنغص للسرور

وما يبقى على الأيام باق ... سوى ذي العزة الرب القدير

١٤٥ - قال صاحب الكتاب: ويقال من السر ما يدخل فيه الرهط، ومنه ما يدخل فيه الرجن، ومنه ما يدخل فيه الواحد، ومنه ما لا ينبغي أن يطلع عليه أحد.

" ١٩٠ " قال الراعي النميري:

وللسر حالات فمنه جماعة ... ومنه نحيان وأحزمها الفرد

وأفضل منها صون سرك كاتما ... إلى الفرص اللاتي ينال بها الجد

١٤٦ - قال صاحب الكتاب: ويقال يعتبر المرسل برأي رسوله ونفاذه. فمن كان شأنه اللين والمواتاة أنجح في الرسالة. والرسول يلين القلب إذا رفق ويخشن الصدر إذا خرق لأنه مبلغ غير ملوم.

" ١٩١ " قال سوادة الحروري في رسول المهلب بن ابي صفرة:

ولما اختبرنا ظالما برسوله ... وجدناه ذا رأي سخيف مظلا

شبيه أبيه في أسمه وفعاله ... ومستأجرا يعطى إذا الشهر أكملا." (١)

"الحازم لا يأمن عدوه على كل حال: ان كان بعيدا لم يأمن من معرته بالكيد وان كان قريبا لم يأمن مواثبته وان كان منكشفا لم يأمن استطراده وان كان وحيدا لم يأمن مكره.

ولكل حريق مطفئ: للنار الماء وللسم الدواء وللعشق الوصال وللحزن الصبر زنار الحقد لا تخبو.

وكان يقال: من اقلعت عنه الحمى استراح بدنه وقلبه ومن وضع الحمل الثقيل استراح منكبه ومن أمن عدوه ثلج صدره.

فان العاقل وان كان واثقا بقوته وقوله وفضله رشدة بطشه لا يحمله ذلك على ان يجني على نفسه عداوة اتكالا على ما عنده من ذلك كما ان الرجل وان كان عنده الترياق والأدوية لا ينبغي له ان يشرب السم اتكالا على ما عنده من ذلك.

وانما يستخرج ما عند الرجال ولاتهم وما عند الجنود قادتهم وما في الدين علماؤه.

وكثرة الأعوان إذا لم يكونوا نصحاء مجربين مضرة على العمل فان العمل ليس بذلك رجاؤه بل بصالح الاعوان وذوي الفضل كالرجل الذي يحمل الحجر الثقيل فيثقله ولا يجد له ثمنا والرجل الذي يحمل الياقوت

(١) مضاهاة أمثال كليلة ودمنة محمد بن حسين اليمني ص/٢٠

فلا يثقل عليه وهو قادر على بيعه بالكثير من المال.

فان الرجل الذي بحضرة السلطان إذا كان قد اطيلت جفوته عن غير جرم كان منه او كان مبغيا عليه أو كان معروفا بالحرص والشره أو كان قد اصابه ضر أو ضيق فلم ينعش أو كان قد اجرم جرما فهو يخاف العقوبة او كان شريرا لا يحب الخير أو كان قد وقف على خيانته أو كان قد حيل بينه وبين ما كان في يده من سلطان أو كان قد وقف على خيانته أو كان قد حيل بينه وبين ما كان في يده من سلطان أو كان يلي عملا نعزل عنه أو فرق عليه أو انتقص منه أو اشرك بينه وبين غيره فيه أو كان اذنب في نظرائه فعفي عنهم وعوتب وعوقب أو عوقبوا جميعا فبلغ منه ما لم يبلغ من احد منهم مثله أو كان قد أبلى بلاء نظرائه ففضلوا عليه في المنزلة والجاه أو كان غير موثوق به في الهوى والدين أو كان يرجو في شيء مما يضر الولاة نفعا أو يخاف في شيء مما ينفعهم ضرا أو كان لعدو السلطان موادا. كل هؤلاء ليس السلطان حقيقا بالاسترسال إليهم والطمأنينة إلى ما قبلهم والائتمان لهم.

ان السلطان انما يؤتى من قبل ست: الحرمان والفتنة والهوى والفظاظة والزمان والخرق. فأما الحرمان فيأتي بفقد الاعوان والساسة من أهل الرأي والنجدة والامانة أو يبعد بض من هو كذلك. واما الفتنة فهي تخرب الناس ووقوع التحارب بينهم. واما الهوى فهو الاغرام بالنساء أو الحديث والشرب والصيد وما اشبه ذلك. واما الفظاظة فالافراط في الشدة حتى يبتلى اللسان بالشتم واليد بالبطش والضرب وأما الزمان فهو ما يصيب الناس من القحط والموت ونقص الثمرات واشباه ذلك. واما الخرق فاعمال الشدة في موضع اللين والرفق في مكان الغلظة.

فانه كان يقال: إذا عرف الملك من الرجل انه قد ساواه في الرأي والمنزلة والهيبة والمال والتبع فليصرعه فانه ان لم يفعل كان هو المصروع.

وخير الاعوان اقلهم مصانعة.

وخير النساء الموافقة لبعلها.

وافضل الاعمال احلاها عاقبة واحسن الثناء ما كان على افواه الأحرار.

واشرف السلطان ما لم يخالطه بطر.

وأيسر الاغنياء من لم يكن للحرص اسيرا.

وامثل الاخلاق أونها على الورع.

مع ان الملوك حزمة لا يعلنون بالعقوبة إلا لمن ظهر ذنبه وما كان من ذلك مكتوما ستروها منه.

ان السلطان إذا كان صالحا ووزراؤه غير صالحين قل خيره على الناس وامتنع منهم فلم يجتر عليه احد ولم يدن منه كالماء الصافي الطيب الذي فيه **التماسيح** فلا يستطيع الرجل دخوله وان كان سابحا واليه محتاجا.

كان يقال: انما يصيب الملوك الظفر بالحزم والحزم باصالة الرأي والرأي بتحصين الاسرار.

الظفر بالحزم والحزم باصالة الرأي والرأي بتكرار النظر وبتحصين الاسرار.

وانما يطلع على السر من قبل خمسة: من قبل صاحب الرأي ومن قبل مشاوره ومن قبل الرسل والبرد ومن قبل المستمعين الكلام ومن قبل الناظرين في أثر الرأي ومواقع العمل بالتشبيه والتظني.

من حصن سره فانه من تحصينه اياه في أحد امرين: اما ظفر بما يريد واما سلامة من عيبه وضره ان اخطأه ذلك.

وفي تحصين السر الظفر بالحاجة والسلامة من الخلل.." (١)

"قال الربيع: نظر في نفقة المنصور فإذا مبلغها في كل يوم ستة آلاف درهم.

قال الربيع: لقب المنصور بأبي الدوانيق لأنه لما أراد حفر الخندق بالكوفة، قسط على كل رجل منهم دانق فضة، وأخذه وصرفه في حفر الخندق.

قال محمد بن الجهم: العيون التي تبص - أي تضيء - بالليل عين الأسد والنمر والسنور والأفعى.

ويقال: كل حيوان إذا أكل حرك فكه الأسفل إلا **التمساح**، فإنه لا يحرك ألا فكه الأعلى.

شاعر: المتقارب

ألا إن قلبي له خلقة ... ولست أرى مثلها في الخلق

سريع العلوق إذا ما اشتهى ... سريع النزوع إذا ما علق

فبينا يرى عاشقا إذ صحا ... وبينا يرى صاحيا إذ عشق." (٢)

"والحدأة تضع في عشها ورق العليق تتحرز به.

الخطاب يضع في عشه قضيب كرفس.

التدرج يضع في عشه سرطانا نهريا.

جميع السباع والدواب عند المشي تقدم اليد اليمنى والرجل اليسرى.

لا تكون الزرافة إلا في أرض قليلة الماء.

---

(١) مضاهاة أمثال كليلة ودمنة محمد بن حسين اليمني ص/٣١

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢٤٢/١

إذا هم أصحاب الخيل أن ينزو حمارا على فرس جزوا عرفها فتقر حينئذ وتذل لكدم الحمار لها.
بيونان ثيران لها أربعة قرون لا ترضى بمجامعة البقر، بل تجامع إناث الخيل، ويتولد بينهما خيول عجيبة المنظر.
الجاموس لا ينام أصلا وإن أرخى عينيه إرخاء يسيرا، لكنه ساهر الليل والنهار.
الجمل إذا وقع على الناقة وقع الضراب ستر عن الرجال، فإن نظر إليه رجل غضب.
قالت الروم: إن السنور يتولد من مجامعة الفهد لبعض السباع.
لا ينام البوم إلا إغفاءة.
ومن العجب أن السنور يكون صافي العين كثير البريق عند امتلاء الهلال وينقص ذلك الصفاء والبريق عند نقصان الهلال.
الأفعي إذا جامعها الذكر واسمه الأفعوان تحولت إليه، فإن ظفرت به أكلت رأسه من شدة عشقها له.
ذكر العقرب اسمه عقربان، أسود صغير، سريع المشي، جاد الذهاب، الحرذون تفسيره بالعربية الذي يخرج من الزعفران.
التمساح لا يكون إلا في النيل ونهر بأرض الهند يقال له: الرسيس ويبيض كبيض الإوز، وربما يولد منه حراذين صغار، ثم يكبر حتى يبلغ طوله عشر أذرع، ويزداد طولا كلما ازدادت سنو حياته.
وسنه اليسرى نافعة لحمى النافض.
وذكر أنه يجامع ستين مرة في حركة واحدة ومحل واحد.
الحمار الوحشي يتولد بين الفرس والفيل، وله قرن ينبت من أنفه كأنه سيف، وإن ضرب شجرة قطعها وبه يقاتل الفيل ويبعج بطنه بقرنه، ولم يعاين من هذا الجنس أنثى قط.
في البحر حوت يقال له: البوس، يتولد من الصاعقة إذا كانت في البحر وإن." (١)
"الليلة السابعة عشرة
فلما عدت إلى المجلس قال: ما تحفظ في تفعال وتفعال، فقد اشتبها؟ وفزعت إلى ابن عبيد الكاتب فلم يكن عنده مقنع، وألقيت على مسكويه فلم يكن له فيها مطلع، وهذا دليل على دثور الأدب وبوار العلم والإعراض عن الكدح في طلبه.
فقلت:

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/١٢٦

قال شيخنا أبو سعيد السيرافي الإمام- نضر الله وجهه-: المصادر كلها على تفعال بفتح التاء، وإنما تجيء تفعال في الأسماء، وليس بالكثير. قال: وذكر بعض أهل اللغة منها ستة عشر اسما لا يوجد غيرها. قال: هاتها.

قلت: منها التبيان والتلقاء، ومر تهواء من الليل، وتبراك، وتعشار وترباع، وهي مواضع، **وتمساح** للدابة المعروفة، **والتمساح** الرجل الكذاب أيضا. وتجفاف وتمثال وتمراد بيت الحمام، وتلفاق، وهو ثوبان يلفقان. وتلقام: سريع اللقم.

ويقال: أتت الناقة على تضرابها، أي على الوقت الذي ضربها الفحل فيه، وتضراب كثير الضرب، وتقصار، وهي المخنقة، وتنبال، وهو القصير.

قال: هذا حسن، فما تقول في تذكار؟ فإن الخوض في هذا المثال إنما كان من أجل هذا الحرف، فإن أصحابنا كانوا في مجلس الشراب، فاختلفوا فيه؟ فقلت: هذا مصدر، وهو مفتوح.

ثم قال: اجمع لي حروفا نظائر لهذا من اللغة، واشرح ما ندر منها، وعرض الشك لكثير من الناس فيها.

فقلت: السمع والطاعة مع الشرف بالخدمة.

وقال أيضا: حدثني عن شيء هو أهم من هذا لي وأخطر على بالي، إني لا أزال أسمع من زيد بن رفاعة قولا ومذهبا لا عهد لي به وكناية عما لا أحقه، وإشارة إلى ما لا يتوضح شيء منه، يذكر الحروف ويذكر النقط، ويزعم أن الباء لم تنقط من تحت واحدة إلا بسبب، والتاء لم تنقط من فوق اثنتين إلا لعلة، والألف لم تعر إلا لغرض. وأشباه هذا، وأشهد منه في عرض ذلك دعوى يتعاظم بها ويتنفج «١» بذكرها." (١)

"كافيا محتاطا، ومن ورائها ذابا ناصرا، يعنيه من صلاحها ما لا يعنيه من صلاح نفسه دونها. مثل الملك الصالح إذا كان وزيره فاسدا مثل الماء الصافي العذب الذي فيه **التماسيح**؛ لا يستطيع الإنسان وإن كان سابحا، وإلى الماء ظامئا، دخوله حذرا على نفسه. لا ينبغي للوالي أن يسرع إلى حبس من يكتفي له بالجفاء والوعيد. ينبغي للوالي أن يكون عالما بأمور عماله فإن المسيء يخاف خبرته قبل أن تنزل به عقوبته، والمحسن يستبشر بعمله قبل أن يأتيه معروفه. ينبغي للوالي أن تعرفه رعيته بالأناة، وألا يعجل بالعقاب ولا بالثواب؛ فإن ذلك أدوم لخوف الخائف، ورجاء الراجي. ينبغي للوالي أن تعلم رعيته أنه لا يصاب خيره إلا بالمعونة له على الخير، فإن الناس إذا علموا ذلك تصنعوا، والمتصنع لا يلبث أن يلحق بأهل الفضل. من طلب ما عند السلطان والنساء بالشدة بعد عنه ما يطلب، وفاته ما يلتمس. ودخل محمد بن كعب القرظي

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/١٦٢

عرى عمر بن عبد العزيز حين استخلف فقال له: إني مستعين بك على عملي. قال: لا. ولكني سأرشدك: أسرع الاستماع، وأبطئ في التصديق، حتى يأتيك واضح البرهان، ولا تعملن سجنك فيما يكتفى به بلسانك، ولا تعملن سوطك فيما يكتفى فيه بسجنك ولا تعملن سيفك فيما يكتفى فيه بسوطك. كان بعضهم يوصي عماله فيقول: سوسوا الناس بالمعدلة، واحملوهم على النصفة، واحذروا أن تلبسونا جلودهم، أو تطعمونا لحومهم، أو تسقونا دماءهم. بالولاية يعرف الرجل الحازم. إذا أردت أن يقبل الوالي مشورتك فلا تشبه بشيء من الهوى؛ فإن الرأي يقبل، والهوى يرد.." (١)

"أخشن من الشهيم. أجزم من حرباء. أظلم من تمساح. أعلق من قراد. أغزل من عنكبوت. أغزل من سرفة. أفسد من أرضة. أفسى من ظربان. أقطف من حلمة. ألزق من برام. ألزق من قرنبي. أنتن من ظربان. أشرد من ورل الحضيض. أسرع من تلمظة الورل. أشرد من ورل الحضيض. أضل من ورل. أسمع من دلدل. أعذر من أم أدراص. أكثر من الدباء. أسوأ من جرادة. أخطأ من ذبابة.." (٢)

"وقوله " يالثارات " يا حرف النداء، واللا لام الاستغاثة. وإنما يستغيث بمن يرد عليه النهار.

والقصعل: القصير، والخليل أهمله وكذلك الخارزنجي والدريدي. والضئيل: الدقيق. ورواء بعضهم: " قامة الفصعل "، بالفاء، وهو العقرب الصغير، والرجل اللئيم. والمراد أن في أعضائها تفاوتا فلا يتلاءم خلقها.

آخر:

ألام على بغضي لما بين حية ... وضبع وتمساح تغشاك من بحر

تحاكي نعيما زال في قبح وجهها ... وصفحتها لما بدت سطوة الدهر

هي الضربان في المفاصل خاليا ... وشعبة برسام ضممت إلى النحر

إذا سفرت كانت بعينك سخنة ... وإن برقعت فالفقر في غاية الفقر

وإن حدثت كانت جميع مصائب ... موفرة تأتي بقاصمة الظهر

حديث كقلع الضرس أو نتف شارب ... وغنج كحطم الأنف عيل به صبري

وتفتر عن قلح عدمت حديثها ... وعن جبلي طي وعن هرمي مصر

جمع بين الحية والضبع والتمساح، لأنه ليس يقصد التشبيه من وجه واحد، وإنما يريد التشبيه من وجوه كثيرة من الخلق والخلق. والتمساح: الدابة المعروفة، والرجل الكذاب. وجاء على هذا البناء شيء من

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ١٧٩/٤

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ١١٩/٦

الأسماء قليل لأن المصادر كلها على تفعال بفتح التاء، إلا حرفين وهما تبيان وتلقاء، وقد حصرتها في كتابي المسمى ب " عنوان الأديب ".

وقوله " تحاكي نعيما زال "، يريد به المثل السائر: " أقبح من روال النعمة ". يريد: تحاكي في قبح وجهها قبح زوال النعمة، فجعل اللفظ توسعا على ما ترى، ثم جعل جانبها وما تصافح به ملاقيها كسطوة الدهر. والسطوة: البسط على الإنسان تقهره من فوق، وتقول: سطوت به، وفي القرآن: " يكادون يسطون بالذين يتلون ". قال الخليل: سمي الفرس ساطيا لأنه يسطو على غيره فيقوم على رجليه ويسطو على يديه. وقوله " هي الضربان في المفاصل خاليا "، أي." (١)

"أسرك أني نلت ما نال جعفر ... من المال أو ما نال يحيى بن خالد

وأن أمير المؤمنين أعضني «١» ... معضهما بالمرهفات البوارد

ذريني تجئني ميتتي مطمئنة ... ولم أتجشم هول تلك الموارد

فإن عليات الأمور مشوبة ... بمستودعات في بطون الأساود «٢»

وقال بعض الحكماء: أكثر الناس حاسدا وعدوا ومنابذا وزير السلطان. وكان في كتاب مروان: أخوف ما تكون الوزارة عند سكون الدهماء. وقيل: مثل الملك الصالح إذا كان وزيره فاسدا مثل الماء الصافي العذب النمير الذي فيه **التماسيح** لا يستطيع الإنسان وروده وإن كان عائما وإلى الماء حائما. وللبستي في معناه:

حرضوني على وزارة بست ... ورأوها من أعظم الدرجات

قلت لا أشتهي وزارة بست ... إنني لم أمل بعض حياتي

وله:." (٢)

"غيره: الأمراء لا يشمتون الملك يعلم ولا يعلم. لا تسلم على الملك فإن أجابك شق عليه وإن لم يجب شق عليك. ابن عباد:

إذا أولاك سلطان فزده ... من التعظيم واحذره وراقب

فما السلطان إلا البحر عظما ... وقرب البحر محذور العواقب

الوزارة والوزراء

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١٣١٣

(٢) اللطائف والظرائف الثعالبي، أبو منصور ص/٣٩

مروان: أخوف ما يكون الوزراء عند سكون الدهماء. غيره: أخوف ما يكون العامة آمن ما يكون الوزراء. العجم: أعلم الملوك يحتاج إلى وزير، وأشجع الناس يحتاج إلى سلاح. وأجود الخيل يحتاج إلى سوط، وأجود الشفار يحتاج إلى مسن. مثل الملك الصالح إذا كان وزيره فاسدا مثل الماء الصافي العذب النمير الذي فيه **التماسيح**؛ فلا يستطيع الإنسان وروده، وإن كان سابحا، وإلى الماء ظامئا حذرا على نفسه منه.." (١)

"(فجاءت الحمى كعاداتها ... فلم تجد ما بيننا مسلكا) // من السريع //

وقوله يصف برادة على حامل نحاس

(أم الحياة على سرير نحاس ... عريانة أبدا بغير لباس)

(هي في الموات لدى الورى معدودة ... لكنها ضمنت حياة الناس) // من الكامل //

وقوله

(بعين الله أنت فإن عيني ... إذا ما غبت دامية الجفون)

(كأنك مهجتي فإذا تدانى ... فراقك حم لي ريب المنون) // من الوافر //

وقال يصف البنفسج والورد

(بنفسج جاء في حداد ... ووردنا في معصفرات)

(فاشرب على مأتم وعرس ... جلا جميعا عن الصفات) // من مخلع البسيط //

وسأله ابن رشدين المسير معه إلى القاش فقال مرتجلا

(يا آمري بالمسير في لجج النيل ... كأن سخرت لي الريح)

(ما جمد الماء لي فأركبه ... كلا ولا صامت **التماسيح**) // من المنسرح //

٣٤ - محمد بن الحسن اليمني

أنشدت له في صالح

(يا قاطعي بعد وصل ... تسوم ما لا أسومك)." (٢)

---

(١) التمثيل والمحاضرة الثعالبي، أبو منصور ص/١٤٣

(٢) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ١/٤٧٤

"وقد خرج المثل فى هرمى مصر فى الثبات والقدم والحصانة وذكرهما أعرابى مع جبلى طىء فقال وهو يهجو امرأته بالقبح والبرودة والثقل

(ألام على بغضى لما بين حية ... وضبع **وتمساح** أتاك من البحر)

(تحاكى نعيما زال من قبح وجهها ... وصفحتها لما بدت سطوة الدهر)

(هى الضربان فى المفاصل دائبا ... وشعبة برسام ضممت إلى صدرى)

(إذا سفرت كانت لعينك محنة ... وإن برقت فالفقر فى غاية الفقر)

(حديث كقلع الضرس أو نتف شارب ... وغنج كهشم الأنف عيل به صبرى)

(وتفتر عن ثلج عدمت حديثها ... وعن جبلى طى وعن هرمى مصر)

٨٥٩ - (منارة الإسكندرية) إحدى عجائب الدنيا وأصلها مبنى على زجاج والزجاج منصوب فى ظهر سرطان من نحاس فى بطن أرض البحر وبين المنارة إلى يابس الأرض قناطر من زجاج وفى المنارة ثلاثمائة وخمسة وستون بيتا وكان فى أعلاها مرآة كبيرة ينظر الناظر فيها فيبصر مراكب الروم إذا أراد ملكهم أن يجهز جيشا فيها إلى مصر فإذا دفعت تلك المراكب فى البحر ورفع الشراع أبصرها هذا الناظر فى المرآة فينذر المسلمين حتى يستعدوا ويأخذوا حذرهم فاشتد ذلك على ملك الروم فلما صار بعض الخلفاء إلى الإسكندرية وجه إليه ملك الروم جاسوسا يعلمه أن فى تلك المنارة كنوزا لذى القرنين فأمر بهدمها فلما هدمت وقلعت المرآة بطل الطلسم ولم يجدوا الكنوز فتقرر عندهم أنها حيلة لقلع المرآة وطلب الجاسوس فلم يوجد فأمر الخليفة ببناء ما هدم بالجص والآجر وهو ثلث المنارة وكان طول هذه المنارة ثلاثمائة ذراع بذراع الملكى فيكون أربعمائة وخمسين ذراعا وهى غاية ما يرفع فى الهواء من البناء." (١)

"٩٣٧ - (نيل مصر) يضرب به المثل كما يضرب بالبحور قال الأعشى

(فما نيل مصر إذ تسامى عبابه ... ولا بحر سيحان إذا راح مفعما)

(بأجود منه نائلا إن بعضهم ... إذا سئل المعروف صد وجمجما)

قال الجاحظ كفاك ماء نيل مصر وما هو عليه من خلاف جميع الأنهر ونضوبه فى وقت زيادة الأنهر وزيادته فى وقت نقصانها وليست **التماسيح** فى شيء من الأنهار إلا فيه ومضرتها معروفة بلا منفعة بوجه من الوجوه ولم ير **تمساح** قط فى دجلة ولا الفرات ولا سيحان ولا جيحان ولا نهر بلخ

٩٣٨ - (عجائب البحر) فى الخبر حدثوا عن البحر ولا حرج وقيل لبعض ركاب البحر ما أعجب ما رأيت

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الثعالبي، أبو منصور ص/٥٢٣

عن عجائب البحر قال سلامتى منه

قال الجاحظ ما ظنك بماء إذا خبث وملح ولد الدر وأثمر العنبر وركب بعض الإعراب البحر مرة فرأى أهوالا من أمواجه ثم أتاه مرة أخرى وهو ساكن فقال ما يغرنى حلمك فإن عندى من جهلك العجائب

قال الجاحظ وليس ذلك بأعجب من شيء عاينه جميع من يركب البحر وذلك أن الطائر من طيره يطير فى الهواء فيعبث به طائر صغير فإذا أحرجه ذلك ذرق فتلقاه الطائر فابتلعه فلا هو يخطيء بذلك الذرق." (١)

"أطول على صفة الأول ينتصب وقت العمل والنطح وهو يحدده على الأحجار حتى يصير قاطعا ثاقبا وله حوافر وذنب كذنب الحمار شعراني؛ ويوجد **التماسيح** في أنهار الهند كما هي بالنيل حتى ظن الجاحظ بسلامة قلبه وبعده عن معرفة مجاري الأنهار وصور البحار أن نهر «مهران» شعبة من «النيل» ، ولقد يوجد «١» فيها أيضا حيوانات عجيبة من **التماسيح** و «مكر» وصنوف السمك المستغربة وحيوان كالزق يظهر للسفن ويعوم ويلعب يسمونه «برلو» وأظنه الدلفين أو نوعا منه فقد قيل إن على رأسه شق للتنفس كما للدلفين؛ وفي أنهارهم الجنوبية حيوان يسمى «كراه» وربما يسمى «جلتنت «٢» » ، وأيضا «تندوه» وهو دقيق طويل جدا، زعموا أنه يرصد من يدخل الماء ويقف فيه إنسانا كان أو بهيمة فيقصده ويأخذ في الدوران عليه بالبعد منه إلى أن يفني طوله ثم ينقبض وينعقد على أرجله ويصرعه ويهلكه، وسمعت بعضهم يحكي عن المشاهدة أن له رأسا كرأس كلب وذنبا ذا شعب كثيرة طويلة يلفها على الحيوان عند الغفلة ثم يجريه بها إلى الذنب حتى يلويه عليه ويستحكم الأمر فلا ينجو منه. فنعود إلى ما كنا فيه ونقول: إن من «بزانه» فيما بين الجنوب والمغرب إلى مدينة «أنهلواره» ستون وإلى «سومنات» على الساحل خمسون ومن انهلواره نحو الجنوب إلى «لارديش» وقصبتها «بهروج» و «رهنجور «٣» » اثنان وأربعون وهما على الساحل عن شرق «تانه» ومن بزانه «٤» ، نحو المغرب إلى «مولتان» خمسون وإلى «بهاتي» خمسة عشر ومن بهاتي فيما بين الجنوب والمغرب إلى «أرور» خمسة عشر وهي بلدة فيما بين شعبتي ماء «السند» وإلى «بمهنوا» المنصورة عشرون وإلى «لوهراني» المصب ثلاثون، ومن «كنوج» نحو الشمال منحرفا قليلا نحو المغرب إلى «شرشارهه» خمسون." (٢)

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الثعالبي، أبو منصور ص/٥٦٩

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة البيروني ص/١٤٥

"الجنوب، وخافه «اندر» الرئيس والروحانيون فجاؤوا إليه متضرعين يسألونه إهمال ما ابتدأ فيه على أن يحملوا سومدت ببدنه كما هو إلى الجنة وفعلوا ذلك، فترك عمل العالم الثاني إلا ما كان عمل منه إلى وقتئذ؛ ومعلوم أن القطب الشمالي يوسم عندنا ببنات نعش والجنوبي بسهيل إلا أن في بعض من يشبه العوام من أصحابنا من يزعم أن في ناحية الجنوب من السماء بنات نعش على هيئة الشمالي تدور حول ذلك القطب، وليس ذلك بممتنع ولا مستبدع إن حصل خبره من جهة ممعن في أسفار البحر أمين ثقة، وقد يظهر في البقاع الجنوبية ما لا نعرفه من الكواكب، فقد زعم «شريبال «١» » أنه يظهر في الصيف بمولتان كوكب أحمر منخفض عن مدار سهيل يسمونه «شول «٢» » ، وهو خشبة الصلب وأن الهند يتشاءمون به ولذلك إذا كان القمر في «پوربا بترپت» لم يسافروا نحو الجنوب فإنه فيه، وذكر «الجيهاني» في «كتاب المسالك» : ان في جزيرة «لنكبالوس« يرى كوكب ضخم يعرف بذي الحمة في الشتاء وقت السحر من جهة مشرق الشمس «٣» على ارتفاع كقامة الدقل وقد يتألف من ذنب الدب الأصغر ومؤخره وكواكب صغار هناك شكل مستطيل يسمى «فأس الرحا» ، و «برهمكوپت» يذكره بالسمكة، وللهند في تصويرها على هيئة حيوان مائي ذي أربع أرجل «٤» ، يسمونه «شاكور» ويسمى أيضا «ششمار» أخبار جزافية، وأظن ششمار هذا هو الضب الكبير فإن اسمه بالفارسية «سسمار» وبينهما مشابهة، ومنه مائي مثل التمساح والإسقنقور، فمن تلك الأساطير أن «براهم» لما أراد إيلاد البشر قسم نفسه بنصفين اسم الأيمن «براز» واسم الأيسر «من» وهو الذي سميت النوبة باسمه «مننتر» ، وصار لمن ابنان أحدهما «بريبرت» والآخر «أوتانپاذ» الملك الأحنف." (١)

"فذاك بلاء البر عندى شاتيا ... وكم لى من صيف به ذى مثالب

ألا رب نار بالفضاء اصطليتها ... من الضح يودى لفحها بالحواجب «١»

فدع عنك ذكر البر إنى رأيته ... لمن خاف هول البحر شر المهارب

وما زال يبغينى الحتوف مواربا ... يحوم على قتلى وغير موارب

فطورا يغادينى بلص مصلت ... وطورا يمسينى بورد الشوارب

وأما بلاء البحر عندى فإنه ... طوانى على روع مع الروح واقب «٢»

ولو ثاب عقلى لم أدع ذكر بعضه ... ولكنه من هوله غير ثائب

ولم لا ولو ألقيت فيه وصخرة ... لوافيت منه القعر أول راسب

---

(١) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة البيروني ص/١٧٧

ولم أتعلم قط من ذى سباحة ... سوى الغوص والمضعوف غير مغالب

وأيسر إشفاقى من الماء أننى ... أمر به في الكوز مر المجانب

وأخشى الردى منه على كل شارب ... فكيف بأمنيه على نفس راكب

أخذه من قول أبى نواس وقد رأى **التمساح** بمصر أخذ رجلا:

أضمرت للنيل هجرانا ومقلية ... مذ قيل لى إنما **التمساح** في النيل

فمن رأى النيل رأى العين عن كثب ... فما أرى النيل إلا في البراقيل «٣»

رجع

أظل إذا هزته ريح ولألأت ... له الشمس أمواجا طوال الغوارب

كأنى أرى فيهن فرسان بهمة ... يليحون نحوى بالسيوف القواضب «٤»

فإن قلت لى قد يركب اليم طاميا ... ودجلة عند اليم بعض المذانب «٥»." (١)

"ففي هذا المعنى من التقصير أنه جاء به في صفين وأنه جعله أنياب الخلافة بقوله:

أولئك أنياب الخلافة كلها ... وسائر أملاك البلاد الزوائد

وهم سبعة بالممدوح، والأنياب في المتعارف أربعة، إلا أن تكون الخلافة **تمساح** نيل أو كلب بحر؛ فإن أنياب كل واحد منهما ثمانية، اللهم إلا أن يريد أن كل واحد منهم ناب الخلافة في زمانه خاصة؛ فإنه يصح، وفيه من الزيادة على ما قبله أنه زاد واحدا في العدد، فإنه جعل كل ابن هو أبوه في الخلافة إلى أن بلغ راشدا، ولم يقصد إلى ذلك أحد من أصحابه، وإنما مقت شعره هذا تكريره كل اسم مرتين في بيت واحد، وهي أربعة أسماء.

باب التضمين والإجازة

وهذا باب يختلط على كثير من الشعراء ممن ليس له ثقوب في العلم ولا حذق بالصناعة، كجماعة ممن وسم في بلدنا بالمعرفة، وينسب إليها مكذوبا عليه فيها، كاذبا فيما ادعاه منها، ولتعرفنهم في لحن القول.

فأما التضمين فهو قصدك إلى البيت من الشعر أو القسيم فتأتي به في أواخر شعرك أو في وسطه كالمتمثل، نحو قول محمود بن الحسين كشاجم الكاتب:

يا خاضب الشيب والأيام تظهره ... هذا شباب لعمر الله مصنوع

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحُصري القيرواني ٥٣٥/٢

أذكرتني قول ذي لب وتجربة ... في مثله لك تأديب وتقريع

إن الجديد إذا ما زيد في خلق ... تبين الناس أن الثوب مرقوع

فهذا جيد في بابه، وأجود منه أن لو يكن بين البيت الأول والآخر واسطة؛ لأن الشاعر قد دل بذلك على أنه متهم بالسرق، أو على أن هذا البيت غير مشهور، وليس كذلك، بل هو كالشمس اشتهارا، ولو أسقط البيت الأوسط." (١)

"وجنوب طبرية بحر لوط وهو مالح المياه ويصب به ماء بحر طبرية وكانت مدينة لوط تقع على شاطئه ولم يبقى منها أثر قط وسمعت من انسان أن في مياه بحر لوط المالحة شيئا كالحجارة السوداء غير صلب يشبه البقر يخرج من قاعه فيأخذه السكان ويقطعونه ويحملونه إلى المدن والولايات ويقال إنه إذا وضعت قطعة منه تحت شجرة يمتنع الدود عنها من غير أن يمس جذرها أذى منه فلا يتلف البستان مما تحت الأرض من دود وحشرات والعهدة على الراوي وقيل كذلك إن العطارين يستخدمونه لأنه يبعد دودة تصيب البذور اسمها النقرة وفي طبرية يصنعون الحصير ومنه حصير الصلاة وتشتري الواحدة منها بخمسة جنيهات مغربية وفي الجانب الغربي من المدينة جبل فيه قطعة من حجر المرمر مكتوب عليها بخط عبري أن الثريا كانت على رأس الحمل ساعة الكتابة ويقع قبر أبي هريرة خارج المدينة ناحية القبلة ولكن لا يستطيع أحد زيارته لأن السكان هناك شيعة فإذا ذهب أحد للزيارة تجمع عليه الأطفال وتحرشوا به وحملوا عليه وقذفوه بالحجارة ولهذا لم أستطع زيارته سرت بعد ذلك إلى قرية تسمى كفركنه بجانبها تل بنيت علي قمته صومعة جميلة بها قبر النبي يونس عليه السلام وعليها باب متين بقربه بئر ماؤها عذب

وقد عدت إلى عكا بعد زيارة هذا المشهد وبينهما مسافة أربعة فراسخ فمكثت بها يوما واحدا ثم غادرتها إلى قرية تسمى حيفا وفي طريق به كثير من هذا الرمل الذي يستخدمه صياغ العجم والمسمى بالرمل المكي وحيفا مشيدة على البحر وبها نخل وأشجار كثيرة وهناك عمال يصنعون السفن البحرية المسماة بالجودي وسرنا بعد ذلك فبلغنا بعد مسيرة فرسخ واحد قرية أخرى تسمى كنيسة وعندها ينحرف الطريق عن البحر ويدخل الجبل ناحية المشرق حيث الصحروات والمحاجر التي تسمى وادي **التماسيح** ويعود لمحاذاة الشاطيء بعد مسيرة فرسخين وهناك رأينا عظام حيوانات بحرية كثيرة مختلطة بالتراب." (٢)

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ٨٤/٢

(٢) سفر نامه ناصر خسرو ص/٥٣

"وهو المعز لدين الله استولى على بلاد المغرب حتى الأندلس ثم سير جيشا نحو مصر وكان لابد لهذا الجيش أن يعبر النيل وهذا أمر غير مستطاع أولا لأن النيل عظيم الاتساع وثانيا لأنه مملوء **بالتماسيح** التي تجذب إلى قاعه في الحال كل من يعبر ويقال إنه في الطريق قرب مدينة مصر طلسم يحمي الإنسان والدواب من هذا الشر ولكن أثره يبطل على مسافة رمية سهم من المدينة فلا يجرؤ أحد أن يقترب من النيل قيل ان المعز أرسل جيشه فنزل حيث القاهرة اليوم وقد أمر جنوده قائلا حين تصلون الى النيل ينزل الماء أمامكم كلب أسود فيعبر النهر فاتبعوه واعبروا آمنين قيل وقد بلغ هذا المكان ثلاثون ألف فارس كلهم خدم المعز وقد انطلق الكلب سابحا أمامهم وساروا على أثره وعبروا من غير حادث ولم يقل أحد قط ان فارسا عبر نهر النيل راكبا وكانت هذه الحادثة سنة ثلاث وستين وثلثمائة ٩٧٣ قد حضر السلطان الى مصر عن طريق البحر فأفرغت السفن التي حضر بها قرب القاهرة وأخرجت من الماء وتركت كأنها أشياء لا غناء فيها وقد رأى راوي هذه القصة ناصر خسرو تلك السفن وهي سبع طول الواحدة مائة وخمسون ذراعا وعرضها سبعون وقد مضى عليها هناك ثمانون سنة وكان ذلك سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ١٠٤٦ حين بلغ الراوي هذا المكان." (١)

"ويحشر بذنبه وأجنحته السمك إلى فيه، وهو قد فغرفاه فتهوي إلى فيه جريا.

فإذا بغت هذه السمكة بعث الله لها سمكة نحو الذراع تدعى اللشك فتلتصق بأصل ذنبها فلا يكون لها منها خلاص فتخترق البحار وتضرب بنفسها حتى تموت وتطفو «١» فوق الماء فتكون كالجبل العظيم.

وكذلك **التمساح** آفته من دويبة في ساحل «٢» النيل، وهو أن **التمساح** لا دبر له وما يأكل يتكون في بطنه دودا، فإذا آذاه ذلك خرج إلى البر فاستلقى على قفاه فاغرا فاه، فينقض إليه طير الماء من أنواع كثيرة فتأكل ما يظهر في جوفه قد اعتادت ذلك منه، وتكون تلك الدويبة قد كمنت في الرمل فتثب «٣» إلى حلقه وتلج جوفه ثم تخرق جوفه وتخرج، وربما قتل نفسه قبل أن تنقر جوفه وهي دويبة تكون نحو الذراع على صورة ابن عرس ذات قوائم شتى ومخالب.

٢٧٤ وبين بحر هركند ولاروي «٤» من هذه البحار التي ذكرناها «٥» جزائر نحو ألف، وبين كل جزيرة الفرسخ ونحوه تملكها امرأة، كذلك كانوا على قديم الزمان، وهذه الجزائر تعرف بالديبجات، ولا تحصى جيوشها لكثرتهم.

وآخر هذه الجزائر جزيرة سرنديب، وتتصل بهذه الجزائر «٦» جزائر مختلفة لا تحصى جيوشا.

---

(١) سفر نامه ناصر خسرو ص/٨٧

٢٧٥ وهذه البحار المذكورة كلها تذيب الحديد وتمحق مسامير السفن فلا تزال تندق، وإنما يتخذ أهلها سفنهم من الساج محيطة بليف النارجيل بدلا من المسامير.." (١)

"ببحر القلزم يعرف بذنب **التمساح** على ميل من مدينة القلزم عليه قنطرة عظيمة يجتازها حاج «١» مصر. فلما لم يتأت له هذا احتفر خليجا آخر من بحر الروم مما يلي بلاد تنيس ودمياط ويعرف هذا الخليج بالزبر والخبية «٢» ، فاستمر الماء في هذا الخليج من بحر الروم إلى موضع يعرف بنعنعان «٣» ، فكانت المراكب تدخل من بحر الروم إلى هذه القرية وتدخل من بحر القلزم إلى آخر ذنب **التمساح** فيقرب حمل ما في كل بحر إلى الآخر، ثم ارتدم ذلك على طول الدهر. وآثار الحفر في هذا الموضع بينة.

وقد هم الرشيد أن يوصل «٤» ما بين هذين البحرين من أعلى مصب النيل من نحو بلاد الحبشة وأقاصي صعيد مصر، فلم يتأت له قسمة ماء النيل، فرام ذلك مما يلي بلاد الفرما نحو بلاد تنيس، فقال له يحيى بن خالد: إن تم هذا اختطف [الروم] الناس من المسجد الحرام ومكة، فامتنع من ذلك.

وقد أراد عمرو بن العاص رضي الله عنه محاولة هذا عند توليه أمر مصر فمنعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٢٨٠ (ويتشعب من هذا البحر) «٥» خليج ثالث وهو بحر فارس، وطوله ألف وأربعمائة ميل وعرضه في الأصل خمسمائة ميل، وينتهي إلى بلاد الأبلة «٦» والخشبات وعبادان من أرض البصرة. وخشبات البصرة سمي الموضع بذلك لأنها علامات من خشب منصوبة في البحر للمراكب إلى عمان. وهذا أول حد فارس، وهذا الخليج مثلث الشكل تنتهي زاويته بلاد أبلة، وعليه مما يلي الشرق ساحل فارس وساحل سيراف وساحل كرمان وبلاد مكران، وهي أرض الخوارج، وهذه كلها أرض نخل «٧» ، ثم ساحل الهند وفيه مصب." (٢)

"يخترق أرض السودان مما يلي بلاد الزنج ويطيف بأرض النوبة، فيتشعب منه خليج يصب إلى بحر الزنج، وهو بحر جزيرة قنبلو «١» ، وسنذكرها إن شاء الله. فيخرق البحر أكثر من ميل عذبا حلوا يتكدر إبان زيادة النيل وفيه السوسمار»

- وهو **التمساح** الكائن في نيل مصر- ويسمى الورل أيضا. وذكر أن النيل يجري على وجه الأرض تسعمائة فرسخ- ويقال ألف- بين عامر وغامر. وقال غيره إن مسافة جريانه من لدن منبعه إلى مصبه في البحر

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ١/١٩٦

(٢) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ١/١٩٩

خمسة آلاف وتسعمائة وثلاثون ميلا، ويقال إنه يجري في الخراب غير العمران مسيرة أربعة أشهر، في بلاد المسلمين مسيرة شهر وفي بلاد السودان مسيرة شهرين.

قال الجاحظ «٣» : وكل نهر في الأرض مخالف للنيل وهو مستقبل الشمال.

قال الشاعر [رجز] :

مصر ومصر شأنها عجيب ... وماؤها يجري به الجنوب.

٣٣٧ وبالنيل السمك الرعاد، من صاد منها سمكة لم تزل يده ترعد ما دام في شبكته أو شصه. وجبل آمد «٤» يراه أهله، من انتضى سيفه ثم أولجه فيه وقبض على قائمه بجميع يديه اضطرب السيف في يديه وارتعد هو ولو كان أشد الناس «٥» . وإذا أحد بحجارة ذلك الجبل سكين أو سيف وحمل عليه الحديد لم يؤثر فيه ويجذب الإبر والمسال أشد جذب من جبال المغنطيس، ولا يبطل الثوم عمله كما يبطل المغنطيس، بل تبقى تلك القوة في ذلك الحديد على مر الأيام. وحجر الجبل نفسه لا يجذب الحديد فإن أحد عليه سيف أو سكين جذب الحديد، وهذه عدة أعاجيب.." (١)

"مسافتها نحو من أربعين يوما في مثلها. ج: وماؤها ملح وليس لها مغيض ظاهر، ويقع فيها نهر جيحون ونهر الشاش وأنهار غيرهما «١» كثيرة، فلا يعذب ماؤها ولا يزيد فيها. ويشبه- والله أعلم- أن يكون بينها وبين بحر «٢» الخزر خرق يتصل بمائها، وبين البحرين نحو عشرين مرحلة على السمت.

وأضيق أعبار جيحون على رباط بلخ عرضه نحو ميلين. هذا كله من التنبيه.

٣٤٣ فأما نهر بلخ الذي يسمى جيحون- وهو نهر المصيصة- فإنه يجري من أعين فيمر ببلاد الترمذ واسفرائين من بلاد خراسان حتى يأتي بلاد خوارزم، فيفترق في مواضع هناك ويمضي باقيه فيصب في بحيرة الجرجانية أسفل خوارزم.

وليس في العمران بحيرة أعظم منها لأن طولها مسيرة شهر في نحو ذلك من العرض ودورها أربعمائة فرسخ، وإليها يصب نهر فرغانة والشاش وعليها مدينة للترك يقال لها الجديدة فيها المسلمون. والسفن تجري في هذه البحيرة.

٣٤٤ وقد زعم قوم من أهل الخبرة «٣» أن مبتدأ نهر جيحون يستمر خارجا إلى بلخ، ثم يصب في البحر، وهو يصب في ساحل المصيصة من البحر الرومي. ومقدار جريه على الأرض مائة وخمسون فرسخا، وقيل أربعمائة.

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢٢٩/١

وقد زعم قوم أنه يصب في مهران «٤» السند. [وذكر الجاحظ أن مهران السند] «٥» من نيل مصر واستدل بوجود التمساح فيه. ذكر ذلك في كتاب." (١)

"أنهار كثيرة وعيون غزيرة، فيقطع «١» أرض الهند والسند ويظهر على نوافره بناحية الملتان، ثم يمر على المنصورة حتى يقع في البحر شرقي «٢» الديبل.

وهو نهر كبير عذب يقال إن فيه تماسيح كتماسيح النيل، وهو مثله في الكبر وجريه بالأمطار الصيفية، وينتشر على وجه الأرض ثم ينضب فيزرع عليه حسب ما يزرع بأرض مصر.

نهر الرس: وهو نهر أرمينية يمر برستاق «٣» بناحية الفرس وشرقيه، ثم يمر بدبيل وبأران «٤» ، فيقع فيه من جبال أرمينية وجبال أران أنهار، ثم يمر بورثان إلى مرويح (؟) ، فإذا جاوزها انصب في بحر طبرستان.

النهروان: وإن منبعثه من جبال أرمينية ويمر بباب صلوى «٥» ، ويسمى هناك تامرا، ويستمد من القراطيل، فإذا صار بباب كسرى يسمى النهروان، وينصب في دجلة أسفل جبل.

نهر الخابور: منبعثه من رأس العين من أعلى أرض الجزيرة ويمتد من الهرماس «٦» ، وهو نهر ينصب في الفرات بموضع يسمى قرقيسيا.

[نهر بردى: نهر دمشق] «٧» فينبعث من جبالها فيجتازها فيسقيها «٨» ويسقي «٩» غوطة دمشق وينصب في بحيرة «١٠» دمشق.

نهر قويق: نهر حلب ينبعث من قرية تدعى سنياب «١١» على سبعة أميال من دابق، ثم يمر الى حلب ثمانية عشر ميلا، ثم يفيض في الأجمة.." (٢)

"٨٤٤ والترع التي في مصر أربع أمهات: ترعة ذنب التمساح وترعة بلقينة «١» وخليج سردوس «٢» وخليج ذات «٣» الساحل. وتفتح هذه الترع في عيد الصليب لأربع عشرة من أيلول، وليلة الغطاس بمصر لعشر يمضين «٤» من كانون الآخر، وهو أصفى ما يكون النيل، وحينئذ يتخذ النبيذ السواري «٥» بعد الغطاس، ويختزن الماء أهل تنيس ودمياط (سائر قرى) «٦» البحيرة.

٨٤٥ ولليلة الغطاس بمصر شأن عظيم. قال س: حضرتها سنة ثلاثين وثلاثمائة وأميرها الإخشيد محمد بن طفج، وهو في داره المعروفة بالمختارة في الجزيرة الراكبة للنيل والنيل مطيف بها. وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألفا مشعل سوى ما أسرج «٧» أهل مصر من المشاعل والشمع «٨» ما لا

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ١/٢٣٢

(٢) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ١/٢٣٧

يحصى عدده. وقد حضر النيل في تلك الليلة آلاف الآلاف من البشر «٩» ، منهم في الزوارق «١٠» ومنهم في الدور الراكبة للنيل ومنهم «١١» في «١٢» الشطوط «١٣» ، وقد أظهروا كل ما في إمكانهم «١٤» إظهاره من الملابس وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهي والعزف «١٥» والقصف وأحضروا «١٦» من المآكل والمشارب «١٧» ما «١٨» اختلفوا فيه، وهي أحسن ليلة تكون وأجلها سرورا، ويغطس أكثر الناس في النيل ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ونشرة من الداء.." (١)

"ناحية الشرقية ومشى حتى انتهى إلى الفيوم، ثم أتى عمرا بخبرها «١» وخبر قيس. ويقال إن عمرا بعث جرائد خيل إلى ما حول مصر، فأخبرهم رجل بأمر الفيوم «٢» ، فسار معه في جريدة من الخيل عمرو بن ربيعة بن حبيش بن عرفظة الصدفي. فلما سلكوا في المجابة «٣» لم يروا شيئا وهموا بالانصراف، فلم يسيروا إلا قليلا حتى طلع لهم سواد الفيوم.

فرس النيل

٨٦٨ ومن عجائب النيل الفرس الذي يكون فيه، فإنه إذا خرج من الماء وانتهى وطؤه «٤» إلى (بعض المواضع) «٥» علم أهل مصر أن النيل يخرج إلى ذلك الموضع بعينه غير مقصر عنه ولا زائد عليه. وهي تضر بالزرع ضررا «٦» شديدا لرعيها له «٧» ، فإذا كثر ذلك منها طرح لها الترمس في المواضع «٨» التي تخرج فيها «٩» فتأكله، ثم تعود إلى الماء فيربو في أجوافها حتى تنشق فتطفو على الماء ميتة. وهي على صورة الفرس إلا أن ذنبه وحافره «١٠» بخلافه وجبهته أوسع، والموضع الذي يكون فيه هذا الفرس لا يكاد يرى فيه **تمساح**.

ملوك مصر بعد الطوفان

٨٦٩ وذكر جماعة من الشرعيين أن بيصر بن حام (بن نوح) «١١» لما انفصل عن أرض بابل بولده وكثير من أهل بيته سار نحو مصر فنزل موضعا يقال له منف، وكذلك يسمى إلى الآن، وكان عددهم ثلاثين، فسميت بهم كما سميت." (٢)

"ذهبا حسنا جيدا) «١» . قال: فندمت على تفريطنا «٢» في ذلك الماء. فلما رأى ندمي ضحك وقال: أتحب أن أريك منها عجبا؟ قلت: نعم. قال:

زنها واعرف وزنها. ففعلت فوجدت فيها أربعة أرطال، فقال: املأها ماء أو ما أحببت. فملأتها «٣» فقال

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ١/٥٠٣

(٢) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ١/٥١٦

لي: زنها الآن، فوزنتها فوجدت وزنها وهي ملئة «٤» مثل وزنها وهي فارغة أربعة أرطال، لا تزيد ولا تنقص. فعجبت من ذلك وشاع خبرها فاتصل ببعض الولاة فوجه إلي وأخذها.

(ذكر أول من ولي مصر من الملوك) «٥»

٩١٤ أول من ولي مصر عند قسمة الأرض بين ولد آدم زمن أنوش بوصية آدم عليه السلام نقراوش «٦» الجبار بن مصريم «٧» ، ويقال مصرام بن براكيل (بن راذيل بن غرناب) «٨» بن آدم عليه السلام، خرج إليها «٩» في خمسة وثمانين «١٠» من ولد أبيه غرناب، وله حمل من طشهرة «١١» ابنة هرم، فولدت له ولدا سماه مصرم باسم أبيه. ومعنى نقراوش الملك على ولد أبيه، وهو لقب واسمه قرناش. و٥و أول من اتخذ المصانع وعمل الطلسمات وأقام الأساطين ورمز عليها التواريخ وبنى المدائن «١٢» ، وهو الذي حفر النيل وكان قبل ينقطع ويستنقع وعمل للتماسيح «١٣» في آخر بلاد النوبة صنمين على شرقي النيل وغربيه ورمز فيها رموزا امتنعت التماسيح أن تنحدر فيه «١٤» .

وكانت كتابتهم بقلم الخلقطير، وهو قلم آدم (عليه السلام) «١٥» ، وكان كاهنا عالما لربي من الجن من ولد الأسمور يقال له نكور، وكان قد وقع إليه بعض العلوم التي كان درابيل «١٦» الملك علمها لآدم، وعمل عجائب كثيرة." (١)

"إليها وأنهم إذا قصدوها وكانوا على مقدار ثمانية أذرع منها دارت القبة عن أيمانهم وشمائلهم وقد عاينوا ما فيها. ومن أعجب ما فيها أنهم كانوا يحاذون آزاجها أزجا أزجا فلا يرون من أزج من الآزاج إلا مثل الذي يرون من الآخر على معنى واحد لا يختلف. وذكروا أنهم رأوا وجهه في قدر ذراع ونصف بالذراع الكبير ولحيته كبيرة وقدروا طول بدنه عشر أذرع وزيادة ورأوا بها عجائب عظيمة.

٩٤٩ ثم ملك بعده «١» ابنه شدات «٢» ، وهو أول من اتخذ الجوارح للصيد وولد الكلاب السلوقية من الذئاب والكلاب وعمل البيطرة وعلاجات الدواب، واتخذ من الطلسمات والمصانع «٣» ما لا يحصى كثرة، وجمع التماسيح بطلسم عمله لها في بركة بناحية أسيوط وكانت تنصب إليها من النيل انصبابا، فيقتلها ويستعمل جلودها في السفن وغيرها. وعمل صورة صنم قائم له إحليل ظاهر، إذا أتاه المعقود والمسحور والمعترض ومن لا ينتشر فمسحه بكلتا يديه أنعظ وذهب ما به. وعمل صورة بقرة لها ضرعان كبيران إذا مسحت عليها المرأة التي لا يدر لبنها (در لبنها لحينه) «٤» . فأقام شدات تسعين سنة ملكا. وخرج يطرد صيدا فأكبه فرسه من وهدة فقتله. وكان قبل ذلك قد خالفه «٥» بعض خدمه في أمر، فألقاه

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٥٥٢

من أعلى جبل إلى أسفله فتقطع جسده «٦» وندم على فعله ذلك، فرأى «٧» أنه سيصيبه مثله. فكان يتوقى أن يعلو «٨» جبلا أو شرفا، وأمر أن يجعل ناووسه في الموضع الذي يلحقه فيه ما يلحقه ويزبر «٩» عليه: ليس ينبغي لذي القدرة أن يخرج عن الواجب ولا يفعل ما لا يجوز له فعله. هذا ناووس شدات الملك، عمل ما لا يحل له فكوفيء عليه بمثله.." (١)

"معهم. وفي سابور صير القبور القديمة التي لا يدرى «١» من أي زمان هي، فيها أموات صحاح الأجسام عليهم أكفانهم لم يتغير منظرهم «٢» ، وتجمع في هذه القبور الموميا القبورية التي لا تعدل ثمنا.
١٠٢٧ ومدينة أخميم، وهي مدينة مسورة في الضفة الشرقية من النيل فيها أسواق وحمامات ومساجد، وهي كثيرة المساجد، وداخل سورها البربى المذكور لم يتغير منه شيء، وفيها مسجد جامع جليل.
١٠٢٨ مدينة أسيوط «٣» ، وهي على الشاطئ الغربي من النيل، وهي مدينة مسورة (جميلة النصبة) «٤» كثيرة الخير والفوائد «٥» ، وفيها أيضا بربى (في وسط سوقها) «٦» قد تهدم بعضه. وأسيوط أكثر بلاد الصعيد قصب سكر وأطيبه.
١٠٢٩ مدينة أنصنا «٧» ، وأكثرها اليوم خراب، وهي كانت مدينة السحرة وكان (بها أيضا بربي لم يبق منه اليوم إلا بيت واحد كأنه من صخرة واحدة حيطانه وأعلاه «٨» ، ومارية التي أهداها المقوقس الى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من كورة أنصنا من قرية يقال لها جفن «٩» ، ومدينة أنصنا) «١٠» لا يقربها تمساح والناس منها «١١» آمنون هناك، وأكثر ما يكون عدوانا من الشاطئ الغربي الذي يحاذي." (٢)

"أنصنا في قرية يقال لها الأشمون، لا يقدر «١» أحد أن يقرب من شاطئها «٢» ، واذا كان التمساح في حد أنصنا تحول على ظهره مستلقيا حتى يخرج منها، وكذلك يصنع من فسطاط مصر على نحو عشرة أميال حتى يخرج عن حدها بمثل ذلك.
١٠٣٠ ومدينة قوص «٣» ، وهي على شرقي النيل بين أسوان وأخميم وبينها وبين أسوان مسيرة ثلاثة أيام، وهي مدينة كبيرة وفيها آثار عظيمة للأوائل «٤» ، وفيها أسواق وحمامات ومعاصر للسكر يخدم الدار الواحدة منها «٥» مائة رجل، ولها ضياع جليلة، وبينها وبين أسوان غيران منحوتة في جبال «٦» هناك فيها قبور «٧» أموات تستخرج منها الموميا الطيبة، وهم يجدونها في رممهم وبين أكفانهم.

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٥٧٢/٢
(٢) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٦١٧/٢

ويقال ان في تلك الصحراء التي بين قوص وأسوان الجبل الذي فيه معدن الزمرد الأخضر، إلا أن الخوف من البجاة «٨» والنوبة وقبائل عرب تلك الصحارى تمنع منه، مع أن غيرانه بعدت وانهارت «٩» وتهدمت لبعد العمارة و انقطاع الناس.

١٠٣١ ومدينة قفط «١٠» ، وهي متوسطة المقدار بينها وبين النيل ثلاثة أميال، عليها سور ولها جامع وسوق «١١» ، وبينها وبين مدينة قوص أربعة أميال، وفيها بربى وبغربيها شعرى كثيفة، (ليس بينها وبين مدينة قوص) «١٢» شيء إلا شجر." (١)

"وتمثال، وتهواء من الليل، وتقصار، وهى القلادة، ورجل **تمساح**، وهو الكذاب؛ وقال ابن مقبل:

فقال أراها بين تبراك موهنا ... وطلخام إذ علم البلاد هدانى «١»

تبرز

بكسر أوله، وإسكان ثانيه، وكسر الراء المهملة، بعدها زاى معجمة:

موضع فيه عيون وأموال لقريش وغيرها، قد تقدم ذكره فى رسم الأجرد، فانظره هناك.

تبرع

موضع بين حفر الرباب، وبين ماء يقال له الثمد، وهو لبنى حويرة «٢» من التيم، وهما محددان فى موضعهما.

تبشع

بفتح أوله، وبالشين المعجمة المفتوحة «٣» ، والعين المهملة: بلد فى ديار فهم، مذكور فى رسم السفير.

تبل

بضم أوله، وفتح ثانيه: واد قبل حصيد، المحدد فى رسم الأمرار؛ ويدل على ذلك قول الكميت:

تأبد من ليلى حصيد إلى تبل ... فذو حسم «٤» فالقطقطانة فالرجل

ويروى: «تأبد من ليلى حصيد» على التصغير. وقال لبيد:

كل يوم منعوا جاملهم ... ومرنات «٥» كآرام تبل

والعبلاء: من تبل، قال الراجز:

افرغ لجوف وردت يوم النهل ... جاءت من العبلاء عبلاء تبل." (٢)

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٦١٨/٢

(٢) معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع أبو عبيد البكري ٣٠٢/١

"(قامة الفصعل الضئيل وكف ... خنصراها كذينقا قصار)

وقال آخر

(ألام على بغضي لما بين حية ... وضبع وتمساح تغشاك من بحر)

٣ – (تحاكي نعيما زال في قبح وجهها ... وصفحتها لما بدت سطوة الدهر)

٤ – (هي الضربان في المفاصل خاليا ... وشعبة برسام ضممت إلى النحر)

٥ – (إذا سفرت كانت لعينك سخنة ... وإن برقعت فالفقر في غاية الفقر)

٦ – (وإن حدثت كانت جميع مصائب ... موفرة تأتي بقاصمة الظهر)

---

١ – الفصعل العقرب الصغير والضئيل الضعيف والكذينق مدقة القاصر وهو الصباغ

٢ – تغشاك أتاك والمعنى من العجب أن أكون ملوما على بغضي لها وهي موصوفة بهذه الصفات الدنية

٣ – تحاكى تماثل والسطو البسط على الإنسان بقهر وشدة والمعنى أنها تماثل في قبح وجهها قبح زوال النعمة وأراد المثل السائر أقبح من زوال النعمة يضرب لشدة القبح

٤ – البرسام داء يعرض للحجاب الذي بين الكبد والمعي ثم يتصل بالدماغ والمعنى إذا خلوت بها كانت خلوتها كضربان العروق بالألم في مفاصل من به داء المقرس وإن جذبتها إلى نفسك قاسيت منها ما يقاسي المبرسم

٥ – سفرت ظهرت وسخنة العين بالضم نقيض قرتها ويقال أسخن الله عينه أي أبكاه وقوله فالفقر في غاية الفقر يريد إذا تناهى الفقر فلا يكون وراءه شر منه والمعنى إذا كشفت وجهها جلب إلى العين حرارة تدمع بها وذلك لسماجة الوجه فكيف إذا كانت مبرقعة فإنها تكون فقرا ليس وراءه شر منه

٦ – قاصمة الظهر الداهية." (١)

"المتفادي من أن يظلم أو يظلم

كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج من بيته: بسم الله وبالله أني أعوذ بك من أن أزل أو أضل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي، وقال بعضهم: لنا عز يمنع من أن نظلم وحلم يمنع من أن

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٤١٩/٢

نظلم.

الموصوف بالظلم

قيل: فلان أظلم من حية لأنها لا تحفر الجحر بل تسلب غيرها جحره فتدخله.

ويقال أظلم من ذئب، قال:

وأنت كذئب السوء إذ قال مرة ... لعمروسه والذئب غرثان خاتل «١»

أأنت الذي من غير شيء سببتني ... فقال متى ذا؟ قال ذا عام أول

فقال ولدت العام بل رمت غدرة ... فدونك كلني ما هنا لك مأكل

وقيل: أعدى من الدهر ومن **التمساح** ومن الجلندي وهو فيما قيل اسم الملك الذي قال الله تعالى فيه: وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا

«٢» .

وقال: أعرابي لئن هملجت إلى الباطل أنك عن الحق لقطوف. وقيل: الفتنة عرس الظالم.

المتبجح بالظلم

قيل لأعرابي: أيما أحب إليك أن تلقى الله ظالما أو مظلوما؟ فقال: ظالما قيل: ويحك ولمه؟ قال: ما عذري إذا قال لي: خلقتك قويا ثم جئت تستعدى، وقيل لأعرابي: ولد له ابن جعله الله برا تقيا فقال بل جعله جبارا عصيا يخافه أعداؤه ويؤمله أولياؤه.

الممدوح بكونه مظلوما لمن هو دونه

وقع الرشيد في قصة رجل: الشريف من يظلم من فوقه ويظلمه من دونه فانظر أي الرجلين أنت. قال محمود الوراق:

ما زال يظلمني وأرحمه ... حتى رثيت له من الظلم «٣»

وقال ابن الزهير: تحمل بعض الظلم أبقى للأهل والمال. قال الشاعر:." (١)

"مستضعف أعانه الله فقواه

قال الله تعالى: ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض

«١» وقال أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢٧٢/١

. «٢»

(٢) حث الممتحن على مصابرة الزمن إلى انقضاء زمن المحن

قال النبي صلى الله عليه وسلم: للمحن أوقات ولها غايات، واجتهاد العبد في محنته قبل إزالة الله لها زيادة فيها. قال تعالى: إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل: حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون

«٣» . وقيل: الممتحن كالمختنق كلما ازداد اضطرابا إزداد اختناقا. وقيل: إذا أراد الله خلاص غريق عبر البحر على سارية. وقيل: حامل الدهر إلى أن يحمل وأقبل منه إلى أن يقبل.

من زال غمه فنسى صنع الله تعالى

قال الله تعالى: وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون

«٤» ، وقال الله تعالى: هو الذي يسيركم في البر والبحر

«٥» الآية، وقال الله تعالى: قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر

«٦» الآية، شكا يوسف عليه السلام طول الحبس فأوحى الله تعالى إليه أنت حبست نفسك حيث قلت السجن أحب إلي. وقيل: من سبح في النهر الذي فيه **التمساح** عرض نفسه للهلكة. وقيل: ما صاحب البلاء الذي طال بلاؤه بأحق بالدعاء من المعافى.

من ذكر إحسان الزمان إليه بعد إساءته

قال شاعر:

أيها الدهر حبذا أنت دهرا ... قف حميدا ولا تزول حميدا

كل يوم تزداد حسنا فما تب ... بعث يوما إلا حسبناه عيدا

وقال آخر:

رق الزمان لفاقتي ... ورثى لطول تحرقي." (١)

"قال الشاعر:

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت ... فدل عليها صوتها حية البحر

وقيل في الخرافيات إن الضفدع كان ذا ذنب فسلبه لما راهن على الصبر عن الماء.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٤٠٨/٢

وفي قرآن مسيلمة لعنه الله: يا ضفدع كم تنقين نصفك في الماء ونصفك في الطين. لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين. ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتله.

قال الخوارزمي:

أرقني والديك لم ينطق ... صوت غريق نصفه لم يغرق

وجاحظ العين ولما يخنق ... بلحظ مخنوق ولفظ أشرق

وفيه:

كعقد الناكح حين ينزل

التمساح

لا يكون إلا في نيل مصر، ويأكل الإنسان. وقيل: إن بطنه كقباء «١» مفروج وكل شيء يأكل بالمضغ دون الإبتلاع فإنه يحرك فكه الأسفل إلا **التمساح** فإنه يحرك الأعلى.

التنين

ينكره أكثر الناس إلا بعض الشاميين يزعم أنه إعصار فيه نار يخرج من بخار الأرض فلا يمر على شيء إلا أحرقه.

(٧) ومما جاء في أحوال الحيوانات وطبائعها

المتزاوجة من الحيوانات

ليس التزاوج إلا في ذي رجلين دون ذوات الأربع، وذلك في الإنسان والحمام وأجناسها. وأما الدجاج والحجل فإنها تمكن كل ذكر من نفسها.

البائضة والوالدة

كل ما لا أذن ظاهرة لجنسه فإنه يبيض وماله أذن ظاهرة فإنه يلد ولا يبيض. وما يبيض على ثلاثة أضرب: هوائي ومائي وأرضي. فالطائر منها ما يبيض في السقوف والأجذاع كالخطاطيف، ومنها ما يبيض على شعف الجبال، حيث لا يوصل إليه كالرخم." (١)

"على ذلك بقوله تعالى: وشاركهم في الأموال والأولاد

«١» وقالوا الواقواق من نتاج بعض الحيوانات وبعض النبات

القوة على الجماع

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/ ٧٣٠

الإنسان يغلب جميع الحيوانات في السفاد لأن ذلك دائم منه في جميع الأزمنة وعلى جميع الأحوال. والإبطاء في الفراغ للجمل والورل والذبان والعناكب والضفادع والخنازير.

وأما الكلاب والذئاب فتلتحم وكذلك الذبان وقال النوشجان: أقبلت من خراسان، في بعض طرق أجبالها فرأيت أثر ست أرجل أكثر من ميلين فسألت فقيل لي أن الخنزير في زمن الهياج يركب ذكره الأنثى. وهي ترتع وتمر فهذا أثرهما وكثرة عدد الجماع من العصافير. وكل جنس يحبل إلا البغل فإنه وإن أحبل لم ينم وقفط «٢» تيس بني حمار مشهور.

المتسافد ذكوره

الخنازير والحمار والحمام كل ذلك، للذكر الذكر، وللأنثى الأنثى

ما يتغاير

يتغاير الخنزير والحمل والفرس إلا أنها لا تتزاوج وحمار الوحش يغار ويحمي أناثه الدهر كله، وأجناس الحمام تتزاوج ولا تتغاير والقرد يتزاوج ويتغاير.

أشراف الحيوانات

قيل: أشرف السباع ثلاثة: الأسد والببر والنمر. وأشرف البهائم ثلاثة: الكركدن والفيل والجاموس وأشرف المركوبات: الخيل والإبل. وأشرف الطير: العقاب.

وقيل: الرياسة في الهواء للعقاب، وفي الماء للتمساح وفي الغياض للأسد.

وقيل: الطير هوائي والسمك مائي يعني أكثر استقرارهما في هذين الموضعين.

ومن الحيوان ما لا يصلح أمره إلا بالرئيس كالنحل والغرانيق والكراكي، وأما الإبل والحمير والبقر فالرياسة لفحل الهجمة ولعير العانة «٣» ولثور الربرب «٤» . وقيل: لكل شيء سادة حتى النمل.

ما يتعادى من الحيوانات

قيل: أشد العداوة عداوة الجوهر وما يتعادى على ضربين: ضرب يعادي جنس." (١)

"جنسه. وذلك نوعان: أحدهما كل نظير صاحب كالأسد والفيل فإنهما يتقاتلان وكل قد يقتل الآخر. والفرس المائي يقتل التمساح ويتغالبان. والحية وسام أبرص يتقاتلان والأسد والنمر والأسد والجاموس. ومنها ما لا يضر الآخر ولا يقوى الآخر عليه كالسنور مع الجرذ، والذئب مع الشاة، والدجاج مع ابن آوى،

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٧٣٢

والحمام والشاهين والشاة أشد فرقا من الذئب منها من الأسد.

والدجاج يخاف ابن آوى أكثر ما يخاف الثعلب والحمام أشد فرقا من الشاهين منه للبازي والصقر.

القوي المتفادي من الضعيف

الجاموس يخشى البعوض خوفا شديدا، ينغمس في الماء والفيل يهرب من الهرة.

وقيل: إنما يهرب من الأسد إذا ظنه سنورا عظيما. والحية إذا أصابها خدش تسلط عليها الذر «١» فيهلكها.

واللبوة إذا وضعت قصد الذر شبلها فيأكله، ولذلك قال المتنبي:

يذب أبو الشبل الخميس عن ابنه ... ويسلمه عند الولادة للنمل «٢»

ما تقوى أناثها

كل صنف من الحيوان ذكورها أجرأ وأقوى إلا الفهد والذئب واللبوة.

الأكلة للناس من السباع

الأسد والنمر والببر «٣» . وقيل لا يعرض ذلك للناس إلا بعد الهرم والعجز عن الصيد. والذئب أشد الناس مطالبة فإن عجز عوي مستغيثا بالذئاب.

الآكل بعضها بعضا

السمك يأكل بعضه بعضا أكلا ذريعا والذئب متى رأس ذئبا أدمى أكله لا محالة:

قلت وكنت كذئب السوء لما رأى دما ... بصاحبه يوما أحال على الدم

والجرذ إذا خصي أكلها أصحابها.

الصابرة عن الطعام

الحية وسام أبرص والعضاة والتمساح تسكن في أعشتها الأربعة الأشهر الشديدة البرد، فلا تطعم شيئا وسائر الحيوانات تسكن بطن الأرض كذلك كل همج لا تبرز في الشتاء إلا النمل والذر والنحل فإنها تدخر ما يكفيها.

المدخرة

الإنسان والنملة والذرة والجرذ والفأر، والعنكبوت والنحل.." (١)

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٧٣٣

"٢٣٧٢- أظلم من التمساح، و"كافأني مكافأة التمساح".

قال حمزة: له حديث من أحاديثهم طويل تركت ذكره.." (١)

"وقد أووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه حتى أظهر الله الإسلام؟ قال الجرمي:

وكيف يكون قلة الحياء؟.

١٣- كان يقال: إثنان لا يتفقان أبدا القناعة والحسد. وإثنان لا يفترقان أبدا الحرص والقحة.

١٤- هجا أبو الهول الفضل بن يحيى، ثم أتاه راغبا إليه، فقال له:

بأي وجه تلقاني؟ قال: بالوجه الذي ألقى به ربي وذنوبي إليه أكثر.

فضحك ووصله.

١٥- شاعر:

أكول لأرزاق العباد إلى شتا ... صبور على سوء الثناء وقاح

١٦- من جسر أيسر، ومن هاب خاب.

١٧- المسترسل موقى، والمحترس ملقى.

١٨- شاعر:

لا تكونن في الأمور هيوبا ... فإلى خيبة يصير الهيوب

١٩- آخر:

إذا رزق الفتى وجها وقاحا ... تقلب في الأمور كما يشاء

٢٠- آخر:

إذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا ... وتستح مخلوقا فما شئت فاصنع

٢١- من سبح في النهر الذي فيه التمساح عرض نفسه للهلكة.

٢٢- علي عليه السلام: إذا هبت أمرا فقع فيه، فإن شدة توقيه أعظم مما تخاف منه.

٢٣- كان الحسن: إذا ذكر أهل السوق والغوغاء قال: قتلة الأنبياء.." (٢)

"السفينة فتقلبها، وتضربها فتكسرها.

وسمعت أنا من بعض البحارين بمكة: ونحن قعود عند باب بني شيبة، يصف لي القرش فيقول: هو مدور

---

(١) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٤٤٦/١

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣١١/٥

الخلقة، وعظمه كما بين مقامنا هذا إلى الكعبة، ومن شأنه أن يتعرض للجلاب، وهي السفن الكبار، فلا يرده شيء إلا أن يأخذ أهلها المشاعل، فثم الحذر والمرور على وجهه كالبرق، كل شيء عنده جلل إلا النار.

وقال: رأيت ملاحا يصعد في المردي فلما نصفه خر مقطوعا نصفين فنظرنا فإذا القرش قد ضربه بذنبه.

وبه سميت قريش، قال المشمرج بن عمرو الحميري:

وقريش هي التي تسكن البح ... ربها سميت قريش قريشا

تأكل ألغث والسمين ولا تت ... رك فيه لذي جناحين ريشا

٣- وللشريف الرضي ذي المناقب في قطعة له مليحة:

يبرهن العدلي وال ... مجبر في وعاوعه

والقرش لا يروعه ال ... نقيق من ضفادعه

٤- حكي أن **تمساحا** وأسدا اعتلجا على شريعة «١» ، فضربه التسماح بذنبه، وضغم الأسد رأسه، فماتا جميعا.

٥- ذل **التمساح** على وجه الأرض شبيه بذل الأسد في الماء الغمر، يذل حتى يركب الصبي ظهره، ويقبض على أذنيه كيف شاء، ويفعل ذلك غلمان السواد بشاطىء الفرات إذا احتملت الأسود المدود.

٦- ويكون في النيل وخلجانه خيل في صور خيل البر، وهي تأكل **التماسيح**، وربما خرجت فرعت الزروع، وإذا رأى أهل مصر حوافراها علموا أن ماء النيل ينتهي في طلوعه إلى ذلك المكان. وإذا أصابوا منها." (١) "صغيرا ربوه في البيوت.

٧- وفي سن من أسنان فرس الماء شفاء من وجع المعدة، وأعفاجه «١» تبرىء من الجنون والصرع كما تبرىء لحوم بنات عرس.

٨- كل ماضغ يحرك فكه الأسفل إلا **التمساح** فإنه يحرك فكه الأعلى.

٩- سمك البحر كله ليس له لسان ولا دماغ.

١٠- الكوسج سمكة غليظة الجلد تشبه الجري، إن اصطادوها ليلا وجدوا في جوفها شحمة طيبة، وإن اصطادوها نهارا لم يجدوها.

١١- الشبوطة تنتهي في النهر إلى الشبكة فلا تستطيع النفوذ، فتتأخر قاب «٢» رمح ثم تجمع جراميزها

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣٩٨/٥

حتى تطفر «٣» الشبكة، وربما كان ارتفاع وثبتها أكثر من عشرة أذرع.

١٢- أكثر البياضة بيضا السمك، ثم الجراد، ثم العقارب، ثم الضباب، لأن السمكة لا تزن ولا تلقم ولا تحضن ولا ترضع فكثر الله ذرها. وما زق وحضن- والزق ضرب من القيء وفيه عليه وهن وشدة- قلل الله نسله، كالحمامة لا تبيض إلا بيضتين. والدجاجة تحضن ولا تزق فزاد الله في بيضها وفراخها. والحية تضع ثلاثين بيضة، ولها ثلاثون ضلعا ولذلك قويت أصلابها. فسبحان من دبر هذا التدبير اللطيف، وأحكم هذه الحكمة البالغة.

١٣- من السمك قواطع كما في الطير، منها الأسبور والنرسوج يقطع." (١)

"﴿وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾ والمثل عمانى

٩٨٢ - أظلم من الشيب

٩٨٣ - من تمساح

٩٨٤ - من حية ويروى من حية الوادي يزعمون أن رجلا أخذ حية وقد جمدت من البرد حتى لا حراك بها فلم يزل يدفيها تحت ثيابه حتى تحركت فنهشته فقال لها ويحك أهذا جزائي منك قالت لا ولكنه طبعي قال

(الهزج)

(غدير الحي من عدوان ... كانوا حية الأرض)

وقال مضرس بن ربعي بن لقيط

(الطويل)

(لعمرك أني لو أخاصم حية ... إلى فقعس ما أنصفتني فقعس)

(فما لكم طلسا إلى كأنكم ... ذئاب الغضا والذئب بالليل أطلس)

٩٨٥ - من ذئب ربى بدوي ذئبا فلما شب فرس سخلة له فقال." (٢)

"فكيف جعل ابن قتيبة الأصل الياء فالقول أن كل مقصور على أربعة أحرف فتثنيته بالياء سواء كان من الواو أو الياء فلزيادة الحرف الرابع بني بالياء لأنها أخف من الواو فأراد ابن قتيبة بالأصل ما استعملته العرب ولم يرد أصل الكلمة وكذلك قولهم عقلته بثنايين بياء غير مهموزة لأنه لا يفرد واحدة فيقال ثناء وذلك

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣٩٩/٥

(٢) المستقصى في أمثال العرب الزمخشري ٢٣٢/١

أن الواو والياء متى وقعتا طرفا بعد ألف زائدة همزتا فإذا ثني مثل هذا بقيت همزته بحالها فقيل في تثنية كساء كساءان ورداء رداءان فأما قولهم عقلته بثنايين غير مهموز فإن همزته تحصنت من حيث أنه لم يفرد واحدة فتتطرف ياؤه ولو تطرفت لاستحقت الهمزة بأن يقال ثناء فيقال ثناءان ومعنى عقلته بثنايين أن تشديديه بطرفي حبل فهو حبل واحد تشد بأحد طرفيه يد البعير وبالطرف الآخر اليد الأخرى واتفق البصريون والكوفيون على إلا يهمزوه ويقال لذلك الحبل الثناية وخطئى الليث في تجويز همزه. وقال في قولهم حل حبيته إنما غيروا واوها لأن الفعل الثلاثي إذا كانت لامه واوا والحقتنه بالرباعي قلبت واوه ياء لخفة الفتحة فتقول في غزا يغزو ودنا يدنو أغزيت وأدنيت وألهيت ولا تقل أغزوت وكذلك ما أشبهه.

قال أبو محمد قال الفراء وجاء التبيان مكسور الأول وهو مصدر بينت قال ولا يكون التفعال إلا اسما موضوعا. أعلم أن ما جاء على هذا المثال فهو على ضربين اسم ومصدر فأما المصادر فتجيء على تفعال بفتح التاء نحو التهيام والتهدار والتلعاب والترداد وهكذا سائر المصادر التي على هذا المثال ولم يأت منها شيء على تفعال بكسر التاء إلا التلقاء والتبيان وهما في القرآن والتنضال من المناضلة منهم من يجعله اسما وكذلك قولهم جاء بالتيفاق الهلاك منهم من يجعله مصدرا ومنهم من يجعله اسما وأما الأسماء فجاءت على تفعال بكسر

التاء وهي التنبال القصير ورجل تيتاء أي عذيوط وهو الذي يحدث عند الجماع وتبراك موضع وتعشار موضع وتقصار قلادة قصيرة في العنق وتيغار حب مقطوع وتمراج برج صغير للحمام وتمساح دابة تكون في الماء ورجل تمساح أي كذاب وتمتان واحد التماتين وهي خيوط يضرب بها الفسطاط ورجل تكلام كثير الكلام وتلقام كثير اللقم وتلعاب كثير اللعب وتمثال واحد التماثيل وتجفاف الفرس معروف وترباع موضع وترعام اسم شاعر وترياق في معنى درياق وطرياق فهذه الاسماء التي جاءت على." (١)

"أنه زلال، ورأيت كيف ترحم في العلم بالمنكب العمم، وتأخذ من البلاغة في المذهب الأمم. فما شئت من مثل سائر، وبيت [٨٠] نادر، وفقر محذوة بأمثالها، ونكتة غريبة مضافة إلى أشكالها، مما اتصلت به يد الإحاطة بصحة البراعة، وتزينت ديباجة الطبع برقم الصناعة، فهو مؤنسي، وشغل مجلسي. وقد وجهت إليك مع الوزير المتقدم الذكر، ما أحب أن تضع عليه يد الستر، مكان لسان الشكر، فإني أعلم أنه عدد يقصر عن قدرك، ويقل في جنب اللازم لك، وذلك مائة مثقال من ضرب السكة قبلي. فتفضل بقبولها، والإعلام بوصولها.

---

(١) شرح أدب الكاتب ابن الجواليقي ص/٣٠٢

قال ابن بسام: ومع وصول هذه الصلة إلى ابن شرف، لم يزل على ملوك الطوائف يومئذ يتطوف وينتقل في الدول من منزل إلى منزل، ومن بلد إلى بلد، إلا حضرة المعتضد، فإنه كان يخاطبه وينشده:

أحبك في البتول وفي أبيها ... ولكني أحبك من بعيد وتوهم جملة أن بوادي إشبيلية **تمساحا** من **تماسيح** النيل، وجعل هجيراه بيتي أبي نواس حيث يقول:." (١)

"أضمرت للنيل هجرانا ومقلية ... إذ قيل لي إنما **التمساح** بالنيل

فمن رأى النيل رأى العين من كثب ... فلا أرى النيل إلا في البواقيل وقد حدثت أيضا أنه خاطب المعتضد بهذه الأبيات:

أأن تصديت غيري صيد طائرة ... أوسعتها الحب حتى ضمنها القفص

حسبتني فرصة أخرى ظفرت بها ... هيهات ما كل حين تمكن الفرص

وظاهر حسن أيضا لقصتها ... لكن لها باطن في طيه قصص

لك الموائد للقصاد مترعة ... تروي وتشبع لكن بعدها غصص

ولست أعجب من قوم بها انتشبوا ... لكنما عجبي من معشر خلصوا

ولم يطب قط لي من يلذ ولا ... سلوى إذا كان في عقباهما مغص قال هذا لتواتر الخبر عن المعتضد بازورار ركنه، وخشونة حزنه، فأضرب عن ضربه، ولم يتعرض للنشبة في حبائل نشبه، خوفا أن يورطه الهوى في هوان، ويسقط العشاء به على سرحان، ويطيح في جملة من طاح على يديه من الخلطاء والندمان.." (٢)

"﴿أنا الله﴾ (١) فهذا ضمير الشأن، وهى هند جالسة، فهى ضمير القصة، كما قال جل ثناؤه: ﴿فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ (٢).

والمفسر بالمفرد الإضمار فى نعم وبئس ورب، نحو نعم غلاما زيد، و ﴿بئس للظالمين بدلا﴾ (٣) الأصل: نعم الغلام، وبئس البدل، فلما أضمرا فسرا بنكرة من لفظيهما، والمضمر فى «رب» كقولك: ربه رجلا عالما أدركت، وجاز أن يلاصق «رب» المضمر وهى لا تليها المعارف؛ لأنه غير عائد على مذكور، فهو جار مجرى ظاهر منكور.

وقوله: ﴿فطفق مسحا بالسوق والأعناق﴾ طفق من/أفعال المقاربة، التى تلزم بعدها الأفعال المستقبلة،

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ١٨١/٧

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ١٨٢/٧

كجعل وأخذ وكرب، تقول: طفق يفعل كذا، وجعل يتكلم بحجته، وأخذ يلوم زيدا، وكربت الشمس تغيب: أى قاربت المغيب، والتقدير: فطفق يمسح مسحا بالسوق، لا بد له من يفعل [كذا (٤)]، كما قال تعالى: ﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ (٥) ولا يجوز أن تقدر أن ﴿مسحا﴾ (٦) وقع موقع ماسحا، كما وقع ﴿غورا﴾ موقع غائرا فى قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا﴾ (٧) لأن هذا الضرب من الأفعال يلزمه يفعل، ظاهرا أو مقدرا.

والمسح هاهنا: القطع، ومنه اشتقاق **التمساح**، لدابة من دواب البحر، لأنه يقطع بأسنانه كما يقطع السيف.

---

(١) الآية التاسعة من سورة النمل.

(٢) سورة الأنبياء ٩٧، وانظر كتاب الشعر ص ٢٧٤.

(٣) الآية المتمة الخمسين من سورة الكهف.

(٤) سقط من هـ.

(٥) سورة الأعراف ٢٢، وطه ١٢١.

(٦) أى تعربه مصدرا فى موضع الحال، كما قال العكبرى فى التبيان ص ١١٠١، وانظر كتاب الشعر ص ٣٤٣. وانظر ما سبق فى ص ٨٢.

(٧) الآية الأخيرة من سورة الملك.." [١]

"لعع: نتلعى–اللعاعة ٢/ ١٧٢

لعن: اللعن ١/ ١٦٨

لغب: لاغب ٢/ ٢٧٠ – اللغوب ٣/ ٢٠٢

لفع: التلفع ٢/ ١٣٦ – تلفعت ٢/ ٢٦٩

لكع: لكع–لكاع–بنو اللكيعة ٢/ ٣٤٧

لمم: صخرة ملمومة وململمة ١/ ٣٠١

لهوج: الملهوج ١/ ٣٥٤

لها: جمع لهاة ١/ ٣٥٣

لوب: اللابة ٣/ ٧١

---

(١) أمالي ابن الشجري ابن الشجري ٩٢/١

لوى: ألوت ١/ ١٥٥ - اللوى ١/ ٢٧٤ - لوى يده ليا-ولواه بدينه ليانا-ولوى الرمل -ولواء الجيش، واللوى ٢/ ٢٥٠

ليق: لا تليق ٢/ ٢٨٩

(م) مؤيمن-مهيمن

مجر: المجر ١/ ١٤٦

مجن: المجانة ٣/ ٢٦٩

محك: المحك ٢/ ٤٨٧

مخض: المخاض ٢/ ٢٧٢

مذل: المذل ٣/ ٢٣٥

مرت: المرت ١/ ١٦ - ٢/ ٤٩٧

مرد: المرد ١/ ٣٢٢ - مردوه ٢/ ١٣٩ - الأمرد ٢/ ٤٧٢

مرر: المرار ٢/ ٤٤٧ - المران ٢/ ٤٤٨ - وانظر: مرن

مرس: أمرس ٢/ ٤٠٨

مرع: المريع ٣/ ١٥٤

مرق: موارق ٣/ ٥٥

مرن: المران ٢/ ٤٤٨. وانظر: مرر

مزع: يتمزع-المزعة ١/ ١٧٣

مسح: **المسح-التمساح** ١/ ٩٢ - المسيح ١/ ٢٠١ - المسوح ٢/ ٢٧٢

مضر: تماضر ١/ ٦٤

مضغ: المضغة ٣/ ١١٩." (١)

"قيل ينبعث نيل مصر فى رمال وجبال، ثم يخترق أرض السودان مما يلى بلاد الزنج، ثم ينبعث منه خليج يشق بلاد الزنج يصب فى بحر الزنج «١» . وتظهر «ا» فى هذا الخليج الزيادة التى تظهر فى نيل مصر؛ وفيه **التمساح** الكائن فى نيل مصر، ويسمى الورل الذي يكون فى الصحراء والبرارى إنما أصله من **التمساح**.

---

(١) أمالي ابن الشجري ابن الشجري ٤٩٦/٣

وذلك أن التمساح يخرج من النيل فيسرح على السواحل، فربما قبض عنه الماء فيبقى فى البر، فيتناسل فيكون منه الورل المشهور. والتمساح لا يوجد إلا فى نيل مصر، أو فى نهر أصله من ماء واحد مع نيل مصر «٢» .

وفى نيل مصر السمك الرعاد «٣» ؛ من صاده لم تزل يده ترتعد ما دام فى شبكته أو فى صنارته. وعلى النيل جبل هامد، يراه أهل تلك الجهة، من انتضى سيفه ثم أولجه فيه، وقبض على مقبضه بيديه جميعا، اضطرب السيف فى يده." (١)

"وأحمقهم كبارا» «١» . وقيل إن مصر لم يجعل الله فى أرزاق أهلها ولا فى أقواتهم نصيبا مما قسم على عباده: من الرحمة بالغيث الذي جعله الله عمارة البلاد.

نبذ من أخبار ملوك مصر من لدن عمارتها

يقال والله أعلم إن أول من ملك مصر عند قسمة الأرض بين ولد آدم، زمن أنوش، بوصية آدم عليه السلام، ملك يقال له نقراوش بن أضرم. وهو أول من اتخذ المصانع، وعمل الطلسمات وأقام الأساطين، وزبر عليها التواريخ، وبنى المدن «ا» . وهو الذي حفر النيل وعمقه ووسعه؛ وكان قبل ذلك ينقطع ويستنقع.

وعمل للتماسيح على شاطىء النيل فى آخر بلاد النوبه مبنيين، وزبر عليهما أحرفا منعت التماسيح أن تنحدر فى النيل. وكانت كتابتهم بالقلم الخلقطير وهو قلم آدم عليه السلام. وكان عالما كاهنا وكان له رأى من الجن؛ ويقال وقع إليه بعض العلوم التى كان رزآبيل الملك علمها آدم عم، فعمل بها عجائب: منها صورة طائر على اسطوانة ءالية يصفر فى كل يوم مرتين، عند طلوع الشمس، وعند غروبها، تصفيرا مختلفا يستدل به على ما يكون من الحوادث. وعمل فى مدينة برسان، وهى التى بناها لابنه مصرام، قبة ذهب على منار عال، لا تزال على تلك القبة سحب تمنعها من الشمس. وعمل على باب المدينة أصناما موجهة إلى نواح مختلفة، إذا قصد أرضهم قاصد بسوء أرسلت عليه نارا فأحرقته. فكان ملكه ٢٣٠ سنة.

فلما مات جزع عليه قومه أشد جزع، فقاموا يطوفون به على أعناقهم ٣٠ سنة «٢» .." (٢)

"مدينة أنصنا: وهى كانت مدينة السحرة فى زمن فرعون وأكثرها خراب.

وكان بها أيضا بربى لم يبق منه اليوم إلا بيت واحد كأنه من صخرة واحدة.

ويقال إن مارية القبطية التى أهداها المقوقس إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – كانت من كورة أنصنا،

---

(١) الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٤٦

(٢) الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٥٠

من قرية يقال لها جفن. ومدينة أنصنا لا يقربها التمساح والناس منه آمنون هناك. وأكثر ما يكون التمساح عدوانا بالشاطئ الذي يقابل أنصنا فى قرية يقال لها الأشمون، لا يقدر أحد أن يقرب من شاطئها، فإذا صارت التماسيح فى حد أنصنا تحولت على ظهورها حتى تجاوز حدها «١» ، وكذلك تصنع بفسطاط مصر فوق المدينة بنحو ١٠ أميال حتى تخرج عن حد المدينة بمثل ذلك.

مدينة قوص «٢» : هى مدينة كبيرة أزلية قديمة فيها آثار كثيرة للأوائل، وبينها وبين مدينة أسوان غير ان منحوتة فى جبال هنالك فيها قبور الأموات لا يعلم لها عهد، تستخرج منها المومياء الطيبة «٣» ، وهم يجدونها فى رممهم وبين أجفانهم. ويقال إن فى تلك الصحراء التى بين قوص «ا» وأسوان معادن الذهب، غير أن البجاة وهم جنس من الحبشة تمنع منه؛ وبلادهم بين بحر القلزم ونيل مصر، ويسكن عندهم جماعة من العرب من ربيعة بسبب هذا." (١)

---

(١) الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٨٥

جبل الخندمة ٦

جبل درن ١٦٣- ٢٠٦- ٢٠٨- ٢٠٩- ٢١١." (١)

"الأول فهو مما يلي جبل القمر ويسميه كهنة مصر جبل هيكل الصور وأما الجبل الثاني الذي يلي هذا الجبل مع الشمال فإنهم يسمونه جبل الذهب لأن فيه معادن الذهب وأما الجبل الثالث الذي يلي الجبل الثاني مع الأرض فإنهم يسمون أيضا الأرض التي هو فيها أرض الحيات ويزعم أهل تلك الأرض أن فيها حيات عظيمة تقتل بالنظر وفي هذا الجبل الذي في هذه الأرض المذكورة عقارب على قدر العصافير سود الألوان تقتل في الحال وقد ذكر ذلك صاحب كتاب العجائب وذكر أيضا في كتاب الخزانة لقدامة أن جرية النيل من مبدئه إلى مصبه في البحر الشامي خمسة آلاف ميل وستمائة ميل وأربعة وثلاثون ميلا وعرض النيل في بلاد النوبة ميل واحد على ما حكاه صاحب كتاب العجائب أيضا وعرضه في قبالة مصر ثلث ميل.

وفي البطيحات الصغار وما بعدها من النيل الحيوان المسمى **بالتمساح** وفيها أيضا الحوت المسمى بالخنزير وهو ذو خرطوم أكبر من الجاموس يخرج إلى الجهات المجاورة إلى النيل فيأكل بها الزرع ويرجع إلى النيل وفي النيل المذكور سمكة مدورة حمراء الذنب يقال لها اللاش لا تظهر به إلا ندرة وهي كثيرة اللحم طيبة الطعم وفيه أيضا سمك يسمى الأبرميس وهو حوت أبيض مدور أحمر الذنب ويقال إنه ملك السمك وهو طيب الطعم لذيذ يؤكل طريا ومملوحا إلا أنه لطيف بقدر الفتر طولا ومثل نصفه عرضا وفيه الراي وهو سمك كبير لونه أحمر ومنه كبير وصغير وربما كان في وزن كبير ثلاثة أرطال وأقل وهو طيب." (٢)

"الذنب يسمى الجرى وفيه سمك مدور خسن الجلد يقال له القافو تمشط النساء به الكتان وفيه أيضا السمكة المعروفة بالرعادة وهي مثل الكرة خشنة الجلد ذات سم إذا مسها الإنسان ارتعدت يده حتى تسقط منها وهذه الخاصة فيها موجودة ما دامت حية فإذا ماتت كانت كسائر السمك وفيه كلاب الماء وهي في صور الكلاب ملونات وفيه فرس الماء وهو في خلقة الفرس لكنه لطيف وحوافره مثل أرجل البط تنضم إذا رفعتها وتنفتح إذا وضعتها وله ذنب طويل وفيه أيضا السقنقور وهو صنف من **التمساح** لا يشاكل السمك من جهة يديه ورجليه ولا يشاكل **التمساح** لأن ذنبه أملس مستدير وذنب **التمساح** مسيف وشحمه يتعالج به للجماع وكذلك ملحه الذي يملح به والسقنقور لا يكون بمكان إلا في النيل من حد أسوان

---

(١) الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٢٣٤

(٢) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ١/ ٣٤

والتمساح أيضا لا يكون في نهر ولا بحر إلا ما كان منه في نيل مصر وهو مستطيل الرأس وطول رأسه نحو طول نصف جسده وذنبه ملوح وله أسنان لا يقبض به؛ على شيء من السباع أو من الناس إلا ومر به في الماء وهو بري وبحري لأنه يخرج إلى البر فيقيم به اليوم والليلة يدب على يديه ورجليه ويضر في البر لكن ضررا قليلا وأكثر ضرره في الماء ثم إن الله سبحانه سلط عليه دابة من دواب النيل يقال لها اللشك وهي تتبعه وترتصده حتى يفتح فمه فإذا فتحه وثبت فيه فتمر في حلقه ولا تزال تأكل كبده ومعاه حتى تفنيه فيموت ويخرج أيضا إلى النيل من البحر الملح سمك يقال له البوري حسن اللون طيب." (١)

"وهناك بلاد صغار يكون بينها وبين النيل ميلان وأكثر وأقل ومنها النجاشية وهي قرية عامرة جامعة كثيرة الخصب والثمار ومنها مما يقابلها في الغربي من النيل بلد يسمى منساوة لها نخل وزروع وضرع وبساتين وجنات.

ومنها مدينة طحا وهي أسفل من مدينة الأشمونى وهي مدينة مشهورة يعمل بها وفي طرزها ستور صوف وأكسية صوف منسوب إليها ويقال إن **التمساح** يضر في عدوة الأشمونى ولا يضر بعدوة أنصنا ويقال إنها مطلسمة.

ومن مدينة أنصنا المتقدم ذكرها إلى بلد صغير يسمى المراغة به نخل وقصب سكر وزراعات وجمل بساتين وبينهما نحو من خمسة أميال والمراغة بغربي النيل.

ومنها إلى مدينة تزمنت نحو من خمسة أميال وهي بغربي النيل كثيرة البساتين والجنات متصلة العمارات.

ومنها إلى قرية صول نحو من يوم وهي قرية كبيرة بها أسواق وجماعات من الناس ونخيل وثمار ومنافع جمة وهذه القرية على فم الخليج المسمى بخليج المنهى وهو الخليج الذي يتصل بشرقي أرض الواحات ويصرف في سقي كثير من الأرضين هناك ومن هذا الخليج احتفرت خلجان الفيوم وسنأتي بذكر ذلك في موضعه بحول الله وقوته.

ومن مدينة صول إلى أخميم يوم ومدينة أخميم في شرقي النيل وتبعد." (٢)

"النقص والجدب وقلة الزراعة.

ومما يلي جنوب الفسطاط قرية منف وبناحية شمالها المدينة المسماة عين شمس وهما كالقريتين مما يلي جبل المقطم ويقال إنهما كانتا متنزهين لفرعون لعنه الله فأما منف فهي الآن خراب أكثرها وأما عين شمس

---

(١) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ١/٣٦

(٢) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ١/١٢٥

فهي الآن معمورة وهي أسفل جبل المقطم وعلى مقربة منها على رأس جبل المقطم مكان يعرف بتنور فرعون وكانت فيه مرآة تدور على لولب فكان إذا خرج من أحد الموضعين أعني منف أو عين شمس أصعد في هذا المكان الآخر من يعدله ليعاين شخصه ولا تفقد هيئته **والتمساح** لا يضر بشيء مما جاور الفسطاط ويحكى عنه أنه إذا انحدر من أعلى النيل أو صعد من أسفل وأتى قبالة الفسطاط انقلب على ظهره وعام كذلك حتى يجاوز الفسطاط وحماه ويقال إن ذلك بطلسم صنع له وكذلك أيضا عدوة بوصير لا يضر بها ويضر بعدوة الأشمونى وبينهما عرض النيل وهذا عجب عجيب وبعين شمس مما يلي الفسطاط ينبت البلسان وهو النبات الذي يستخرج منه دهن البلسان ولا يعرف بمكان من الأرض إلا هناك.

وبأسفل الفسطاط ضيعة سيروا وهي ضيعة جليلة يعمل بها شراب العسل المتخذ بالماء والعسل وهو مشهور في جميع الأرض ويتصل بأرض الفسطاط جبل المقطم وبه جمل من قبور الأنبياء عليهم السلام كيوسف ويعقوب والأسباط.

وعلى ستة أميال من مصر الهرمان وهما بناءان في مستو من الأرض ولا يعرف فيما جاورهما جبل يقطع منه حجر يصلح للبناء وطول كل واحد من هذه الأهرام ارتفاعا مع الجو أربعمائة ذراع وعرضه في الدائر كارتفاع." (١)

---

(١) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ٣٢٦/١

الجراد ٢٢٨، ٢٣٥

الجرارة ٣٩٥

الجرذان ٨٤٥

الجري ٣٦

الجزع ١٥٤

جسر من مراكب [نهر صرصر ونهر الملك] ٦٦٨." (١)

"«٥٦» – ومن أمثالهم: «أظلم من الحية» ، ومن «حية الوادي» ، و «أظلم من ذئب» ، «أظلم من الجلندى» ، و «أظلم من **التمساح»** .

«٥٧» – ومن أمثالهم: إنه «لألص من شظاظ» ، وهو رجل من بني ضبة كان لصا مغيرا فصار مثالا، وله خبر غريب قد ذكر في باب الحيل؛ و «أسرق من جرذ» ؛ و «ألص من عقعق» ؛ و «أخطف من عقاب» .

«٥٨» – ويقال: إنه «لأصرد من عنز جرباء» للذي يشتد عليه البرد.

«٥٩» – ومن أمثالهم: إنه «لأطيش من فراشة» .

«٦٠» – ويقولون: إنه «لأجوع من كلبة حومل» ، وهي كلبة كانت في الأمم السالفة، و «أجوع من زرعة» وهي كلبة؛ و «أجوع من ذئب» ؛ و «أجوع من قراد» .

«٦١» – ويقال: إنه «لأفحش من فاسية» ، يريد الخنفساء، وذلك أنها إذا حركت نتنت، و «أبذى من مطلقة» ؛ و «أقود من ظلمة» ، و «ألوط من دب» ،." (٢)

"ونواحي الهند وزويلة والحبشة وليبية واليمن والعراق والشام واليونان المعروفين بالروم والترك.

وتأتيها من الهند التوابل والعطور بأنواعها فيشتريها تجار النصارى.

ولتجار كل أمة فندقهم الخاص بهم، وهم في ضجة وجلبة يبيعون ويشترون.

وبظاهر المدينة، على شاطئ البحر، يشاهد عمود كبير من رخام.

عليه صور الطير والحيوان وكتابات ورموز قديمة، ليس بميسور أحد اكتناه طلاسمها «١» ، ويقال: إنها قبر ملك عاش قبل الطوفان، يبلغ طوله خمسة عشر شبرا بالطول وستة أشبار بالعرض.

---

(١) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ١١١٦/٢

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢١/٧

ويعيش في إسكندرية نحو ٣٠٠٠ يهودي. وعلى مسيرة يومين منها:-

دمياط « Dimiatta٢» أو كفتور الواردة في التوراة. فيها نحو مائتي يهودي وتبعد مسيرة ثلاثة أيام عن بحيرة التماسيح. ومنها إلى:-

سنباط « Sanbat٣» حيث يزرع الكتان. وأهلها ينسجون منه الأثواب الناعمة ويتجرون بها مع جميع أنحاء العالم. وعلى مسيرة." (١)

"ش: هو منسوب إلى عبد شمس بن سعد بم زيد مناة بن تميم.

وعلى قوله " ٣٢،١١٧٠ "كل واحد.

ش: قال أبو الحسن: واحد، وواخد، وواجد، وقد روى ...

وعلى قوله " ٣١،١١٧٠ " يقر بعيني أن ارى من مكانه.

ش: روى نفطوية من مكانه.

وعلى قوله لبيد " ٣٢،١١٧٠ " مدمن يجلو بأطراف ... البيت.

ط: قوله " مدمن " يريد مدمن للخمر يشربها، وقبله: " الرمل "

ذعر البرك، وقد أفوعه ... شارب ينهض نهض المختزل

وعلى قوله الشاعر " ٣٣،١١٧٧ " دائم الطرف أقود.

ط: الأقود. من الرجال الذي لا يلتفتن وكل مكان يسطيل قائد، وفرس قيدود طويلة العنق، ولا يقال للمذكر.

وعلى قوله " ٣٣،١١٧٩ " هو القين.

ط: هذا البيت يروى لخلف بن خليفة الأقطع، وكان له أصابع من جلود، يهجوبه الفرزدق، وفيه يقول الفرزدق: " الطويل "

هو اللص، وابن لا لص مثله ... لثقب جدار، أو لطر الداهم

وعلى قوله " ٣٣،١١٧٩ " على حرد دماء الأساود.

ش: الحرد هاهنا الغيظ، والحنق، ليس كما قال.

وفي كلام أبي الحسن على قوله " ٣٣،١١٧٩ " رميلة أمه.

ش: وأبوه ثور بن أبي حارثة. أحد بني نهشل بن دارم، جعله ابن سلام في الطبقة الرابع من شعراء الإسلام.

وعلى قوله " ٣٣،١١٨٠ " اقبل سيل.

---

(١) رحلة بنيامين التطيلى بن‌يامين التطيلي ص/٣٥٩

ط: هو لقطرب بن المستنير.

وعلى قوله " ٣٤،١١٨٢ " اسمه عبيد بن المضرحى.

ط: هذا قول أبي عبيدة: هو عبادة بن المضرحي. وقال علي بم حمزة: اسمه عبيد بن المضرحي " ١٢:ألف "كما قال أبو العباس، قال: وزعم الهجري أن اسمه عبدة ابن المجيب بن المضرحي، وحكى الإصبهاني في " الأغاني "، أن اسم القتال عبد الله بم مجيب. قال: وسمى القتال لتمرده وفتكه، وذكر أبو عبيدة ان سبب قول القتا هذا الشعر، أنه نازع رجلا من قومه، فقال له الرجل أنت كل على قومك، والله إنك لخامل الحسب ذليل النفر، خفيف على كاهل خصمك، كل علي ابن عمك، فاقل القتال هذا الشعر. وذكر أبو الفرج الإصبهاني خلاف هذا، قال كان القتال في دينه، ودناءة نفسه شبيه الحطيئة، فمر بعلية بنت شيبة بن عامر بن ربيعة بن كعب فسألها حبلا، فمنعته إياه، فهجا رهطها، فقال " " البسيط "

يا قبح الله طلعانا تجئ بهم ... أم الهنيبر من زلد لها وار

من كل أعلم منشق وتيرته ... وموذن، ما وفي شبرا بمشبار

أنا ابن أسماء ... الشعر، وفيها يقول:

يا بنت جدى، لو وهبت لنا ... ثنتين من محكم بالقد أوتار

إما جديدا، وإما باليا خلقا ... عاد العذارى لقطعيه بأشبار

لكلن رزأ قليلا واعتنجت به ... صهباء بفمها حاجي، وتسيار

وعلى قوله " ٣٤،١١٨٥ " ورل وورلان ش: الورل: تمساح البر.

وعلى قوله " ٣٥،١١٨٦ " ذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها.

ط: قال الخليل: الأفاويق ما اجتمع في السحاب من الماء، فعلى هذا يكون الأفاويق ما اجتمع في الضرع من اللبن، ويمكن أن يكون جمع فواق، وهو ما بين الحلبتينز كأنه جمع فواقا على أفوقة، وجمع أفوقة " ١٢:ب " على افاويق، وزاد الياء، كما قالوا: ناقة مطفل، ونوق مطافيل قال أبو النجم:

منها المطافل، وغير المطفل

ويكون انتصابه انتصاب الظرف كأنه قال: يرضعونها أوقات اجتماع لبنها، وينتصف في القول الأول على أنه مفعول ثان بمنزلة: اخترت الرجال زيدا، قال ابن دريد. الثعل خلف زائد صغير في ضرع الشاة، أو في أخلاف الناقة، فذ كانت الشاة كذلك فهو ثعول. وقال الفسوي: أفاويق جمع فواق. أو فواق مثل كراع وأكارع، وعروض وأعارض، وهذا الشعر في النعمان بن بشير، وكان عامل الكوفة لمعاوية. فأمره أن يزيدهم

عشرة دنانير في أعطياتهم، فلم يفعل، وكان عثمانيا يبغض أهل الكوفة في رأيهم في علي " رضي الله عنه "، وكان يصعد المنبر، فيكثر الوعظ والتذكير.

وعلى قوله " ٣٥،١١٨٨ " وليست بأمة

ط: قال ابن قتيبة. إن الأبن يشبه عبله، يراد أنه ينزع بالمولود في شبه الظئر وأنشد بيت القتال، وأنشد غيره:

إن تميما لم يراضع مسبعا

وعلى قوله " ٣٥،١١٨٨ ".

ط: قال الزبير، العرب ست طبقات: شعب وقبيلة وعمارة وبطن وفخذ وفصيلة. فالشعب في مضر وربيعة، لأن القبيلة تشعبت منها، وسميت قبائل لأن العمائرتقابلت عليها، فمضر شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصي بطن، وهاشم فخذ والعباس فصيلة.." (١)

"الطيب الذي فيه التماسيح فلا يستطيع أحد- وإن كان سابحا وكان إلى الماء محتاجا-:

أن يدخله، وإنما حلية الملوك وزينتهم أصحابهم: إن يكثروا ويصلحوا.

قالوا: ويجب على الملوك تعاهد عمالهم، والتفقد لأمورهم، حتى لا يخفى عليهم إحسان محسن، ولا إساءة مسيء. ثم عليهم بعد ذلك أن لا يتركوا محسنا بغير جزآء، ولا يقروا مسيئا ولا عاجزا على العجز والإساءة، فإنهم إن صنعوا ذلك، تهاون المحسن، واجترأ المسيء، وفسد الأمر، وضاع العمل.

وقالوا: ينبغي للملك أن يحصن دون المتهم أسراره وأموره، ولا يدنيه من مواضع أسراره، ولا من ماء الحوض الذي يعد لغسله، ولا من فرشه ودثاره، ولا من كسوته، ولا من مراكبه، ولا من سلاحه، ولا من طعامه وشرابه، ولا من دهنه وطيبه.

وقالوا: إن اللئيم الجاهل لا يزال باصحا حتى يرفع إلى المنزلة التي ليس لها بأهل، فإذا بلغها التمس ما فوقها بالغش والخيانة؛ وإن اللئيم لا يخدم الـسلطان وينصح له إلا عن فرق أو حاجة، فإذا أمن وذهبت الحاجة عاد إلى جوهره، كذنب الكلب الذي يربط ليستقيم، فلا يزال مستقيما ما دام مربوطا، فاذا حل عاد إلى أصله فانحنى.

وقالوا: إنما يؤتى السلطان من قبل ست خلال: الحرمان، والفتنة، والهوى والفظاظة، والزمان، والخرق. فأما

---

(١) القرط على الكامل ابن سعد الخير ص/٧٦

الحرمان فأن يحرم من الأعوان والنصحاء والساسة «١» أهل الرأي والنجدة والأمانة، أو يقصد «٢» بعض من هو كذلك." (١)

"يوم أهب صبا الهبات صباحه ... وروى حديث النصر عنك رواحه

فالسعد مشرقة لنا آفاقه ... والنصر بادية لنا أوضاحه

أوفى على عود الثناء خطيبه ... وشدا على غصن المنى صداحه

فالشام مبتل الثرى ميمونه ... والعام منهل الحيا سحاحه

والمحل زال كبارق متهلل ... لم الشعوب بومضه لماحه

فالحمد لله الذي إفضاله ... حلو الجنا عالي السنا وضاحه

عاد العدو بظلمة من ظلمه ... في ليل ويل قد خبا مصباحه

ركدت قبول قبوله من بعد أن ... هبت غرورا بالرياء رياحه

ومنها:

أوفى يريد له بجر جنوده ... ربحا فجرت خسرة أرباحه

حمل السلاح إلى القتال وما درى ... أن الذي يجني عليه سلاحه

ولى بكسر لا يرجى جبره ... وبقرح قلب لا تبل جراحه

ونجا إلى حلب ومن حلب الردى ... در وفيه نجاته وفلاحه

ومنها:

إن أفسد العصاة بحنثهم ... فالناصر الملك الصلاح صلاحه

ومنها:

فرح العدو بجمعه ولقيته ... فتحولت أحزانه أفراحه

صحت على ضرب الكماة كسوره ... وتكسرت عند الطعان صحاحه

وافى بسرح للنقاد فكان في ... لقيا الأسود الضاريات سراحه

مجر كبحر دارعو فرسانه ... حيتاته وزعيمهم **تمساحه**

شحناؤه شحنت جواري فلكه ... جورا ومال بهلكه ملاحه

عدموا الفلاح من الرجال فجاءهم ... من كل صوب مكرها فلاحه

---

(١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ أسامة بن منقذ ص/٤٢

فهم لحرث لا لحرب حزبهم ... أيثير قرحا من يثار قراحه
قد فاظ لما فاض جيشك جأشه ... غيظا وغاض لبحركم ضحضاحه
كم سابق براده يردى سابح ... في بحر هلك ما نجا سباحه
ومنها:
كم عين عين غورت غواره ... وقليب قلب عورت متاحه
إن آذنت بالنتن ريح قتيلهم ... فالنصر نفاح الشذا فواحه
كم مارق من مأزق دمه على ... مسح الحسام مراقه مساحه
يصبيك نهد إن سباته ناهد ... ولديك جد إن أباه مزاحه
ولك الكعوب مقومات للردى ... وله الغداة كعابه ورداحه
راح النجيع بها صحاف صفاحكم ... ملأى وتملأ كل كاس راحه
وتجول في صهواتها فرسانكم ... وتدور في خلواته أقداحه
ويروقه الخمر الحرام وعندكم ... مما يراق من الدماء مباحه
ضرب الطلى بالمشرفي طلابكم ... وبراح من شرب الطلا طلاحه
محمر خد صقيلة تفاحكم ... وأسيل خد عقيلة تفاحه
ومنها:
لله جيش بالمروج عرضته ... أسد العرين رجاله ورماحه
ومن الحديد سوابغا أبدانه ... ومن المضاء عزائما أرواحه
وله فوارس بالنفوس سماحها ... أتعاد بالعرض المصون شحاحه
روض من الصفر البنود وحمرها ... والبيض، يزهى ورده وأقاحه
من كل ماضي الحد طلق غمده ... فتكا لأغماد الرقاب نكاحه." (١)

"لك الصدر والباع الرحيبان في العلا ... وذاك المحيا الطلق والأنمل السبط
لراجيكم ماء البشاشة والندى ... جميعا وحظ الحاسد النار والنفط
عنا لك طوعا نيل مصر ودجلة ... العراق ودان العرب والعجم والقبط
وللنيل شط ينتهي سيبه به ... ونيلك للراجين نيل ولا شط

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٦٢٠/٢

وعفوك ورد والجناة جناته ... وبيضك شوك في العداة لها خرط
فداؤك ممتد المطال محجب ... وحاجبه للكبر والعجب ممتط
فداؤك قوم في الندي وفي الندى ... وجوههم سهم وأسهمهم مرط
لتبك دما عين العدو فقد جرى ... على الأرض من أوداجه دمه العبط
ومنها:
منعت حمى الإسلام للنصر معطيا ... غداة عوت من دونه الأذؤب المعط
وصلت وكم فرجت عنا ملمة ... بسهم الرزايا في الكرام لها لهط
بعودك عاد الحق واتضح الهدى ... وهب نسيم النصر وانفرج الضغط
وأنت أجرت الشام من شؤم جاره ... ولم يكف رهط الكفر حتى بغى رهط
أجرت وقد جاروا ودنت وقد عدوا ... وصلت وقد خاروا ولنت وقد لطوا
فلا يعبإ المولى بمن ملء جأشه ... هوى وبقوم حشو جيشهم زط
كثير تعديهم قليل غناؤهم ... وهم لا أصابوا رشدهم همل رهط
عدلت فلا ظلم وطلت فلا مدى ... وقلت فلا مين وجدت فلا قحط
فميز مكان المخلصين فإنما ال ... أعادي أنأس في رءوسهم خلط
وقرب وليا صح فيك ضميره ... ولا يأمن **التمساح** من دأبه السرط
نبا بي مقام الجاهلين فعفته ... وقد نضنضت للنهش حياته الرقط
هم منعوا رفدي قبول ونائل ... وذا وشل برض وذا أكل خمط
وكم مطمع في خيره بشر وجهه ... ومشتمل منه على شره الإبط
لأبدى بلا عذر حظوظ فضائلي ... نفار العذارى من عذار به وخط
وجئتك ألقى العز عندك ملقيا ... قلائد للأسماع من درها لقط
أعرني جميلا واصطنعني واصف لي ... جميلك حتى يشمت الحاسد الملط
أعني فعين الفضل عان مقيد ... بعقلة حرمان نداك لها نشط
وأوعز بتشريفي ورسمي فإنه ... لحمدي جزاء قد تقدمه الشرط
إلام زماني لا يزال مسلطا ... على نابه من أهله نابه السلط
سعت نحوكم مني مطايا مطالب ... لأنسعها في النجح عندكم مغط

فدم ظافرا أبا المظفر بالعدى ... حليف قبول لا يكون لها حبط

بقيت ولا زالت عداك مفيدة ... سعودا ولا تحسن صعودا ولاهبط

ولو كنت جارا للمعري لم يقل ... لمن جيرة سيموا النوال فلم ينطوا

ومدائحه كثيرة، ومنائحه غزيرة، وليس شرط هذا الكتاب، بسط هذا الباب؛ فاقتصرت على ما أوردته، وحصرت ما أفردته؛ فإن مللته أو استطلته، فاستمل ما استطبته، واستحل ما أحببته؛ واستحل سناه، وتخل عما سواه؛ فلعل غيرك يستمرىء ما تستمره، ويعرف بفهمه الثاقب وفكره الصائب ما تنكره؛ فقف حيث ينتهي إليه فكرك، وطف حول ما يشتمل عليه زكنك، نبه ذكرك ووجه قدرك.." (١)

"وكيف بالصبر على أسهم ... نصلها بالجمر راميها

القاضي الرشيد

أحمد بن علي بن الزبير

من أهل أسواق الساكن بمصر كان ذا علم غزير، وفضل كثير. أنشدني الأمير نجم الدين بن مصال بن سليم بن مصال له، ونحن في المخيم الملكي الناصري بظاهر بعلبك في ثاني رمضان سنة سبعين وخمسمائة، من قصيدة:

إذا ما نبت بالحر دار يودها ... ولم يرتحل عنها فليس بذي حزم

وهبه بها صبا ألم يدر أنها ... سيزعجه منها الحمام على رغم

ولولا الأجل الكامل الملك أرقلت ... بي العيس في البيداء والسفن في اليم

ولم تكن الدنيا تضيق على فتى ... يرى الموت خيرا من مقام على هضم

لم يعمل بشعره، ولم يرحل من ضره، وهذا ممدوحه الكامل ولد شاور الذي لم ينج من شره، فغن شاور قتله صبرا في سنة اثنتين وستين ونسب إليه أنه شارك أسد الدين شيركوه في قصده، فكافأه مكافأة التمساح وجعل قتله له مقام رفده.

وله الرسالة التي أودعها من كل علم مشكلة، ومن كل فن أفضله. ذكره لي محمد بن عيسى اليمني ببغداد سنة إحدى وخمسين وقال: وفد اليمن رسولا وأقام بها سنتين قال: وهو أستاذي في علم الهندسة. وأنشدني لنفسه باليمن:

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٦٢٤

لئن خاب ظني في رجائك بعد ما ... ظننت بأني قد ظفرت بمنصف

فإنك قد قلدتني كل منة ... ملكت بها شكري لدى كل موقف

لأنك قد حذرتني كل صاحب ... وأعلمتني أن ليس في الأرض من يفي

وأنشدني الشريف إدريس الإدريسي الحسني بدمشق سنة إحدى وسبعين للقاضي الرشيد بن الزبير في مدح الصالح بن رزيك من قصيدة أولها:

ما للغصون تميد سكرا ... هل سقيت بالمزن خمرا

منها في المدح:

جاري الملوك إلى العلا ... لكنهم ناموا وأسرى

سائل به عصب النفا ... ق غداة كان الأمر إمرا

أيام أضحى النكر معروفا ... وأمسى العرف نكرا

ومنها:

قسما بمن طاف الحجيج ... ببيته شعثا وغبرا

لولا طلائع لم نكن ... نرجو لميت الدين نشرا

وأنشدني ابن أخته القاضي محمد بن القاضي محمد بن إبراهيم المعروف بابن الداعي من أسوان وقد وفدت إلى دمشق سنة إحدى وسبعين قال: أنشدني خالي الرشيد ابن الزبير لنفسه من قصيدة:

تواصى على ظلمي الأنام بأسرهم ... وأظلم من لاقيت أهلي وجيراني

لكل امرىء شيطان جن يكيده ... بسوء ولي دون الورى ألف شيطان

وقد صنف كتاب جنان الجنان ورياض الأذهان، وذيل به اليتيمة، وطالعت منه جزءا، ذكر فيه شعرا.

ولده علي بن أحمد بن الزبير

رأيته في الحضرة السلطانية في القاهرة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وقد وقف ينشد الملك الناصر قصيدة قد اتخذها لقصده ذريعة وجر بها وفود النجح إلى آماله في تلك الشريعة شريعة، وكشفت بحواره حوار أدبه، وفصمت بسراره سوار أربه، فما أحاطت معرفتي له بمعرفة، ولا حصل لي من قدر قدره مرق رمق في مغرفة. لكنني لكونه ولد ذاك الكبير، أوردت من القصيدة التي أحضرها أبياتا تناسب عرف العبير.

مطلعها:

شيدت بالبيض والعسالة الذبل ... مجدا أناف على النسرين والحمل

ومنها:

تخضر أكناف أرض إن نزلت وإن ... نازلت تحمر أرض السهل والجبل

ما زلت أفرى دجى ليل التمام سرى ... ونور وجهك يهديني إلى السبل

بكل مهمهة يبكي الغمام بها ... خوفا ويخفق قلب البرق من وجل

تخشى الرياح الذواري من مهالكها ... فما تهب بها إلا على مهل

حتى أنخت المطايا في ذرى ملك ... يبشر النجح في تأميله أملي

ومنها:." (١)

"وعمرو بن عمرو قادكم فاشكروا له ... بذي نجب والقوم كاب وبارك

بذي نجب لو لم تذد من ورائكم ... بنو مالك غالتك ثم العوائك

فأسلمتم فرسان سعد وقد ترى ... بداركم المستردفات الهوالك

ويوم علت للحوفزان كتيبة ... جدود لكم من نحوش حجر مسالك

ويوم بحير أنتم شر عصبة ... عضاريط لولا المازني المعارك

وروم بني عبس بشرج تشاهدت ... على قتله أعلامكم والدكادك

وعبقر إذ تدعوكم جللتكم ... من الخزي ثوب الحائضات العوارك

ستسمح يربوع سبالا لئيمة ... بها من مني العبد أسود حالك

حميد بن ثور

وقال حميد بن ثور بن حزن بن عمرو بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة:

سلا الربع أني يممت أم طارق ... وهل عادة للربع أن يتكلما

وقولا له يا ربع بالله هل بدا ... لها أو أرادت بعد إلا تأيما

شهدت وأسمعت الفراق وأشخصت ... بنا الدار بعد الإلف حولا مجرما

ولو نطق الربعان قبلي لبينا ... لصاحب هند وامرئ ا القيس منسما

هما سألا فوق السؤال وأفضلا ... على كل باك عولة وتلوما

وزادا على قول الوشاة وأنشدا ... من الشعر ما يغوي الغوي الملوما

أجدك شاقتك الحمول تيممت ... هدانين واجتازت يمينا عرمرما

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٦٨٣/٢

على كل مشبوح بنيرين كلفت ... قوى نسعتيه محزما غير أهضما

جلاد تخاطتها الرعاء فأهملت ... وألفين رجافا جرازا تلهزما

رعين المرار الجون من كل مذنب ... دميث جمادى كلها والمحرما

من النير واللعباء حتى تبدلت ... مكان رواغيها الصريف المسدما

وحتى تعفى النضو منها وجردت ... حوالبها من مربع قد تجرما

وعاد مدماها كميتا وشبهت ... كلوم كلاهن الوجار المهدما

وخاضت بأيديها النطاف وذعذعت ... بأقيادها إلا وظيفا مخدما

فجاء بها الرداد يحجز بينها ... سدى بين قرقار الهدير وأعجما

ترى القرم منها ذا الشقاشق واضحا ... نقيا كلون القلب والجون أصحما

فقام العذارى بالمثاني فأقدعت ... أكف العذارى عزة أن تخطما

فلم ارعوى للزجر كل ملبث ... كصم الصفا يتلو جرانا مقدما

إذا عزة النفس التي كان يتقي بها ... حبله لم تنسه ما تعلما

فما زلن **بالتمساح** حتى كأنما ... أدبت إليه في الخزامة أرقما

وقربن مقورا كأن وضينه ... بنيق إذا ما رامه الغفر أحجما

وقورا لو ان الجن يعزفن حوله ... وضرب المغني دفه ما ترمرما

رعى القسور الجوني من حول أشمس ... ومن بطن سقمان الدعاع المديما

تراه إذا استدبرته مدمج القرا ... وفعما إذا أقبلته العين سلجما

بعير حيا جاءت به أرحبية ... أطال به عام النتاج وأعظما

فقامت إليه خدلة الساق أشخصت ... له بالخلا كفا خضيبا ومعصما

فألقى بلحييه فلاثت برأسه ... زماما كشيطان الحماطة محكما

فلما أناخته إلى جنب خدرها ... عجا شدقه أو هم أن يتزعما

تراه إذا ما عج يجلو عن الشبا ... فما مثل حنو الخيبراني لهجما

تنخنخ حتى ما تكاد طويلة ... تنال بكفيها الظعان المسوما

وذا ذئب جوف كأن خصوره ... خصور نعال السبت لأما موشما

قمطر يبين الودع فوق سراته ... إذا أرزمت من تحته الريح أرزما." (١)

"أسماءهما، والله أعلم بذلك، ونيل: مصر من عجائب الدنيا وليس فى الربع المسكون ما يشاكله غير نهر الملتان بالهند وهو نهر يخرج أصله من جيحون ويظهر ناحية الملتان، وهو مثل النيل فى حلاوته وزيادته ونقصانه، ويزرع عليه، وفيه **تماسيح** وفرس البحر على هيئة النيل.

الطريق من الجيزة إلى مصر القديمة

الأهرام:

من عجائب الدنيا، وليس على وجه الأرض شرقيها وغربيها عمارة أعجب منها ولا أعظم ولا أرفع، ورأيت بديار مصر أهراما كثيرة منها خمسة كبار والباقى صغار، فأما الكبار فاثنان عند الجيزة واثنان عند قرية يقال لها: دهشور، وهرم عند قرية يقال لها:

ميدوم، وقد اختلفت أقاويل الناس فيها وفيمن بناها وما أريد بها، فمنهم من قال: «إنها قبور الملوك» ومنهم من قال: «إنما عملوها خوفا من الطوفان» وهى مربعة على هذا المثال كل وجه من الهرم على هذه الهيئة، مساحة كل وجه منها على وجه الأرض تزيد على أربعمائة ذراع، وارتفاعها فى الجو يقارب أربعمائة بذراع العظم وينتهى رأس الهرم إلى مقدار ثمانية أذرع.

وقيل: إن المأمون فتح هرما منها، وهو أحد الهرمين اللذين عند الجيزة فوجدوا داخله بئرا مربعة فى تربيعها أبواب يفضى كل باب منها إلى بيت فيه موتى بأكفانهم، وقيل:

إنهم دخلوا ووجدوا فى رأس هذا الهرم بيتا فيه حوض من الصخر على مثال القبر وفيه صنم كالآدمى من الدهنج، وفى وسطه إنسان عليه درع من ذهب مرصع بالجوهر وعلى صدره سيف لا قيمة له وعند رأسه حجر ياقوت كالبيضة ضوؤه كالنار.

يقول مؤلف هذا الكتاب: دخلت إلى هذا الهرم وصعدت إليه ورأيت هذا الحوض وأصح ما قيل فيها: إنما عملوها خوفا من الطوفان وكنزوا فيها أموالهم ورقموا عليها علومهم فلم ينفعهم من ذلك شيء واندرست آثارهم وذهبت أموالهم وبقيت أخبارهم، والكتابة التى عليها بقلم الطير لا يعلمه أحد فى الدنيا، وكذلك البرابى ببلاد الصعيد لا يحل قلمها أحد، ولا بد أن نذكر فى كتاب العجائب والآثار والأصنام والطلسمات

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ابن ميمون ص/٣٣٨

جميع ما سمعناه من أخبار الأهرام والصنم وأبى الهول وجميع البرابى ببلاد الصعيد وحديث الصنم الذي يقال له السيدة بدرب السيدة بمصر ومسال فرعون، إن شاء الله تعالى.." (١)

"فيه الماء عند انسيابه إليه، وهو مفصل على اثنتين وعشرين ذراعا مقسمة على أربعة وعشرين قسما تعرف بالأصابع. فإذا انتهى الفيض عندهم إلى أن يستوفي الماء تسع عشرة ذراعا منغمرة فيه فهي الغاية عندهم في طيب العام. وربما كان الغامر منه كثيرا بعموم الفيض. والمتوسط عندهم ما استوفى سبع عشرة ذراعا، وهو الأحسن عندهم من الزيادة المذكورة. والذي يستحق به السلطان خراجه في بلاد مصر ست عشرة ذراعا فصاعدا، وعليها يعطى البشارة الذي يراعي الزيادة في كل يوم والزيادة في أقسام الذراع المذكورة ويعلم بها مياومة حتى تستوفي الغاية التي يقضي بها وإن قصر عن ست عشرة ذراعا فلا مجبي للسلطان في ذلك العام ولا خراج.

وذكر لنا أن بالجيزة المذكورة قبر كعب الأحبار رضي الله عنه وفي صدر الجيزة المذكورة أحجار رخام قد صورت فيها **التماسيح** فيقال: إن بسببها لا تظهر **التماسيح** فيما يلي البلد من النيل مقدار ثلاثة أميال علوا وسفلا والله أعلم بحقيقة ذلك.." (٢)

"على اثنتين وعشرين ذراعا مقسمة على أربعة وعشرين قسما تعرف بالأصابع. فاذا انتهى الفيض عندهم الى أن يستوفي الماء تسع عشرة ذراعا منغمرة فيه فهي الغاية عندهم في طيب العام. وربما كان الغامر منه كثيرا بعموم الفيض. والمتوسط عندهم ما استوفى سبع عشرة ذراعا، وهو الأحسن عندهم من الزيادة المذكورة.

والذي يستحق به السلطان خراجه في بلاد مصر ست عشرة ذراعا فصاعدا، وعليها يعطي البشارة الذي يراعي الزيادة في كل يوم والزيادة في أقسام الذراع المذكورة ويعلم بها مياومة حتى تستوفي الغاية التي يقضى بها. وان قصر عن ست عشرة ذراعا فلا مجبى للسلطان في ذلك العام ولا خراج.

وذكر لنا أن بالجيزة المذكورة قبر كعب الأحبار رضي الله عنه. وفي صدر الجيزة المذكورة أحجار رخام قد صورت فيها **التماسيح**، فيقال: إن بسببها لا تظهر **التماسيح** فيما يلي البلد من النيل مقدار ثلاثة أميال علوا وسفلا، والله أعلم بحقيقة ذلك.

عدل صلاح الدين

---

(١) الاشارات الى معرفة الزيارات الهَرَوي، أبو الحسن ص/٤١

(٢) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/٣٠

ومن مفاخر هذا السلطان المزلفة من الله تعالى وآثاره التي أبقاها ذكرا جميلا للدين والدنيا: إزالته رسم المكس المضروب وظيفة على الحجاج مدة دولة العبيديين. فكان الحجاج يلاقون من الضغط في استيدائها عنتا مجحفا ويسامون فيها خطة خسف باهظة. وربما ورد منهم من لا فضل لديه على نفقته أو لا نفقة عنده فيلزم أداء الضريبة المعلومة، وكانت سبعة دنانير ونصف دينار من الدنانير المصرية التي هي خمسة عشر دينارا مؤمنية على كل رأس، ويعجز عن ذلك، فيتناول بأليم العذاب بعيذاب. فكانت كاسمها مفتوحة العين.

وربما اخترع له من أنواع العذاب التعليق من الأنثيين أو غير ذلك من الأمور الشنيعة، نعوذ بالله من سوء قدره. وكان بجدة أمثال هذا التنكيل وأضعافه لمن لم يؤد مكسه بعيذاب ووصل اسمه غير معلم عليه علامة الأداء. فمحا هذا." (١)

"- الإعراب في النظم تقديم وتأخير وخبر كان مقدم على اسمها وتقدير الكلام فكان تشويق إكثار إلى إقلال سبب الترحال عنها والترحال مصدر ارتحل وترحالا المعنى يقول شوقه من إكثار الصيد إلى الإقلال منه سأمه لكثرته فكان ذلك سبب رحيله عنها لأن العادة في الصيد كلما أمكن طلب المقام عليه وهذا أفرط في الكثرة حتى سئم فلكثرة ما صاد من الوحوش مل الاصطياد

٤٥ - الغريب نجد ما بين مكة والعراق والبلبال الهم والحزن وسلمى أحد جبلي طيء والآخر أجأ وقيال جبل في أرض بني عامر وروى ابن جنى في قتال بالتاء كمصدر القتال فقال هو جبل عال بقرب دومة الجندل المعنى يريد أن وحش نجد من الممدوح وخوفها منه في هم وحزن وكذا وحش أرض طيء فهن يخفقن منه ان يقصد إليهن

٤٦ - الإعراب قال أبو الفتح نوافر حال من الوحش وقال الخطيب الأجود رفع نوافر حتى يكون خبرا لقوله فوحش نجد والأولى قول أبي الفتح أي يخفن نوافر ضبابها وأورالها الغريب الضباب وأجدها ضب وهي دويبة تكون في بلاد العرب يأكلونها والأورال جمع رول كورلان مثل الضب وقال الخطيب يقال إن **التمساح** إذا باض على الأرض كان ورلا وهذا القول ليس بشيء لان **التمساح** لا يكون إلا بارض مصر بصعيدها والورل في بلاد العرب في نجد وغيره وقوله والخاضبات جمع خاضبة وهي النعامة والربد جمع ربداء وهي التي أربد لونها وقيل الخاضبة التي رعت الربيع فاحمرت سوقها ويسمى الضليم خاضبا قال أبو داود

(لها ساقا ظليم خاضب ... فوجى بالرعب)

(١) رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/٢٨

ولا يقال إلا للظليم دون النعامة وقال الخطيب رعت الربيع فخضب سوقها بزرقة والرئال جمع رأل وهو فرخ النعام المعنى يقول وحوش النواحي كلها نفرت خوفا منه لا يستقر لها قرار على بعد الشقة التي بين الوحش وبين الممدوح وهي في إشفاق منه ووجل عظيم." (١)

"وقال عبد الغافر الفارسي: روى عن أبي نعيم عبد الملك بن الحسن الأسفراييني وأبي الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي، توفي سنة نيف وستين وأربعمائة، وأخوه أبو الحسن علي بن أحمد البستيغي، حدث عن أبي طاهر محمد بن محمد بن محسن الزيادي، حدث عنه عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي وقال:

كان شيخا معروفا صالحا معتمدا سمع الحديث غالبا، وهو من جملة الأمناء، مات في المحرم سنة ٤٨٨.

البسراط:

بكسر أوله: بلد **التماسيح** بمصر قرب دمياط من كورة الدقهلية.

بسر:

بالضم: اسم قرية من أعمال حوران من أراضي دمشق بموضع يقال له اللحا، وهو صعب المسلك، إلى جنب زرة التي تسميها العامة زرع، ويقال: إن بهذه القرية قبر اليسع النبي، عليه السلام، وينسب إليها أبو عبيد محمد بن حسان البسري الحساني الزاهد، له كلام في الطريقة وكرامات، حدث عن سعيد بن منصور الخراساني وعبد الغفار بن نجيح وآدم بن أبي إياس وأبي صفوان القاسم بن يزيد بن عوانة الكلابي، وذكر ابن نافع الأرسوفي وعمرو بن عبد الله بن صفوان والد أبي زرعة وذكر غيره، وروى عنه إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن مروان الدمشقي ومحمد بن عثمان الأذرعي وأبو بكر محمد بن عمار الأسدي وأبو زرعة عبد الرحمن بن واصل الحاجب وابناه عبيد ونجيب وغيرهم، وابنه نجيب ابن أبي عبيد البسري حكى عن أبيه، روى عنه أبو بكر الهلالي وأبو العباس أحمد بن معز الصوري الجلودي وأبو زرعة الحسيني ومعاذ بن أحمد الصوري وأبو بكر محمد بن منصور بن بطيش الغساني وأبو بكر بن معمر الطبراني، وحدث عن أبيه بكتاب قوام الإسلام وبكتاب الطبيب، ذكره ابن ماكولا في كتاب نجيب، ومحمد بن منصور بن بطيش أبو بكر الغساني البسري من أهل قرية بسر من حوران، قدم دمشق وحدث بها عن نجيب بن أبي

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٣/٣٢١

عبيد، كتب عنه أبو الحسين الرازي.

بسرفوث:

حصن من أعمال حلب في جبال بني عليم، له ذكر في فتوح الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، وقد خرب وهو الآن قرية، وهو بالتحريك، وسكون الراء، وضم الفاء، وسكون الواو، والثاء المثلثة.

البسرة:

بسكون السين: من مياه بني عقيل بنجد بالأعراف أعراف غمرة، فإذا شرب الإنسان من مائها شيئا لم يرو حتى يرسل ذنبه، وليست ملحة جدا ولكنها غليظة، قال أبو زياد الكلابي: وأخبرني غير واحد أنهم يردونها فيستقبل أحدهم فرغ الدلو فلا يروى حتى يرسل ذنبه ولا يملكه أي أنها تسهل البطن، قال: وهي وهط من عرفط، والوهط: جماعة العرفط، وهو مختصر لحياضها قريبا، وتشربه الإبل والماشية فلا يضرها ولا يغيرها، فوردها قوم وهم لا يدرون كنه مائها وهم عطاش، فوقعوا في الماء يسقون ويشربون فنزل بهم أمر عظيم، فجعلوا يشربون ولا يقر في بطونهم، فظلوا بيوم لم يظلوا بيوم مثله قط، ثم راحوا واستقوا منها في أسقيتهم، فقال أحدهم حين راحوا:

أسوق عيرا تحمل المشيا، ... ماء من البسرة أحوزيا

تعجل ذا القباضة الوحيا ... أن يرفع المبرز عنه شيا." (١)

"بليان:

بالضم، وتشديد اللام وفتحها، وياء مخففة:

موضع في شعر زهير، ورواه أبو محمد الغندجاني:

بليان، بكسر أوله وثانيه، في قصة أبي سواج الضبي، قالوا لصرد بن حمزة: من أين أقبلت؟ قال:

من ذي بليان وأريد ذا بليان وفي نعلي من است بعض القوم شراكان.

البليح:

بالفتح ثم الكسر، وياء، والحاء مهملة، قال الأصمعي: هو جبل أحمر في رأس حزم أبيض لبني أبي بكر

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١/ ٤٢٠

بن كلاب قرب الستار.

البليخ:

الخاء معجمة: اسم نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون، وأعظم تلك العيون عين يقال لها الذهبانية في أرض حران، فيجري نحو خمسة أميال ثم يسير إلى موضع قد بنى عليه مسلمة بن عبد الملك حصنا، يكون أسفله قدر جريب وارتفاعه في الهواء أكثر من خمسين ذراعا، وأجرى ماء تلك العيون تحته، فإذا خرج من تحت الحصن يسمى بليخا، ويتشعب من ذلك الموضع أنهار تسقي بساتين وقرى ثم تصب في الفرات تحت الرقة بميل، قال ابن دريد: لا أحسب البليخ عربيا، ولكن يقال: بلخ إذا تكبر، قال أبو نواس:

على شاطي البليخ وساكنيه ... سلام مسلم لقي الحماما

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات:

حلق من بني كنانة حولي ... بفلسطين، يسرعون الركوبا

ذاك خير من البليخ ومن صو ... ت ذئاب، علي يدعون ذيبا

وقد جمعها الأخطل وسماها بلخا، قال:

أقفرت البلخ من عيلان فالرحب ... فالمحلبيات فالخابور فالشعب

بليد:

تصغير بلد: ناحية قرب المدينة بواد يدفع في ينبع، وهي قرية لآل علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قال كثير:

وقد حال من حزم الحماتين دونهم، ... وأعرض من وادي بليد شجون

وقال أيضا:

نزول بأعلى ذي البليد، كأنها ... صريمة نخل مغطئل شكيرها

وبليد أيضا: لآل سعيد بن عنبسة بن سعيد بن العاص.

بليرة:

بكسر اللام، وراء مهملة: حصن بالأندلس من أعمال شنتبرية.

بليق:

بالتصغير، وبلقاء: لبني أبي بكر وبني قريط.

بليل:

آخره لام أخرى: اسم لشريعة صفين في ا الشعر، عن الحازمي.

بلينا:

بسكون اللام، وياء مفتوحة، ونون، والقصر: مدينة على شاطئ النيل من غربيه بصعيد مصر، يقال إن بها طلسما لا يمر بها **تمساح** إلا وينقلب على ظهره.

بليونش:

بكسر أوله، وتسكين ثانيه، وياء مضمومة، وشين معجمة: مدينة من نواحي سبتة بالمغرب.

بلية:

بالضم ثم الفتح، وياء مشددة: هضبة باليمامة في قول جرير يرثي امرأته وكان دفنها أسفل هذه الهضبة:." (١)

"يقول على تبراك، قال: وتبراك أيضا ماء في بلاد بني العنبر، قال أبو جعفر: جاءت عن العرب أربعة أسماء مكسورة الأول: تقصار للقلادة اللازقة بالحلق، وتعشار موضع لبني ضبة، وتبراك ماء لبني العنبر، وطلحام موضع، حكى أبو نصر: رجل **تمساح** ورجل تنبال وتبيان، وقال أبو زياد: مياه الماشية تبراك التي ذكرها جرير، وقد ذكرت الماشية في موضعها من هذا الكتاب، قال ابن مقبل:

جزى الله كعبا، بالأباتر، نعمة ... وحيا بهبود، جزى الله، أسعدا

وحيا على تبراك لم أو مثلهم ... رجا، قطعت منه الحبائل، مفردا

بكيت بخصمي سنة، يوم فارقوا، ... على ظهر عجاج العشيات أجردا

الخصم: الجانب، وقال أبو كدراء وزين بن ظالم العجلي:

الله نجاني وصدقت بعد ما ... خشيت على تبراك، ألا أصدقا

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٤٩٣/١

وأعيس، إذ أكلفته وهو لاغب، ... سرى طيلسان الليل حتى تمزقا
وقال نصر: تبراك ماء لبني نمير في أدنى المروت لاصق بالوركة، وينشد:
أعرفت الدار أم أنكرتها ... بين تبراك فشسي عبقر؟

التبر:
بلاد من بلاد السودان تعرف ببلاد التبر، وإليها ينسب الذهب الخالص، وهي في جنوب المغرب، تسافر التجار من سجلماسة إلى مدينة في حدود السودان يقال لها غانة، وجهازهم الملح وعقد خشب الصنوبر، وهو من أصناف خشب القطران إلا أن رائحته ليست بكريهة، وهو إلى العطرية أميل منه إلى الزفر، وخرز الزجاج الأزرق وأسورة نحاس أحمر وحلق وخواتم نحاس لا غير، ويحملون منها الجمال الوافرة القوية أوقارها ويحملون الماء من بلاد لمتونة، وهم الملثمون، وهم قوم من بربر المغرب في الروايا والأسقية ويسيرون فيرون المياه فاسدة مهلكة ليس لها من صفات الماء إلا التميع، فيحملون الماء من بلاد لمتونة ويشربون ويسقون جمالهم، ومن أول ما يشربونها تتغير أمزجتهم ويسقمون، خصوصا من لم يتقدم له عادة بشربه، حتى يصلوا إلى غانة بعد مشاق عظيمة، فينزلون فيها ويتطيبون ثم يستصحبون الأدلاء ويستكثرون من حمل المياه ويأخذون معهم جهابذة وسماسرة لعقد المعاملات بينهم وبين أرباب التبر، فيمرون بطريقهم على صحارى فيها رياح السموم تنشف المياه داخل الأسقية فيتحيلون بحمل الماء فيها ليرمقوا به، وذلك أنهم يستصحبون جمالا خالية لا أوقار عليها يعطشونها قبل ورودهم على الماء نهارا وليلا ثم يسقونها نهلا وعللا إلى أن تمتلئ أجوافها ثم تسوقها الحداة، فإذا نشف ما في أسقيتهم واحتاجوا إلى الماء نحروا جملا وترمقوا بما في بطنه وأسرعوا السير حتى إذا وردوا مياها أخر ملأوا منها أسقيتهم وساروا مجدين بعناء شديد حتى يقدموا الموضع الذي يحجز بينهم وبين أصحاب التبر، فإذا وصلوا ضربوا طبولا معهم عظيمة تسمع من الأفق الذي يسامت هذا الصنف من السودان، ويقال:
إنهم في مكامن وأسراب تحت الأرض عراة لا يعرفون سترا كالبهائم مع أن هؤلاء القوم لا يدعون تاجرا يراهم أبدا، وإنما هكذا تنقل صفاتهم، فإذا علم التجار أنهم قد سمعوا الطبل أخرجوا ما صحبهم من." (١)
"بلد بأطراف الشام.

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١٢/٢

الخليج:

بفتح أوله، وكسر ثانيه، وآخره جيم:

بحر دون قسطنطينية، وجبل خليج: أحد جبال مكة. وخليج أمير المؤمنين بمصر، قال القضاعي: أمر عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، عمرو بن العاص عام الرمادة بحفر الخليج الذي في حاشية الفسطاط فساقه من النيل إلى بحر القلزم فلم يأت عليه الحول حتى سارت فيه السفن وحمل فيه ما أراد من الطعام إلى مكة والمدينة فنفع الله بذلك أهل الحرمين فسمي خليج أمير المؤمنين، وذكر الكندي أنه حفر في سنة ٢٣ وفرغ منه في ستة أشهر وجرت فيه السفن ووصلت إلى الحجاز في الشهر السابع، قال: ولم يزل تحمل فيه الولاة إلى أن حمل فيه عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه، ثم أضاعته الولاة بعد ذلك وسفت عليه الرمال فانقطع وصار منتهاه إلى ذنب التمساح من ناحية بطحاء القلزم، وقال ابن قديد: أمر أبو جعفر المنصور بسد الخليج حين خرج عليه محمد بن عبد الله ابن حسن بن ا لحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، بالمدينة ليقطع عنه الميرة فسد إلى الآن، قلت أنا: وأثر هذا الخليج إلى الآن باق عند الخشبي منزل في طريق مصر من الشام، وهذا الخليج أراد أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن الساعاتي بقوله:

قف بالخليج، فإنه ... أشهى بقاع الأرض ربعا

رقصت له الأغصان، إذ ... أثنى الحمام عليه سجعا

متعطف كالأيم ذع ... را، حين خيف فضاق ذرعا

وإذا تمر به الصبا، ... فاطرب بسيف صار درعا

متساويات سفنه ... خفضا، براكبها، ورفعا

مثل العقارب أقبلت ... فوق الأراقم، وهي تسعى

وقال أيضا:

نزلنا بمصر، وهي أحسن كاعب، ... فقيدة مثل زانها كرم البعل

فلم أر أمضى من حسام خليجها ... يموج، على إفرندها، صدأ الطل

إذا سال، لا بل سل في متهالك ... من الأرض جدب، طل فيه دم المحل

غداة جلا تبر الشعاع متونه، ... ولا شك أن الماء والنار في النصل

ولا شك أعطاف الغصون كأنها ... شمائل معشوق تثنى من الدل

ينظم تعويذا لها سبج الدجى، ... وينثر إعجابا بها لؤلؤ الطل

وخليج بنات نائلة، قال مصعب الزبيري: منسوب إلى ولد نائلة بنت الفرافصة الكلبية امرأة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وكان عثمان اتخذ هذا الخليج وساقه إلى أرض استخرجها واعتملها بالعرصة.

الخليصاء:

تصغير الخلصاء: موضع، قال عبد الله ابن أحمد بن الحارث شاعر بني عباد:

لا تستقر بأرض، أو تسير إلى ... أخرى بشخص قريب عزمه نائي

يوم بحزوى، ويوم بالعقيق، ويو ... م بالعذيب، ويوم بالخليصاء

وتارة تنتحي نجدا، وآونة ... شعب العقيق، وطورا قصر تيماء." (١)

"بالكلام أنس تام وبالطب، انتقل إلى مصر وأقام بها إلى أن توفي في شهر ربيع الأول سنة ٥٠٥، وكان يعرف بالذهبي، وكان مولعا بالرد على أبي حامد الغزالي ونقض كلامه.

سفال:

بفتح أوله، وآخره لام، مشتق من السفل ضد العلو، ويجوز أن يكون مبنيا مثل قطام، وهي ذو سفال: من قرى اليمن، وقد نسب إليها بعض أهل العلم، منهم: أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الوهاب بن أسعد السفالي، روى عنه أبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي، رواه السمعاني سفال، بكسر أوله، وبها مات يحيى بن أبي الخير العمراني الفقيه صاحب كتاب البيان في الفقه.

سفالة:

آخر مدينة تعرف بأرض الزنج، والحكاية عنهم كما حكينا عن بلاد التبر بأرض جنوب المغرب من أنهم يجلب إليهم الأمتعة ويتركها التجار ويمضون ثم يجيئون وقد تركوا ثمن كل شيء عنده، والذهب السفالي معروف عند تجار الزنج.

سفان:

بفتح أوله، وتشديد ثانيه، وآخره نون، قال نصر: هو صقع بين نصيبين وجزيرة ابن عمر في ديار ربيعة.

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٣٨٦/٢

وسفان: ناحية بوادي القرى، وقيل بشين معجمة، عنه أيضا، يجوز أن يكون فعلان من سففت الدواء وأن يكون فعالا من السفن وهو جلد **التمساح**، والسفان: صاحب السفينة.

السفح:

بفتح أوله، وسكون ثانيه، بلفظ سفح الجبل، وهو أسفله حيث يسفح فيه الماء: وهو موضع كانت به وقعة بين بكر بن وائل وتميم.

وسفح أكلب: قرب اليمامة في حديث طسم وجديس.

سفر:

بالتحريك، بوزن السفر ضد الإقامة: موضع بعينه، عن أبي الحسن الخوارزمي.

سفرادن:

بضم أوله، وسكون ثانيه، وبعد الألف دال مهملة ثم نون: من قرى بخارى.

سفرمرطى:

بفتح أوله وثانيه، وسكون رائه، وفتح الميم، وراء أخرى ساكنة، وطاء مهملة بعدها ألف مقصورة: من قرى حران، عن السمعاني.

سفط أبي جرجا:

بفتح أوله، وسكون ثانيه، وجرجا بجيمين بينهما راء الأولى مكسورة: قرية بصعيد مصر في غربي النيل لها نهر مفرد وليست بشارفة على النيل، وكانت بها وقعة بين حباشة صاحب بني عبيد وبين أصحاب المقتدر في سنة ٣٠٢، فقال فيه ابن مهران قصيدة أولها:

وأي وقائع كانت بسفط، ... ألا بل بين مشتول وسفط

وقد وافى حباشة في كتام ... بكل مهند وبكل خطي

وقد حشدوا فمصر دون مصر ... له خرط القتاد وأي خرط

سفط العرفا:

بفتح أوله، وسكون ثانيه: قرية في غربي نيل مصر من جهة الصعيد ذات نهر مفرد كالتي قبلها.

سفط القدور:
بفتح أوله، وسكون ثانيه، والقدور جمع قدر: وهي قرية بأسفل مصر، ينسب إليها عبد الله بن موسى السفطي مولى قريش، روى عن إبراهيم بن زبان بن عبد العزيز، روى عنه ابنه وهب، قال أبو سعد: ورأيت في تاريخ مصر مضبوطا سقط القدور، بالقاف، وهو تصحيف.

سفل يحصب:
بكسر أوله، وسكون ثانيه، ويحصب، بفتح الياء المثناة من تحت، والحاء المهملة." (١)
"فأجبتها، ويدي على ... كبدي وهمت بانصداع:
لا تعجبي فيما رأي ... ت فنحن في زمن الضياع

مهرات:
بلد بنجد من أرض مهرة قرب حضرموت.
المهراس:
بكسر أوله، وسكون ثانيه، وآخره سين مهملة، المهراس: موضعان أحدهما موضع باليمامة كان من منازل الأعشى، وفيه يقول:
شاقتك من قبلة أطلالها ... بالشط فالوتر إلى حاجر
فركن مهراس إلى مارد ... فقاع منفوحة ذي الحائر
قالوا: كان الأعشى ينزل هذا الشق من اليمامة، والمهراس: حجر مستطيل يتوضأ منه، وفي حديث أبي هريرة أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: إذا أراد أحدكم الوضوء فليفرغ على يديه من إنائه ثلاثا، فقال له قين الأشجعي: فإذا أتينا مهراسكم كيف نصنع؟ أراد بالمهراس هذا الحجر المنقور الذي لا يقله الرجال، والمهراس فيما ذكره المبرد: ماء بجبل أحد، وروي أن النبي، صلى الله عليه وسلم، عطش يوم أحد فجاءه علي، رضي الله عنه، وفي درقته ماء من المهراس فعافه وغسل به الدم عن وجهه. قال عبيد الله الفقير

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٣/٢٢٤

إليه: ويجوز أن يكون جاءه بماء من الحجر المنقور المسمى بالمهراس، ويجوز أن يكون علما لهذا الحجر سمي به لثقله لما أنه يقع على الشيء فيهرسه، وليس كل حجر منقور مستطيل مهراسا، والله أعلم، وقال سديف بن ميمون يذكر حمزة وكان دفن بالمهراس:

لا تقيلن عبد شمس عثارا، ... واقطعن كل رقلة وغراس

أقصهم أيها الخليفة واحسم ... عنك بالسيف شأفة الأرجاس

واذكرن مقتل الحسين وزيد ... وقتيلا بجانب المهراس

هو حمزة بن عبد المطلب.

مهران:

بالكسر ثم السكون، وراء، وآخره نون، اسم أعجمي: موضع لنهر السند، قال حمزة:

وأصله بالفارسية مهران روذ، وهو واد يقبل من الشرق آخذا على جهة الجنوب متوجها إلى جهة المغرب حتى يقع في أسفل السند ويصب في بحر فارس، وهو نهر عظيم بقدر دجلة تجري فيه السفن ويسقي بلادا كثيرة ويصب في البحر عند الديبل، قال الإصطخري:

وبلغني أن مخرج مهران من ظهر جبل يخرج منه بعض أنهار جيحون فيظهر مهران بناحية الملتان على حد سمندور والرور ثم على المنصورة ثم يقع في البحر شرقي الديبل، وهو نهر كبير عذب جدا، ويقال:

إن فيه **تماسيح** مثل ما في النيل وهو مثله في الكبر وجريه مثل جريه ويرتفع على وجه الأرض ثم ينضب فيزرع عليه مثل ما يزرع بأرض مصر، والسندروذ:

نهر آخر هناك ذكر في موضعه.

مهربارات:

من قرى أصبهان، كان ينزلها محمد بن أحمد بن عبد الله بن جره المهربرتي، سمع منه بها قتيبة بن سعيد.

مهربانان:

بالكسر ثم السكون، وفتح الراء، وباء موحدة، وبعد الألف نون، وآخره نون، والمهر بالفارسية له معنيان: أحدهما هو الشمس، ومهر معناه المحبة والشفقة: من قرى مرو.." (١)

"ومن عجائب النيل السمكة الرعادة وهي سمكة لطيفة مسيرة من مسها بيده أو بعود يتصل بيده إليها أو بشبكة هي فيها اعترته رعدة وانتفاض ما دامت في يده أو في شبكته، وهذا أمر مستفيض رأيت جماعة من أهل التحصيل يذكرونه، ويقال إن بمصر بقلة من مسها ومس الرعادة لم ترتعد يده، والله أعلم، ومن عجائبه **التمساح** ولا يوجد في بلد من البلدان إلا في النيل، ويقال إنه أيضا بنهر السند إلا أنه ليس في عظم المصري فإذا عض اشتبكت أسنانه واختلفت فلم يتخلص الذي وقع فيها حتى يقطعه، وحنك **التمساح** الأعلى يتحرك والأسفل لا يتحرك، وليس ذلك في غيره من الدواب، ولا يعمل الحديد في جلده، وليس له فقار بل عظم ظهره من رأسه إلى ذنبه عظم واحد ولا يقدر أن يلتوي أو ينقبض لأنه ليس في ظهره خرز، وهو إذا انقلب لم يستطع أن يتحرك، وإذا أراد الذكر أن يسفد أنثاه أخرجها من النيل وألقاها على ظهرها كما يأتي الرجل المرأة فإذا قضى منها وطره قلبها فإن تركها على ظهرها صيدت لأنها لا تقدر أن تنقلب، وذنب **التمساح** حاد طويل وهو يضرب به فربما قتل من تناله ضربته، وربما جر بذنبه الثور من الشريعة حتى يلجج به في البحر فيأكله، ويبيض مثل بيض الإوز فإذا فقص عن فراخه كان الواحد كالحرذون في جسمه وخلقته ثم يعظم حتى يصير عشرة أذرع وأكثر وهو يبيض وكلما عاش يزيد، وتبيض الأنثى ستين بيضة، وله في فيه ستون سنا، ويقال إنه إذا أخذ أول سن من جانب حنكه الأيسر ثم علق على من به حمى نافض تركته من ساعته، وربما دخل لحم ما يأكله بين أسنانه فيتأذى به فيخرج من الماء إلى البر ويفتح فاه فيجيئه طائر مثل الطيطوى فيسقط على حنكه فيلتقط بمنقاره ذلك اللحم بأسره فيكون ذلك اللحم طعاما لذلك الطائر وراحة بأكله إياه **للتمساح**، ولا يزال هذا الطائر حارسا له ما دام ينقي أسنانه، فإذا رأى إنسانا أو صيادا يريده رفرف عليه وزعق ليؤذنه بذلك ويحذره حتى يلقي نفسه في الماء إلى أن يستوفي جميع ما في أسنانه، فإذا أحس **التمساح** بأنه لم يبق في أسنانه شيء يؤذيه أطبق فمه على ذلك الطائر ليأكله فلذلك خلق الله في رأس ذلك الطائر عظما أحد من الإبرة فيقيمه في وسط رأسه فيضرب حنك **التمساح**، ويحكى عنه ما هو أعجب من ذلك، وهو أن ابن عرس من أشد أعدائه، فيقال إن ابن عرس إذا رأى **التمساح** نائما على شاطئ النيل ألقى نفسه في الماء حتى يبتل ثم يتمرغ في التراب ثم يقيم شعره ويثب حتى يدخل في جوف **التمساح** فيأكل ما في جوفه وليس **للتمساح** يد تدفع عنه ذلك، فإذا

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٥/٢٣٢

أراد الخروج بقر بطنه وخرج، وعجائب الدنيا كثيرة وإنما نذكر منها ما نجربه عادة ولهذا أمثال ليس كتابنا بصدد شرحها، وقال الشاعر:

أضمرت للنيل هجرانا ومقلية ... مذ قيل لي إنما **التمساح** في النيل

فمن رأى النيل رأي العين من كثب ... فما رأى النيل إلا في البواقيل

والبواقيل: كيزان يشرب منها أهل مصر، وقال عمرو بن معدي كرب:

فالنيل أصبح زاخرا بمدوده، ... وجرت له ريح الصبا فجرى لها

عودت كندة عادة فاصبر لها، ... اغفر لجانبها ورد سجالها

وحدث الليث بن سعد قال: زعموا، والله أعلم،." (١)

"٤٠٩، ٤٣١، ٤٣٩ ذمرمر (٣) ٧ ذموران (٢) ٤٦٠ (٣) ٧ ذمون (٣) ٧ ذمى (٣) ٦ الذناب (٣) ٧ الذنابة (٢) ٣٣٩ (٣) ٧ الذنابة (٣) ٧ الذنائب (١) ١١٣ (٣) ٧، ١١٣، ٢٤٠، ٤٢٢ (٥) ٣١ ذنب **التمساح** (٢) ٣٨٦ ذنب الحليف (١) ٤٧٢ (٣) ٨ ذنب سجل (٣) ٨ الذنب بالسواد (٢) ٧ ذنبان (٣) ٨ الذنبة (١) ١٤٥، ٤٨٦ الذنوب (٢) ٢٥٣ (٣) ٨ (٥) ١٩١، ٣٥٦ ذوال (٣) ٨، ٦٨ (٤) ٣١٨ ذورة (٣) ٨ ذوفة (٣) ٨ الذويب (٣) ٩ (٥) ٢٥٣ الذويبان (٣) ٩ الذهاب (٢) ٣٢٧، ٤٠٨ (٣) ٩، ١٤٦ (٤) ٢٤ ذهبان جدة (٣) ٩ ذهبان الجند (١) ٤٠٠ (٣) ٩ ذهبان جهينة (٣) ٩ ذهبان (٣) ٩ الذهبانية (١) ٤٩٣ (٣) ٩ الذهلول (١) ٣٧٥ (٣) ٩، ٣٢٥ ذهوط (٣) ٩ ذهيوط (٣) ٩ ذياد (٣) ٩ ذيال (٣) ١٠، ٤١٤ ذيالة (٣) ١٠ الذيب بدربند (١) ٣٠٣ الذيب في بلاد كلاب (٣) ١٠ ذيبدوان (٣) ١٠ الذيبة (٣) ١٠ (٥) ٣٩٦ ذيمون (٣) ١٠- ر- رابخ (٣) ١١ رابغ (١) ٢٠٦، ٣٩٤، ٤٠٥ (٢) ٢٨ (٣) ١١، ٢١٤ (٥) ١١٢ رابغة (٣) ١١ رابة (٣) ١١ الرابية (٥) ٤٠ راتج (٣) ١٢، ٣٣٥ راجل (٢) ٢٤٦ (٣) ١٢ راح (٣) ١٢ الراحة (١) ٥٣١ (٢) ٤٢٩ (٣) ٩، ١٢ (٥) ٧٠ راخ (٣) ١٢." (٢)

"وأنشد، قال: أنشدني مكي (س) ، قال: أنشدنا الشيخ صدقة لنفسه: (البسيط)

أخي لولا اشتياقي لم أزرك فإن ... تبعد فما دنوي منك إرباح

أبدي الجميل تكافيني بمحزنة ... كأنني طائر كافاه **تمساح**

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٥/٣٣٧

(٢) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٥٤٢/٧

وأنشدني أبو الفضائل (ح) جعفر بن محمد، قال: أنشدني علي بن محمد بن إبراهيم ابن أبي نصر بن المبارك بن غناج (٦) ، أبو الحسن الواسطي المولد والمنشأ، الخسرسابوري الأصل- وكان عنده طرف من العربية مع غفلة فيه- لنفسه من أبيات أولها: (الطويل)

يا ساكني دار السلام- سلمتم- ... أجيروا المعنى من عيون الجآذر

وردوا فؤادا طالما ظل عندكم ... أسير هوى ما بين واف وغادر

وأنشدني لابن غناج في صبي يدعى «اللطيف بن جعفر» من أبيات طويلة (الطويل)

/ فيا أيها الركب العراقي بلغوا ... سلامي- حبيتم بالتحية والرشد-

إلى منية القلب اللطيف بن جعفر ... وقولوا له من لوعة البين (ش) ما عندي

وقولوا له: إني قرأت كتابه ... وق ا بلته بالشكر لله والحمد

وقبلته ألفا ففاضت مدامعي ... فأنشدت قول الشاعر الفطن الجلد:

«شممت بنجد شيحة حاجرية ... فأمطرتها دمعي وأفرشتها (ص) خدي»

وأنشد (ط) ، قال أنشدني أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن بن غنيمة الواسطي (٧) لنفسه- وقال عنده فقه وعربية وانقطاع وزهد-، قال وكتبها إلى أبي حفص عمر بن محمد الفرغاني (٨) جواب كتاب كتبه إليه: (الكامل)

لما نظرت كتابه متلألئا ... نورا يضيء له الظلام ويسفر." (١)

"شبيه بالعقوق البر فيها ... وفيها العدل كالجور الصريح

يحل الداء في عضو سقيم ... فيخرج من دم العضو الصحيح

وله أيضا: بسيط:

ما لي وأهل زمان لا ينهنههم ... عن السفاهة تعريض وتصريح؟

كل يكافي الوفا مني بغدرته ... لؤما يكافي به الطير **التماسيح**

وله أيضا على قافية الحاء: خفيف مجزوء:

وخليل وداده ... كنت في الدهر أقترح

كان قلبي له وبي ... قلبه كان منشرح

أشتكي إن شكى وأفر ... ح في الدهر إن فرح

---

(١) تاريخ اربل ابن المستوفي الإربلي ٣٨٩/١

وكلانا مهنأ ... من أخيه بما منح

وكلانا بخله ... ناصح حين ينتصح

وكلانا بما حوى ... فائز القدح قد ربح

بان لي غشه فبال ... حرد والغش إفتضح

جرح الود بالقبي ... ح الذي ظل يجترح

طمعا أن ينال ما ... نال مني ونصطلح

ورجا أن يعود قل ... بي، وقد مات ما ذبح

قلما تفسد الخيا ... نة أمرا فينصلح

والبلاوي نار العدا ... وة في الناس تقتدح

حرف الدال

طويل:

فلا تنكرا صدي عن الناس إنما ... يضم الأسير ال كف من ألم القد." (١)

"المشتري: له القوة النفسانية والغازية والنامية والريح التي في الفؤاد.

المريخ: له القوة الغضبية.

الشمس: لها القوة الحيوانية.

الزهرة: لما القوة الشهوانية.

عطارد: له القوة الفكرية.

القمر: له آلقوة الطبيعية.

١٥ – النوع الخامس عشر: فى دلالتها على ذوات الأربع (١) :

زحل: له الحيوانات السود وما يأوي إلى جحر تحت الأرض، والبقر والمعز والنعام والسنجاب والببور (٢) والسنانير والفأر واليرابيع والحيات العظام السود والعقارب والبراغيث والخنافس.

المشتري: له الناس والبهائم الأهلية وذوات الأظلاف والأخلاف من الضأن والثيران والابل، وكل دابة حسنة اللون أو طيبة اللحم مما يؤكل، وما كان متعلما وذا حياء من الأسود والببور والفهود.

---

(١) المحمدون من الشعراء القفطي، جمال الدين ص/٢٧٧

المريخ: له الأسود والنمور والذئاب (٣) والخنازير البرية كلها المتوحشة والكلاب، وكل سبع خبيث وكلب كذلك والحيات والأفاعي.

الشمس: لها الغنم والخيول العراب والأسود **والتماسيح**.

الزهرة: لها كل ذي حافر أبيض أو أصفر من الوحوش ولها الحيتان.

عطارد: له الكلاب المعلمة والحمير والبغال والثعالب والأرانب، وكل حيوان صغير أرضي أو مائي.

القمر: له الابل والبقر والشاء وكل مايستأنس بالناس.

١٦ - النوع السادس عشر: في الطيور (٤) :

زحل: له طير الماء وطير الليل والغربان والخطاطيف السود والذبان.

المشتري: له كل طير مشوي المنقار يأكل الحب الذي لا يكون أسود، والحمام والدراج والطواويس والديوك والدجاج.

المريخ: له كل الطيور المعقفة المناقير، وكل طائر أحمر، والزنابير.

---

(١) انظر الجدول مقابل ص: ٢٤٦.

(٢) التفهيم: والنمور.

(٣) التفهيم: والدباب.

(٤) انظر الجدول مقابل ص: ٢٤٧.." (١)

"١٢٠٨ - قام (١) أبو بكر بن قزمان الزجال في مجلس شراب، فمال على السراج فانطفأ، فقال:

يا أهل ذا المجلس السامي سرادقه ... ما ملت لكنني مالت بي الراح

فإن أكن مطفئا مصباح بيتكم ... فكل من فيكم في البيت مصباح خواص في السرج:

١٢٠٩ - قال ساغون: إذا أسرجت سراجين أحدهما بشحم أسد والآخر بشحم كبش ووضعتهما قريبا بعضهما من بعض، فإن نار أحدهما تثب نحو نار الآخر، كأنهما يقتتلان.

١٢١٠ - قال كيماوس: إذا خلط شحم الأسد مع كبريت أصفر مسحوق وجعل في مصباح حديد أخضر أرى عجبا.

١٢١١ - فال أرسطو: شحم **التمساح** إذا عجن بالشمع وجعل في فتيلة وأسرج في نهر أو أجمة لم تصح

---

(١) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس أحمد بن يوسف التيفاشي ص/١٨١

ضفادع ذلك الموضع ما دامت الفتيلة مسرجة.

١٢١٢ - قال ماسرجويه: إن ذوب شحم الدلفين وجعل في مصباح نحاس، وأخذت خرقة كتان ونثر عليها زنجار ولفت فتيلة، وجعلت في ذلك المصباح مع ذلك الشحم المذاب، وأسرجت، فإن كل من يكون في ذلك البيت الذي يسرج فيه بين بدي السراج لا يبصر شيئا من نوره، وكل من وراء ذلك المصباح يرى كل شيء.

١٢١٣ - قال كيماوس: إن جفف دم سلحفاة وسحق وطلي به مسرجة، فكل من أسرجها ضرط.

١٢١٤ - مجرب: إن دق ملح وألقي في شراب صرف وخضخض، وملأت به قنينة وجعلت في فمها قطعة شمع، وأوقدتها، فإن النار تتصل بالشراب ويفنى الشمع ويبقى الشراب، والنار متصلة تسرج بغير دخان كالشمعة في عنق القنينة زمانا أضوأ سراج وأنوره يغني عن الشمع والسراج.

---

(١) حلبة الكميت: ١٨٤ والغزولي ١: ٨٩ والبيتان أيضا في الاحاطة ٢: ٤٩٦ (تحقيق عنان) .." [(١)]

"راعي الضحي في حين غرة أمنه ... فسناه مخطوف الاضاءة أكهب

(١٣٢- ظ)

جذلان إن هتك اللثام بداله ... خد بحادي البوارق مذهب

والأرض حاسرة تود لو أنها ... مما يحبره الربيع تجلبب

وقال أبو بكر أحمد بن محمد الصنوبري وقد أنشدنا بعض قوله القاضي أبو القاسم بن محمد قاضي دمشق بها قال: أنشدنا أبو الحسن علي بن المسلم السلمي قال: أخبرنا أبو نصر الحسين بن محمد بن طلاب قال: أنشدنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن محمد بن جميع قال: أنشدني أبو بكر الصنوبري.

قويق له عهد لدينا وميثاق ... وهذي العهود والمواثيق أطواق

نفى الخوف أنا لا غريق نرى له ... فنحن على أمن وذا الأمن أرزاق

ونزهه ألا سفينة تمتطي ... مطاه لها وخد «١» عليه وإعناق

وأن ليس تعتاق **التماسيح** شربه ... إذا اعتاق شرب النيل منهن معتاق

ولا فيه سلور ولو كان لم أكن ... أرى أنه إلا حميم وغساق

بلى تعلن التسبيح في جنباته ... علاجم بالتسبيح مذكن حذاق

---

(١) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس أحمد بن يوسف التيفاشي ص/٤٠٠

أقامت به الحيتان سوقا ولم تزل ... تقام على شطيه للطير أسواق

وسربل بالأرجاء مثنى وموحدا ... كما سربلت غصنا من البان أوراق

وفاضت عيون من نواحيه ذرف ... ولما تعاونها جفون وآماق

هو الماء إن يوصف بكنه صفاته ... فللماء إغضاء لديه وإطراق

ففي اللون بلور وفي اللمع لؤلؤ ... وفي الطيب قنديد وفي النفع درياق

(١٣٣- و)

إذا عبثت أيدي النسيم بوجهه ... وقد لاح وجه منه أبيض براق." (١)

"المراسلات العجيبة والكتب البديعة الغريبة ولم يكن أحد منهم يؤلف كتابا ولا يبتدع رأيا إلا ويرد الآخر عليه ويسفه رأيه فيه

وقد رأيت أشياء من المراسلات التي كانت فيما بينهم ووقائع بعضهم في بعض

وسافر ابن بطلان من بغداد إلى ديار مصر قصدا منه إلى مشاهدة علي بن رضوان والاجتماع به وكان سفره من بغداد في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ولما وصل في طريقه إلى حلب أقام بها مدة وأحسن إليه معز الدولة ثمال بن صالح بها وأكرمه أكراما كثيرا

وكان دخوله الفسطاط في مستهل جمادى الآخرة من سنة إحدى وأربعين وأربعمائة وأقام بها ثلاث سنين وذلك في دولة المستنصر بالله من الخلفاء المصريين

وجرت بين ابن بطلان وابن رضوان وقائع كثرة في ذلك الوقت ونوادر ظريفة لا تخلو من فائدة

وقد تضمن كثيرا من هذه الأشياء كتاب ألفه ابن بطلان بعد خروجه من ديار مصر واجتماعه بابن رضوان ولابن رضوان كتاب في الرد عليه

وكان ابن بطلان أعذب ألفاظا وأكثر ظرفا وأميز في الأدب وما يتعلق به

ومما يدل على ذلك ما ذكره في رسالته التي وسمها دعوة الأطباء وكان ابن رضوان أطب وأعلم بالعلوم الحكمية وما يتعلق بها

وكان ابن رضوان أسود اللون ولم يكن بالجميل الصورة

وله مقالة في ذلك يرد فيها على من عيره بقبح الخلقة

وقد بين فيها بزعمه أن الطبيب الفاضل لا يجب أن يكون وجهه جميلا

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٣٥١/١

وكان ابن بطلان أكثر ما يقع في علي بن رضوان من هذا القبيل وأشباهه ولذلك يقول فيه في الرسالة التي وسمها دعوة الأطباء

(فلما تبدى للقوابل وجهه ... نكصن على أعقابهن من الندم)

(وقلن وأخفين الكلام تسترا ... ألا ليتنا كنا تركناه في الرحم) الطويل

وكان يلقبه **بتمساح** الجن وسافر ابن بطلان من ديار مصر إلى القسطنطينية وأقام بها سنة وعرضت في زمنه أوباء كثيرة

ونقلت من خطه فيما ذكره من ذلك ما هذا مثاله قال ومن مشاهير الأوباء في زماننا الذي عرض عند طلوع الكوكب الأثاري في الجوزاء من سنة ست وأربعين وأربعمائة فإن في تلك السنة دفن في كنيسة لوقا بعد أن امتلأت جميع المدافن التي في القسطنطينية أربعة عشر ألف نسمة في الخريف

فلما توسط الصيف في سنة سبع وأربعين لم يوف النيل فمات في الفسطاط والشام أكثر أهلها وجميع الغرباء إلا من شاء الله

وانتقل الوباء إلى العراق فأتى على أكثر أهله واستولى عليه." (١)

"وحكي أن الإسكندر لما فتح تلك البلاد ودخل هذا البيت أعجبه، فكتب إلى أرسطاليس وأطنب في وصف قبة هذا البيت فأجابه أرسطو: إني رأيتك تتعجب من قبة عملها الآدميون، وتدع التعجب من هذه القبة المرفوعة فوقك، وما زينت به من الكواكب وأنوال الليل والنهار! وسأل عثمان بن عفان عبد الله بن عامر عن السند فقال: ماؤها وشل، وتمرها دقل، ولصها بطل! إن قل الجيش بها ضاعوا وإن كثروا جاعوا! فترك عثمان غزوها.

وبها نهر مهران، وهو نهر عرضه كعرض دجلة أو أكثر، يقبل من المشرق آخذا إلى الجنوب متوجها نحو المغرب، ويقع في بحر فارس أسفل السند؛ قال الاصطخري: نهر مهران يخرج من ظهر جبل يخرج منه بعض أنهار جيحون، ثم يظهر بناحية ملتان على حد سمندور، ثم على المنصورة ثم يقع في البحر شرقي الديبل، وهو نهر كبير عذب جدا، وان فيه **تماسيح** كما في نيل مصر، وقيل: إن **تماسيح** نهر السند أصغر حجما وأقل فسادا. وجري نهر السند كجري نهر النيل، يرتفع على وجه الأرض ثم ينصب، فيزرع عليه كما يزرع بأرض مصر على النيل.

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٣٢٦

سومناة

بلدة مشهورة من بلاد الهند على ساحل البحر بحيث تغلبه أمواجه.

كان من عجائبها هيكل فيه صنم اسمه سومناة، وكان الصنم واقفا في وسط هذا البيت لا بقائمة من أسفله تدعمه، ولا بعلاقة من أعلاه تمسكه، وكان أمر هذا الصنم عظيما عند الهند، من رآه واقفا في الهواء تعجب، مسلما كان أو كافرا، وكانت الهند يحجون إليه كل ليلة خسوف، يجتمع عنده ما يزيد على مائة ألف إنسان، وتزعم الهند أن الأرواح إذا فارقت الأجساد اجتمعت إليه وهو ينشئها في من شاء، كما هو مذهب أهل التناسخ، وان المد والجزر عبادة." (١)

"والأخرى الانبج على شبه الخوخ.

وأهل المدينة موافقون على أنهم لا يشترون شيئا من المماليك السندية، وسببه أن بعض رؤسائها من آل مهلب ربى غلاما سنديا، فلما بلغ رآه يوما مع زوجته فجبه ثم عالجه حتى هدأ، وكان لمولاه ابنان: أحدهما بالغ، والآخر طفل، فأخذ الغلام الصبيين وصعد بهما إلى أعالي سور الدار ثم قال لمولاه: والله لئن لم تجب نفسك الآن لأرمين بهما! فقال الرجل: الله الله في وفي ولدي! فقال: دع عنك هذا، والله ما هي إلا نفس، وإني لأسمح بها من شربة ماء! وأهوى ليرمي بهما فأسرع الرجل وأخذ مدية وجب نفسه، فلما رأى الغلام ذلك رمى بالصبيين وقال: فعلت بك ما فعلت بي وزيادة قتل الولدين. فقتل الغلام بأفظ العذاب وأخرج من المدينة جميع المماليك السندية، فكانوا يتداولون في البلاد ولا يرغب أحد بالثمن اليسير في شرائهم.

بها نهر مهران عرضه كعرض دجلة أو أكثر، يقبل من المشرق آخذا جهة الجن‌وب متوجها إلى المغرب حتى يقع في بحر فارس أسفل السند؛ قال الاصطخري: مخرجه من ظهر جبل يخرج منه بعض أنهار جيحون، ويظهر بملتان على حد سمندور ثم على المنصورة، ثم يقع في البحر، وهو نهر كبير عذب جدا يقال فيه تماسيح كما في النيل، وجريه مثل جريه، يرتفع على الأرض ثم ينصب ويزرع عليه مثل ما يزرع على النيل بأرض مصر.

وقال الجاحظ: ان تماسيح نهر مهران أصغر حجما من تماسيح النيل وأقل ضررا، وذكر أنه يوجد في هذا النهر سبائك الذهب، والله الموفق.

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٩٥

مهيمة

قرية بين مكة والمدينة على ميل من الأبواء. بها ماء مهيمة، وهو ماء ساكن لا يجري إذا شربته الإبل يأخذها الهيام، وهو حمي الإبل، لا تعيش الإبل بها. والقرية موبأة لفساد مائها.." (١)

"بلينا

مدينة بصعيد مصر على شاطيء النيل. قالوا: إن بها طلسما لا يمر بها **تمساح** إلا ينقلب على ظهره. **والتمساح** إذا انقلب على ظهره لا يقدر على الانقلاب إلى بطنه، فيبقى كذلك حتى يموت أو يصطاد.

بلرم

مدينة بجزيرة صقلية في بحر المغرب؛ قال ابن حوقل الموصلي: بها هيكل عظيم سمعت أن أرسطاطاليس فيه في شيء من الخشب معلق، والنصارى تعظم قبره وتستسقي به لاعتقاد اليونانيين به، قال: ورأيت فيها من المساجد أكثر ما رأيت في شيء من البلاد، حتى رأيت على مقدار غلوة هم أكثر من عشرة مساجد، ورأيت بعضها تجاه بعض. فسألت عن ذلك فقالوا: القوم لانتفاخ أدمغتهم لا يرضى أحدهم أن يصلي في مسجد غيره، ويكون له مسجد لا يصلي فيه غيره.

بنارق

قرية بين بغداد والنعمانية مقابل دير قنى على دجلة، والآن خراب، ذكر أبو بكر النحوي البنارقي أن عساكر السلجوقية كثرت بطرقهم على قريتنا، والقرية لا سور لها، كلما جاؤو ا دخلوا وثقلوا علينا، فأجمعنا على مفارقتها والعسكر قريب منا وتهيأنا لذلك إلى الليل لنعبر دجلة ونلتحق بدير قنى، فإنها كانت ذات سور، فاستصحبنا من أمتعتنا ما خف على الأكتاف ولدواب، فإذا نيران عظيمة ملأت البرية، فظنناها نار العسكر وندمنا على الخروج، وقلنا الآن يأخذون جميع ما معنا! ونحن في هذا الحديث والنيران قد دهمتنا، فإذا هي سائرة بنفسها ولا حامل لها، وسمعنا من خلالها أصواتا حزينة كالنياحة،." (٢)

"من أعلاها إلى أسفلها، وجعل أعشار القرآن وآياته وأعداد السور بالذهب واللازورد، فيقرأ الإنسان جميع القرآن منها وهو قاعد، ثم استولى الفرنج عليها وخربوها. فلما كانت سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/١٢٥

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/١٥٨

قدم صلاح الدين وأمر ببناء سور على الفسطاط والقاهرة، فذرع دورتها فكانت فرسخين ونصفا، وكان بها طلسم للتماسيح؛ قال أبو الريحان الخوارزمي: كان بجبال الفسطاط طلسم للتماسيح، وكانت لا تستطيع الإضرار حولها، وكان إذا بلغ حولها استلقى وانقلب على ظهره، وكان يلعب به الصبيان فكسر ذلك الطلسم وبطل حكمه.

وبالفسطاط محلة تسمى الجزيرة، لأن النيل إذا زاد أحاط الماء بها وحال بينها وبين معظم الفسطاط فاستقلت هي بنفسها. وبها أسواق وجامع وبساتين وهي من متنزهات مصر؛ قال الساعاتي الدمشقي:

ما أنس لا أنس الجزيرة ملعبا ... للأنس تألفها الحسان الخرد

يجري النسيم بغصنها وغديرها ... فيهز رمح أو يسل مهند

ويريك دمع الطل كل سفيقة ... كالخد دب به عذار أسود

فيروزاباد

قرية من قرى شيراز، بناها فيروز ملك الفرس فيما أظنه. ينسب إليها الشيخ الإمام أبو إسحق إبراهيم الفيروزابادي. كان عالما ورعا زاهدا، له تصانيف في الفقه. ولما صنف كتاب التنبيه صلى بكل مسألة فيها ركعتين ودعا لمن يشتغل به. وهو كتاب مبارك سهل الضبط والحفظ. ومن ورعه انه سلم إلى شخص رغيفين وأمره أن يشتري بكل واحدة حاجة، فاشتبه على الوكيل فاشترى كيف اتفق، فعلم الشيخ بذلك ودفعهما وقال: خالفت الوكالة لا يحل المشتري.

وذكر أنه كان يمشي مع أصحابه فكان على طريقهم كلب فصاح على الكلب." (١)

"عمرو بن العاص البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء لأن مصالحهم لا تقوم إلا بالنيل، فأصبحوا وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة.

وأما أصل مجراه فإنه يأتي من بلاد الزنج، فيمر بأرض الحبشة حتى ينتهي إلى بلاد النوبة، ثم لا يزال جاريا بين جبلين بينهما قرى وبلدان، والراكب فيه يرى الجبلين عن يمينه وشماله حتى يصب في البحر. وقيل: سبب زيادته في الصيف أن المطر يكثر بأرض الزنجبار، وتلك البلاد ينزل الغيث بها كأفواه القرب ويصب السيول إلى النيل من الجهات، فإلى أن يصل إلى مصر ويقطع تلك المفاوز يكون القيظ ووقت الحاجة إليه.

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٢٣٧

من عجائب النيل **التمساح** لا يوجد إلا فيه، وقيل بنهر السند أيضا يوجد، إلا أنه ليس في عظم النيلي، وهو يعض الحيوان، وإذا عض اشتبكت أسنانه واختلفت فلم يتخلص منها الذي يقع فيها حتى يقطعه. ويحترز الإنسان من شاطيء النيل لخوف **التمساح**؛ قال الشاعر:

أضمرت للنيل هجرانا ومقلية ... مذ قيل لي: إنما **التمساح** في النيل

فمن رأى النيل رأي العين عن كثب ... فما أرى النيل إلا في البواقيل

والبواقيل: كيزان يشرب منها أهل مصر.

وبها شجرة تسمى باليونانية موقيقوس، تراها بالليل ذات شعاع متوهج يغتر برؤيتها كثير من الناس، يحسبها نار الرعاة، فإذا قصدها كلما زاد قربا زادت خفاء حتى إذا وصل إليها انقطع ضوؤها.

وبها حشيشة يقال لها الدلس، يتخذ منها حبال السفن وتسمى تلك الحبال القوقس. تؤخذ طعة من هذا الحبل وتشعل فتبقى مشتعلة بين أيديهم كالشمع، ثم تطفأ وتمكث طول الليل، فإذا احتاجوا إلى الضوء أخذوا بطرفه وأداروه ساعة كالمخراق فيشتعل من نفسه.." (١)

"الضوء. وأهل بلغار يحملون بضائعهم إليها للتجارة، وكل واحد يجعل متاعه في ناحية، ويعلم عليه ويتركه ثم يرجع إليه فيجد إلى جنبه متاعا يصلح لبلاده، فإن رضي بها أخذ العوض وترك متاعه، وإن لم يرض أخذ متاعه وترك العوض، ولا يرى البائع المشتري ولا المشتري البائع كما ذكرنا في بلاد الجنوب بأرض السودان.

وأهل ويسو لا يدخلون بلاد بلغار لأنهم إذا دخلوها تغير الهواء وظهر البرد، وإن كان في وقت الصيف، فيهلك حيوانهم ويفسد نباتهم. وأهل بلغار يعرفون ذلك فلا يمكنونهم من دخول بلادهم.

يأجوج ومأجوج

قبيلتان عظيمتان من الترك من ولد يافث بن نوح، عليه السلام. مسكنهم شرقي الإقليم السابع. روى الشعبي أن ذا القرنين لما وصل إلى أرض يأجوج ومأجوج اجتمع إليه خلق كثير، واستغاثوا من يأجوج ومأجوج وقالوا: أيها الملك المظفر إن وراء هذا الجبل أمما لا يحصيهم إلا الله، يخربون ديارنا ويأكلون زروعنا وثمارنا، ويأكلون كل شيء حتى العشب، ويفترسون الدواب افتراس السباع، ويأكلون حشرات الأرض كلها، ولا ينمو خلق مثل نمائهم، لا يموت أحدهم حتى يولد له ألف من الولد! قال ذو القرنين: كم

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٢٦٦

صنفهم؟ قالوا: هم أمم لا يحصيهم إلا الله. وأما من قربت منازلهم فست قبائل: يأجوج ومأجوج وتأويل وتاريس ومنسك وكمادى. وكل قبيلة من هؤلاء مثل جميع أهل الأرض، وأما من كان منا بعيدا فإنا لا نعرفهم. قال ذو القرنين: وما طعامهم؟ قالوا: يقذف البحر إليهم في كل عام سمكتين، ويكون بين رأس كل سمكة وذنبها أكثر من مسيرة عشرة أيام، ويرزقون من **التماسيح** والثعابين والتنانين في أيام الربيع، وهم يستمطرونها كما يستمطر الغيث، فإذا مطروا بذلك أخصبوا وسمنوا؛ وإذا لم يمطروا بذلك أجدبوا وهزلوا. قال ذو القرنين: وما صفتهم؟ قالوا:." (١)

"حمام بالهزازة.

الحمامات التي بالرمادة:

حمام الملاح.

حماما فخر الدين الوالي.

حماما جمال الدولة.

حمام بدر الدين بن أبي الهيجاء.

حمام بهاء الدين بن أبي الهيجاء.

حمامان ببانقوسا أحدهما لابن أبي الحصين والأخرى تعرف بالمغارة.

وبدار فخر الدين الوالي حمام.

وهذه الحمامات التي ذكرتها بحسب ما وصل إليه علمي وفارقت عليه بلدي في سنة حمام فخر الدين أخي شمس الدين لؤلؤ.

سبع وخمسين وستمائة. وهي على هذه الكثرة كانت لا تكفي من بحلب ولقد بلغني أنها في العصر الذي وضعت فيه هذا الكتاب دون العشرة. إن في ذلك لعبرة لمن يتفكر أو يخشى وتذكرة يتحقق بها القدرة على الفناء بعد المنشأ.

الباب الخامس عشر في

ذكر نهرها وقنيها الداخلة إلى البلد

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٦١٨

نهر قويق له مخرجان شاهدتهما وبين حلب وبينهما أربعة وعشرون ميلا أحدهما في قرية يقال لها الحسينية بالقرب من عزاز تخرج الماء من عين كبيرة فتجري في نهر ويخرج بين جبلين حتى يقع في الوطأة التي قبلي الجبل الممتد من بلد عزاز شرقا وغربا. والمخرج الآخر يجتمع من عيون ماء من سنياب ومن قرى حولها كلها من بلد الراوندن فتجتمع مياه تلك الأعين وتجري في نهر يخرج من فم سنياب فيقع في الوطأة المذكورة ويجتمع النهران فيصيران نهرا واحدا في بلد عزاز وهو نهر قويق ثميجري إلى دابق ويمر بمدينة حلب وتمده عيون قبل وصوله إليها وكذلك بعد أن يتجاوز وتده العين المباركة فيقوى وتدور به الأرحاء.
وأول هذه الأرحاء قرية مالد من شمالي حلب. ويسقي في طريقه مواضع كثيرة حتى ينتهي إلى قنسرين ثم يمر إلى المطخ فيغيض في الأجم. وحكى جماعة أن نهر قويق يغيض في المطبخ ويخرج إلى بحيرة أفامية وأن قويق إذا مد في الشتاء احمر ماء بحيرة أفامية فاستدلوا بذلك على ما ذكروه. والمسافة بين مغيضه وأفامية مقدار أربعة عشر ميلا.
وقال أبو زيد البلخي في تأريخه: ومخرج نهر من حدود دابق دون حلب بثمانية عشر ميلا ويغيض في أجمة أسفل حلب.
وقال ابن حوقل النصيبيني فيما وقفت عليه فيه: ولها - يعني حلب - واد يعرف بأبي الحسن قويق وشرب أهلها منه وفيه قليل طفس.
وذكر الحسن بن أحمد المهلبي في كتاب المسالك والممالك الذي صنعه للعزيز الفاطمي لما ذكر حلب قال: وشرب أهلها من نهر على باب المدينة يعرف بقويق ويكنيه أهل الخلاعة أبا الحسن.
وقال أبو الحسين بن المنادي في كتابه المسمى بالحافظ: مخرج قويق نهر حلب من قرية تدعى سنياب على سبعة أميال من دابق يمر إلى حلب ثمانية عشر ميلا ثم إلى المرج الأحمر اثني عشر ميلا ثم يغيض في الأجمة فمن مخرجه إلى مغيضه اثنان وأربعون ميلا والمرج الأحمر هذا هو المعروف الآن بمرج تل السلطان وإنما عرف بتل السلطان لأن السلطان ألب أرسلان السلجوقي نزل في خيم به مدة فنسب إليه.
جاء عن بعض المفسرين في قوله تعالى:) إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم (كان ذلك على نهر حلب يقال له قويق.
أحسن ما وصف به من الشعر قول أبي بكر أحمد بن محمد الصنوبري في القافية وهي:
قويق له عهد لدينا وميثاق ... وهذي العهود والمواثيق أطواق
نفي الخوف أنا لا غريق نرى له ... فنحن على أمن وذا الأمن أرزاق

ونزهه ألا سفينة تمتطي ... مطاه لها وخد عليه وإعناق

وأن ليس يعتاق التماسيح شربه ... إذا اعتاق شرب النيل منهن معتاق

ولا فيه سلور ولو كان لم أكن ... أرى أنه إلا حميم وغساق

بلى تعلن التسبيح في جنباته ... علاجم بالتسبيح مذكن حذاق

أقامت به الحيتان شوقا ولم يزل ... يقام على شطيه للطير أسواق

وسربل بالأرحاء مثنى وموحدا ... كما سربلت غصنا من البان أوراق

وفاضت عيون من نواحيه زرف ... ولما تعاونها جفون وآماق." (١)

"قال ابن فاطمة: ولم أر من رأى جانبها وإنما وصفها الكانميون وجيرانهم ممن لقيناه بالجانب الشمالي. ويحدق بها من جميع جهاتها أمم طاغية من السودان الكفرة الذين يأكلون الناس، ولا دين يذكرهم بسكان الجانب الشمالي، ومنهم بدى. ومدينتهم تعرف بهم ومن تحتها يخرج نيل غانا. ومدينتهم حولها ويجاورها من الجانب الغربي جابي وهم الذين يبردون أسنانهم. وإذا مات لهم ميت دفعوه إلى جيرانهم وكذلك يفعل معهم جيرانهم. وعلى جنوبي البحيرة انكرار، وعلى شرقيها كوري، الذين تنسب البحيرة إليهم. وفي شرقي مدينة بدى من الكانم المسلمين مدينة جاجه، وهي كرسي مملكة مفرده ولها مدن وبلاد، وهي الآن لسلطان الكانم. وهي موصوفة بالخصب وكثرة الخيرات وبها الطواويس والببغاء والدجاج الرقط والغنم البلق التي على قدر الحمير الصغار ولها صور تخالف صور كباسنا. والزرافة كثيرة في أرض جاجه وفي شرقي مدينتها على ركن البحيرة المغزاة، حيث دار صناعة الكانم. وكثيرا ما يغزو من هنالك في أسطوله بلاد الكفار التي على جوانب هذه البحيرة ويقطع على مراكبهم فيقتل ويسبي. وموضوع مدينة جاجه حيث الطول ثمان وأربعون درجة وعشرون دقيقة والعرض سبع درجات في سمت ركن البحيرة حيث الطول إحدى وخمسون درجة. ومن مدن الكانم المشهورة مانان وعرضها ثلاث عشرة درجة. وفي شرقيها وجنوبيها قاعدة الكانم جيمي حيث الطول ثلاث وخمسون درجة والعرض تسع دقائق وفيها سلطان الكانم المشهور بالجهاد وأفعال الخير، محمدي من ولد سيف بن ذي يزن. وكانت قاعدة جدود الكفرة قبل أن يسلموا مدينة مانان. ثم أسلم منهم جده الرابع على يد فقهاء الإسلام في بلد الكانم ولهذا السلطان هنالك مثل سلطنة تجوه ومملكة كوارو ومملكة فزان وقد أيده الله وكثر نسله وعساكره. والثياب تحمل إليه من الحضرة التونسية. وعنده الفقهاء. وله في سمت جيمي على آخر هذا الجزء الرديئي فيها سابين له وسمتنزه. وهي على

---

(١) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة عز الدين ابن شداد ص/٤٨

غربي النيل الآتي لمصر. وبينها وبين جيمي أربعون ميلا. وفواكههم لا تشبه فواكهنا ويوجد عندهم الرمان والخوخ كثيرا وقد عانوا قصب السكر فأنجب عندهم قليلا ولا يستغله إلا السلطان وكذلك العنب والقمح. ومخرج النيل المصري في هذا الجزء من بحيرة كوري حيث الطول إحدى وخمسون درجة والعرض ست درجات. وعند اندفاعه من البحيرة مدينة كوري للسودان الذين يأكلون الناس وهي في شماليه، وعرضه حيث جبل المقسم الممتد من أول ركن البحيرة الشرقي الجنوبي ومن تحت هذا الجبل أيضا يخرج نيل مقدشو بالقرب من خط الاستواء ومن خلف الخط وقد ذكروا أن في بحيرة كوري جبل لوراطس وهو واقع في هذا الجزء الثالث. وذكر بطليموس أنه يبدأ حيث الطول ثلاث وأربعون درجة والعرض ثلاث درجات وعشرون دقيقة. وينتهي حيث الطول ثمان وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة والعرض واحد. ويقال له أيضا جبل الذهب. والسودان تزعم أن الذهب الذي يوجد على بلاد النيل عند مده إنما هو من معادن هذا الجبل. ولا يقدر أحد على قربه من كثرة ما فيه من الثعابين والوحوش المهلكة. وجوانبه الساحلية ملأى **بالتماسيح** وخيل النيل. وقد قيل إن فرس النيل لا تصاد في هذه البحيرة، وإنما تصاد في نيل غانا ونيل النوبة. وفي شرقي جبل مقورس لفاصل بين الكانم وكوكو، مجالات الكانم وأتباعهم من البرابرة الذين اسلموا على يد سلطان الكانم، وهم له عبيد يغزو بهم وينتفع بجمالهم التي ملأت تلك الأقطار في مجالات مانان. وفي شرقي مانان مجالات الزغاوين ومعظمهم مسلمون تحت طاعة الكانمي. وفي شمال مانان ومجالات الكانم مجالات الكوار. ومدينتهم المشهورة تقع في الإقليم الثالث وهم مسلمون تحت طاعة الكانمي.." (١)

"وفي هذا الجزء الرابع من مدن الحلشة المذكورة في الكتب حنبيه حيث الطول ثمان وخمسون درجة والعرض ثلاث درجات. وفي شرقيها بلاد كزله. وهم مشهورون في بلاد الحبشة مرغوب في جنسهم. والحبشة بالإطلاق أفضل أجناس السودان وخصيان الملوك والأكابر منهم. وهم نصارى وفيهم بالساحل مسلمون. وبلاد كزله من أول خط الاستواء في مجاورة زنج الحبشة إلى جنوب جبل موريس الذي زعموا أن أهل حنبيه وتلك الجهات يعيشون مما فيه من معادن الذهب والفضة. وهو على أربعة أيام من حنبيه، وفي شرقيها وشمالها يبدأ من هنالك ويمر مشرقا منحرفا إلى الشمال حتى يشق نيل الحبشة وينتهي إلى بحرهم. وفي شرقي كزله وجنوبها بحيرة الحاورس وهي منسوبة إلى أمة من زنوج الحبشة عراة متوحشون، ويقال أن الذهب والرصاص القلعي في أرضهم كثير. قال ابن فاطمة: نقل عن بطليموس أن مركز هذه البحيرة في خط الاستواء حيث الطول اثنان وستون درجة وقطرها من كل ناحية إلى المركز درجتان. ويخرج منها

---

(١) الجغرافيا ابن سعيد المغربي ص/١٠

نيل الحبشة الذي يشبه نيل مصر في زيادته أيام نقص الأنهار وفي وجود **التماسيح** وفرس النيل وذلك حيث الطول إحدى وستون درجة والعرض درجتان. وعلى شرقيه إلى جانب البحيرة من مدنهم المذكورة في الكتب النجاعة. ويمر إلى الشمال فيكون عليه حيث الطول اثنان وستون درجة والعرض ست درجات مرقطة وفي شمالها جبل المعادن المتقدم الذكر. والمدينة في شرقي النيل وفي شمال الجبل بلاد سحرته من أجناس الحبشة المذكورة وعمائرهم ممتدة مع هذا النيل من الجانبين. وفي شرقيه من مدن الحبشة المشهورة كلغور، وهي مجمع لهم في كل ناحية وبها ملتقى من يريد البحر أو النيل أو البرية. وموضوعها حيث الطول ثلاث وستون والعرض إحدى عشرة درجة. وفي شمالي سحرته من النيل إلى البحر بلاد الخاسه وهم مذمومون بين أجناس الحبشة وقد اشتهر عنهم أنهم يخصون من يقع إلى أيديهم ويدفعون ذكور الآدميين في صداقاتهم ويفتخرون بذلك. ومن شرقيهم إلى البحر سمهر وهي أرض يكون فيها القنا الطوال السمهرية. ومن غريب شأنها أنها إذا احتك بعضها ببعض انقدحت منها نار تحترق بها كلها أو طائفة منها على قدر الالتصاق ومساعدة الرياح. والغزلان في أرض سمهر كثيرة. ومن جلودها يشدون على الخيل عوض السروج ويركبون عليها، وقتالهم بالقنا السمهرية المذكورة ولهم بالطعن بها واللعب حذق، ويزعمون أنهم يصل إليهم من الجنوب قوم كالترك بيض ولهم شعور ويقاتلونهم. وإن صح هذا تكون الأقاليم بالجنوب مرتبطة كالأقاليم بالشمال، والكلام في ذلك يطول. وفي أرضهم الكركدن وله قرنان في جبهته أحدهما أطول من الآخر وهو حيوان مؤذ يصيده الفارس بأن يعدو خلفه فيضرب رجليه بالسيف فيقع وإن لم يحترز منه وقع الكركدن عليه فقتله مع فرسه، وهم يأكلون لحمه. وايضا على نيلهم الأسود والفيلة. وفي شرقي كلغور بانحراف إلى الشمال مدينة نجبه التي تنسب إليها الجمال النجيبية وذلك حيث الطول خمس وستون درجة والعرض اثنتا عشرة درجة. وفي غربيها جبل الخماهن ويوجد فيه هذا الحجر وكان عزيزا عند الفرس وكانوا يختمون به ويتداوون بالماء إذا حك فيه من حرارة الخماهن. ويقال له الصندل المعدني وهو داخل مدخل الصندل في مداواة العلل الحارة. وطول هذا الجبل مائة ميل من الجنوب إلى الشمال باعوجاج عندما يمر شمالا إلى المشرق، وأول ما يلقاك من مدن الحبشة على بحر الهند من ساحله الغربي، وحد بلاد بربرا المتقدمة الذكر، خلف خط الاستواء، مدينة بطا وهي مشهورة على ألسن الحبشة الذين ببلادنا وهي على درجتين من الخط وطولها أربع وستون درجة ونصف. وفي شمالها من مدنهم على مائة ميل بأقصلي على جون داخل إلى المغرب نحو خمسين ميلا. وفي شماليها منقوبه وهي جبل الدخلة المستمرة إلى الشرق حيث الطول خمس وستون درجة والعرض ثمان درجات وثلاثون دقيقة. وفي طرفيها جبل مقورس داخل في البحر. وفي شماله من مدن

الحبشة المشهورة بلاد الزيلغ، وأهلها مسلمون يكثرون الحج والتردد إلى ساحل عدن وزبيد، وهي محل حط وإقلاع، ومنها يتوزع رقيق الحبشة على بلاد الإسلام الساحلية. وموضوعها على ركن من البحر ينتهي إليه عرض طرفه الغربي والشمالي، حيث الطول ست وستون درجة والعرض إحدى عشرة درجة غير دقائق. والمذكور في الكتب من جزر هذا البحر المقاربة للساحل جزيرة قنبلو، بينها وبين باقصلي درجتان." (١)

"النيل الشرقي حيث الطول أربع وخمسون درجة، فيكون في آخر الجزء الثالث والعرض إحدى وثلاثون درجة وعشرون دقيقة. وتقع المحلة قاعدة الغربية حيث الطول ثلاث وخمسون درجة واثنتان وعشرون دقيقة، والعرض إحدى وثلاثون درجة وست دقائق. وتقع المنصورة التي بنيت في عصرنا رباطا على خليج أشمون الخارج من النيل الشرقي، والذي ينصب في بحيرة تنيس حيث الطول ثلاث وخمسون درجة ونصف والعرض إحدى وثلاثون درجة غير دقائق. ل الشرقي حيث الطول أربع وخمسون درجة، فيكون في آخر الجزء الثالث والعرض إحدى وثلاثون درجة وعشرون دقيقة. وتقع المحلة قاعدة الغربية حيث الطول ثلاث وخمسون درجة واثنتان وعشرون دقيقة، والعرض إحدى وثلاثون درجة وست دقائق. وتقع المنصورة التي بنيت في عصرنا رباطا على خليج أشمون الخارج من النيل الشرقي، والذي ينصب في بحيرة تنيس حيث الطول ثلاث وخمسون درجة ونصف والعرض إحدى وثلاثون درجة غير دقائق.

الجزء الرابع: أول ما يلقاك منه بحيرة تنيس وهي في شرقي دمياط، وتقع مدينة تنيس التي تنسب إليها الثياب العالية داخل هذه البحيرة في جزيرة حيث الطول أربع وخمسون درجة وأربعون دقيقة والعرض إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة، وفي شرقي هذه البحيرة على البحر المالح، الفرما الخراب، حيث الطول أربع وخمسون درجة وخمسون دقيقة والعرض اثنتان وثلاثون درجة. ويبقى بين بحر الروم الذي هو بحر المرجان، وبحر الهند الذي هو بحر اللؤلؤ، برزخ نحو سبعين ميلا. وكان عمرو بن العاص قد أراد أن يخرق ما بين البحرين من جهة القلزم في مكان يعرف الآن بذنب **التمساح**، فنهاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لئلا يتخطف الحجاج بالحرم. وفي شرقي الفرما العريش، كانت مدينة منيعة في طريق الرمال، وهي حيث الطول ست وخمسون درجة ونصف والعرض اثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة، وفي شرقيها غزة، ويقال لها غزة هاشم. ويزعمون أن جد النبي عليه السلام مدفون بها. ويقال أن الإمام الشافعي رضي الله عنه منها. وهي حيث الطول سبع وخمسون درجة ودقائق. ومن هنالك يلتوي البحر إلى الغرب والشمال، فتكون عسقلان في دخلة حيث الطول خمس وخمسون درجة وعشرون دقيقة، والعرض أربع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة.

---

(١) الجغرافيا ابن سعيد المغربي ص/١٢

وهي على البحر، وغزة بينها وبين البحر أكوام رمال. وبعد عسقلان يافا، من الفرض المشهورة، حيث الطول ست وخمسون درجة والعرض أربع وثلاثون درجة ثم يكون على الساحل قيسارية حيث الطول سبع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة. ثم تقع مدينة عكا، ركاب الفرنج، ومجمع تجارهم وحجابهم، حيث الطول ثمان وخمسون درجة والعرض ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة. وتقع صور التي لا ترام بحصار من جهة البر حيث الطول تسع وخمسون درجة وسبع عشرة دقيقة والعرض ثلاث وثلاثون درجة وأربعون دقيقة. وقد حفر الفرنج حولها حتى أرادوا بها البحر. وتقع بيروت فرضة دمشق حيث الطول تسع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة والعرض أربع وثلاثون درجة. وتقع طرابلس على البحر حيث الطول إحدى وستون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة والعرض أربع وثلاثون درجة. وتقع اللاذقية على البحر، حيث الطول إحدى وستون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة والعرض أربع وثلاثون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة. وتقع الإنطاكية المشهورة حيث الطول إحدى وستون درجة وخمس وثلاثون دقيقة والعرض أربع وثلاثون درجة وعشر دقائق. وبينها وبين البحر السويدية على مصب نهر العاصي الذي ينزل من جهة بعلبك ويمر على شمالي حمص وحماه وشيزر ثم على شرقي إنطاكية وشماليها إلى بحر الرومان، ثم يلتوي إلى الشمال، ثم يكون جون الأرمن. والمدن المشهورة عليه تقع في أول عرض هذا الجزء. فأولها المصيصة على نهر سيحان حيث الطول تسع وخمسون درجة وخمسون دقيقة والعرض ست وثلاثون درجة، وبينها وبين البحر اثنا عشر ميلا. وفي شماليها أدنه على شمال نهر سيحان، وبين المدينتين عشرون ميلا وكذلك بين أدنه وبين البحر. وفي شماليها قاعدة بلاد سيس: طوسوس، وهي على جانبي نهرها، وهو ينصب في البحر على اثني عشر ميلا. وبينها وبين أدنه عشرون ميلا. وهي حيث الطول ثمان وخمسون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة وسبع عشرة دقيقة. وسيس مدينة أحدثها ابن لاوي ملك الأرمن وصيرها حاضرة ملكه.." (١)

"صلى الله وسلم ... على شهيد أبن ملجم

هذا الذي ضرب الشرك ... بالسيف حتى تثلم

وينشدون بيتا من قول أبي سكرة:

سبوا عليا كما سبوا عتيقكم ... كفر بكفر وإيمان بإيمان

علم مكنون وسر مكتوم

---

(١) الجغرافيا ابن سعيد المغربي ص/٤٠

إذا نزلوا المراكب أو كوروها لم تصعد المراكب ولا تنحدر معهم إلى أن يقولوا الجميع بصوت واحد: يالعلي! ويقولون انهم يبقون في جر المركب زمانا طويلا حتى يتعبون ويضجرون فيقول بعضهم لبعض: اذكروا ذلك الرجل! يعنون علي بن أبي طالب رضي الله عنه فتقول المشايخ: كوروا مركبكم إن كنتم تكورون! ولا يزال القوم في عناء وتعب وصداع وكرب وصياح وشغب إلى أن يقولوا الجميع في صوت واحد: يالعلي! فيجري معهم المركب أهون من شربة ماء بارد إلى فم رجل عطشان فيصبي المركب ويسبح في البحر ويعوم. قال القائل:

علي طلابات وأنت وسيلتي ... إلى الله يا مولاي موسى بن جعفر

إذا جاءك الملهوف يطلب حاجة ... تيسر من مأمول كل معسر

وقال آخر:

لما تكاثر حسادي وأعدائي ... بغير جرم جعلت الله مولاء

وقد تمسكت بالميم التي في مح ... مد وعلي عين وبالحاءين والفاء

وقال محمود:

فوحق حروة خمسة ... ما مثلهم بين البشر

٠٠ - ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ... بال جبريل افتخر

ذكر الإباضية

فكل رجل يبغض علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحيض من دبره رأس كل شهر، ويقال من ذكره، كما تحيض المأة. وفي أعمال صنعاء منهم قوم يسمونهم السمارة وعلامتهم يعلقون كيسا من جلد ملأه رمل في ذكره كلما ابتل الرمل بدده واستعمل غيره ويسمى ذلك الكيس مطهرة. فهم الإياضية والله اعلم.

ذكر السلقلقيات

وكل امرأة تبغض علي بن أبي طالب رضي الله عنه تحيض من دبرها فهم السلقلقيات. قال أبن المجاو: وكل من هو نسل أبي الثديان من رجل أو امرأة أو من حضر وقعة النهرين فرجالهم الإباضية والنساء السلقليات لنهم معروفون بهذه العلة ة الله اعلم واحكم.

ذكر بلاد الخوارج والإباضية

حدثني صفار قال: إن جميع أهل أذربيجان كانوا٠٠٠ فأسلم الجميع ورجعوا إلى مذهب الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه. ورجعت كلوة من الشافعية إلى الخاجية وهم باقون على هذا

المذهب إلى الآن. وفي المغرب نفوسا مثل راره **والتمساح** ورأس المخبز واتاهرت وسويقة أبن مدكول وجبال نصير وطارق، فهذه البلاد قديما على هذا المذهب. وأما الذين هم جدد فمن تولى محمد بن الحسن بن تومرت البربري وعبد المؤمن بن علي الكوفي ملك المغرب ساقوا الخلق إلى أطراف هذا المذهب. وبعض بأرض مصر، وبأعمال الشام دمشق وحران، ومن ديار بكر بغداد، ومن أرض الجزيرة بأحرفه وأخباره مع جميع سواد الموصل وجبال الأكراد والدبابلة وجميع أصحاب الشيخ عدي. ومن بغداد باب البصرة والحربية ودار القز والسرمة وباب الأزج والحلبة والبصلية والحريم رجال شتى وبعض أهل واسط القصب وقرية بأعمال البحرين شذ على الراوي اسمها. ومن العراقيين البصرة وهمذان ومن اران سلماست ومن سبهان درجوي ناره ودكوك ودوليان ومن خراسان هراة واسراسير مع جميع أعمال تيم رورکربك مع جميع أعمال حوادر وإلى حد ما كان طول في عرض ومن ٠٠٠ وادي ردمد بالطول من سيسان إلى وادي سول وبه أكثر من ٠٠٠ قرية على خيط واحد. ومن أعمال اليمن زبيد وأعمالها مجهر ومن الجبال الشرف وهو من أعمال زبيد مقبل قلحاح وليس هم الشرف أي الأشراف أهل الحسب والنسب وهي أعمال تسمى الشرف كما صادف الاسم الكنية وهم يؤيدون القطعة لآل الشرف من آل الحسن بن أبي طالب. وسكن جميع اليمن منه كما يقال ٠٠٠ رقى وهم حنابلة المذهب لان الحنابلة يقولون فيما بينهم: لا يكون الحنبلي حنبليا حتى يبغض عليا سويا. ومن الأديان اليهود خلاف جميع الملل. ويقال إن أول من سب أبا تراب بالشام معاوية بن أبي سفيان وصارت عندهم سنة مؤكدة استمروا عليها إلى آخر دولتهم إلى ألف شعلا فسبه جميع العالم ما خلا خوارزم وقد تقدم ذكرهم.

فصل." (١)

"وأما الحرباء: فدويبة أكبر من العظاية، اغيبر ما كان فرخا ثم يصفر، وهو يأوى الجحر، ولهذا جعلت له الأصابع والأظفار لنبش التراب، ويكون لونه أسود **كالتمساح**، وأصفر كسام وابرص ومختلط الألوان، كالفهد وهو في الشمس كثير التلون، فإذا انتقل إلى الظل قل تلونه، وإذا قارب الموت أو مات اصفر، وهو أبدا يطلب الشمس فحين تبدو نحا بوجهه إليها حتى إذا أرمضت الأرض علا رأس شجرة وما يجري مجراها، وذلك عند انتصاف فإذا زالت وصارت على رأسه في قبه وغاب عنه جرمها فلا يراه أصابه مثل الجنون فلا يزال طالبا لها لا يفتر إلى أن يتصوب إلى جهة المغرب، فيرجع بوجهه إليها مستقبلا لها لا ينحرف عنها إلى أن تغيب، فإذا غابت ذهب يطلب معاشه ليله كله إلى أن يصبح، حتى إن طائفة من

---

(١) تاريخ المستبصر ابن المجاور، يوسف بن يعقوب ص/١٠١

المتكلمين في طبائع الحيوان يقول: إنه مجوسي، ولسانه طويل جدا مقدار ذراع، وذلك دليل على أنه يكون مطوبا في حلقه، وهو يبلغ به ما بعد ءنه الذباب، والأنثى من هذا تسمى أم حبين، وتوصف بالحزم مع تقلبه مع الشمس لا يرسل يده من خوط حتى يمسك بالأخرى خوطا آخر بيده الأخرى وفيه يقال:

أنى أتيح له حرباء تنضبه ... لا يرسل الساق إلا ممسكا ساقا

وكتب بعض الفضلاء إلى بعض أصدقائه رسالة يحثه فيها على الحزم والانفة والتغرب عن وطنه إذا نبأ عنه: اعجزت في الاباء عن خلق الحرباء، أدلى لسانه كالرشاء، يبلغ به ما يشاء، وناط همته بالشمس، مع بعدها عن اللمس وانف من ضيق الوجار، ففرخ في الأشجار وسئم العيش المسخوط، فاستدبل خوطا بخوط فهو كالخطيب على الغصن الرطيب.

وإن صواب الرأي والحزم لامرئ ... إذا بلغته أن لا يتحولا

الوصف والتشبيه

لم يأت أحد من الشعراء في وصف هذا الحيوان بمثل ما أتى به ذو الرمة:

كأن يدي حربائها متشمسا ... يدا مجرم يستغفر الله تائب

وقال أيضا في ذلك:

إذا جعل الحرباء يبيض لونه ... ويحضر من لفح الهجير غباغبه

وي؆بح بالكفين شبحا كأنه ... أخو فجره عالى به الجذع صالبه

وقال أيضا يصفه ويذكر هاجره:

يصلي بها الحرباء للشمس ماثلا ... على الجذع إلا أنه لا يكبر

إذا حول الظل العشي رأيته ... حنيفا وفي وقت الضحى يتنصر

وأما العظاية: وتسمى شحمة الأرض، وشحمة الرمل، وهي أنوع كثيرة منها الأبيض، والأحمر، والأخضر، وكلها منقطات بالسواد، وهذه الألوان بحسب مساكنها فإن منها ما يسكن الرمال، ومنها ما يسكن قريبا من الماء والعشب وما يألف الناس، وقال أرسطو العظاية تبقى في جحرها زمن الشتاء أربعة أشهر لا تطعم شيئا، وفي طبعها محبة الشمس وتتصلب فيها، ومن خرافات الحكايات أن السموم لما فرقت على الحيوان المسموم احتبست العظاية عند التفرقة، حتى نفذ السم وأخذ كل حيوان قسطه على قدر السبق والبكور، فلم يكن لها فيه نصيب، داخلها من الحسرة والكرب ما جعلها تسكن في المزابل والخرابات وفي طبعها أنها تمشي سريعا ثم تقف كالمتحير، ويقال: إن ذلك لما تعرض لها من التفكر والأسف على ما فاتها منه.

وأما الوزغ: وتسمى سام ابرص، فذكر أصحاب الآثار: إنه أصم، وادعوا أن السبب في صممه وفي برصه أن الداوب كلها حين ألقي إبراهيم عليه السلام في نار النمرود كانت تطفئ عنه، وإن هذا كان ينفخ عليه فصم وبرص وفي طبعه أنه لا يدخل شيئا فيه زعفران، والحيات تألفه كما تألف العقارب والخنافس، وهو يطاعمها ويزاقها، وهو يقبل اللقاح بفيه، ويبيض كما تبيض الحيات، وزعم زرادشت أن سام ابرص من ذوات السموم، ونصيبه من السم نصيب مقتصد لا يكمل بأن يقتل، ومتى دبر سام ابرص جاء منه سم قاتل، وفي تركيبه أنه إذا قتل ووضع على جحر حية هربت منه ولم تأوه وهو يقيم جحره زمن الشتاء أربعة أشهر لا يطعم شيئا البتة.

؟ القول في طبائع القنفذ." (١)

"أمهاتها وآباؤها من ذوات الماء، ثم قال: وكيف دارت الأمور، فإن الحيات في الأصل مائية لأنها مما يعيش في الهواء، وفي الماء كما تعيش في السباسب الجرد، والصخور الصم، وكما تعيش في الرياض والأدغال، وكذا تعيش في الجبال والرمال.

الوصف والتشبيه

أحسن ما وقع لي من ذلك قول بعض كتاب الأندلس من رسالة: تبرق بريق الصوارم المسلولة، وتلمع لمعان الذوابل المصقولة، مدنرة الأصلاب، مفصصة البطون، مذهبة الأفواه، مجزعة العيون، تصل صليل الرقوق في اضطرابها، وتخطر خطرات العجول بأذنابها.

وقال عطاء بن يعقوب يصف حوتا من رسالة يستدعي بها صديقا، قد أهدى لنا صديق سمكة قد لبست من جلدها شبكة تشبه حملا شكلا وقدا، أو جرابا قد أملئ زبدا، كأنها أرادت أن تحارب السماك، أو حوت الأفلاك، فلبست من جلدها جوشنا مزردا وسلت من ذنبها سيفا مجردا. وقال ابن الرومي يخاطب رئيسا ويستدعي منها سمكا:

يا من أضاء شهاب غرته ... فجلا ظلام الليل ذي الحلك

عسرت علينا دعوة السمك ... أنى وجودك ضامن الدرك

إعلم وقيت الجهل أنك في ... قصر تلته مطارح الشبك

وبنات دجلة في فنائكم ... مأسورة في كل معترك

بيض كأمثال السبائك بل ... مشحونة بالشحم كالعكك

---

(١) مباهج الفكر ومناهج العبر الوطواط ص/٦٨

حسنت مناظرها وساعدها ... طعم كحل معاقد التكك

والناقة الغرثاء يرقبها ... قلق الخواطر متعب الملك

فليصطد الصياد حاجتنا ... يصطد موداتنا بلا شرك

فثناء مثلي غير مطرح ... وسؤال مثلك غير مترك

ولآخر:

بأحسنهن كاملها ... بيضاء قصف

ومرهفات قد ... طواهن هيف

نوات أرواح ... خفاف تستخف

فهي كمثل الطير ... في الماء تشف

ومثل هذا قول أبي عبادة البحتري وذكر بركة:

لا يبلغ السمك المحصور غايتها ... لبعد ما بين قاصديها ودانيها

يعمن فيها بأوساط مجنحة ... كالطير ينقض في جو خوافيها

فصل

ومن عجائب الدواب البحرية الدلفين، والرعاد ويوجدان بنيل مصر إلا أن الدلفين يقذفه البحر المالح إلى النيل، فأما الدلفين فصفته كالزق المنفوخ وله رأس صغير جدا، ويقال ليس في دواب البحر ماله رئة غيره، فلذلك يسمح له بالتنفس والنفخ، وهو إذا ظفر بالغريق كان أقوى الأسباب في نجاته فإنه لا يزال يدفعه إلى البر حتى ينجيه، وهو من أقوى الدواب المائية، ولا يؤذي، ولا يأكل السمك، وربما ظهر على وجه الأرض وهو نائم كأنه ميت، وهو يلد ويرضع، وأولاده تتبعه حيث ذهب، ولا يلد إلا في الصيف، وفي طبعه الدعة والاستئناس بالناس، وخاصة الصبيان، وإذا صيد جاءت دلافين كثيرة لقتال صائده فإذا أطلقه لها انصرفت، والكبير منها تتبعه الصغار ليحفظها، وهو إذا رام صيد السمك صار إلى العمق خلفه في طرفة عين، وإذا لبث في العمق حينا حبس نفسه، وصعد بعد ذلك مسرعا مثل السهم يطلب التنفس، فإذا كانت بين يديه سفينة وثب وثبة يتجاوز بها الدقل إلى الناحية الأخرى، وهو يتزاوج في حركته فلا يرى ذكر إلا مع أنثى. وأما الرعاد: ففيه من الخاصة أن أحدا من الناس لا يقدر أن يمسه، ومتى وضع الإنسان يده عليه نزعها بحركته وصاح صيحة منكرة ربما دهش بها الإنسان، ووجد في فؤاده خفقانا من ذلك، وفي البحر من عجائب المخلوقات ما لا يسع وصفها كتاب ولا يأتي على القليل منها استيعاب، ويكفي في الإخبار عن

ذلك قول القائل حدث عن البحر ولا حرج، وهذا لفظ صدر عن صدر ضاق من كثرة الفحص وحرج.

فصل

وأما المشترك: فإن ابن أبي الأشعث يسميه المائي الأرضي لأنه يأتي الماء ويرتعي فيه، ويستنشق الهواء كما يستنشق الماء ويدب على الأرض ويسعى فيها ولا يحدث بعدم لأنه يستنشق الهواء كما يستنشق الماء إلا أن لبثه في الماء أكثر من لبثه على الأرض، وإيثاره له أكثر من إيثاره لها وأهم ما نبدأ بذكر منه:

القول في طبائع **التمساح**." (١)

"وهذا الحيوان لا يكون إلا في نيل مصر، وقد زعم قوم أنه في نهر مهران السند، وهو شديد البطش في الماء، ولا يدخل عليه الأذى إلا من ابطيه، ومنه مقتله ويعظم إلى أن يكون طوله عشرون ذراعا في عرض ذراعين وأكثر، ويفترس الفرس والإنسان، وما أضرف قول أبي نؤاس وقد أنكر هذه الحالة منه حيث يقول:

أضمرت للنيل هجرانا ومقلية ... إذ قيل لي إنما **التمساح** في النيل

فمن رأى النيل رأي العين من كثب ... فما أرى النيل إلا في البواقيل

وهو إذا أراد السفاد خرج والأنثى إلى البر فيقلبها على ظهرها واستبطنها فإذا فرغ قلبها لأنها لا تتمكن من الانقلاب لقصر يديها ورجليها، وييس ظهرها وهو إذا تركها على ظهرها لم تزل على تلك الحال حتى تنقلب، وهي تبيض في البر فما وقع صار **تمساحا**، وما بقي صار سقنقورا، **والتمساح** يحرك فكه الأعلى دون الأسفل ولسانه معلق به، ويقال: أنه ليس له مخرج، وإن جوفه إذا امتلأ خرج إلى البـر وفتح فمه فجيء طائر معروف بذلك صغير أرقط لا يسقط على فم **تمساح** إذا فتحه غيره، فلا يزال ينقره بمنقاره ما في جوفه حتى يأتي عليه أو على بعضه فالطائر يأتي يطلب الطعام على معرفة به، فيكون في ذلك غذاء الطائر وراحة **التمساح** وبعض الناس يقول: إن في رأس هذا الطائر شوكة، فإذا أغلق **التمساح** عليه فمه حسه بها فيفتحه، وزعم بعض الباحثين عن طبائع الحيوان **للتمساح** ستين سنا وستين عرقا، ويسفد ستين مرة، ويبيض ستين بيضة ويعيش ستين سنة، ويوجد في سطح جلده مما يلي بطنه سلعة كالبيضة فيها رطوبة دموية كنافجة المسك لا يغادر من رائحة السمك شيئا إلا أنها تنقطع بعد أشهر.

الوصف والتشبيه

وصفه شاعر وأجاد:

---

(١) مباهج الفكر ومناهج العبر الوطواط ص/١١٤

وذي هامة كالترس يفغر عن فم ... يضم على مثل الحسام المثلم
ويفتر عن مثل المناشير ركبت ... على مشفر مثل القليب المهدم
مشى في شواة من فقارة غيلم ... وسقف لحيا عن مناكب شيهم
القول في طبائع السقنقور
وبعض أصحاب الكلام في طبائع الحيوان يسميه الحرذون البحري، ويقال أيضا أنه ورل مائي، ومنه ما هو مصري، وما هو هندي وما يتولد في بحر القلزم وببلاد الحبشة وهو يغتذي في الماء بالسمك، وفي البر بالعظايات يسترطه كالحيات وجلده في غاية الحسن لما فيه من التدبيج بالسواد والصفرة والأنثى تبيض عشرين بيضة، وتدفنها في الرمل فتكمل بحرارة الهواء، ويكون ذلك حضنا لها، وقال التميمي: لأنثاه فرجان، ولذكره نزكان كما في الضباب، ومن عجيب ما ركب فيه من الطباع أنه إذا عض إنسانا وسبقه الإنسان إلى الماء واغتسل منه مات السقنقور، وإن سبق السقنقور إلى الماء مات الإنسان وبينه وبين الحية عداوة متى ظفر أحدهما بصاحبه قتله.
القول في طبائع السلحفاة
قال الباحثون عن طبائع الحيوان: السلحفاة تبيض في البر فما أقام به سمي سلحفاة وما وقع إلى البحر سمي لجأة، فأما ما بقي في البر فإنه يعظم حتى لا يكاد الرجل الشديد يحمله وما ينزل البحر يعظم حتى لا يكاد الحمار العاسي يحمله، وربما وجد فيها ما وزنه أربعمائة رطل، وفيها أربعمائة بيضة كبيض الدجاج، ثم صار بريا فوقع إلى البحر تلف، ولم يستطع الرجوع إلى البر وما صار بحريا فخرج إلى البر وأصابه حر الشمس تلف ولم يستطع الرجوع إلى البحر وللسلحفاة حيلة عجيبة وتوصل خفي في الصيد الذي تصيده من الطائر، فإنه يصعد من الماء ويتمرغ في التراب، ويأتي موضعا قد سقط الطير عليه لشرب الماء فيخفى عليها بكورة لونه التي اكتسبها من الماء والتراب فيصيد منها ما يكون قوتا له، ويدخل الماء ليموت فيأكله، والسلحفاة تحضن بيضها بالنظر إليه، والرصد لا غير، وللذكر نزكان، وللأنثى فرجان، والذكر يطيل المكث في السفاد، وهذا الحيوان مولع بأكل الحيات، وإذا أكلها أكل بعدها صعترا يدفع به سمها.
الوصف والتشبيه
قال شاعر يصفها:
وسلحفاة يمج ... سكونها والحركة
شبهتها بديلمي ... ساقط في معركة

مستتر بترسه ... عمن عسى أن يهلكه

وقال أبو بكر الخوارزمي يصفها:

بنت ماء بدت لنا من بعيد ... مثل ما قد طوى البحاري سفره

رأسها رأس حية وقراها ... ظهر ترس وجلدها جلد صخرة

مثل فهر العطار دق به العط ... ر فحلت طرائق الطيب ظهره." (١)

"أو كما قد قلبت جفنه شرب ... نقوشها بحمره وصفره

يقطع الخوف رأسها فإذا ما ... أمنته فرأسها مستقرة

وقال ابن صارة الأندلسي يصفها وذكر بركة:

لله مسحورة في شكل ناظره ... حيث الازاهر أجفان وطف

بها سلاحيف الهانئ تغامسها ... في مائها ولها من عريض لحف

تنافر الشط إلا حين يحصرها ... برد الشتاء فتسد في وتنصرف

كأنها حين يبد بها تشوقها ... حبس النصارى على أكتافها الحجف

ولآخر:

لحى الله ذات فم أخرس ... تطيل من العي وسواسها

تكب على ظهرها ... ترسها ... وتظهر من جلدها رأسها

إذا الحذر أقلق أحشاءها ... وضيق بالخوف أنفاسها

تضم إلى نحرها كفها ... وتدخل في جوفها رأسها

القول في طبائع الفرس النهري

وهو من أعظم الحيوان المشترك جثة ولا يوجد إلا بنيل مصر، وخلقته خلقة الفرس إلا أن وجهه أوسع وله ظلفان كالبقر وفي رجليه كعاب مثل كعاب ذي الظلف،) وصوته كصوت الفرس وعظمه كعظم الحمار (، وقوائمه قصيرة جدا أشبه شيء بقوائم الفيل، وهو أعظم من الجاموس، وصورته عظيمة جدا، وله أنياب طوال غلاظ صلاب يكسر بها السفن المحكمة، وأسنانه صفين وذنبه وكأنه حيوان ركب تركيب الطبيعة كما ركبت الزرافة والنعامة، والنمر،) هذه الزيادة من كتاب عبد اللطيف البغدادي، وله ناصية، وجلده مثل جلد الجاموس غليظ جدا، وذنبه مثل ذنب الخنزير، وصوته يشبه صوت الفرس، وجوفه كذلك (ومن أسرار الطبيعة أنه

(١) مباهج الفكر ومناهج العبر الوطواط ص/١١٥

يخرج من النيل ويرعى زهر وليس يبدأ إذا رعى من أدنى الزرع إليه، ولكنه يحوز منه قدر ما يأكل ثم يبتدئ من حيث انتهى إليه مقبلا إلى البحر وربما فاه في المكان الذي يرعى فيه فينبت أيضا، وهو يقتل **التمساح** ويقهره ويساجله الحرب، ويكون القتال بينهما دولا وأهل ريف مصر إذا رأوا اثر حافره كان ذلك عندهم دليلا على توفو زيادة النيل وكثرة الخصب

القول في طبائع الجندبادستر

ويسمى كلب الماء ولا يوجد إلا ببلاد القفجاق وما يليها، ويسمى السمور أيضا وهو على هيئة الثعلب أحمر اللون لا يدان له، وله رجلان، وذنب طويل ورأسه كرأس الإنسان، ووجهه مدور، وهو يمشي متكئا على صدره كأنه يمشي على أربع، وله أربع خصي اثنتان باطنتان، واثنتان ظاهرتان، وفيه أسرار الطبيعة أنه إذا رأى الصيادين له، لأجل الجندبادستر وهو الموجود في انثييه البارزتين، يجدون في طلبه قطعهما بفيه، ورمى بهما إليهم، إذ لا حاجة لهم إلا بهما فإن لم يبصرهما الصيادون وداوموا على الجد في طلبه استلقى على ظهره حين يريهم الدم فيعلموا أنه قطعهما، فينصرفون عنه، وهو إذا قطع الظاهرتين تبرز الباطنتان وعوض عنهما غيرهما، والجندبادستر بالفارسية كبد فعرب، وتفسيره الخصية، وفي داخل الخصية شبه الدم والعسل، زهم الرائحة سريع التفرك، إذا جف، ذكر جالينوس أن هذا الحيوان ليس فيه غير الجدنبادستر، وقال أنه يوكر على الأرض، ويولد عليها ويرعى فيها ويهرب إلى الماء، ويعتصم به ويمكنه أن يلبث فيه سابحا زمانا ثم يخرج إلى الهواء.

القول في طبائع القندس والقاقم

فأما القندس فإنه يغتذي بالسمك والنبات، وقد شرف الله تعالى جلده وعظمه إذ جعل الملوك يتخذون منه التيجان، ويطوقون به الأطواق والأذيال والأردان، ويقول أصحاب الكلام في طبائع الحيوان أنه فيه سادة وعبيد، وأنه يتخذ مساكن مرتبة كترتيب مساكن الناس، والأحرار منهم يتخذون صفغا يكونون عليها، وفي أسفلها مواضع للعبيد، ولبيوتهم أبواب إلى البر، وأبواب إلى النهر ويعبر بعضهم على بعض، والحر لا يكتسب، وإنما يكتسب العبد له ولسيده، ويعرف جلد العبد بحسن لونه وبصيصه وأهل بلاده يسلخون خراطيمه، وخراطيم السمور ويتعاملون كما يتعامل بالدراهم والدنانير، بشرط أن يكون عليها ختم المالك.

وأما القاقم وهو يشبه السنجاب إلا أنه أبرد منه وأرطب، ولهذا هو أبيض يقق وهو يجلب من البحر الخزري، ويشبه جلده جلد الفيل، ورأيت في بعض المجاميع المجهولة، أن في بعض البحار شاة شعراء تكون في

البر مع البهائم حين ترعى فإذا فرغت من رعيها عادت إلى الماء، وتأكل من السمك وذكر فيها خواصا ليس ذكرها من شرطي كتابي.." (١)

"فأما حيوان البحر المحرم كالضفدع **والتمساح** على المشهور والكوسج إذا قلنا بتحريمه فهو نجس بالموت، وينجس الماء القليل كما ينجس غيره من المائعات.

[مسألة ميتة مالا نفس له سائله طاهرة]

مسألة:

" وما لا نفس له سائلة إذا لم يكن متولدا من النجاسات ".

النفس هي دمه، ومنه سميت النفساء لجريان نفسها يقال نفست المرأة إذا حاضت ونفست إذا ولدت، ومنه قول الشاعر:

تسيل على حد الظبات نفوسها ... وليس على غير الظبات تسيل

وهو قسمان: أحدهما: المتولد من النجاسة مثل صراصير الكنيف فهو نجس حيا وميتا؛ لأنه متولد من نجس، فكان نجسا كالكلب، والثاني ما هو متولد من طاهر كالذباب والبق والعقرب والقمل والبراغيث والديدان والسرطان، سواء لم يكن له دم أو كان له دم غير مسفوح، فهذا لا ينجس بالموت ولا ينجس المائع إذا وقع فيه، لما روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " «إذا وقع الذباب في شر ا ب أحدكم فليغمسه كله ثم لينزعه." (٢)

"شرعها البيض كالغمامات فى الصي ... ف صحاحا منها وغير صحاح.

كم مدل بالجاه والمال فيها، ... وبه حاجة إلى الملاح!

قائد جنده لهم أدوات ... نفعها ثم فوق نفع السلاح.

فإذا البحر صال، صالوا عليها ... بمواض تمضى بغير جراح.

يكثرون الصياح حتى كأن الس ... فن تجرى من خوف ذاك الصياح.

ومما وصفت به البحار والسفن نثرا قال أبو عمرو صاحب الصلاة القرطبى يصف شانيا [١] سافر فيه: «فارقت مولاى حين أخذت للسفر عدة الحزم، وشددت عقدة العزم؛ وانتظمت مع السفر فى سلك، وركبنا

---

(١) مباهج الفكر ومناهج العبر الوطواط ص/١١٦

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ١/١٣٥

على اسم الله ظهر الفلك؛ فى شان عظيم الشان، أحدقت به النطق إحداق الحيازم، وأمسكته إمساك الأبازم؛ ثم تتبع خلله فسد، ورخوه فشد؛ حذرا على ألواحه من الإنخاع، واتصلت بعرانيسه اتصال الجلود بالأضلاع؛ ثم جلببت جلبابا من القار، وضمخ فى المتنين والفقار؛ فامتاز بأغرب ميسم، وعاد كالغراب الأعصم؛ [٢] قد حسن منه المخبر، وكأن الكافور قد قرن فيه بالعنبر. له من **التماسيح** أجنابها، ومن الخطاطيف أذنابها؛ واستقلت رجله بفراشها، استقلال السهام برياشها؛ وقد مد قلعيه ذراعيه متلقيا من وفد الرياح مصافحه، ومستهديا منها منافحة. تقلد الحكم عليها إشتيام [٣] ذو تيقظ واستبصار، واستدلال على الأعماق

---

[١] الشانى اسم لنوع من السفن التجارية والحربية عند المسلمين وجمعه شوانى.

[٢] أى الأبيض الجناحين (عن تاج العروس) .

[٣] الإشتيام هو رئيس الملاحين، لفظ أعجمى أخذه العرب (راجع الجواليقى)." (١)

"وأما خوارزم وما اختصت به

فانها تقارب بلاد الترك، بل تنافسها في الخصائص والمتاجر.

ومن خصائصها البطيخ الذى يقال له «النارنج» يقال إنه أحلى البطاطيخ وأطيبها.

وكان يحمل منها إلى المأمون وإلى الواثق في قوالب الرصاص، معباة في الثلج. فكانت تقوم الواحدة منه- إذا سلمت ووصلت- بسبعمائة درهم. والله أعلم.

ذكر الخصائص التى تجرى مجرى الطلسمات

منها:

مدينة «خبيص» من مدن كرمان. لا يمطر المطر فيها داخل السور أبدا حتى إن الرجل يخرج يده من سورها إلى خارجها، فتبتل يده ولا يبتل ساعده.

وبقرية من قرى كرمان أيضا «حصن عادى» ليس فيه فأر. وإذا دخل إليه فأر، مات.

ومدينة «حمص» لا يوجد فيها عقرب. وإذا تثر ترابها على ظهر عقرب، ماتت.

وكذلك قلعة أعزاز [١] من أعمال حلب. ويقال إنه لا يدخل مدينتها حية. ومتى نثر عليها من ترابها، ماتت لوقتها. ولا يوجد فيها بعوض البتة. وإن الرجل متى أخرج يده من ال‍سور، وقع عليها؛ فإذا أدخل يده،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١/٢٥٨

طار عنها.

و «بمصر [٢] » أن التماسيح إذا ساقها الماء إليها وحاذتها، انقلبت على طهرها. فإذا بعدت عنها، لا تضر أحدا. بخلاف ما هى في بلاد الصعيد، فإنها تفترس جميع ما تظفر به من الحيوان حتى الخيل. ولا يقوى على قتالها إلا الجاموس.

ومدينة «سجلماسة» لا يوجد فيها ذباب البتة.

---

[١] كذا ذكرها أيضا في التقويم بالهمزة. وفي المعجم «عزاز» بدونها.

[٢] يعنى مصر العتيقة أى الفسطاط.." (١)

"وقيل في سبب بنائه: إن دلوكا ولدت ولدا فأخذت لمولده رصدا، فرأت أن التمساح يقتله، فبنت هذا الحائط وقاية له من التمساح. فلما شب الغلام رأى فى مولده ذلك، فأحب أن يراه. فصور له من خشب. فلما رآه، هاله منظره واستولى على نفسه الوهم والفزع، فمات [١] .

وأما ملعب أنصنا

فإنه كان مقياسا للنيل.

ويقال: إنه من بناء دلوكا. وكان بناؤه كالطيلسان، وعليه أعمدة بعدد أيام السنة من الصوان الأحمر الماتع، بين العمود والعمود خطوة. وكان النيل يدخل إليه من فوهة فيه عند زيادة النيل. فاذا بلغ الحد الذى يحصل به الرى، جلس الملك فى مشترف له، ويصيعد قوم إلى رءوس الأعمدة فيتعادون عليها ما بين ذاهب وآت. فمن زلت به قدمه منهم، سقط إلى البركة.

وأما مدينة عين شمس

فهى من المبانى التى درست.

وكانت مصر فرعون موسى، ومنها خرج بجنوده فى طلب موسى وبنى إسرائيل؛ وكانت عدتهم ستمائة ألف، ليس فيهم ابن عشرين سنة ولا ابن ستين سنة. واستقل فرعون هذا العدد وقال كما أخبر الله تعالى عنه: (إن هؤلاء لشرذمة قليلون) .

وكان بها هيكل الشمس فخرب.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٦٨/١

[١] لم يرض ابن فضل الله بذكر هذه الخرافة في كتابه. وقد وصف لنا جزءا من هذا السور (انظر مسالك الأنصار المطبوع، ج ١ ص ٢٣٩) .." (١)

"ذكر ما قيل فى الجاموس

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:

والجواميس هى ضأن البقر. والجاموس أجزع الحيوان من البعوض وأشدها هربا منه إلى الماء؛ وهو يمشى إلى الأسد رخى البال، رابط الجأش، ثابت الجنان.

وقد حكى عن المعتصم بالله العباسى أنه أبرز للاسد جاموستين فغلبتاه، ثم أبرز له جاموسة ومعها ولدها فغلبته وحمت ولدها، ثم أبرز له جاموسا مفردا فواثبه ثم أدبر عنه. هذا على ما فى الأسد من القوة فى فمه وكفه والجرأة العظيمة والوثبة وشدة البطش والصبر والحضر والطلب والهرب؛ وليس ذلك فى الجاموس، ولا يستطيل بغير قرنه، وليس فى قرنه حدة قرن بقر الوحش؛ فإذا قوى الجاموس مع ذلك حتى يقاوم الأسد دل على قوة عظيمة. ولذلك قدم الجاحظ الجاموس على الأسد، وعلل تقديمه عليه بهذه العلة. وليس ما حكى عن المعتصم فى أمر الجاموس وغلبته للأسد بعجيب؛ فإن الجواميس بالأغوار تقاتل الأسد وتمانعه وتدفعه فلا يقدر على قهرها.

وأصحاب الجواميس هناك منهم من يغلف قرونها بالنحاس ويحددون أطرافه، يقصدون «١»

بذلك إعانته على حرب الأسد وقتاله.

والجاموس عندنا بالديار المصرية يقاتل التمساح الذى هو أسد البحر ويتمكن منه ويقهره فى الماء؛ فهو قد جمع بين قتال أسد البر وأسد البحر. وله قدرة عظيمة على طول المكث فى قعر البحر. والتماسيح لا تكاد تأوى موارد الجواميس من بحر النيل وتتجنب أماكنها.." (٢)

"فى البر يكون مثله فى البحر. فلنورد فى هذا الفصل ما أمكن إيراده، وهو الدلفين، والرعاد، والتمساح، والسقنقور، والسلحفاة، واللجأة، والفرس النهرى، والجند بيدستر والقندس «١» ، والقاقم، والضفادع، والسرطان، وشيء من عجائب الحيوان المائى، على حكم الاختصار حيث تعذر الاستيعاب.

فأما الدلفين

- وهو كالزق المنفوخ، وله رأس صغير جدا. وهو يوجد فى بحر النيل يقذفه البحر الملح إليه. ويقال: ليس

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٩٣/١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٢٤/١٠

فى دواب البحر ماله رئة «٢» غيره؛ فلذلك يسمع له التنفس والنفخ، وهو إذا ظفر بالغريق كان أقوى الأسباب فى نجاته؛ فإنه لا يزال يدفعه الى البر [حتى ينجيه «٣»] . وهو من أقوى الدواب المائية.
ولا يؤذى ولا يأكل غير السمك. وربما ظهر على وجه الماء وهو نائم كالميت.
وهو يلد ويرضع. وأولاده تتبعه حيث ذهب؛ ولا يلد إلا فى الصيف. وفى طبعه الأنس بالناس وخصوصا الصبيان. وإذا صيد جاءت الدلافين لقتال صائده، فإذا أطلقه لها انصرفت. وأهل المراكب فى البحر الفارسى اذا رأوه استبشروا به وأيقنوا ببلوغ الأرب سيما الغزاة.
وأما الرعاد
- ويكون فى نيل مصر، ولم أسمع به فى غيره. وفيه من الخاصية أنه لا يستطيع أحد من الناس أن يمسه. ومتى وضع الانسان يده عليه." (١)

"نزعها بحركته وصاح صيحة منكرة ربما دهش الإنسان لها؛ ويجد الرجل فى فؤاده خفقانا من ذلك.
وهو متى وقع فى شبكة الصياد ارتعدت يداه عند إخراج الشبكة من الماء أو جذب الحبل، فيعلم أنه قد وقع له السمك الرعاد.
وأما التمساح
- وهو أيضا لا يكون إلا فى نيل مصر؛ وزعم قوم أنه يوجد فى مهران «١» السند، لزعمهم أنه من النيل.
وهو شديد البطش فى الماء. وهو يعظم إلى أن ينتهى فى الطول إلى عشرين ذراعا فى عرض ذراعين.
ويفترس الفرس والإنسان. ولا يقوى على قتاله من الحيوان إلا الجاموس. وله يدان ورجلان وذنب طويل يضرب به ويلف. وهو لا يصاد إلا أن يضرب فى إبطيه، ومنهما مقتله. ويقال: إنه إذا أراد السفاد خرج هو والأنثى إلى البر فيقلبها على ظهرها ويستبطنها؛ فإذا فرغ قلبها لأنها لا تتمكن من الانقلاب لقصر يديها ورجليها ويبس ظهرها. وهى تبيض فى البر، فما وقع فى الماء صار تمساحا وما بقى فى البر صار سقنقورا.
والتمساح يحرك فكه الأعلى دون الأسفل، ولسانه معلق به. ويقال:
إنه ليس له مخرج، وإن جوفه إذا امتلأ خرج إلى البر وفتح فمه فيجىء طائر صغير أرقط فينقر بمنقاره ما فى جوفه ويخرجه، وذلك غذاء الطائر وراحة للتمساح.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣١٣/١٠

وفى رأس هذا الطائر شوكة فإذا غلق «٢» التمساح فمه عليه نخسه بها فيفتحه. ويقال:
إن للتمساح ستين سنا وستين عرقا، ويسفد ستين مرة، ويبيض ستين بيضة.." (١)

"الزرع. واذا قصد الزرع لا يبتدئ من أوله، ولكنه يجوز منه قطعة بقدر ما يأكل ويبتدئ منها بحيث يكون وجهه إلى البحر. وهو يقتل التمساح ويقهره. وأهل الديار المصرية إذا رأوا أثر حافره فى البر تباشروا بزيادة النيل وكثرة الخصب.

وفى سنة اثنتين وسبعمائة طلع الفرس النهرى إلى البر بالجيزة وأبعد عن البحر، فتحيل عليه وقتل. وأهل النوبة يصيدونه كثيرا، ويتخذون من جلده سياطا يسوقون بها الإبل.

وأما الجند بيدستر

- وهو السمور، ويسمى «كلب الماء» .

ولا يوجد إلا ببلاد القفجاق «١» وما يليها. وهو على هيئة الثعلب، أحمر اللون، لا يدان له، وله رجلان وذنب طويل، ورأسه كرأس الإنسان، ووجهه مستدير. وهو يمشى متكئا على صدره كانه يمشى على أربع، وله أربع خصى: ثنتان ظاهرتان وثنتان باطنتان. وهو إذا رأى الصيادين يجدون فى طلبه لأجل الجند بيدستر، وهو خصيتاه الظاهرتان، قطعهما بفيه ورمى بهما إليهم؛ إذ ل ا حاجة لهم إلا بهما.

فإن لم يرهما الصيادون وداموا فى الجد فى طلبه استلقى على ظهره ليريهم الدم، فيعلمون أنه قطعهما فينصرفون عنه. وهو إذا قطع الظاهرتين ظهر الباطنتان وعوض عنهما غيرهما. وفى داخل الخصية شبه الدم أو العسل زهم الرائحة سريع التفرك إذا جف. ويقال: إنه يوكر «٢» على الأرض ويولد «٣» عليها ويرعى فيها، ويهرب إلى الماء ويعتصم به؛ ويمكنه أن يلبث فى قعره حابسا لنفسه زمانا ثم يخرج [الى الهواء «٤»] .." (٢)

"الشرقى صنما عظيما قائما على قاعدة [وهو «١»] مصبوغ بلطوخ أصفر مصور بالذهب ووجهه الى الشمس يدور معها حتى تغرب، ثم يدور ليلا الى الناحية الجنوبية حتى يحاذى الشمس «٢» مع الصبح، فلم يزل الى أن سقط فى أيام فرغان «٣» الملك فتهشم. وكان نصبه تعظيما للشمس. ويقال: إن أقروش كان يطلب الولد فنكح ثلاثمائة أمرأة يبتغى الولد منهن فلم يكن ذلك. وقيل: إن فى عصره عقمت الأرحام لما أراد الله عزوجل من هلاك العالم بالطوفان، وعقمت أرحام البهائم ووقع الموت فيها.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣١٤/١٠

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣١٨/١٠

وقيل: إن الأسد كثرت فى وقته حتى كانت تتخلل البيوت، فاحتالوا لها بالطلسمات المانعة والحيل المضرة لها، فكانت تغيب وقتا وتعود، فرفعوا ذلك الى الملك فقال:

هذه علامة مكروهة، وأمر أن تعمل أخاديد وتملأ نارا واجتروا إليها الأسد بالدخن التى تجلب روحانيتها وألقوها على تلك النيران، فاجتلبتها تلك الدخن فتهافتت فى تلك النيران فاحترقت. وبنى فى وقته مدائن فى ناحية الغرب تلفت بالطوفان مع أكثر مدنهم.

قال: وارتفعت الأمطار عنهم وقل الماء فى النيل فأجدبوا، وهلك الزرع بالنار والريح الحارة وغيرها، فأضر ذلك بهم، فاحتالوا لدفع النار بطلسماتهم فكانت تذهب وتعود. وقيل: إن الذى فعل بهم ذلك ساحر من سحرتهم كان منقاوش غصبه امرأته فكان يعمل الحيلة قليلا قليلا فى إفساد طلسماتهم؛ لأن لكل طلسم شيء تبطل به روحانيته. وبهذه العلة دخل بختنصر الفارسى مصر وقد كانت ممتنعة من جميع الملوك. فلما أفسد ذلك الساحر الطلسمات، سلط عليهم تلك الآفات وأفسد طلسمات **التماسيح** فهاجت عليهم ومنعتهم الماء وعذبهم عذابا كبيرا الى أن." (١)

"السبى يعملون فيه ويحملون الذهب إليه؛ وهو أول من أحب الصيد واتخذ الجوارح، وولد الكلاب السلوقية من الذئاب والكلاب الأهلية، وعمل البيطرة وما تعالج به الدواب، وعمل من العجائب والطلسمات لكل فن ما لا يحصى كثرة، وجمع **التماسيح**، بطلسم عمله لها، إلى بركة بناحية أسيوط فكانت تنصب إليها من النيل انصبابا فتقتلها، وتستعمل جلودها فى السفن وغيرها، وتستعمل لحومها فى الأدوية والعقاقير المؤلفة. قال: وبعض القبط يحكى أنه عمل بمصر اثنتى عشرة ألف أعجوبة وطلسما، ولم يعمل فى بلد كما عمل فيها ولا تهيأ لأهله ما تهيأ لهم من ذلك.

قال: وأقام شداث فى الملك تسعين سنة وخرج يطرد «١» فأكب فرسه فى وهدة فقتله. وفى بعض كتبهم: أنه أخذ بعض خدمه، وقد خالفه فى أمر من الأمور، فأمر بطرحه من أعلى الجبل إلى أسفل فطرح فتقطع جسده، وندم على فعله ذلك فرأى فى منامه أنه سيصيبه مثل ذلك فكان يتوقاه، وآلى على نفسه ألا يعلو جبلا، وأوصى إن أصابه شيء أن يجعل ناووسه فى الموضع الذى يلحقه فيه ما يلحقه، ويزبر عليه: ليس ينبغى لذى القدرة أن يخرج عن الواجب ويفعل ما لا يجوز له فعله، وهذا ناووس شداث بن عديم بن قفطريم الملك، عمل ما لا يحل له فكوفئ عليه بمثله.

قال: ولما هلك عمل له سرب فى سفح الجبل فيه قبة على مجلس قد صفح بالفضة وجعل فيه على سرير

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/٣٦

ملكه، وجعل معه من الأموال والجواهر والتماثيل وأصناف الحكم والمصاحف شيء كثير. وكان له أربعمائة وأربعون سنة.

وملك بعده ابنه منقاوش «٢» بن شداث؛ فملك بحزم وحنكة وأظهر مصاحف الحكم وأمر بالنظر فيها، وأن ينسخ منها لهم بخط العامة ليفهموها، ورد الكهنة إلى." (١)

"خابية صغار من ذهب وفضة وزجاج، وألف عقار مدبرة لفنون الأعمال وزبر عليه اسمه ومدة ملكه والوقت الذى مات فيه.

واستخلف ابنه مناقيوس بن أشمون. وكان جلدا محنكا فاستأنف العمارة وبنى القرى ونصب الأعلام، وجمع الحكمة ومصاحف الملوك والحكماء وعمل العجائب، وبنى لنفسه مدينة وانفرد بها، وعمل عليها حصنا ونصب عليه أربعة أعلام، فى كل ركن من أركانه علم، وبين تلك الأعلام ثمانون صنما من نحاس وأخلاط، فى أيديها آلات السلاح وزبر على صدرها آياتها.

قال: وكان بمنف رجل من أولاد الكهنة من أعلم الناس بالسحر وأبصرهم بأخذ التماسيح والسباع، وكان يعلم الغلمان السحر فإذا حذقوا علم غيرهم؛ فأمر الملك أن تبنى له مدينة ويحول إليها فبنيت، وهى إخميم.

وملك مناقيوس نيفا وأربعين سنة ومات فدفن فى الهرم المحاذى لإطفيح، ونقل معه شيء كثير من المال والجواهر والآنية والتماثيل، وزبر عليه اسمه والوقت الذى مات فيه.

وملك بعده ابنه- ولم يسمه إبراهيم «١» - فكان أحزم من أبيه، فعظم فى عيون أهل مصر. وهو أول من عمل الميدان وأمر أصحابه برياضة أنفسهم فيه. وأول من عمل البيمارستانات لعلاج المرضى والزمنى وأودعها العقاقير ورتب فيها الأطباء وأجرى عليهم ما يسعهم، وأقام الأمناء على ذلك، وصنع لنفسه عيدا وسماه عيد الملك؛ فكان الناس يجتمعون اليه فى يوم من السنة، فيأكلون ويشربون." (٢)

"إنى أعمل الحيلة فى إفساد مصر وأضر وآذى أهلها، فعملت أشياء وأرسلتها مع من ألقاها فى النيل، ففاض النيل على مزارعهم وغلاتهم، وكثرت فيه التماسيح والضفادع، وكثرت العلل فى الناس، وانبثت فيهم الثعابين والعقارب، فأحضر ماليق الكهنة والحكماء وقال: أخبرونى عن هذه الحوادث التى حدثت فى بلادنا ما هى؟ ولم لم تشرحوها فى طالع السنة؟ فاجتمعوا فى دار حكمتهم ونظروا حتى علموا أنه من ناحية الغرب، وأن امرأة عملته وألقته فى النيل، فعلم أنه من فعل تلك الساحرة، فقال لهم: اجهدوا أنفسكم فى

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/٦٣

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/٧٢

هلاكها فقد بلغت فيكم مرادها، فاجتمعوا للهيكل الذى فيه صور الكواكب وأصنامها، وسألوا الملك الحضور معهم فلم يمكنه الخلاف عليهم. فلما أمسى لبس مسحا وافترش رمادا واستقبل مصلاه وأقبل على الابتهال إلى الله والتضرع وقال: يا رب يا الله، أنت إله الآلهة، وخالق الخلق، ولا يكون شىء إلا بقضائك، أسألك أن تكفينى أمر هؤلاء القوم، وغلبه السهر فأغفى فى مصلاه، فرأى آتيا يقول له: قد رحم الله تضرعك، وأجاب دعاءك، وهو مهلك هؤلاء القوم ومدمر عليهم، وصارف عنك الماء المفسد والدواب المضرة. فلما أصبح الكهنة غدوا عليه وسألوه حضور هيكلهم، فقال لهم:

قد كفيتكم أمر عدوكم وأهلكتهم، وأزلت الماء الفاسد والدواب المضرة عنكم، ولن تروا بعدها شيئا تكرهونه، فنظر بعضهم إلى بعض كالمنكرين لقوله وقالوا:

قد سررنا بما ذكره الملك، وهم يضمرون الاستهزاء به والتكذيب له، ومضوا إلى دار الحكمة فقال بعضهم: الرأى ألا تقولوا فى هذا شيئا، فإن كان حقا وقفتم عليه، وإن كان باطلا اتسع لكم اللفظ فى لومه، وسيتبين لكم أمره.

فلما كان بعد يومين انكشف ذلك الماء الفاسد، وهلكت تلك الدواب المضرة، فعلموا أن الذى أخبرهم به حق؛ وأمر قائدا من قواده ورجالا من الكهنة أن يمضوا." (١)

"إلى المدينة ومكة، فإن حمله [على] [١] الظهر يتعذر، ولا نبلغ منه ما نريد. فانطلق أنت وأصحابك، فتشاوروا فى ذلك حتى يعتدل فيه رأيكم، فانطلق عمرو فأخبر من كان معه من أهل مصر، فثقل ذلك عليهم، وقالوا: نتخوف أن يدخل فى هذا ضرر على مصر، فنرى أن تعظم ذلك على أمير المؤمنين وتقول له: إن هذا الأمر لا يعتدل ولا يكون، ولا نجد إليه سبيلا.

فرجع عمرو بذلك إلى عمر، فلما رآه ضحك وقال: والذى نفسى بيده لكأنى أنظر إليك يا عمرو، وإلى أصحابك حين أخبرتهم بما أمرت به، فثقل ذلك عليهم، وقالوا لك كذا وكذا، للذى كان منهم. فقال: صدقت والله يا أمير المؤمنين، لقد كان الأمر على ما ذكرت.

فقال عمر: يا عمرو، انطلق بعزيمة منى حتى تجد فى ذلك، ولا يأتى عليك الحول حتى تفرغ منه إن شاء الله تعالى. فانصرف عمرو، ثم احتفر الخليج الذى كان فى حاشية الفسطاط الذى يقال له: خليج أمير المؤمنين، فساقه من النيل إلى القلزم، فلم يأت الحول حتى جرت فيه السفن، فحمل فيه ما أراد من الطعام إلى المدينة ومكة، فنفع الله بذلك أهل الحرمين، وسمى خليج أمير المؤمنين، ثم لم يزل يحمل فيه الطعام

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٩٧/١٥

إلى زمن عمر بن عبد العزيز، ثم ضيعه الولاة بعد ذلك فترك وغلب عليه الرمل، فانقطع، فصار منتهاه إلى ذنب **التمساح** من ناحية طحا القلزم.

---

[١] من ص.." (١)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٢٧/١٩

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري مقدمةج ٩/١٠

"(بست)

بالفتح، وآخره تاء مثناة: واد من نواحى أذربيجان، ويشق إربل فى وسطها.

(بست)

بالضم: مدينة بين سجستان وغزنين وهراة: من البلاد الحارة كثيرة الأنهار والبساتين «١» .

(بسترة)

بالفتح: مدينة، ويقال لها بستيرة.

(بستيغ)

بكسر التاء المثناه، وياء مثناة «٢» ، والغين معجمة: من قرى نيسابور.

(البسراط)

بكسر أوله: بلد **التماسيح** بمصر، بقرب دمياط، من كورة الدقهلية.

(بسر)

بالضم: اسم قرية من أعمال حوران، من أراضى دمشق إلى جنب زرة «٣» التى تسميها العامة [زرع، بها] «٤» مشهد يقال له قبر اليسع. وبها قبر الشيخ الحريرى وزاويته.

(بسر فوث)

حصن من أعمال حلب، فى جبال بنى عليم [خرب. وهو الآن قرية] «٥» وهو بالتحريك، وسكون الراء، وضم الفاء، وثاء مثلثة.

(البسرة)

بسكون السين: من مياه بنى عقيل بنجد بالأعراف، أعراف غمرة، يمشى به الإنسان إذا شربه دون الدابة «٦» .

(بس)

بالضم والتشديد: جبل فى بلاد محارب. وقيل: جبل قرب ذات عرق. وقيل: أرض لبنى نصر بن معاوية «٧» .

(بسطام)

بالكسر، ثم السكون: بلدة كبيرة بقومس، على جادة الطريق إلى نيسابور بعد دامغان بمرحلتين.." (١)

---

(١) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ابن عَبْد الْحَقّ ١/١٩٦

"(بلهيب)

بالكسر «١» ، ثم السكون، وكسر الهاء، وياء ساكنة، وباء موحدة: من قرى مصر.

(البلياء)

بعد اللام الساكنة ياء وألف ممدودة: من أودية القبلية.

(بليان)

«٢» بالضم وتشديد اللام وفتحها وياء مخففة: موضع فى شعر زهير «٣» .

(البليح)

بالفتح، ثم الكسر، وياء، والحاء مهملة، قال الأصمعى: هو جبل أحمر فى رأس خرم أبيض لبنى أبى بكر بن كلاب.

(البليخ)

الخاء معجمة: اسم نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون، وأعظم تلك العيون عين يقال لها الذهبانية «٤» ، فى أرض حران، فتجرى نحو خمسة أميال ثم تصير «٥» إلى موضع قد بناه مسلمة بن عبد الملك حصنا يكون أسفله قدر جريب وارتفاعه فى الهواء أكثر من خمسين ذراعا، وأجرى ماء تلك العيون تحته، فإذا خرج من تحت الحصن سمى بليخا، ويتشعب من ذلك الموضع أنهار تسقى بساتين وقرى، ثم تصب فى الفرات تحت الرقة بميل «٦» .

(بليد)

تصغير بلد: ناحية قرب المدينة بواد يدفع فى ينبع «٧» .

(بليرة)

بكسر اللام وراء مهملة: حصن بالأندلس، من أعمال شنتبرية «٨» .

[(بليق)

بالتصغير، وبلقاء: لبنى أبى بكر، ولبنى قريظة «٩» .

(بليل)

آخره لام أخرى: اسم موضع بشريعة صفين] «١٠» .

(بلينا)

بسكون اللام، وياء مفتوحة، ونون، والقصر: مدينة على شاطىء النيل من غربيه، بصعيد مصر، يقال: إن بها طلسما لا يمر بها تمساح إلا وينقلب على ظهره.." (١)

"(خليت)

مثله، وآخره تاء مثناة من فوق: هو اسم الأبلق الفرد الذي بتيماء فى أطراف الشام.

(الخليج)

بالفتح، ثم الكسر: بحر دون قسطنطينية كالعلم من بحر الروم.

وجبل خليج: أحد جبال مكة. والخليج بمصر: فى حاشية الفسطاط، أمر عمر رضى الله عنه عمرو بن العاص بحفره، فساقه من النيل إلى بحر القلزم، فلم يأت عليه الحول حتى سارت فيه السفن، وحمل فيه ما أراد من الطعام إلى مكة والمدينة فنفع الله بذلك أهل الحرمين، فسمى خليج أمير المؤمنين، ثم أضاعته الولاة بعد ذلك، وسفت عليه الرمال، فانقطع وصار منتهاه إلى موضع يعرف بذنب التمساح، من ناحية بطحاء القلزم. وقيل: إن المنصور أمر بسده حين خرج عليه محمد ابن عبد الله بن حسن بالمدينة لتنقطع عنه الميرة. قال: وأثر هذا الخليج باق فى طريق مصر إلى الشام «١» .

وخليج بنات نائلة: خليج آخر. قلت: والخليج بمصر فى عدة مواضع هى كالأنهر بالعراق، تأخذ من النيل؛ منها يساق الماء إلى أراضى مصر، فيعم الماء سائر أراضيها؛ ومنها الخليج الذي يكسر كل سنة، وكسره هدم السد الذي فى آخره عند زيادة النيل التامة. وله موسم كبير للفرجة فيه.

(الخليصاء)

تصغير الخلصاء: موضع «٢» .

(خليص)

حصن وقرية، بين مكة والمدينة، قريبة من مكة، بها نخل وبركة كبيرة يردها الحاج.." (٢)

"(المهراس)

بكسر أوله، وسكون ثانيه، وآخره سين مهملة: موضعان أحدهما باليمامة، كان من منازل الأعشى «١» .

والثانى ماء بجبل أحد «٢» .

(مهران)

---

(١) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ابن عَبْد الْحَق ٢٢١/١

(٢) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ابن عَبْد الْحَق ٤٧٩/١

بالكسر، ثم السكون، وراء، وآخره نون: اسم نهر السند، وهو واد يقبل من المشرق آخذا على جهة الجنوب، متوجها إلى جهة المغرب، حتى يقع أسفل السند فى بحر فارس.

وهو نهر عظيم، بقدر دجلة، تجرى فيه السفن، ويسقى بلادا كثيرة، ويصب فى البحر عند الديبل.

ومخرجه من ظهر جبل يخرج منه بعض أنهار جيحون، فيظهر بناحية الملتان على حدود سمندور والرور، ثم على المنصورة. وهو نهر كبير عذب، وفيه **تماسيح** مثل ما فى النيل، وهو مثله فى الكبر، وجريه مثل جريه، مثل جريه، ويرتفع على وجه الأرض، ويزرع عليه مثل ما بزرع بأرض مصر.

والسندروذ: نهر آخر هناك.

(مهربانان «٣»)

بالكسر، ثم السكون، وفتح الراء، وباء موحدة، ونون: اسم أعجمى من قرى مرو.

(مهربارات «٤»)

من قرى أصفهان.." (١)

"وبه السمكة الرعادة؛ وهى سمكة لطيفة من مسها بيده أو بعود أو شبكة اعترته رعدة وانتفاض ما دامت يده متصلة بها.

وبه **التمساح** الذي لا يوجد إلا فيه، وهو حيوان يتحرك فكه الأعلى دون الأسفل، لا يعمل الحديد فيه «١» .

(نيمروز)

هو بالفارسية، ومعناه نصف يوم: اسم لولاية سجستان وناحيتها.

(نينوى)

بالكسر، ثم السكون، وفتح النون، والواو، بوزن طيطوى: قرية يونس ابن متى عليه السلام بالموصل؛ تقابلها من الجانب الشرقى.

وبسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى، منها كربلاء التى قتل فيها الحسين رضى الله عنه.

(نينى)

بالكسر، ثم السكون، ونون أخرى مكسورة، وياء: نهر مشهور بإفريقية فى أقصاها.

(نيه)

---

(١) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ابن عَبْد الْحَقّ ١٣٣٨/٣

بالكسر، ثم السكون، وهاء خالصة: قرية بين هراة وكرمان.

وقيل: بلدة بين سجستان واسفزار صغيرة «٢» .." (١)

"يصلح للحقن. وإذا خلط بزيت وتمسح به أذهب الإعياء والحكة. وهو صالح للأورام البلغمية العارضة للذين بهم الاستسقاء، وإذا تكمد به سكن الوجع، وإذا خلط بالزيت والخل وتلطخ به أحد بقرب النار إلى أن يعرق سكن الحكة؛ وكذلك يفعل أيضا بالجرب المتقرح وغير المتقرح والجذام والقوابي. وإذا خلط بالخل والعسل والزيت وتحنك به سكن الخناق، وإذا خلط بالعسل نفع ورم اللهاة والنغانغ. وقد يتضمد به مع الشعير محرقا بالعسل للآكلة والقلاع واللثة المسترخية. وقد يتضمد به أيضا مع بزر الكتان للدغة العقرب، ومع فوتنج الجبل والزوفا «١» لنهشة الأفعى الذكر، ومع الزفت والقطران أو العسل لنهشة الحية التي يقال لها قرسطس «٢» ، وهي حية لها قرنان، ومع الخل والعسل لمضرة الحيوان المسمى أم أربعة وأربعين، ولدغ الزنابير، ومع شحم العجل للبثور التي يقال لها سورداقيا إذا خرجت في الرأس، أو اللحم الزائد في ظاهر البدن الذي يقال له يوميا، وإذا تضمد به مع الزبيب والعسل حلل الدماميل، وإذا خلط (١٩١) بفودنج الجبل وخل أنضج الأورام البلغمية العارضة في الأنثيين. وقد ينفع من نهشة **التمساح** الذي يكون في نيل مصر، وإذا سحق وصير في خرقة كتان وغمس في خل حاذق، وضرب «٣» به ضربا رقيقا العضو المنهوش من بعض الهوام نفع من النهشة، وإذا استعمل بالعسل نفع من كمنة «٤» الدم التي تحت العين، وقد ينفع من مضرة الأفيون والفطر القتال إذا شرب بالسكنجبين، وإذا خلط بالعسل والدقيق نفع من التواء العصب، وإذا خلط بالزيت ووضع على حرق النار لم يدعه ينفط، وقد يوضع على النقرس على صفة ما ذكرنا فينتفع به،." (٢)

"أما الجوية فهي: الصقور والنسور البيض والسود وأمثالها، والغربان والحجل وسائر طير الواجب والسمان والحمام والعصافير والبزاة وغير ذلك مما لم يوجد بالديار (٤٨٩) المصرية.

وأما الأهلية والبرية فدجاج الحبش وأمثاله.

والمائية: فالبط، ودجاج أيضا يخرج من بركة ماء في إقليم هدية الإسلامي.

قال الشيخ جمال الدين عبد الله الزيلعي:

إن العين المذكورة يتولد منها دجاج يأكلونه، ويأكلون من لحوم الطير الحمام والعصفور وغراب الزرع

---

(١) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ابن عَبْد الْحَقّ ١٤١٤/٣

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣٣٥/٢٢

والدجاج البري والحجل، والسمك عندهم منه ما يشبه البوري، و [منه] «١» ما يشبه الثعبان يطول إلى مقدار ذراعين ونصف، ويغلظ إلى مقدار الخشب، ويطلع من بحرهم **التمساح** وفرس البحر.

أما عسل النحل فكثير في جميع البلاد يتربى في الجبال، ويأخذون منه العسل والشمع من غير حجر عليه، ومنه ما له خلايا خشب منقورة، وعسلهم مختلف الألوان بحسب المرعى.

ومساكنهم غالبها أخصاص من جملونات خلا المدن الكبار، فإنها مبنية من الحجر.

وأواني طعامهم فخار مدهون أسود، وحمامهم الاغتسال بالماء البارد، وبعضهم يتخذونه حارا.

ووقودهم الشمع، ومصابيحهم وقودها بشحوم البقر؛ لأن الزيت الطيب يجلب إليهم، ويدهن للرجال والنساء منهم بالسمن.

ومصاغهم الذهب والفضة والنحاس والرصاص على قدر تمثال السعر.." (١)

"قال الشيخ سعيد (٤٩٨) الدكالي:

وقد رأيته بعيني، وهو خنثى قدر الذئب متى وجد في الليل آدميا صغيرا أو مراهقا خطفه وأكله، فأما بالنهار فلا يؤذي ولا له إقدام على الرجل التمام، وهو ينعر كنعار الثور إذا أراد النطاح، وهو ينبش الموتى ويأكلهم، وأسنانه كأسنان **التمساح** مصفحة ذكر في أنثى.

وفي مجرى النيل عندهم **تماسيح** كبار هائلة المقادير يوجد منها ما يكون طوله عشرة أذرع وأزيد، قال الدكالي:

وصيد منها **تمساح** وضع في قلبه رمح طوله عشرة أشبار، ومرارته سم، وهي تحمل إلى خزانة ملكهم، قال: والفيل يصاد في بلاد الكفار المجاورة لهم بالسحر حقيقة لا مجازا، والسحر بهذه البلاد كلها [كثير] «١» إلى غاية، وخصوصا ببلاد غانة، وفي كل وقت يتحاكم عند ملكهم بسببه، ويقال إن فلانا قتل بالسحر أخي أو ولدي أو بنتي أو أختي، ويحكم على القاتل بالقصاص ويقتل الساحر.

وسلطان هذه المملكة يجلس في قصره على مصطبة كبيرة تسمى عندهم بنبي- بالباء الموحدة والنون والباء الموحدة- على دكة كبيرة من آبنوس كالتخت يكون قدر المجلس العظيم المتسع، عليها أنياب الفيلة في جميع جوانبها الناب إلى الناب، وعنده سلاحه من ذهب كله، سيف ومزراق وتركاش «٢» وقوس ونشاب، وعليه سراويل كبير مفصل من نحو." (٢)

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٩٠/٤

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١١٤/٤

"وستين مثقالا من الذهب وثلثي مثقال، قال:

وقال لي: إن عنده أمما من الكفار في مملكته وهو لا يأخذ منهم جزية وإنما يستعملهم في استخراج الذهب من معادنه، وقال لي: إن معادن الذهب تحفر الجورة عمق قامة أو ما يقاربها فيوجد الذهب في جنباتها وربما يوجد مجتمعا في سفل تلك الحفائر.

وملك هذه المملكة في جهاد دائم وغزو ملازم لمن جاوره من كفار السودان، وهم أمم لا يستوعبهم الزمان.

قال لي الدكالي:

وأهل هذه المملكة كثير فيهم السحر والسم ولهم عناية بهما وتدقيق فيهما، وعندهم حشائش وحيوانات يركبون منها السموم القتالة ولا سيما من نوع السمك، يوجد عندهم ومرارات **التماسيح**، فإنها سموم لا دواء لها.

وحدثني الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن الصائغ الأموي قال:

حدثني الوزير أبو عبد الله محمد بن زاغنوه [من] «١» (٥٠٨) أهل بلدنا المرية بالأندلس، وهو ثقة من الفقهاء العلماء، قال:

ركبت في مركب لتجارة لي مع جملة تجار من فم الإيلاية وهو مدخل البحر المحيط قاصدين بعض بلاد (بر) العدوة، فلعبت بنا الريح، و [تقاذفتنا] الأمواج إلى أن عدينا المكان المقصود، وتمادى بنا الحال إلى أن عجزنا عن الإرساء إلى البر، ولم نزل على هذا نتغلغل في المحيط إلى الجنوب إلى أن دفعنا في ظلمات ممتدة إذا أخرج الإنسان بها يده لم يكد يراها، وأيقنا بالهلاك لوقوعنا في الظلمات، ثم لطف الله بسكون الريح فدارينا المركب، ورفقنا به وقصدنا جهة البر إلى أن وصلنا إلى البر وأرسينا به وخرجنا نطلب الخلاص لأنفسنا، فرأينا." (١)

"فجعلت تأكل من هذا، وتشرب من هذا.

فقلت: حسبي، قد تبت، ولزمت الباب إلى أن قبلني الله عز وجل «١» وقال:" توبة العوام تكون من الذنوب «٢» ، وتوبة الخواص تكون من الغفلة. «٣» "

وقال محمد بن أحمد السميساطي: سمعت ذا النون المصري يقول: بينا أنا أسير في جبال أنطاكية، إذا أنا بجارية كأنها والهة مجنونة، عليها جبة صوف، فسلمت عليها، فردت علي السلام، ثم قالت: ألست ذا النون المصري؟.

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٢٧/٤

قلت: عافاك الله، كيف عرفتيني؟.

قالت: فتق الحبيب بيني وبين قلبك فعرفتك باتصال حب الحبيب. ثم قال: أسألك مسألة. قلت: سليني.

قالت: أي شيء هو السخاء؟. قلت: البذل والطاعة.

قالت: هذا السخاء في الدنيا، فما السخاء في الدين؟.

قلت: المسارعة إلى طاعة المولى. قالت: فإذا سارعت إلى طاعة المولى، يجب به الجزاء؟. قلت: نعم!، للواحد عشرة. فقالت: مر يا بطال! هذا في الدين قبيح، ولكن المسارعة إلى طاعة المولى أن يطلع على قلبك، وأنت لا تريد منه شيئا بشيء. ويحك يا ذا النون!، إني أريد أقسم عليه في طلب شهوة منذ عشرين سنة فأستحي منه أن أكون كأجير السوء إذا عمل طلب الأجرة، ولكن اعمل تعظيما لهيبته، وعزا لجلاله.

ثم ذهبت وتركتني.

وقال: أتتني امرأة فقالت لي: إن ابني أخذه التمساح الساعة!، فرأيت حرقتها، فأتيت." (١)

"النيل، وقلت: اللهم أظهر التمساح، فخرج إلي، فشققت جوفه، وأخرجت ابنها صحيحا، فقالت: كنت إذا رأيتك سخرت منك، فاجعلني في حل، فأنا تائبة إلى الله تعالى «١» وقال أحمد بن مقاتل البغدادي: لما دخل ذو النون بغداد، دخل عليه صوفية بغداد، ومعهم قوال، فاستأذنوه أن يقول شيئا بين يديه؛ فابتدأ يقول:

صغير هواك عذبني ... فكيف به إذا احتنكا

وأنت جمعت من روحي ... هوى قد كان مشتركا

أما ترثي لمكتئب ... إذا ضحك الخلي بكا؟

قال: فقام ذو النون وتواجد، وطال تواجده، وسقط على وجهه، والدم يقطر من جبينه، ولا يسقط على الأرض.

ثم قام رجل من القوم يتواجد، فقال له ذو النون: الذي يراك حين تقوم

«٢» ، فجلس في الحال.

وحكي أن جارا لذي النون قام ليلة؛ فسمع ذا النون يقول- وهو باك-"كم من ليلة بارزتك يا سيدي! بما أستوجب به الحرمان منك؟. وأشرفت بقبيح أفعالي منك على الخذلان، فسترت عيوبي عن الإخوان، وتركتني مستورا بين الجيران، لم تكافئني بجريرتي، ولم تهتكني بسوء سريرتي، فلك الحمد على صيانة

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣٦٠/٨

جوارحي، وأنا أقول كما قال النبي الصالح: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين «٣» .

إلهي! عرف المطيعون عظمتك فخضعوا، وألف العاصون رحمتك فطمعوا، فمن أيهما كنت، اغفر لي بعظمتك التي تصاغر لديها كل شيء، وبرحمتك التي وسعت كل شيء، اغفر لي وارحمني، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت".

وقال أبو عبد الله بن الجلاء: كنت مجاورا بمكة مع ذي النون؛ فجعنا أياما كثيرة، لم يفتح لنا بشيء، فلما كان ذات يوم، قام ذو النون قبل صلاة الظهر، ليصعد إلى الجبل يتوضأ." (١)

"فأكرمه صاحبها معز الدولة ثمال بن صالح، ثم أتى دولة مصر في دولة المستنصر «١» ، وجرت بين ابن بطلان وابن رضوان وقائع كثيرة، ونوادر ظريفة.

قال: وألف كل منهما كتابا في الرد على الآخر، وكلام ابن بطلان أعذب ألفاظا وأكثر ظرفا، وأميز بالأدب، ومما يدل على ذلك تسميته له **بتمساح** الجن!.

وكان ابن رضوان أسود قبيح الصورة، وفيه يقول: [الطويل]

ولما تبدى للقوابل وجهه ... نكصن على أعقابهن من الندم

وقلن وأخفين الكلام تسترا: ... ألا ليتنا كنا تركناه في الرحم

ثم سافر ابن بطلان من مصر إلى القسطنطينية وعرضت في زمانه أوباء كثيرة، وله في هذا رسالة معروفة، وله أشعار كثيرة جدا.

ومنهم:

٩٣- أحمد بن أبي الأشعث «١٣»

طبيب يلم الشعث، ويضم السقام من تفاريق الأعضاء إذا انبعث، لا يغالب طبه النافع، ولا يغالط دواؤه بمدافع، تخال هيئة اسقليبيوس صفته، وتخطي." (٢)

"وقالوا لي: أبو حسن كريم ... فقلت الميم هاء في العباره

وما لجلاله أرجوه لكن ... رأيت الكلب يرمى بالحجاره وقال:

يرى الناس منه كالمسيح ابن مريم ... وفي ثوبه **التمساح** أو هو أغدر

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣٦١/٨

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٤٣٨/٩

أغركم منه تقلص ثوبه ... وذلك حب دونه الفخ فاحذروا ٥٨٣ (١)
الخازن الشافعي
يعقوب بن سليمان بن داود، أبو يوسف الخازن الإسفراييني؛ سافر " إلى " العراق والشام وسكن بغداد، وتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري، وكان خازن الكتب بالنظامية، وهو فقيه فاضل حسن المعرفة بالأصول على مذهب الأشعري، وله معرفة بالأدب، وكان يكبت خطا جيدا، وصنف كتاب " المستظهري " في الإمامة وشرائط الخلافة والسير العادلة، وكتاب " سير الخلفاء " و " محاسن الآداب " و " بدائع الأخبار وروائع الأشعار " وتوفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، رحمه الله.
ومن شعره:
إن الذي قسم المعيشة بيننا ... قد خصني بالسعي في الآفاق
متشتتا لا أستقر ببلدة ... في كل يوم أبتلى بفراق ومنه:

---

(١) الزركشي: ٣٥٠ وطبقات السبكي ٥: ٣٥٩ والأسنوي ١: ٩٦ وذكره السمعاني في الذيل؛ وهذه الترجمة لم ترد في المطبوعة.." [١]
"(مزن مذحل ببسكرة ... يوما نطقت بمصحفها)

(شكرت حتى بعبارتها ... وبمعناها وبأحرفها)

(ضحكت بأبى العباس من ... الأيام ثنايا زخرفها)

(وتنكرت الدنيا حتى ... عرفت منه بمعرفتها)
بل نقول يا محل الولد، لا أقسم بهذا البلد، وأنت حل بهذا البلد، لقد حل بينك عرى الجلد، وخلد الشوق بعدك، يا ابن خلدون، في الصميم من الخلد. فحيا الله زمنا شفيت برقى قربك زمانته، واجتليت في صدف مجدك جمانته، ويامن لمشوق لم تقض من طول خلتك لبانته، وأهلا بروض أظلت أشتات معارفك بانته، [فحمائمه بعدك لا تندب] فيساعدها الجندب، ونواسمه ترق فتتعاشى، وعشياته تتخافت وتتلاشى، ومزنه

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٣٣٥/٤

باك، ودوحه [في ارتباك، وحمائمه] في مأتم ذي اشتباك، كأن لم تكن قمرها هالات قبابه، ولم يكن أنسك شارع بابه إلى صفوة الظرف ولبابه، ولم يسبح إنسان عينك في ماء شبابه. فلهفي عليك من درة اختلستها يد النوى، ومطل بردها الدهر ولوى، ونعق الغراب ببينها في ربوع الهوى، ونطق بالزجر، فما نطق عن الهوى، وأي شيء تعتاض منك أيتها الرياض، بعد أن طما نهرك الفياض، وفهقت الحياض، ولا كان الشانيء المثنوء والجرف المهنوء من قطع ليل، أغار على الصبح فاحتمل، وشارك في الذم الناقة والجمل، واستأثر جنحه ببدر النادي لما كمل نشر الشراع فراع، وأعمل الإسراع كأنما هو تمساح." (١)

"يغشى مخاطره اللئيم تفكها ... ويعاف رؤيته الحليم الناسك

لو أن شخصا يستحيل كلامه ... خرءا «١» للاك الخرء منه لائك

فكأنه التمساح يقذف جوفه ... من فيه ما فيه ولا يتماسك

أنفاسه وفساؤه من عنصر ... وسعاله وضراطه متشارك

ما ضرفا من معد الله «٢» ... لو أسلمته نواجذ وضواحك

في شعره من جاهلية طبعه ... أثقال أرض لم ينلها فاتك

صدر وقافية تعارضتا معا ... في بيت عنس أو بعرس فارك

قد عم أهل الأرض بلعنه ... فللأعنية في السماء ملائك

ولأعجب العجبين أن كلامه ... لخلاله مسك يروح ورامك

إن سام مكرمة جثا متثاقلا ... يرغو كما يرغو البعير البارك

ويدب في جنح الظلام إلى الخنا ... عدوا كما يعدو الظليم الراتك

نبذ الوقار لصبية يهجونه ... فسياله فرش لهم وأرائك

يبدي لهم سوآته ليسوءهم ... بمسالك لا يرتضيها سالك

والدهر باك لانقلاب صروفه ... ظهرا لبطن وهو لاه ضاحك

واللسن تنصحه بأفصح منطق ... لو كان ينجو بالنصيحة هالك

تب يا ابن تسعين فقد جزت المدا ... وارتاح للقيا بسنك مالك

أو ما ترى من حافديك نشابها ... ابن يضاجع جده ويناسك

هيهات أية عشرة لهجت به ... هنوات مملوك وطيع مالك

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ١٣٧/٢

يا ابن المرحل لو شهدت مرحلا ... وقد انحنى بالرحل منه الحارك

وطريد لوم لا يحل بمعشر ... إلا أمال قفاه صفع دالك

مركوب لهو لجاجة وركاكة ... وأراك من ذاك اللجاج البارك

لرأيت للعين اللئيمة سحة ... وعلا بصفع عرك أذنك عارك

وشغلت عن ذم الأنام بشاغل ... وثناك خصم من أبيك مماحك

قسما بمن سمك السماء مكانها ... ولديه نفس رداء نفسك شائك

لأقول للمغرور منك بشيبة ... بيضاء طي الصحف منها حالك

لا تأمنن للذئب دفع مضرة ... فالذئب إن أعفيته بك فاتك." (١)

"وعشياته تتخافت وتتلاشى، [ومزنه باك] «١» وأدواحه «٢» [في ارتباك، وحمائمه] «٣» في مأتم ذي اشتباك، كأن لم تكن قمر «٤» هالات قبابه، ولم يكن «٥» أنسك شارع بابه، إلى صفوة الظرف ولبابه، ولم يسبح إنسان عينك في ماء شبابه. فلهفي عليك من درة اختلستها يد النوى، ومطل بردها الدهر ولوى، ونعق الغراب ببينها في ربوع الجوى «٦» ، ونطق بالزجر فما نطق عن الهوى. وبأي شيء يعتاض «٧» منك أيتها الرياض، بعد أن طمى نهرك الفياض، وفهقت الحياض؟ ولا كان الشانيء المشنوء «٨» ، والجرب «٩» المهنوء، من قطع ليل أغار على الصبح فاحتمل، وشارك في الذم الناقة والجمل، واستأثر جنحه ببدر النادي لما كمل. نشر الشراع فراع، وأعمل «١٠» الإسراع، كأنما هو تمساح النيل ضايق الأحباب في البرهة، واختطف لهم من الشط نزهة العين وعين النزهة. ولجج «١١» بها والعيون تنظر، والغمر عن «١٢» الاتباع يحظر، فلم يقدر إلا على الأسف، والتماح الأثر المنتسف «١٣» ، والرجوع بملء العيبة من الخيبة، ووقر «١٤» الجسرة من الحسرة. إنما «١٥» نشكو «١٦» إلى الله البث والحزن، ونستمطر من عبراتنا «١٧» المزن، وبسيف الرجاء نصول، إذا شرعت «١٨» لليأس أسنة ونصول «١٩» : [البسيط]

ما أقدر الله أن يدني على شحط ... من داره الحزن ممن داره صول «٢٠»

فإن كان كلم «٢١» الفراق رغيبا «٢٢» ، لما نويت مغيبا، وجللت الوقت الهني تشغيبا، فلعل الملتقى يكون قريبا، وحديثه يروي صحيحا غريبا. إيه شقة." (٢)

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٢٦٥/١

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٥٢٠/٤

"إيوالاتن. ثم سرنا من زاغري فوصلنا إلى النهر الأعظم، وهو النيل١ وعليه بلدة كارسخو "بفتح الكاف وسكون الراء وفتح السين المهمل وضم الخاء المعجم وواو"، والنيل ينحدر منها إلى كابرة "بفتح الباء الموحدة والراء"، ثم إلى زاغة "بفتح الزاي والغين المعجم"، ولكابرة وزاغة سلطانان يؤديان الطاعة لملك مالي، وأهل زاغة قدماء في الإسلام لهم ديانة وطلب للعلم، ثم ينحدر النيل من زاغة إلى تنبكتو ثم إلى كوكو وسنذكرها، ثم إلى بلدة مولي "بضم الميم وكسر اللام" من بلاد الليميي، ن وهي آخر عمالة مالي، ثم إلى يوفي واسمها "بضم الياء آخر الحروف وواو مكسورة"، وهي من أكبر بلاد السودان وسلطانها من أعظم سلاطينهم. ولا يدخلها الأبيض من الناس لأنهم يقتلونه قبل الوصول إليها. ثم ينحدر منها إلى بلاد النوبة وهم على دين النصرانية، ثم إلى دنقلة وهي أكبر بلادهم "وضبطها ضم الدال والقاف وسكون النون بينهما وفتح اللام"، وسلطانها يدعى بابن كنز الدين، أسلم على أيام الملك الناصر، ثم ينحدر إلى جنادل وهي آخر عمالة السودان وأول عمالة أسوان من صعيد مصر. ورأيت **التمساح** بهذا الموضع من النيل بالقرب من الساحل كأنه قارب صغير. ولقد نزلت يوما إلى النيل لقضاء حاجة فإذا بأحد السودان قد جاء ووقف فيما يني وبين النهر. فعجبت من سوء أدبه وقلة حيائه، وذكرت ذلك لبعض الناس فقال: إنما فعل ذلك خوفا عليك من **التمساح** فحال بينك وبينه. ثم سرنا من كارسخو فوصلنا إلى نهر صنصرة "بفتح الصادين المهملين والراء وسكون النون" وهو على نحو عشرة أميال من مالي. وعادتهم أن يمنع الناس من دخولها إلا بإذن. وكنت كتبت قبل ذلك لجماعة البيضان وكبيرهم محمد بن الفقيه الجزولي وشمس الدين ابن النقويش المصري ليكتروا لي دارا، فلما وصلت إلى النهر المذكور جزت في المعدية ولم يمنعني أحد، فوصلت إلى مدينة مالي حضرة ملك السودان فنزلت عند مقبرتها ووصلت إلى محلة البيضان، وقصدت محمد بن الفقيه، فوجدته قد اكترى لي دارا إزاء داره، فتوجهت إليها.

---

١ وهم ابن بطوطة في قوله: إن النهر الأعظم الذي وصل إليه هو النيل، فإنما هو نهر النيجر، فهو الذي يمر بالبلدان التي ذكرها، ومنابعه في شمال سيراليون، وليبيريا، ويصب في المحيط الأطلسي، أما نهر النيل فتقع عليه دنقلة، وبلاد النوبة، ومنابعه في أوغندا، وتنغانيقا، وتصل إليه الأمصار التي تسقط صيفا على الجبال الحبشة، فيكون فيضانه.." (١)

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ٥٢٨/٢

"بلدة مولي «٥٢» ، بضم الميم وكسر اللام من بلاد الليميين «٥٣» وهي آخر عمالة مالي، ثم إلى يوفي ٥»

، واسمها بضم الياء آخر الحروف وواو وفاء مكسورة، وهي من أكبر بلاد السودان، وسلطانها من أعظم سلاطينهم، ولا يدخلها الأبيض من الناس لأنهم يقتلونه قبل الوصول إليها! ثم ينحدر «٥٥» منها إلى بلاد النوبة. وهم على دين النصرانية، ثم إلى دنقلة «٥٦» ، وهي أكبر بلادهم وضبطها بضم الدال والقاف وسكون النون بينهما وفتح اللام، وسلطانها يدعى بابن كنز الدين، أسلم على أيام الملك الناصر «٥٧» . ثم ينحدر إلى جنادل «٥٨» ، وهي آخر عمالة السودان، وأول عمالة أسوان «٥٩» من صعيد مصر.

ورأيت التمساح بهذا الموضع من النيل بالقرب من الساحل، كأنه قارب صغير، ولقد نزلت يوما إلى النيل لقضاء حاجة، فإذا بأحد السودان قد جاء ووقف فيما بيني وبين النهر." (١)

"فعجبت من سوء أدبه وقلة حيائه، وذكرت ذلك لبعض الناس فقال: إنما فعل ذلك خوفا عليك من التمساح فحال بينك وبينه! ثم سرنا من كارسخو فوصلنا إلى نهر صنصرة، بفتح الصادين المهملين والراء وسكون النون، وهو على نحو عشرة أميال من مالي «٦٠» ، وعادتهم أن يمنع الناس من دخولها إلا بالإذن، وكنت كتبت قبل ذلك لجماعة البيضان، وكبيرهم محمد بن الفقيه الجزولي، وشمس الدين بن النقويش المصري «٦١» ، ليكتروا لي دارا، فلما وصلت إلى النهر المذكور جزت في المعدية ولم يمنعني أحد، فوصلت إلى مدينة مالي، حضرة السودان «٦٢» ، فنزلت عند مقربتها، ووصلت إلى محلة البيضان، وقصدت محمد ابن الفقيه فوجدته قد اكترى لي دارا إزاء داره فتوجهت اليها، وجاء صهره الفقيه المقرئ عبد الواحد «٦٣» بشمعة وطعام، ثم جاء ابن الفقيه إلي من الغد وشمس الدين بن النقويش وعلي الزودي المراكشي، وهو من الطلبة، ولقيت القاضي بمالي ءبد الرحمن، جاءني، وهو من السودان حاج فاضل له مكارم أخلاق، بعث إلي بقرة في ضيافته، ولقيت الترجمان دوغا، بضم الدال وواو وغين معجم، وهو من أفاضل السودان وكبارهم وبعث إلي بثور وبعث إلي الفقيه عبد الواحد غرارتين من الفوني، وقرعة من الغرتي «٦٤» ، وبعث إلي ابن الفقيه الأرز والفونى، وبعث إلي شمس الدين بضيافة، وقاموا بحقي أتم قيام، شكر الله حسن أفعالهم.." (٢)

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ٢٥١/٤

(٢) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ٢٥٣/٤

"(١٣) فهرس الحيوانات

تازرت نوع من السمك، II /ص ٢١٧، ٢١٨

التمساح: **التمساح** في بلاد النيجر، VI /ص ٣٩٦، ٣٩٧." (١)

"أصنع بالحمام والثعلب؟ فأوحى الله تعالى إليه: «من ألقى بينهم العداوة؟ فقال: أنت يا رب. قال عز وجل فإني أؤلف بينهم فلا يتضررون» .

الخواص: قال عبد الملك بن زهير، صاحب الخواص المجربة: من لطخ بشحم الأسد جميع بدنه، هربت منه السباع، ولم ينله منها مكروه، وصوته يقتل **التماسيح** إذا سمعته ومرارة الذكر منه تحل المعقود عن النساء، إذا سقي منها في بيضة في مستهل الشهر، ومن علق عليه قطعة من جلده بشعرها أبرأته من الصرع، قبل البلوغ، فإن كان الصرع قد أصابه بعده، لم تنفعه. وإذا أحرق من شعره في مكان، هربت منه سائر السباع، ولحمه ينفع من الفالج وإذا وضعت قطعة من جلده، في صندوق مع ثياب، لم يصبها السوس ولا الأرضة، وسنه إذا استصحبها إنسان معه، أمن من وجع الأسنان، وشحمه إذا طلي به اليدان والرجلان، أمنت من مضرة البرد وإذا طلي به البدن لم يقر به القمل وذنبه إذا استصحبه إنسان لا تؤثر فيه حيلة محتال، وقال هرمس:

الجلوس على جلد الأسد يذهب البواسير والنقرس. قال: ومن أخذ من شحم جبهته وذوبه بدهن ورد، ومسح به وجهه، هابه الملوك وجميع الناس. وقال الطبري: الاكتحال بمرارة الأسد يحد البصر. قال: ومرارة الأسد إذا سقي منها وزن دانق لليرقان، بماء برز قطونا ونعنع نفع نفعا بينا وخصيته إذا ملحت ببورق أحمر ومصطكى، وجففت وسحقت، وخلطت بسويق وشربت، نفعت من جميع الأوجاع التي في الجوف مثل المغص والقولنج والبواسير والزحير ووجع الأرحام، وتشرب بماء حار على الريق. ودماغ الأسد يداف بزيت عتيق، ويدهن به الاختلاج والارتعاش، يذهبهما ومن دهن وجهه، وجميع بدنه بشحم الأسد، ذهب عنه الكسل والكلف وكل عيب يكون في الوجه. وزبله إذا جفف وخلط به الدلوك الذي يتدلك به، نفع من البهق الظاهر، وهو نافع لذلك جدا. وإن سقي منه أي من زبله إنسان لا يصبر عن الخمر ولا يعلم به وزن دانق، ابغضه حتى لا يشربه ولا يشتهي أن يراه ومرارته تداف بالعسل، ويجعل منها على الخنازير تزول.

وشحمه إذا دق بالثوم وطلى به إنسان جسده لم تقربه السباع والله أعلم.

التعبير: الأسد في المنام سلطان شديد البطش والبأس، ظالم غاشم مجاهر، متسلط بجرأته، لا يأمنه صديق ولا عدو، ويعبر أيضا بعدو مسلط، وربما دل على الموت، لأنه يقبض الأرواح، وربما دلت رؤيته على عافية

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ١٤٨/٥

المريض، فمن رأى أسدا من حيث لا يراه وهرب منه الرائي، فإنه ينجو مما يخاف، وينال حكما وعلما، لقوله «١» : ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين

. فإن كان قد استقبله وهرب منه، نال هما من ذي سلطان، ثم ينجو من الهلاك والمرض. ومن رأى أن أسدا صرعه ولم يقتله، فإنه يحم حمى دائمة لأن الأسد لا تفارقه الحمى كما تقدم أو يسجن، لأن الحمى سجن المؤمن، وربما دلت مصارعته على المرض.

ومن رأى أنه أخذ شيئا من شعره أو عظمه أو لحمه، نال م١لا من سلطان، أو من عدو. ومن رأى أنه ركب أسدا وهو يخافه، فإنه يقع في بلية، فإن كان لا يخافه قهر عدوا فإن ضاجعه وهو لا يخافه أمن من عدوه. ومن رأى أسدا يثب على الناس، فإن السلطان يظلم رعيته. ومن رأى أنه أكل." (١)

"حمر الرؤوس، بيض الأجساد، تكون في الرمل يشبه بها أصابع النساء. اهـ.

وبعض الناس يقول: الأساريع شحمة الأرض. والصواب أنها غيرها، كما سيأتي إن شاء الله تعالى في باب الشين المعجمة. قال في الكفاية الأساريع دود تكون في الرمل بيض طوال، يشبه بها أصابع النساء. ويقال لها بنات النقا، وذكر في أدب الكاتب نحوه وقال الأساريع دود في الرمل بيض ملس يشبه بها أصابع النساء واحدها أسروع. وذكر ابن مالك في شرحه المنتظم الموجز فيما يهمز وما لا يهمز، أن اليسروع والأسروع دود يكون في البقل ينسلخ فيصير فراشا، قال: وهذا قول ابن السكيت. وقال غيره: الأساريع واليساريع دود حمر الرؤوس، بيض الأجساد، تكون في الرمل يشبه بها أصابع النساء. اهـ. وما ذكره عن ابن السكيت ليس كذلك، فقد ذكر ابن السكيت في إصلاح المنطق أنها تكون في الرمل تنسلخ فتصير فراشة ولعله تصحف عليه الرمل بالبقل.

الحكم:

يحرم أكلها لأنها من الحشرات.

الخواص:

إذا سحق هذا الدود وضع على العصب المقطوع نفعه من ساعته منفعة عظيمة.

وقال الرازي «١» في الحاوي: إذا غسلت الأساريع، وجففت وسحقت ناعما، ونقعت في دهن السمسم، وطلي بها الذكر فإنه يغلظ.

التعبير:

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢٢/١

اليسروع في المنام يعبر برجل لص يسرق قليلا قليلا، ويتزيا بالورع، ولا يخفى حاله ونفاقه، قال أهل التعبير: وهو دود أخضر يكون في المقاثي والكروم.

الأسفع:

الصقر، والصقور كلها سفع. والسفعة بالضم سواد مشرب بحمرة وهي في الوجه سواد في خدي المرأة. وفي الصحيح «٢» : «فقامت امرأة سفعاء الخدين» . ويقال للحمامة سفعاء لما في عنقها من السفعة.

الاسقنقور:

قال ابن بختيشوع «٣» : إنه التمساح البري: لحمه حار في الدرجة الثانية. إذا ملح وشرب منه مثقال زاد في الباه، وهيج الشهوة، وسخن الكلى الباردة، ونفع من وجعها. وقال ابن زهر: هي دابة بمصر شكلها كالوزغة على عظم خلقته إذا علقت عينه على من يفزع بالليل أبرأته إذا لم يكن من خلط. وقال أرسطاطاليس، في كتاب الحيوان الكبير: إن شربه يهيج الباه، ويزيد في الإنعاظ في سائر البلاد إلا بمصر. وهو أنفس ما يهدى منها الملوك الهند، فإنهم يذبحونه بسكين من الذهب، ويحشونه من ملح مصر، ويحملونه كذلك إلى أرضهم فإذا وضعوا مثقالا من ذلك الملح على بيض أو لحم وأكل نفع في ذلك نفعا بليغا. وسيأتي إن شاء الله تعالى في التمساح." (١)

"أنه يبيض في البر فما وقع من ذلك في الماء صار تمساحا، وما بقي في البر صار اسقنقورا. وسيأتي إن شاء الله في باب السين المهملة حكمه وحكم السقنقور الهندي.

الأسود السالخ:

هو نوع من الأفعوان شديد السواد، سمي بذلك لأنه يسلخ جلده كل عام، يقال أسود سالخ، ولا يقال للأنثى سالخة. وأسودان سالخ، ولا تثنى الصفة في قول الأصمعي وأبي زيد وحكى ابن زيد تثنيتها والأول أعرف. وأساود سالخة وسوالخ قاله ابن سيده.

روى أبو داود والنسائي والحاكم وصححه عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما «١» قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل، قال: يا أرض، ربي وربك الله، أعوذ بالله من شرك، وشر ما فيك، وشر ما خلق فيك، وشر ما يدب عليك، أعوذ بالله من أسد وأسود، ومن الحية والعقرب، ومن ساكن البلد ومن والد وما ولد» . ساكن البلد الجن، وقيل الوالد وما ولد إبليس والشياطين.

وفي الصحيحين «٢» : «أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الأسودين في الصلاة الحية والعقرب» .

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٤٣/١

وأنشد ابن هشام في كتاب التيجان:

ما بال عينك لا تنام كأنما ... كحلت أماقيها بسم الأسود

حنقا على سبطين حلا يثربا ... أولى لهم بعقاب يوم أسود

وللإمام الشافعي رضي الله عنه من أبيات:

والشاعر المنطيق أسود سالخ ... والشعر منه لعابه ومجاجه «٣»

وعداوة الشعراء داء معضل ... ولقد يهون على الكريم علاجه

روى «٤» البيهقي في الشعب عن عبد الحميد بن محمود، قال: كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما، فأتاه رجل فقال: أقبلنا حجاجا حتى إذا كنا في الصفاح توفي صاحب لنا، فحفرنا له فإذا أسود سالخ قد أخذ اللحد كله قال: فحفرنا له قبرا آخر فإذا أسود سالخ قد أخذ اللحد كله قال: فحفرنا له ثالثا فإذا أسود سالخ قد أخذ اللحد كله، قال: فتركناه وأتيناك نسألك ماذا تأمرنا به؟ قال: ذاك عمله الذي كان يعمله، اذهبوا فادفنوه في بعضها فوالله لو حفرتم له الأرض كلها لوجدتم ذلك قال: فألقيناه في قبر منها. فلما قضينا سفرنا أتينا امرأته فسألناها عنه، فقالت:

كان يبيع الطعام، فيأخذ قوت أهله كل يوم، ثم يخلط فيه مثله من قصب الشعير، ثم يبيعه فعذب بذلك.." (١)

"**التمساح:**

اسم مشترك بين الحيوان المعروف والرجل الكذاب، قال القزويني: وهذا الحيوان على صورة الضب وهو من أعجب حيوان الماء، له فم واسع وستون نابا في فكه الأعلى وأربعون في فكه الأسفل، وبين كل نابين سن صغيرة مربعة ويدخل بعضها في بعض عند الانطباق. وله لسان طويل، وظهر كظهر السلحفاة لا يعمل الحديد فيه، وله أربع أرجل وذنب طويل، وهذا الحيوان لا يكون إلا في نيل مصر خاصة. وزعم قوم أنه في بحر السند أيضا، وهو شديد البطش في الماء لا يقتل إلا من إبطيه، ويعظم حتى يكون طوله عشرة أذرع في عرض ذراعين وأكثر. ويفترس الفرس. وإذا أراد ألسفاد خرج هو والأنثى إلى البر فيلقي الأنثى على ظهرها ويستبطها فإذا فرغ قلبها لأنها لا تتمكن من الإنقلاب لقصر يديها ورجليها ويبس ظهرها.

وهو إذا تركها على تلك الحال، لم تزل كذلك حتى تقلب. وتبيض في البر، فما وقع من ذلك في الماء صار **تمساحا** وما بقي صار سقنقورا.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ١/٤٤

ومن عجائب أمره أنه ليس له مخرج فإذا امتلأ جوفه بالطعام خرج إلى البر وفتح فاه، فيجيء طائر يقال له القطقاط فيلقط ذلك من فيه. وهو طائر أرقط صغير يأتي لطلب المطعم، فيكون في ذلك غذاء له وراحة للتمساح، ولهذا الطائر في رأسه شوكة، فإذا أغلق التمساح فمه عليه نخسه بها فيفتحه. وسيأتي ذكر هذا الطائر إن شاء الله تعالى. وزعم بعض الباحثين عن طبائع الحيوان، أن للتمساح ستين سنا وستين عرقا. ويسفد ستين مرة، وتبيض الأنثى ستين بيضة ويعيش ستين سنة. وقال أبو حامد الأندلسي: إن له ثمانين نابا أربعون نابا في الفك الأعلى وأربعون في الفك الأسفل وهو أبدا يحرك فكه الأعلى وفكه الأسفل. عظمه متصل بصدره وليس له دبر وله فرج ينسل منه. وهو شر من كل سبع في الماء. ومن شأنه أنه يغيب في باطن الماء أربعة أشهر، مدة الشتاء كله ولا يظهر. والكلب البحري عدوه فإذا نام فتح فاه فيطرح كلب الماء نفسه في الطين ويتجفف ثم يأتيه مفاجأة فيدخل فاه ويأكل أمعاءه ويخرج من مراق بطنه بعد أن يقتله وكذلك يفعل معه ابن عرس أيضا.

وحكمه

: تحريم الأكل للعدو بنابه كذا علله جماعة من الأصحاب. وقال الشيخ محب الدين الطبري، في شرح التنبيه: القرش حلال. ثم قال: فإن قلت أليس هو مما يتقوى بنابه؟ فهو كالتمساح. والصحيح تحريم التمساح. قلت لا نسلم أن ما يتقوى بنابه من حيوان البحر حرام. وإنما حرم التمساح كما قال الرافعي في الشرح للخبث والضرر نعم كلام التنبيه يقتضي أن تحريمه لكونه مما يتقوى بنابه ولا ينبغي تعليل تحريمه بذلك فإن في البحر حيوانا كثيرا يفترس بنابه كالقرش وغيره وهو حلال ولا ريب في أن البحري مخالف للبري. اهـ وهو الظاهر والله أعلم.

الأمثال:

قالوا «١» «أظلم من تمساح» و «كافأه مكافأة التمساح» .

الخواص:

عينه تشد على صاحب الرمد، يسكن وجعه في الحال، اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى. وإذا عجن شحمه بشمع وجعل فتيلة وأسرج في نهر لم تصح ضفادعه. وإذا." (١)

"قطر شحمه في الأذن الوجعة شفاها. وإذا أدمن تقطيره في الأذن نفع الصمم. ومرارته يكتحل بها للبياض الذي في العين فيذهب. وإذا علق شيء من أسنانه التي في الجانب الأيمن على الرجل، زاد جماعه.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ١/٢٣٧

وقال القزويني، في عجائب المخلوقات: أول سن من الجانب الأيسر يشد على صاحب القشعريرة يذهبها. وكبده يبخر به صاحب الصرع يزول صرعه. وقطعة من جلده تشد على جبهة الكبش يغلب الكباش. وزبله الذي يوجد في بطنه يزيل البياض الحادث والقديم اكتحالا، ورائحته كرائحة المسك وتقول القبط إنه المسك إلا أنه فيه سهوكة.

التعبير:

التمساح في المنام عدو مسلط وهو نظير الأسد وقيل: **التمساح** لص مكابر ذو مكر وغدر وخديعة.

التميلة:

دويبة بالحجاز على قدر الهرة والجمع تملان قاله ابن سيده.

التنوط:

في الكفاية لابن الرفعة أنه بضم التاء وكسر الواو ويجوز فتح التاء المشددة وفتح النون وضم الواو المشددة. وقال غيره: هو طائر يجوز في واوه الضم والفتح قال الأصمعي: إنما سمي بذلك لأنه يدلي خيطا من شجرة يفرخ فيها الواحدة تنوطة. ومن شأن هذا الطائر أنه إذا أقبل عليه الليل يتنقل في زوايا بيته ويدور فيها ولا يأخذه قرار إلى الصبح خوفا على نفسه وهذا الطائر هو الصفا. وسيأتي في بابه إن شاء الله تعالى.

وحكمه:

الحل لأنه من نوع العصافير.

الخواص:

قال القزويني في عجائب المخلوقات: يذبح التنوط بسكين ويسقى دمه لمن يعربد في سكره فلا يعود إلى ذلك أبدا ومرارته تطبخ بالسكر وتسقى لصبي فيحسن خلقه.

وعظمه يعلق على الصبي وقت زيادة القمر فيبقى محبوبا إلى الناس ولو كان كريه اللقاء.

التنين:

ضرب من الحيات كأكبر ما يكون منها وكنيته أبو مرداس وهو أيضا نوع من السمك. وقال القزويني في عجائب المخلوقات: إنه شر من الكوسج، في فمه أنياب مثل أسنة الرماح. وهو طويل كالنخلة السحوق، أحمر العينين مثل الدم، واسع الفم والجوف، براق العينين يبتلع كثيرا من الحيوان، يخافه حيوان البر والبحر، إذا تحرك يموج البحر لشدة قوته وأول أمره يكون حية متمردة تأكل من دواب البر ما ترى، فإذا كثر فسادها، احتملها ملك وألقاها في البحر، فتفعل بدواب البحر ما كانت تفعله بدواب البر، فيعظم بدنها فيبعث الله

إليها ملكا يحملها ويلقيها إلى يأجوج ومأجوج. روي عن بعضهم أنه رأى تنينا طوله نحو من فرسخين، ولونه مثل لون النمر مفلسا مثل فلوس السمك بجناحين عظيمين، على هيئة جناحي السمك، ورأسه كرأس الإنسان لكنه كالتل العظيم، وأذناه طويلتان وعيناه مدورتان كبيرتان جدا. روى ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه، حتى تقوم الساعة لو أن تنينا منها نفخ على الأرض ما نبتت خضرا» .
ورواه «١» الترمذي عنه مطولا. قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مصلاه، فرأى ناسا كأنهم يكشرون." (١)

"فقال: أما أنكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى، أكثروا ذكر هاذم اللذات فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحدة، أنا بيت التراب، أنا بيت الدود والهوام. فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحبا وأهلا، أما إن كنت لمن أحب من يمشي على ظهري إلي فمذ وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك قال: فيتسع له قبره مد بصره، ويفتح له باب إلى الجنة وإذا دفن العبد الكافر أو الفاجر، يقول له القبر: لا مرحبا ولا أهلا أما إن كنت لمن أبغض من يمشي على ظهري إلي فمذ وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك، فيلتئم عليه حتى يلتقي وتختلف أضلاعه. قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بأصابع يديه هكذا وشبكها. ثم يقيض له تسعون تنينا أو تسعة وتسعون تنينا لو أن واحدا منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئا ما بقيت الدنيا فتنهشه وتخدشه حتى يبعث إلى الحساب «١« » . قال: وقال «٢» رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» . وروى الأئمة أن موسى عليه الصلاة والسلام لما قال لشعيب عليه الصلاة والسلام: أيما الأجلين
«٣» الآية.
أمره لما جن الليل أن يدخل بيتا عينه له، ويأخذ منه عصا من العصي التي فيه دخل موسى البيت، وأخذ العصا التي أخرجها آدم معه من الجنة، وكانت من آس الجنة، فتوارثها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حتى صارت إلى شعيب عليه السلام، فأمره أن يلقيها في البيت ويدخل ويأخذ عصا أخرى فدخل وأخرجها، كذلك سبع مرات فعلم شعيب أن لموسى شأنا، فلما أصبح قال له سق الأغنام إلى مفرق الطريق، ثم خذ عن يمينك، وليس بها عشب كثير، ولا تأخذ عن يسارك فإنها وإن كان بها عشب كثير، ففيها تنين كبير

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢٣٨/١

يقتل المواشي فساق موسى الأغنام إلى مفرق الطريق، فأخذت نحو اليسار ولم يقدر على ردها فسرحها في الكلأ، ثم ن ا م فخرج التنين فحاربته العصا حتى قتلته فلما انتبه موسى رأى العصا مخضوبة بالدم والتنين مقتولا، فعاد إلى شعيب فأخبره الخبر فسر بذلك، وقال: كل ما ولدت هذه المواشي ذا لونين في هذه السنة فهو لك. فقدر الله تعالى أن ولدت كلها في تلك السنة ذا لونين. فعلم شعيب أن لموسى عند الله مكانة، فأقام عنده ثمانيا وعشرين سنة إلى أن تمت له أربعون سنة ثم خرج عنه بأهله.

وأما حكمه

: فعلى ما قال القزويني أكله حرام لكونه من جنس الحيات وعلى أنه سمك يؤذي بنابه فالظاهر التحريم أيضا **كالتمساح**.

الخواص:

زعموا أن أكل لحمه يورث الشجاعة ودمه إذا طلي به على الذكر وجامع امرأته حصل لها لذة عظيمة.

التعبير:

التنين في المنام ملك فإن كان له رأسان أو ثلاثة فهو أشد لشره. والمريض إذا رأى تنينا دل على موته. ومن الرؤيا المعبرة أن امرأة رأت في منامها كأنها وضعت تنينا فولدت ولدا زمنا وذلك لأن التنين يجر نفسه إذا مشى وكذلك الزمن يجر نفسه.." (١)

"التورم:

القطقاط: قال ابن بختيشوع: هو على شكل الحمامة، ويقال له طير **التمساح** قال: وفي جناحه شوكتان هما سلاحه إذا أطبق عليه **التمساح** فمه تخسه، فيفتح فاه فيخرج كما تقدم قال: ومن خواصه إذا أخذتا يعني الشوكتين أو إحداهما وصيرتا في موضع قد بال فيه إنسان مرض ذلك الإنسان، ولم يزل مريضا حتى تنزع الشوكة من ذلك المكان الذي بال فيه، وإذا علق قلبه على من به وجع المعدة أبرأه الله تعالى.

التولب:

الجحش قالوا «١» «أطوع من تولب» . قال سيبويه: هو مصروف لأنه فوعل.

ويقال للأتان أم تولب وسيأتي حكمه في باب الحاء المهملة إن شاء الله تعالى.

التيس:

الذكر من المعز والوعول والجمع تيوس وأتياس قال الهذلي:

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ١/٢٣٩

من فوقه أنسر سود وأغربة ... وتحته أعنز كلف وأتياس
والتياس الذي يمسكه، ويقال: في فلان تيسية وناس يقولون تيوسية. قال الجوهري: ولا أعرف صحتها. ويقال للذكر من الضباء أيضا تيس ويقال نب التيس ينب نبيبا إذا صاح وهاج وقد مثل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فيما روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال «٢» : «أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل قصير أشعث، ذي عضلات عليه إزار قد زنى فرده مرتين ثم أمر به فرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما نفرنا غازين في سبيل الله تخلف أحدكم ينب نبيب التيس يمنح إحداهن الكثبة إن الله لا يمكنني من أحد منهم إلا جعلته نكالا أو نكلته» . وفي كامل ابن عدي في ترجمة إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه بقطيع من غنم يقسمها بين أصحابه فبقي منها تيس فضحى به. وفيه في ترجمة أبي صالح كاتب الليث بن سعد واسمه عبد الله بن صالح عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أخبركم بالتيس المستعار هو المحلل» . ثم قال: «لعن الله المحلل والمحلل له» . «٣» والحديث المذكور رواه الدارقطني وابن ماجه عن كاتب الليث بن سعد عن مشرح بن هاعان المصري عن عقبة بن عامر بإسناد حسن. وكذلك رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. قيل: إنما لعنه النبي صلى الله عليه وسلم مع حصول التحليل لأن التماس ذلك هتك للمروءة والملتمس ذلك هو المحلل له، وإعارة التيس للوطء. لغرض الغير أيضا رذيلة. ولذلك شبهه بالتيس المستعار وإنما يكون كالتيس المستعار إذا سبق التماس من المطلق، والعرب تعير بإعارة التيس قال الشاعر:
وشر منيحة تيس معار.
وفي آخر شفاء الصدور لابن سبع السبتي عن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى." (١)
"قرب منها الذباب ونحوه اختطفته بلسانها، وقد تقدم عن القزويني نظير ذلك.
الحكم:
قال في الروضة إنها نوع من الوزغ غير مأكولة لكن مقتضى ما قاله الجاحظ والجوهري من أنها ذكر أم حبين، أنها تؤكل، لأن أم حبين مأكولة كما سيأتي إن شاء الله تعالى.
لكن قالوا: إن الحرباء من ذوات السموم، فيكون هذا علة تحريمها إلا إنها نوع من الوزغ.
الأمثال:

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ١/ ٢٤٠

قالوا: «فلان يتلون تلون الحرباء» ، يضرب لمن لا يثبت على حالة، وقالوا:
«أجود من عين الحرباء» «وأحزم من الحرباء» لما «١» تقدم. والحزم الاحتراس والنظر في الأمر قبل الإقدام عليه.

الخواص:

دمها إذا نتف الشعر النابت في أجفان العين وجعل في أصوله لم ينبت أبدا ومرارتها إذا اكتحل بها أزالت غشاوة البصر. وشحمها إذا جعل على حديدة وأحرق بالنار وخلط بالدم، مع شيء يسير من الماء وجدد عليه الدم والشحم، وطلي به قروح الرأس والأبثار، فإنه يبرئها من أول طلية.

ال تعبير:

الحرباء في المنام وزير ملك أو خليفته، لا يكاد يفارقه لأنها تدور أبدا مع الشمس، ولا تفارقها كما تقدم. وربما دلت على الخدمة للسلطان، أو الفتنة في الدين أو المرأة المجوسية وربما دلت على الحرب والندب وعلى الميت والله أعلم.

الحرذون:

بكسر الحاء وبالذال المعجمة دويبة شبيهة بالضب، وقيل: هو ذكر الضب لأن له ذكرين مثله وهو من ذوات السموم يوجد في العمران المهجورة كثيرا له كف ككف الإنسان مقسومة الأصابع إلى الأنامل، وجلده لا برص فيه، بخلاف سام أبرص، والحق أنه غير الورل خلافا لعبد اللطيف البغدادي.

وحكمه

: تحريم الأكل لأنه من ذوات السموم.

الخواص:

قال أرسطو: من اطلى بشحم الحرذون، وألقى نفسه على **التمساح** لم يضره **التمساح**، وإذا شم رائحته خدر وانقلب على ظهره. وإن أحرق جلده واطلى به إنسان لم يحس بألم الضرب والقطع، ولو فرق بين رأسه وجسده، والعيارون يفعلون ذلك، فيظهر منهم ال ثبات على الضرب وغيره، والحرذون يقتل العقرب وإذا علق شحمه على صاحب حمى الربع في خرقة سوداء أبرأه وأزالها، وقال مهراريس: إنما يعلق قلبه على الوصف الذي تقدم.

ورؤيته في المنام:

تدل على الطمع والشره في الكسب واختلاف المزاج والذهول والنسيان والله تعالى أعلم.

الحرشاف أو الحرشوف:

الجراد المهزول الكثير الأكل الواحدة حرشافة. وفي حديث خولة بنت ثعلبة زوج أوس بن الصامت رضي الله عنهما، لما قال لها: أنت كظهر أمي، وجاءت تستفتي له رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشتكي إلى الله، فأنزل الله عز وعلا فيها:." (١)

"صائده، وإذا لبث في العمق حينا حبس نفسه، وصعد بعد ذلك مسرعا مثل السهم لطلب النفس، فإن كانت بين يديه سفينة وثب وثبة ارتفع بها عن السفينة، ولا يرى منها ذكر إلا مع أنثى.

الحكم:

يحل أكله لعموم حل السمك إلا ما استثني منه، وليس هذا من المستثنيات كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

الخواص:

إذا غلي شحمه في حنظلة فارغة وقطر في الأذن نفع من الصمم، ولحمه بارد بطيء الهضم. وإذا علقت أسنانه على الصبيان يفزعوا. وأكل شحمه ينفع من أوجاع المفاصل.

وشحم كلاه إذا أذيب بالنار، ودهن به مع دهن الزنبق وجه امرأة أحبها زوجها وطلب مرضاتها. وكفاه يعلقان على من يفزع فيذهب فزعه. وإذا وضع نابه الأيمن في دهن ورد سبعة أيام ومسح به وجه إنسان كان محبوبا عند عامة الناس ونابه الأيسر بالضد من ذلك.

التعبير:

الدلفين تدل رؤيته على ما دلت عليه رؤية **التمساح**، وربما دلت رؤيته على المكايد، والاختفاء بالأعمال، وعلى التلصص واستراق السمع، وربما دلت رؤيته على كثرة الدعاء والمطر، قاله ابن الدقاق. وقال المقدسي: من رآه في المنام، وكان خائفا، أمن ونجا لأنه ينجي الغرقى. وكل حيوان يرى مما يخشى منه في اليقظة **كالتمساح** ونحوه، إذا كان خارج الماء فهو عدو عاجز لا يقدر على مضرة من رآه في المنام، لأن قوته وبطشه في الماء فإذا خرج منه زالت قوته والله اعلم.

الدلق:

بالتحريك فارسي معرب، وهو دويبة تقرب من السمور. قال عبد اللطيف البغدادي: إنه يفترس في بعض الأحايين ويكرع الدم. وذكر ابن فارس، في المجمل، إنه النمس، وفيه نظر. قال الرافعي: والدلق يسمى ابن مقرس وقال القزويني: إنه حيوان وحشي عدو الحمام إذا دخل البرج لا يترك فيه واحدا أو تنقطع الثعابين

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ١/ ٣٣٠

عند صوته، وسيأتي إن شاء الله تعالى الكلام في باب الميم على ابن مقرص وما وقع فيه للرافعي والنووي. وفي رحلة ابن الصلاح، عن كتاب لوامع الدلائل، في زوايا المسائل للكيا الهراسي أنه قال: يجوز أكل الفنك والسنجاب والدلق والقاقم، والحوصل والزرافة كالثعلب. ثم إن ابن الصلاح كتب بخطه: الدلق النمس. فاستفدنا من هذا حل النمس والزرافة. وسيأتي إن شاء الله تعالى بيانهما في بابيهما.

الخواص:

عينه اليمنى تعلق على من به حمى الربع تزول عنه بالتدريج، وإذا علق اليسرى عليه عادت. وشحمه إذا بخر به برج الحمام هربت كلها. وهو يزيل الكلال الحاصل للإنسان من أكل الحامض. ودمه يقطر في أنف المصروع منه نصف دانق ينفعه، وجلده يجلس عليه صاحب القولنج والبواسير ينفعه.

الدلم:

نوع من القراد، قالت العرب في أمثالها: «فلان أشد من الدلم» «١» .." (١)

"لحيته لكبرها، أو كانت العقرب صغيرة جدا، فإختبأت بين الشعر، وأما كونها مقدرة بثلاثة أيام، فهذا التقدير كيف يصح؟ لأنه لو علم بها في أول وجودها في لحيته ما تركها! فمن أين تعلم هذه المدة؟ انتهى. والذي عندي في ذلك أنه يحتمل أن يكون في منتزه، أو كان في مكان فيه العقارب كثيرة، وكانت مدة إقامته في ذلك المكان ثلاثة أيام، فلما أصابها بعد ذلك، علم أن مبدأ وجودها كان من ذلك الوقت، وهذا أولى من تكذيب من رواه من الأئمة الأعلام. فقد روى الحاكم أبو عبد الله في كتاب علوم الحديث، له عن يحيى بن معين أنه قال: كان يزيد يسرح لحيته فخرج منها عقرب، فلقب بالرشك انتهى. والمشهور أن الرشك هو القسام بلغة أهل البصرة، سمي بذلك لأنه كان يقسم الأرض والدور وغير ذلك. مات بالبصرة سنة ثلاثين ومائة وروى له الجماعة. قال الترمذي أبو عيسى في باب ما جاء في صوم ثلاثة من كل شهر. حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا أبو داود حدثنا شعبة عن يزيد الرشك، قال: سمعت معاذا يقول: قلت لعائشة رضي الله تعالى عنها أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من كل شهر؟ قالت: نعم. قلت: من أيها كان يصوم؟ قالت: كان لا يبالي من أيها صام. قال الترمذي: حديث حسن صحيح. ويزيد الرشك هو يزيد بن أبي يزيد الضبعي، وهو يزيد القاسم، وهو القسام. والرشك هو القسام بلغة أهل البصرة كما تقدم.

الرفراف:

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٤٧١/١

طائر يقال له ملاعب ظله، ويقال له خاطف ظله، وسيأتي الكلام عليه في باب الميم والظليم أيضا يقال له رفراف، لرفرفته عند عدوه والرفرف ضرب من السمك قاله ابن سيده.

الرق:

بكسر الراء بالقاف ضرب من دواب الماء يشبه **التمساح**، والرق أيضا العظيم من السلاحف وجمعه رقوق. وفي غريب الحديث كان فقهاء المدينة يشترون الرق ويأكلونه. رواه الجوهري بفتح الراء والأكثرون بكسرها.

الركاب:

بكسر الراء الإبل، واحدتها راحلة وجمعه ا ركائب. وفي حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث بعثا، عليهم قيس بن سعد بن عبادة، فجهد وانتحر لهم قيس تسع ركائب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت» . ويجمع أيضا على ركب ومنه قيل: زيت ركابي، لأنه يحمل على ظهور الإبل. والركوبة ما يركب، يقال: ما له ركوبه ولا حلوبة ولا حمولة، أي ما يركبه ويحلبه. ويحمل عليه. وقرأت عائشة رضي الله تعالى عنها فمنها ركوبتهم. وجمع الركوبة ركائب انتهى. وقال السهيلي، قبيل الكلام على ما أنزل الله تعالى، في غزوة بدر: والركوبة ركائب. انتهى. ولو أراد الجمع بغير هاء لقال: ركب كعجز. كما جاء في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن الجنة لا يدخلها العجز» . قالها ممازحا لعمته صفية رضي الله عنها، وقيل: بل قالها لامرأة من الأنصار. ذكر ذلك هناد بن السري في كتاب الرقائق له.

الركن:

الفأر ويسمى ركينا على لفظ التصغير قاله ابن سيده.

الرمكة:

بالتحريك الأنثى من البراذين والجمع رماك ورمكات وأرماك أيضا عن الفراء،." (١)

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ١/٥١٣

باب التاء المثناة

"لا يأوي إلا البراري، والسقنقور لا يأوي إلا بالقرب من الماء أو فيه، ومنها أن جلد السقنقور ألين وأنعم من جلد الورل، ومنها أن ظهر الورل أصفر وأغبر، وظهر السقنقور مدبج بصفرة وسواد.

والمختار من هذا الحيوان الذكر فإنه أفضل وأبلغ في النفع المنسوب إليه من أمر الباه قياسا وتجربة، بل كاد أن يكون هو المخصوص بذلك والمختار من أعضائه ما يلي ذنبه من ظهره، فهو أبلغ نفعا وهذا الحيوان نحو ذراعين طولا ونصف ذراع عرضا قال في المفردات: لا يعرف اليوم في عصرنا السقنقور في الديار المصرية إلا ببلاد الفيوم، ومنها يجلب إلى القاهرة لمن عني بطلبه، وإنما يصاد في أيام الشتاء لأنه إذا اشتد عليه البرد يخرج إلى البر فحينئذ يصاد.

الحكم

: يحل أكله لأنه سمك ويحتمل أن يأتي فيه وجه بالحرمة، لأن له شبهين في البر أحدهما حرام وهو الورل، والآخر يؤكل وهو الضب تغليبا للتحريم. وأما الذي تقدم في باب الهمزة فهو حرام لأنه متولد من التمساح كما تقدم فهو حرام كأصله.

الخواص

: لحم السقنقور الهندي مادام طريا فهو حار رطب في الدرجة الثانية، وأما مملوحه المجفف فإنه أشد

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٥١٦/١

حرارة وأقل رطوبة لاسيما إذا مضت عليه بعد تعليقه مدة طويلة ولذلك صار لا يوافق استعماله أصحاب الأمزجة الحارة اليابسة، بل أرباب الأمزجة الباردة الرطبة ولحمه إذا أكل منه اثنان بينهما عداوة، زالت وصارا متحابين. وخاصية لحمه وشحمه إنهاض شهوة الجماع وتقوية الانعاظ والنفع من الأمراض الباردة التي بالعصب وإذا استعمل بمفرده كان أقوى فعلا من أن يخلط بغيره من الأدوية، والشربة منه من مثقال إلى ثلاثة مثاقيل بحسب مزاج المستعمل له وسنه ووقته وبلده. وقال ارسطو: لحم السقنقور الهندي، إذا طبخ باسفيذاج، نفخ اللحم وأسمن، ولحمه يذهب وجع الصلب ووجع الكليتينن ويدر المني، وخرزته الوسطى إذا علقت على صلب انسان، هيجت الإحليل وزادت ال جماع.

التعبير

: هو في الرؤيا يدل على الإمام العالم الذي يهتدى به في الظلمات فإن جلده يوقد ولحمه ينعش القوة ويثير حرارتها والله أعلم.

السلحفاة البرية:

بفتح اللام، واحدة السلاحف. قاله أبو عبيدة وحكى الرواسي:

سلحفية مثل بلهنية، وهي بالهاء عند الكافة وعند ابن عبدوس: السلحفا، بغير هاء. وذكرها يقال له غيلم، وهذا الحيوان يبيض في البر فما نزل منه في البحر كان لجأة، وما استمر في البركان سلحفاة، ويعظم الصنفان جدا إلى أن يصير كل واحد منهما حمل جمل. وإذا أراد الذكر السفاد، والأنثى لا تطيعه، يأتي الذكر بحشيشة في فيه، من خاصيتها أن صاحبها يكون مقبولا، فعند ذلك تطاوعه وهذه الحشيشة لا يعرفها إلا القليل من الناس. وهي إذا باضت صرفت همتها إلى بيضها بالنظر إليه ولا تزال كذلك حتى يخلق الله تعالى الولد منها، إذ ليس لها أن تحضنه حتى يكمل بحرارتها، لأن أسفلها صلب لا حرارة فيه وربما تقبض السلحفاة على ذنب الحية فتقطع رأسها وتمضغ من ذنبها والحية تضرب بنفسها على ظهر السلحفاة وعلى الأرض حتى تموت. ولها حيلة عجيبة في التوصل إلى صيدها، وذلك أنها تصعد من الماء فتتمرغ في التراب، وتأتي موضعا قد سقط الطير عليه لشرب الماء فتختفي عليه لكدورة لونها، التي اكتسبتها من الماء والتراب، فتصيد منها ما يكون لها قوتا وتدخل به الماء ليموت فتأكله. ولذكرها ذكران وللأنثى فرجان، والذكر يطيل." (١)

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢/٣٣

"ومن السمك نوع يطير على وجه البحر مسافة طويلة ثم ينزل انتهى.

قال ابن التلميذ «١» في تشبيه السمك:

لبسن الجواشن خوف الردى ... عليهن من فوقهن الخوذ

فلما أتيح لها أهلكت ... ببرد النسيم الذي يستلذ

وهو بجملته شره كثير الأكل لبرد مزاج معدته وقربها من فمه وإنه ليس له عنق ولا صوت ولا يدخل إلى جوفه هواء البتة، ولذلك يقول بعضهم: إن السمك لا رئة له، كما أن الفرس لا طحال له، والجمل لا مرارة له، والنعامة لا مخ لها وصغار السمك تحترس من كباره، ولذلك تطلب ماء الشطوط والماء القليل الذي لا يحمل الكبير، وهو شديد الحركة لأن قوته المحركة للإرادة، تجري في مسلك واحد لا ينقسم في عضو خاص، وهذا بعينه موجود في الحيات. ومن السمك ما يتولد بسفاد، ومنه ما يتولد بغيره إما من الطين أو من الرمل، وهو الغالب في أنواعه، والغالب يتولد من العفونات. وبيض السمك ليس له بياض ولا صفرة، وإنما هو لون واحد قال الجاحظ: ومن السمك القواطع والأوابد كما في الطير، فرب سمكة تأتي في بعض فصول السنة وتنقطع في بعضها. ومن جملة أنواعه السقنقور، والدلفين، والخرشفلا، والتمساح. وقد تقدم ذكرها في أبوابها ومنها: القرش والعنبر، وسيأتيان في بابيهما، إن شاء الله تعالى ومن أصنافه ما هو على شكل الحيات، وغير ذلك، ومن أنواعه السمكة الرعادة هي صغيرة إذا وقعت في الشبكة والصياد ممسك حبلها، ارتعدت يد الصياد والصيادون يعرفون ذلك فإذا أحسوا بها شدوا حبل الشبكة في وتد أو شجرة حتى تموت السمكة، فإذا ماتت بطلت خاصيتها. وما أحسن قول الشيخ شرف الدين محمد بن حماد بن عبد الله البوصيري «٢» صاحب البردة في الشيخ زين الدين محمد بن الرعاد:

لقد عاب شعري في البرية شاعر ... ومن عاب أشعاري فلا بد أن يهجى «٣»

فشعري بحر لا يرى فيه ضفدع ... ولا يقطع الرعاد يوما له لجا

وأطباء الهند يستعملونها في الأمراض الشديدة الحر، وأما في غير بلاد الهند فلا يمكن استعمالها.

قال ابن سيده: الرعادة إذا قربت من رأس المصروع، وهي حية، نفعته. وإذا علقت المرأة شيئا منها عليها لم يقدر الرجل على فراقها. وفي البحر من العجائب ما لا يستطاع حصره، ويكفي في ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حدثوا عن البحر ولا حرج» أي حدثوا عنه حيث لا حرج عليكم في ذلك.

ومن أنواعه: الشيخ اليهودي وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الشين المعجمة.

عجيبة:

حكى القزويني، في عجائب المخلوقات عن عبد الرحمن بن هارون المغربي، قال:." (١)

"حمار البحر وإن كان له شبه في البر حلال، وهو الحمار الوحشي لأن له شبها في البر حرام وهو الحمار الأهلي تغليبا للتحريم، كذا قاله في الروضة وشرح المهذب. قلت: المهذب المفتى به حل الجميع إلا السرطان والضفدع **والتمساح** سواء كانت على صورة كلب أو خنزير أو انسان أم لا.

فرع

: لو حلف إنسان لا يأكل لحما لم يحنث بأكل لحم السمك لأنه لا يفهم إطلاق اسم اللحم عليه عرفا، وإن سماه الله تعالى لحما طريا. كما لا يحنث بالجلوس في الشمس إذا حلف أنه لا يجلس في ضوء السراج وإن سماها الله تعالى سراجا، وكما لا يحنث بالجلوس على الأرض إذا حلف أنه لا يجلس على بساط وإن سماها الله تعالى بساطا.

فرع

: قد اختلف في إطلاق اسم السمك على ما سوى الحوت من هذه الحيوانات، والذي نص عليه الشافعي في الأم والمختصر، أنه يطلق على الجميع وهو الصحيح في الروضة. وقال في اختلاف العراقيين في قوله تعالى: أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم

«١» الآية قال أهل التفسير: طعامه كل ما فيه وهو يشبه ما قال والله أعلم. هذه عبارته، وهي صريحة في حل الجميع وذكر في المنهاج أن السمك لا يقع إلا على الحوت.

فرع

: يجوز السلم فيه وفي الجراد حيا وميتا عند عموم الوجود ويوصف كل جنس بما يليق به. ولا يجوز بيع السمك في الماء، لما روى الإمام أحمد عن محمد بن السماك عن يزيد بن أبي زياد، عن المسيب بن رافع، عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تشتروا السمك في الماء فإنه غرر» «٢» . قال البيهقي: هكذا روي موقوفا وفيه إرسال بين المسيب وابن مسعود. والصحيح ما رواه هشيم عن يزيد موقوفا، عن عبد الله أنه كره بيع السمك في الماء.

فرع

: ما يعيش في البر والبحر: الضفدع **والتمساح** والحية واللجأة والسرطان والسلحفاة والحلزون والدعاميص

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢/٤٠

والأصداف والنسناس. أما الستة الأولى فمحرمة . وأما الحلزون فتقدم حكمه في باب الحاء المهملة. وأما الدعاميص فعلى قول القاضي: أنها ماء منعقد، ولا يعيش إلا في الماء يحل أكلها، وعلى قول الجاحظ: يحرم لأن البعوض حرام. وقد تقدم بيان حكمها في باب الدال المهملة. والصدف حرام كما تقدم في السرطان. وفي النسناس خلاف يأتي إن شاء الله تعالى في باب النون.

الخواص

: لحمه بارد رطب أجوده البحري المرقش الظهر الصغير المفلس منفعته تخصيب الأبدان المعرقة، لكنه يعطش ويولد خلطا بلغميا يوافق أصحاب الأمزجة الحارة والشباب وأجود ما أكل في الصيف وفي البلاد الحارة. وأنواع السمك كثيرة، ويكره من جملتها الأسود والأصفر والآجامي وما اغتذى بالحمأة. ويكره الابراميس والبوري لمضرتهما بالمعدة، وإطلاقهما البطن، وتحريكهما الأوجاع والغضب بعد أكلهما يورث أمراضا رديئة، وسمك الأنهار كثير الشوك، رقيقه كثير الرطوبة والبحري بالضد. والسلور وهو الجري كثير الغذاء ملين للبطن وينقي قصبة الرئة." (١)

"وقرن الكبش إذا دفن تحت شجرة يكثر حملها، وإذا اكتحل بمرارة الكبش مع العسل، يمنع من نزول الماء، وعظمه يحرق بخشب الطرفاء ويخلط رماده بدهن الشمع المتخذ من دهن الورد، ويطلى به موضع الهشم يصلحه. وإذا تحملت المرأة بصوف النعجة، قطعت الحبل. وإذا غطي الإناء بصوف الضأن الأبيض، وفيه عسل، لم يقربه النمل.

الضؤضؤ:

الطائر الذي يسمى الأخيل، قاله ابن سيده وتوقف فيه ابن دريد.

الضب:

بفتح الضاد، حيوان بري معروف يشبه الورل، قال أهل اللغة: وهو من الأسماء المشتركة فيطلق على ورم في خف البعير وعلى ضبة الحديد، والضب اسم للجبل الذي بمسجد الخيف في أصله. وضبة الكوفة وضبة البصرة قبيلتان من العرب. والضب أن يجمع الحالب خلفي الناقة في كفيه جميعا أنشد ابن دريد:

جمعت له كفي بالرمح طاعنا ... كما جمع الخلفين في الضب حالب

وكنيته أبو حسل والجمع ضباب وأضب مثل كف وأكف والأنثى ضبة قالت العرب: «لا أفعله حتى يرد الضب» ، لأن الضب لا يرد الماء. قال ابن خالويه، في أوائل كتاب ليس: الضب لا يشرب الماء ويعيش

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٤٣/٢

سبعمائة سنة فصاعدا، ويقال إنه يبول في كل أربعين يوما قطرة، ولا تسقط له سن ويقال إن أسنانه قطعة واحدة ليست مفرقة. ومن كلامهم الذي وضعوه على ألسنة البهائم:

ثم قالت السمكة: رد يا ضب فقال «١» :

أصبح قلبي صردا ... لا يشتهي أن يردا

إلا عرادا عردا ... وصليا نا بردا «٢»

وعنكشا ملتبدا

ولما كان بين الحوت والضب هذا التضاد أشار إليه حاتم الأصم رحمه الله بقوله:

وكيف أخاف الفقر والله رازقي ... ورازق هذا الخلق في العسر واليسر

تكفل بالأرزاق للخلق كلهم ... وللضب في البيدا وللحوت في البحر

وضبب البلد وأضب كثرت ضبابه. وأرض ضبية أي كثيرة الضباب. قال عبد اللطيف البغدادي:

الورل والضب والحرباء وشحمة الأرض والوزغ، كلها متناسبة في الخلق. وللضب ذكران وللأنثى فرجان، كالورل والحرذون. وقال عبد القاهر: الضب دويبة على حد فرخ **التمساح** الصغير وذنبه كذنبه وهو يتلون ألوانا بحر الشمس كما تتلون الحرباء انتهى.

أسند ابن أبي الدنيا، في كتاب العقوبات، عن أنس قال: إن الضب ليموت في جحره هزالا من ظلم بني آدم، ولما سئل أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه، عن ذكر الضب، قال: إنه كلسان الحية أصل واحد له فرعان، وإذا أرادت الضبة أن يخرج بيضها، حفرت في الأرض حفرة، ورمت فيها البيض وطمتها بالتراب، وتتعاهدها كل يوم، حتى يخرج، وذلك في أربعين." (١)

"العيس:

بكسر العين الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة، واحدها أعيس والأنثى عيساء، ويقال هي كرام الإبل وما أحسن قول الأول:

ومن العجائب والعجائب جمة ... قرب الحبيب وما إليه وصول

كالعيس في البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

وفي حديث سواد بن قارب «وشدت العيس بأحلاسها» .

العيساء:

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢/١٠٧

بفتح العين الأنثى من الجراد، وقد تقدم ما في الجراد في باب الجيم.

العيلام:

والعيلان بفتح العين فيهما الذكر من الضباع وفي الحديث، أن الخليل عليه الصلاة والسلام يريد أن يحمل أباه آزر ليجوز به الصراط فينظر إليه فإذا هو عيلام أمدر، والعيلام ذكر الضباع، والياء والألف زائدتان قاله في نهاية الغريب.

العيثوم:

الضبع عن أبي عبيدة، وقد تقدم قبل ذلك بورقة، وقال الغنوي: والعيثوم الأنثى من الفيلة وأنشد «١» الأخطل:

تركوا أسامة في اللقاء كأنما ... وطئت عليه بخفها العيثوم

العين:

من الألفاظ المشتركة، قال بعض أهل اللغة ممن تكلم على الألفاظ المشتركة: إن العين طائر أصفر البطن والظهر في حد القمري.

العيهل:

الناقة السريعة، قال أبو حاتم: ولا يقال جمل عيهل.

عيجلوف:

كحيزبون اسم النملة المذكورة في القرآن، وسيأتي إن شاء الله تعالى اختلاف العلماء في اسمها في باب النون في لفظ النمل.

ابن عرس:

وكنيته أبو الحكم وأبو الوثاب وهي دابة تسمى بالفارسية راسو، وهي بكسر العين وإسكان الراء المهملتين، تجمع على بنات عرس وبني عرس، حكاه الأخفش. قال القزويني: هو حيوان دقيق يعادي الفأر، يدخل جحره ويخرجه، ويعادي التمساح فإن التمساح لا يزال مفتوح الفم، وابن عرس يدخل فيه وينزل جوفه ويأكل أحشاءه ويمزقها، ويخرج ويعادي الحية أيضا، ويقتلها. وإذا مرض يأكل بيض الدجاج فيزول مرضه. وحكي أن ابن عرس تبع فأرة فصعدت شجرة، فلم يزل يتبعها حتى انتهت إلى رأس الغصن، ولم يبق لها مهرب، فنزلت على ورقة وعضت طرفها، وعلقت نفسها بها، فعند ذلك صاح ابن عرس، فجاءته زوجته فلما انتهت إلى تحت الشجرة، قطع ابن عرس الورقة التي عضتها الفأرة فسقطت فاصطادها ابن عرس التي

كانت تحت الشجرة.

وقال عبد اللطيف البغدادي: وأظنه الحيوان المسمى بالدلق، وإنما يختلف لونه ووبره." [1]

"ومن أبى أو شك في هذا كفر ... وذنبه بما جناه ما اغتفر

نقل ذا الحافظ قطب الدين ... عن صاحب البيان والتبيين

الحكم

: أفتى شيخنا الشيخ جمال الدين الأسنوي «١» رحمه الله تعالى بحل أكل القرش، وبه صرح الشيخ محب الدين الطبري شارح التنبيه، في الكلام على **التمساح**، ثم استشكل به تحريم **التمساح**، وهذا يدل على أنه لا خلاف فيه.

وفي نهاية ابن الأثير التصريح بحله، لكن قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إنه يأكل ولا يؤكل، ولعل مراده أنه يأكل الحيوانات البحرية، ولا يستطيع أحد منها أن يأكله. والقرش يوجد ببحر القلزم الذي غرق فيه فرعون، وهو عند عقبة الحاج، كما تقدم في باب السين المهملة، في الكلام على السقنقور، وإطلاق الجمهور ونص الإمام الشافعي والقرآن العزيز يدل على جواز أكل القرش، لأنه من السمك، ومما لا يعيش إلا في الماء. وقد ذكر النووي، في شرح المهذب، أن الصحيح أن كل ما في البحر حلال، ويحمل ما استثناه الأصحاب على ما يعيش في غير الماء.

التعبير

: رؤيته في المنام تدل على علو الهمة والشرف في النسب، فإنه يعلو ولا يعلى عليه والله تعالى أعلم.

القرقس:

بكسر القافين، البعوض، قال الأصحاب: يستحب قتل المؤذيات للمحرم وغيره، كالحية والعقرب والخنزير والكلب العقور والغراب والحدأة والذئب والأسد والنمر والدب والنسر والعقاب والبرغوث والبق والزنبور والقراد والحلمة والقرقس وما أشبهها.

القرشام والقرشوم والقراشم:

القراد الضخم.

القرعبلانة:

دويبة عريضة محبنطئة الظهر والبطن، وأصله قرعبل فزيدت فيه ثلاث أحرف، لأن الاسم لا يكون على أكثر

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢/٢٣٢

من خمسة أحرف وتصغيره قريعبة قاله الجوهري.

القرعوش:

القراد الغليظ.

القرقف:

كهدهد طير صغير.

القرقفنة:

بالنون المشددة، كذا ضبطه في العباب، روى الدينوري في المجالسة، وابن الأثير، من حديث وهب، «إذا كان الرجل لا ينكر عمل السوء على أهله، طار طائر يقال له القرقفنة، فيقع على مشريق بابه، فيمكث هناك أربعين يوما، فإن أنكر طار وذهب، وإن لم ينكر مسح بجناحيه على عينيه فصار قندعا ديوثا، فلو رأى الرجال مع امرأته، لم ير ذلك قبيحا.

فذلك القندع الديوث الذي لا ينظر الله تعالى إليه» .

قال ابراهيم الحربي: مشريق الباب مدخل الشمس، والقندع الديوث الذليل الذي لا يغار." (١)

"محبوب، فإن كان أبيض فهو مؤمن، وإن كان أسود فهو يسود قومه، وقيل: جرو الكلب لقيط سفيه، والكلب الكلب سفيه أيضا. ورؤية كلب الراعي تدل على فائدة من ملك أو وال، والكلب الذي يصاد به ملك وولاية، لمن رآه إذا كان أهلا لذلك، أو يصير إليه شيء يستغني به لقوله «١» تعالى: وما علمتم من الجوارح مكلبين

والكلب الصيني يدل على مخالطة قوم من الأعجام غير مسلمين.

ومن رأى أنه يصيد بالكلاب، فإنه يعطى بغيته وينال مناه، وقال ارسطاميدورس: من رأى كلاب الصيد خارجة فهي دليل خير لطالب الرزق والخدمة، وإذا رآها داخلة من الصيد، فإنها تدل على البطالة. والكلب الحارس في المنام يدل على صيانة الزوجة والمال. وقيل: الكلاب في المنام تدل على قوم أذلة. ومن رأى أنه صار كلبا، فإن الله تعالى قد آتاه علما فنسيه، لقوله تعالى: واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها

«٢» إلى قوله تعالى: فمثله كمثل الكلب

«٣» الآية.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٣٣٧/٢

وقيل: الكلاب تعبر بغلمان الشرطة، والكلب عدو ضعيف لتحوله عن جوهر السباع، ثم يصير صديقا بعد العداوة، لقصة آدم عليه السلام، لما أهبط إلى الأرض وقد تقدم طرف منها، فجعل في التأويل عدوا ثم يرجع صديقا.

ومن الرؤيا المعبرة أن سيدنا أبابكر الصديق رضي الله تعالى عنه، رأى كأن كلبة من مكة تهر على الناس، فلما دنوا منها، استلقت على ظهرها ودرت ثدياها لبنا، فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ذهب كلبهم، وأقبل درهم، وستلقونهم بعد ويسألونكم أرحامهم فإذا لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه» . فلما قدم المسلمون لفتح مكة، قاتل بعضهم وكان ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم. ومن الرؤيا المعبرة أيضا أن رجلا أتى ابن سيرين، فقال: رأيت كلبين يقتتلان على فرج زوجتي، فقال: إنها أخذت المقراض، وجزت شعر فرجها والله تعالى أعلم.

خاتمة

: ومن الفوائد المجربة أن يكتب في إناء حديد، ويمسح بزيت، ويسقى للمكلوب، فإنه يشفى بإذن الله تعالى وهي هذه الأحرف: (اب ج م اع هـ د باب اللد) ، ويكتب أيضا للحامل في إناء جديد، ويغسل بماء ويسقى فإنه نافع إن شاء الله تعالى والله أعلم.

كلب الماء:

تقدم في القاف أنه القندس. وقال في عجائب المخلوقات: كلب الماء معروف، وهو حيوان مشهور يداه أطول من رجليه يلطخ بدنه بالطين، فيحسبه **التمساح** طينا، ثم يدخل جوفه فيقطع أمعاءه ويأكلها، ثم يمزق بطنه ويخرج. قال: ومن خواصه أن من كان معه شحم كلب الماء، أمن من غائلة **التمساح**. وذكر بعضهم أن جلد الجندبادستر خصية هذا الحيوان. وقد تقدمت صفة ذلك في باب الجيم.

الحكم

: سئل الليث بن سعد عن أكل لحم كلب الماء؟ فقال: لا بأس به، وقد تقدم في عموم السمك، أنها تحل إلا أربعة ليس هذا منها. وقيل: لا يؤكل لأن شبهه في البر لا يؤكل.." (١)

"بلال الأشعري وهو ضعيف.

الكوسج:

سمكة في البحر لها خرطوم كالمنشار، تفترس، وربما التقمت ابن آدم وقصمته نصفين، وهي القرش. ويقال

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢/٤٢٣

لها: اللخم أيضا، ويقال: إنها إذا صيدت بالليل وجدوا في جوفها شحمة طيبة، وإن صيدت نهارا لم يجدوها.

وقال القزويني: الكوسج نوع من السمك، وهو في الماء شر من الأسد في البر، يقطع الحيوان في الماء بأسنانه، كما يقطع السيف الماضي. قال: ورأيته وهو سمكة مقدار ذراع أو ذراعين، وأسنانه كأسنان الناس، تنفر منه الحيوانات البحرية، وله أوان معين يكثر فيه بدجلة البصرة.

وحكمه

عند الإمام أحمد تحريم الأكل. وقال أبو حامد من أصحابه: لا يؤكل **التمساح**، ولا الكوسج لأنهما يأكلان الناس. ولأنه ذو ناب انتهى. ومقتضى مذهبنا أنه حلال، ومن ألحقه بالقرش أجرى عليه حكمه الذي تقدم في باب القاف.

الكهول:

قال الأزهري: هو بفتح الكاف وضم الهاء العنكبوت، ومنه قول عمرو لمعاوية رضي الله تعالى عنهما: أتيتك وأمرك كحق الكهول. أي ضعيف كبيت العنكبوت. وضبطها الخطابي والزمخشري بغير ذلك، لكن قالا: إنها العنكبوت أيضا.

باب اللام

لأي:

على وزن لعي هو الثور الوحشي، والجمع ألآء على وزن ألعاء، مثل جبل وأجبال.

والأنثى لآة. وقال الفارسي: يجوز أن تكون ألفه منقلبة عن ياء من اللاي. وقال في المحكم:

ويجوز أن تكون منقلبة عن واو من اللاو، لأن الثور يوصف بالقوة كما قال ابن عقيل «١» :

يمشي بها دب الزناد كأنه ... فتى فارسي من سراويل رامج

وقد تقدم في باب الباء الموحدة، في ذكر أدم أهل الجنة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أدامهم بالام ونون» «٢» . قالوا: ما هذا؟ قال: ثور وحوت. قال السهيلي، في أول الروض في لؤي: اسم جد النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن الأنباري: إنه تصغير اللأي، وهو الثور الوحشي. وقال أبو حنيفة: اللأي البقرة، قال: وسمعت أعرابيا يقول بكم لآك هذه.

اللبد

: بضم اللام، قاله الزبيدي في الأبنية، اسم طائر يلبد في الأرض، ولا يكاد يطير، إلا أن يطار، ولبد آخر

نسور لقمان، وهو ينصرف لأنه ليس بمعدول، وخبره يأتي في باب النون في النسر إن شاء الله تعالى.." (١)

"الخلقة والخلق والذكاء والفطنة. وأما الحيوان البحري منه ففي حكمه وحل أكله وجهان: أحدهما يحل كغيره من السمك، واختاره الروياني وغيره.

والثاني يحرم كما تقدم، وبه قال الشيخ أبو حامد والقاضي أبو الطيب، وهو عندهما مستثنى مما عدا السمك، مما لا يعيش إلا في الماء. وترتيب الخلاف فيه: أنا إذا قلنا بتحريم ما عدا الحوت، حرم النسناس. وإن قلنا بإباحته، ففي النسناس وجهان: أحدهما التحريم كالضفدع والسرطان **والتمساح**. والثاني الحل ككلب الماء وإنسانه. وهذا هو الأقرب إلى نص الشافعي.

ويشهد له قول صاحب المحكم، وقول كراع في البحر المتقدم. والنسناس، فيما يقال، دابة في عداد الوحش، تصاد وتؤكل. وهو على شكل الإنسان بعين واحدة، ورجل واحدة، ويد واحدة، يتكلم كالانسان انتهى. فأفاد قوله أنها تصاد وتؤكل أنها مستطابة، وقد تقدم عن الدينوري عن أبي اسحاق أن النسناس يصاد ويؤكل. وقاله الميداني أيضا كما تقدم.

التعبير

: هو في الرؤيا رجل قليل العقل يهلك نفسه ويفعل فعلا يسقطه من أعين الناس والله أعلم.

النسنوس:

طائر يأوي الجبال، له هامة كبيرة.

النضو:

بالكسر البعير المهزول، والناقة نضوة والجمع فيهما أنضاء. وقد أنضتها الأسفار فهي منضاة وأنضى فلان بعيره أي أهزله، وقد أحسن الوزير مؤيد الدين أبو اسماعيل الحسين بن علي الطغرائي صاحب لامية العجم، وكان من أفراد الدهر، وحامل لواء النظم والنثر، في قوله:

يقتلن أنضاء حب لا حراك به ... وينحرون كرام الخيل والإبل

وأحسن الشارح لكلامه الشيخ صلاح الدين الصفدي في ذكره العددين المتحابين هنا، وهما المائتان والعشرون، فإنه عدد زائد أجزاؤه أكثر منه، لأنها إذا جمعت كانت مائتين وأربعة وثمانين بغير زيادة ولا نقصان، والمائتان والأربعة والثمانون عدد ناقص أجزاؤه أقل منه، لأنها إذا جمعت كانت جملتها مائتين

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢/٤٢٥

وعشرين. فكل من العددين المتحابين أ جزاؤه مثل الآخر.

بيان ذلك أن العدد التام هو الذي إذا جمعت أجزاؤه كانت مثله، وهو الستة، فإن أجزاءها البسيطة الصحيحة: النصف وهو ثلاثة، والثلث هو اثنان، والسدس وهو واحد. والعدد الناقص ما إذا جمعت أجزاؤها البسيطة الصحيحة كانت أقل منه، كالثمانية فإن أجزاءها النصف والربع والثمن. وهي سبعة.

والعدد الزائد ما إذا جمعت أجزاؤه زادت عليه كالإثنى عشر فمجموع أجزائها ستة عشر، وهي تزيد على الأصل. والمائتان والعشرون لها نصف، وهو مائة وعشرة، وربع وهو خمسة وخمسون، وخمس وهو أربع وأربعون، وعشر وهو اثنان وعشرون، ونصف عشر وهو أحد عشر، وجزء من أحد عشر وهو عشرون، وجزء من اثنين وعشرين وهو عشرة، وجزء من أربع وأربعين." (١)

"من غير تمييز، مع اعتبار حالة اليسار والثروة دون المحتاجين. وأصحاب الضرورات، وحالتي الخصب والرفاهية دون حالتي الجدب والشدة.

وقال بعضهم: المعتبر هنا العرب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الخطاب كان لهم. وقال ابن عبد البر، في التمهيد: ذكر عبد الرزاق قال: أخبرني رجل من ولد سعيد بن المسيب قال: أخبرني يحيى بن سعيد قال: كنت عند سعيد بن المسيب، فجاءه رجل من غطفان، فسأله عن الورل فقال: لا بأس به، وإن كان معكم منه شيء فاطعمونا منه. قال عبد الرزاق:

والورل يشبه الضب اهـ.

وقد ذكر في كتاب رفع التمويه فيما يرد على التنبيه، ما حاصله أنه فرخ **التمساح**، وقال:

لأن **التمساح** يبيض في البر فإذا خرجت فراخه نزل بعضها في البحر، وبقي بعضها في البر فما نزل إلى البحر صار **تمساحا**، وما بقي في البر صار ورلا. قال: فعلى هذا يكون في حله الوجهان كما في **التمساح** اهـ.

وهذا الذي قاله لا أعتقد صحته، وذلك لأن الورل ليس على صفات **التمساح**، لأن جلده يخالف جلده في النعومة وأيضا فإنه لو كان من **التمساح** لأخذ في الكبر حتى يصير في حجمه، والورل في المقدار لا يزيد على ذراع ونصف أو ذراعين، **والتمساح** يبلغ عشرة أذرع وأكثر.

تنبيه مهم

: إعلم أنه تقدم في هذا الكتاب حيوانات لم تتعرض الأصحاب لها بالحل ولا بالحرمة، وذلك نحو البلنصى

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢/٤٨١

والدبل والقرعبلان والقرز والقنفشة والورل وغير ذلك، إلا أنهم أعطوا قواعد كلية عامة وقواعد خاصة، وذلك لما أيسوا من الطمع في حصر أنواع الحيوانات.

فمن قواعدهم الخاصة: تحريم كل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير، وكل ما يقتات من النجاسات والخبائث، وكل ما نهي عن قتله أو أمر بقتله، أو تولد بين مأكول وغيره، وكل نهاش والحشرات بأسرها، إلا الضب واليربوع والقنفذ وابن عرس والدلدل.

ومن قواعدهم الخاصة أيضا تحليل كل ذات طوق ولقاط وطيور الماء كله، إلا اللقلق كما تقدم. ومن هذه القواعد يؤخذ تحريم الورل لأنه من الحشرات، ولم يستثنوه. وكذا غيره من الحشرات كالخلد والربارب وفأرة البيش والإيل ومما يدل على منع أكل الورل قول الجاحظ وغيره:

إن الورل يقوي على الحيات ويأكلها أكلا ذريعا ويخرجها من جحرها ويسكن فيه قال: وبراثن الورل أقوى من براثن الضب إلا أن الورل يخرج الحية من جحرها، ولا يحفر خوفا منه على براثنه.

ثم المعنى بقولهم ما أمر بقتله لمعنى فيه كالفواسق الخمس أما ما أمر بقتله لمعنى في غيره فلا يحرم، ومن ذلك الدابة المأكولة إذا وطئت فإنه يجب ذبحها ولا يحرم أكلها على الصحيح، وإن ورد الأمر بقتلها لأن ذلك ليس لمعنى فيها، بل هو في غيرها وهو تعبير الزاني وتذكره الفاحشة برؤيتها.

وقد أمر عمر رضي الله تعالى عنه بقتل الديكة لأنهم كانوا يتهارشون بها وأمر بقتل الحمام لأنهم كانوا يلعبون بها، ويؤذون الناس بصعودهم الأسطحة والرمي بالأحجار.." (١)

"فمن ذلك صيد الحوت الذي قدم من أقصى النيل فيا له من سفر بعيد وفارق وطنه وورد مع التيار السريع في البحر المديد فآوى إلى الشط طالبا غداءه إذ لقي من سفره هذا نصبا وركن إلى البر فليته لو عقل (فاتخذ سبيله في البحر سربا) ولم يعلم أن سيدنا وضع الحبل وجعله لصيده معنى وصورة سببا فاختر منه يد المنية باعوجاج الصنارة التي نصبها لدواب البحر فخا للقهر والضعيفة التي تعامل أقوياء الأسماك في أعظم البحور السائلة بالنهر كان هذا المسكين من صالح الأسماك الذي أفنى الأيام سحبا طويلا فساح وأتى يقبل جدارا حل فيه قدم مولانا وبركته مجازاة فجازاة **التمساح** أو كأنه لجا إلى البر هربا من عوارض المواج وآمن بمجاورته فأخذ من منأمنه وخاب أمله من لاج فسبح بعد بحار المن من بحار المنون في لجج وقالت له الحيتان إذا اعماك القضاء عن رشدك حدث عن البحر ولا حرج وكان ظنه أن عومه في الشط ينجيه فكان حتفه في ذلك العوم وعلى الجملة فقد آن أجله ولو آوى إلى جبل لقيل لا عاصم اليوم

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٥٤٢/٢

فأتت به حوتا يلوح بياضه بين هضباب الموج كالبدر من سجف الغمام وتبدو عليه مهابة تشر انه من نسل حوت يونس عليه السلام فأعيذ هذا الحوت بالنون وصائده الكاتب الأديب بالقلم وما يسطرون فلقد ظفر بما لا ظفر به الحواريون في شباكهم المشبكة ووقع له ما لو وقع لابن صياد لتطاول عجبا وانتفخ حتى مل الشبكة وحصل به للجماعة من السرور ما يحصل بوفاء النيل وشاهدوا من جزله العظيمة كل خير جزيل ومنحوا من سنه وعظمه بالجوهر النقي وأنياب الفيل وأرخصوه للقرى بعد أن أمسى في القدور يغلى وقلوه فطاب مأكلا وغن كان مما لا يقلى ونوعوه محلى وحامضا فالمحلى جعلوه نقلا على الكئوس حين تجلى وفازوا على رأى ابن حزم وإن لم يكن من أصحاب الرأى بالمحلى والمجلى والحامض فقطعوا عند أكله بالذوق أن ذلك الحوت مر لا محالة وقال آخرون بل هو هالة لتناسب البدور والهالة وحملوا به الموائد لصائده بالتقدم على الضفدع الأديب في مصائد الشوارد وقدموه على ما عندهم من طري وبائت وأكلوه من ساعته كيلا يندموا على فائت قائلين لا تؤخروه فللتأخير ولا تبيتوه فكلما بات فات وبادروا طرواته لعلهم طرواته لعلهم أنه أطيب ما يؤكل من السمك البورى الطري واستطابوه ضرورة ولا خلاف أن صائد الحوت اكثر تلذذا بأكله من المشترى هذا وأما الأسماك بذلك الشاطئ فقد نادى مناديهم بالرحيل وقال أديبهم للبنية مصحفا يا بنية ليس المقام هنا جميل فكم فرخ حول وكر أمه من هناك وشال وكم عصبة من السمك صرخت قاقا وقطعت الجبال وكم طائفة من رشادها فرت إلى البرور الخالية من العباد وكم طائفة تخلفت ووقعت في الشباك فقيل ضلت عن سبيل الرشاد وكم طائفة أسرعت إلى رءوس الجيال الحركة وكذبت العروضيين في قولهم لم أر على ظهر جبل سمكة وكم سمكة قالت لفراخها اهجروا ماءكم ومأواكم كما هجرت مأواى وأخلوا هذه الديار وان أعشبت وابتغوا صائب الرأي ومنهم من عمد إلى عمق البحر نجاه وسارت به سفينة عزمه في موج كالجبال وكان سبب النجاة وتواصوا لما رأوا طغيان الماء أن لا يأووا إلى البرور وتحققوا انه الطوفان لما فار على أخيهم المصاب التنور وكم قائل الحمد لله الذي قطع عنا أثر هذا النون العظيم وأزال عينه وقائلة سبحان من أراح ضعفاء السمك من هذا الجبار وفرق بينهم وبينه فشكرا إذا غدا مولانا شيخ البر والبحر وأضحى في نسكه ابن السماك وفي صدق حديثه أبا ذر وأمسى ضرع البلاغة مسخرا له فإن جمح لغيره أو أبادر أحياه الله بدرا يشرق في سماء المعالي وتحلى أجياد الفصاحة من بحور نظمه ونثره بالجواهر والآلى وجمل به السماء كما جعل به الأرض ولا جعله كأدباء أهل هذا الزمان الذين هم كالسماك يأكل بعضهم بالغيبة لحم بعض بمنه وكرمه والسمك بارد رطب يولد البلغم وينفع المحرورين

ويضر بالمشايخ ودفع مضرته بالفواه الحارة والصعر والملح وصغاره بالخل نافع لأصحاب الأمزجة الحارة ومن به يرقان وكبده حار والمالح منه حار يابس يولد السوداء ويضر بالمحرورين.." (١)

"فيقولون في صابر سابر، وكما يبدل بعضهم الطاء المهملة بتاء مثناة فوق فيقولون في طال تال وتسمع من عرب أهل الشرق كثيرا، وكما يبدل قول التاء المثناة فوق بضاد معجمة فيقولون في أتر أضر.

ومنها أن يعاقب بين حرفين في الكلمة كما يقول بعضهم في بلخ فلخ، وفي أصبهان أصفهان.

ومنها أن يأتي بحرف بين حرفين فيأتون بكاف كجيم فيقولون في كمل جمل. قال ابن دريد «١» : «وهي لغة في اليمن كثيرة في أهل بغداد» ويأتون بجيم ككاف على العكس من الأول فيقولون في رجل ركل يقربونها من الكاف، ويأتون بشين معجمة كجيم فيقولون في اجتمعوا اشتمعوا، ويأتون بصاد مهملة كزاي فيقولون في صراط زراط، ويأتون بجيم كزاي فيقولون في جابر زابر، ويأتون بقاف بين القاف والكاف المعقودة، قاله ابن سعيد «٢» عن سماعه من العرب؛ ولا يكاد يوجد منهم من ينطق بها على أصلها الموصوف في كتب النحويين. وقد ذكر الشيخ أثير الدين أبو حيان «٣» ذلك جميعه في شرحه على تسهيل ابن مالك.

الصنف الرابع– ما تلحن فيه العامة

وتغيره عن موضعه بأن يكون مفتوح الأول والعامة تكسره: كقولهم في جفن العين بفتح الجيم جفن بكسرها؛ أو مفتوح الأول والعامة تضمه: كقولهم في القبول الذي هو خلاف الرد قبول بضمها؛ أو مكسور الأول والعامة تفتحه: كقولهم في درهم بكسر الدال درهم بفتحها؛ أو مكسور الأول والعامة تضمه: كقولهم في التمساح بكسر التاء." (٢)

"تمساح بضمها، أو مضموم الأول والعامة تفتحه: كقولهم في العصفور بضم العين عصفور بفتحها؛ أو مضموم الأول والعامة تكسره: كقولهم في الظفر بضم الظاء ظفر بكسرها؛ أو مفتوح الوسط: كقولهم في القالب بفتح اللام قالب بكسرها؛ أو مكسور الوسط والعامة تفتحه: كقولهم في الرجل الموسوس، والبر المسوس، والجبن المدود بكسر الواو في الثلاثة: موسوس ومسوس ومدود بفتحها؛ أو مضموم الوسط والعامة تفتحه كقولهم في الجدد جمع جديد جدد بفتحها؛ أو محرك الوسط والعامة تسكنه: كقولهم في التحفة بفتح الحاء تحفة بإسكانها؛ أو ساكن الوسط والعامة تحركه: كقولهم في الحلقة بإسكان اللام حلقة

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/١٥١

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١/١٩٧

بفتحها؛ أو مشددا والعامة تخففه: كقولهم في العارية بتشديد الياء عارية بتخيفها؛ أو مخففا والعامة تشدده: كقولهم في الكراهية بتخفيف الياء كراهية بتشديدها؛ أو مهموزا والعامة تحذف الهمز من أوله. كقولهم في الإهليلج بإثبات همزة في أوله هليلج بحذفها؛ أو مهموز الوسط والعامة تسهله: كقولهم في المرءاة بإثبات الهمزة مراة بحذفها، أو غير مهموز الأول والعامة تثبت الهمزة في أوله: كقولهم في الكرة، أكرة؛ أو كان بالظاء المعجمة فجعلته بالضاد المعجمة كالوظيفة ونحوها، أو بالضاد فجعلته بالظاء: كقول بعضهم في البيضة بيظة، أو بالذال المعجمة فجعلته بالدال المهملة كالذراع؛ أو كان بالجيم فجعلته بالقاف: كقولهم في مجاديف السفينة مقاديف؛ أو بالدال المهملة فجعلته بالتاء المثناة فوق: كقولهم في دخاريص القميص تخاريص، ونحو ذلك مما شاع وذاع وفي «أدب الكاتب» لابن قتيبة نبذة من لحن أهل المشرق، وكتاب «تثقيف اللسان» لابن مكي التونسي «١» موضوع في لحن أهل الغرب، وفصيح ثعلب مشتمل على كثير من هذا المقصد.

الصنف الخامس- الألفاظ الكتابية

، وهي ألفاظ انتخبها الكتاب وانتقوها من اللغة استحسانا لها وتمييزا لها في الطلاوة والرشاقة على غيرها. قال." (١)

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١/١٩٨

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٤٤٠/١٥

جان (شجر) ٥/٢٩٣.

الجباب (الجبة) ١/٤٥٣، ٣/٢٩٣.

الجبس (حجر) ٣/٣٧٩.

الجبلي (نوع من المسك) ٢/١٢٩.

جبة أطلس ٣/٢٩٤، ٥/١٣٧.

الجبهة (أفلاك) ٢/١٧٦، ٣٧٩، ٣٩٩، ٤٠٠.." (١)

"إلى مبدئه من البحر المحيط الشرقي. على أنه في تقويم البلدان لم يتعرض لساحل هذا البحر الجنوبي فيما هو شرقي باب المندب لعدم تحققه.

واعلم أن هذا البحر يسمى في كل مكان باسم ما يسامته من البلدان، أو باسم بعض البلدان التي عليه، فيسمى فيما يقابل بلاد الصين: بحر الصين، وفيما يقابل بلاد الهند إلى ما جاورها إلى بلاد اليمن شرقي باب المندب: بحر الهند، وفيما دون باب المندب إلى غايته في الشمال والغرب: بحر القلزم نسبة إلى مدينة القلزم المتقدمة الذكر في ساحل الديار المصرية.

قال في «تقويم البلدان» : وطول هذا البحر من طرف بلاد الصين الشرقي إلى القلزم ألفان وسبعمائة وثمانية وأربعون فرسخا بالتقريب، ومقتضى كلام ابن الأثير في «عجائب المخلوقات» أن طوله أربعة آلاف وتسعمائة وستة وستون فرسخا وثلثان، فإنه قد ذكر أن طول بحر الصين والهند إلى باب المندب أربعة آلاف وخمسمائة فرسخ، ثم ذكر أن طول بحر القلزم ألف وأربع مائة ميل، وهي أربعمائة وستة وستون فرسخا وثلثان وبين الكلامين بون.

وكلام صاحب تقويم البلدان أقرب إلى الصواب، فإنه استخرجه من تضريب الدرج واستخراج أميالها وفراسخها. وبآخر بحر القلزم من الذراع الآخذ إلى جهة السويس على ميل من مدينة القلزم موضع يعرف (بذنب التمساح) يتقارب بحر القلزم وبحر الروم فيما بينه وبين الفرما حتى يكون بينهما نحو سبعين ميلا فيما ذكره ابن سعيد.

قال في «الروض المعطار» : وكان بعض الملوك قد حفره «١» ليوصل ما بين." (٢)

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٥/٤٩٣

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣/٢٥٣

"القلزم وبحر الروم فلم يتأت له ذلك لارتفاع القلزم وانخفاض بحر الروم، والله تعالى قد جعل بينهما حاجزا كما ذكر تعالى في كتابه. قال: ولما لم يتأت له ذلك احتفر خليجا آخر مما يلي بلاد تنيس ودمياط وجرى الماء فيه من بحر الروم إلى موضع يعرف بقيعان (؟) .

فكانت المراكب تدخل من بحر الروم إلى هذه القرية وتدخل من بحر القلزم إلى ذنب **التمساح** فيقرب ما في كل بحر إلى الآخر، ثم ارتدم ذلك على طول الدهر.

وقد ذكر ابن سعيد أن عمرو بن العاص كان قد أراد أن يخرق بينهما من عند ذنب **التمساح** المتقدم ذكره فنهاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال: إذن يتخطف الروم الحجاج.

وذكر صاحب «الروض المعطار» أن الرشيد هم أن يوصل ما بين هذين البحرين من أصل مصب النيل من بحر بلاد الحبشة وأقاصي صعيد مصر فلم يتأت له قسمة ماء النيل، فرام ذلك مما يلي بلاد الفرما فقال له يحيى بن خالد: إن تم هذا تتخطف الناس من المسجد الحرام ومكة، واحتج عليه بمنع عمر بن الخطاب عمرو بن العاص من ذلك، فأمسك عنه.

ويتفرع من البحر الهندي بحران عظيمان مشهوران، وهما (بحر فارس «١» ، والخليج البربري «٢») .

فأما بحر فارس، فهو بحر ينبعث من بحر الهند المتقدم ذكره من شماليه، ويمتد شمالا بميلة إلى الغرب غربي (مفازة السند) الفاصلة بينه وبين بحر الهند،." (١)

"ومن غرائب أمره أن به **التماسيح** التي لا تحصى كثرة، ولم يشتهر في زمن من الأزمان أنها آذت أحدا قط.

الخليج الثاني خليج القاهرة الذي يكسر سده يوم وفاء النيل

حفره عمرو بن العاص وهو أمير مصر، في خلافة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه.

قال القضاعي: أمر بحفره عام الرمادة «١» في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وساقه إلى بحر القلزم، فلم يتم عليه الحول حتى جرت فيه السفن وحمل فيها الزاد والأطعمة إلى مكة والمدينة، ونفع الله بذلك أهل الحجاز.

وذكر الكندي في كتاب «الجند العربي» أن حفره كان سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وفرغ منه في ستة أشهر، وجرت فيه السفن ووصلت إلى الحجاز في الشهر السابع.

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣/٢٥٤

قال الكندي: ولم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه عمر بن العزيز، ثم أضاعته الولاة فترك وغلب عليه الرمل، وصار منتهاه إلى ذنب **التمساح** من ناحية الطور والقلزم «٢» .." (١)

"سربا «١» تحت النيل إليها، وهو أول من عمل ذلك وأقام في الملك مائة وأربعا وثلاثين سنة، ويقال إن نوحا عليه السلام ولد في زمانه؛ ثم ملك بعده ابنه بدرسان؛ ثم ملك بعده أخوه شمرود، وكان طوله فيما يقال عشرين ذراعا؛ ثم ملك بعده فرسيدون بن بدرسان المتقدم ذكره مائة وستين سنة؛ ثم ملك بعده ابنه شرناق مائة وثلاث سنين ثم ملك بعده ابنه سهلوق مائة وتسع سنين؛ ثم ملك بعده ابنه سوريدين، وهو الذي بنى الأهرام العظام بمصر على ما تقدم ذكره في الكلام على عجائب مصر وخواصها؛ ثم ملك بعده ابنه هرجيب نيفا وسبعين سنة، وهو الذي بنى الهرم الأول من أهرام دهشور؛ ثم ملك بعده ابنه مناوش ثلاثا وسبعين سنة؛ ثم ملك بعده ابنه أقروس أربعا وستين سنة؛ وفي أيامه حصل القحط العظيم، وسلطت الوحوش **والتماسيح** على الناس، وأعقمت الأرحام حتى يقال إن الملك تزوج ثلاثمائة امرأة يبغي الولد فلم يولد له، وذلك مقدمة الطوفان؛ ثم ملك بعده رجل من أهل بيت الملك اسمه أرمالينوس؛ ثم ملك بعده ابن عمه فرعان، وهو أول من لقب بلقب الفراعنة «٢» ، وكان قد كتب إلى ملك بابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام، وفي زمنه كان الطوفان وهلك فيمن هلك.

المرتبة الثانية من ملكها بعد الطوفان إلى حين الفتح الإسلامي

وللمؤرخين في ذلك خلف كثير، وقد جمعت بين كلام التواريخ التي وقفت عليها في ذلك، وهم على طبقات:." (٢)

"الشيخ سعيد الدكالي: أن في طاعة سلطانها بلاد مغارة الذهب. وهم بلاد همج، وعليهم إتاوة من التبر تحمل إليه في كل سنة، ولو شاء أخذهم ولكن ملوك هذه المملكة قد جربوا أنه ما فتحت مدينة من هذه المدن وفشا بها الإسلام، ونطق بها داعي الأذان، إلا قل بها وجود الذهب ثم يتلاشى حتى يعدم، ويزداد فيما يليه من بلاد الكفار، فرضوا منهم ببذل الطاعة، وحمل قرر عليهم. وذكر نحو ذلك في «التعريف» في الكلام على غانة.

الجملة الثانية (في الموجود بهذه المملكة)

قد ذكر في «مسالك الأبصار» عن الشيخ سعيد الدكالي: أن بها الخيل من نوع الأكاديش التترية. قال:

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣/٣٣١

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣/٤٦٩

وتجلب الخيل العراب إلى ملوكهم، يتغالون في أثمانها، وكذلك عندهم البغال، والحمير، والبقر، والغنم، ولكنها كلها صغيرة الجثة، وتلد الواحدة من المعز عندهم السبعة والثمانية، ولا مرعى لمواشيهم، إنما هي جلالة على المقامات والمزابل. وبها من الوحوش الفيرة، والآساد والنمورة، وكلها لا تؤذي من بني آدم إلا من تعرض لها. وعندهم وحش يسمى (ترمي) بضم التاء المثناة والراء المهملة وتشديد الميم، في قدر الذئب، يتولد بين الذئب والضبع لا يكون إلا خنثى: له ذكر وفرج، متى وجد في الليل آدميا صغيرا أو مراهقا أكله. ولا يتعرض إلى أحد في النهار، وهو ينعر كالثور، وأسنانه متداخلة.

وعندهم **تماسيح** عظام منها ما يكون طوله عشرة أذرع وأكثر، ومرارته عندهم سم قاتل تحمل إلى خزانة ملكهم. وعندهم بقر الوحش، وحمير الوحش، والغزلان.

وفيما يسامت سجلماسة من بلادهم جواميس متوحشة تصاد كما يصاد الوحش.

وبها من الطيور الدواجن الإوز، والدجاج، والحمام. وبها من الحبوب الأرز، والغوثي: وهو دق مزغب، يدرس فيخرج منه حب أبيض شبيه بالخردل في المقدار." (١)

"الجملة الثانية (في الموجود بها)

قد ذكر في «مسالك الأبصار» : أن بها من المواشي ذوات الأربع: الخيل، والبغال، والبقر، والغنم وما في معناها، وأغنامهم تشبه أغنام عيذاب واليمن. ومن الوحوش الأسد، والنمر، والفهد، والفيل، والزرافة، والغزال، وبقر الوحش، وحمار الوحش، والقردة، وغيرها من الوحوش.

وبها من الطيور الجوية: الصقورة، والبزاة بكثرة، والنسور البيض والسود، والغراب، والحجل، وطير الواجب بجملته، والحمام، والعصفور، وغير ذلك مما لم يوجد بالديار المصرية. ومن الطيور البرية دجاج الحبش وأمثالها. ومن الطيور المائية البط، وعندهم بنهرهم سمك يشبه البوري، وسمك يشبه الثعبان، يطول إلى مقدار ذراعين ونصف، ويغلظ إلى مقدار كبار الخشب، وبنهرهم أيضا **التمساح** وفرس البحر، وغير ذلك.

وبها من الحبوب: الحنطة، والشعير، والحمص، والعدس، والبسلا، والذرة، وبعض الباقلا، وحبوب أخرى غير ذلك منها حب يسمى (قنابهول) يستعملونه قوتا كالحنطة. والحنطة عندهم على مثال الحنطة الشامية، والشعير حبه عندهم أكبر من حب الشعير المصرية والشامية، ومنه ضرب يسمى طمجة. ولون الحمص عندهم إلى الحمرة. والباسلا عندهم عزيز الوجود في أكثر البلاد، ولكنهم لا يفتقرون إليه للعلف لكثرة المراعي ببلادهم.

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٧٦/٥

وعندهم حب يسمى (طافي) على قدر الخردل، ولونه إلى الحمرة، ومكسره إلى السواد، يتخذون منه الخبز.
وعندهم ببعض الأقاليم حب شبيه بالحنطة إلا أن له قشرين، ينزع قشره بالهرس كالأرز، ويتخذون منه طعاما يكون مغنيا عن الحنطة.

وعندهم بزر الكتان وحب الرشاد، وهم يزرعون على المطر في كل سنة مرتين: مرة في الصيف، ومرة في الشتاء، تتحصل في كل مرة الغلات.." (١)

"وفي هذا الشهر: اتفقت حادثتان غريبتان إحداهما أن رجلا مر في سفره ببلاد الغربية على أتان له وتحته خرج فيه قماش فخرج عليه بعض قطاع الطريق وألف إلى الأرض ليذبحه فقال له: بالله اسقني شربة ماء قبل أن تذبحني فألقى الله تعالى في قلبه عليه رحمة لما يريده به. وفتح خرج الرجل وتناول منه إناء وعبر في الماء حتى يغترف في الإناء منه فاختطفه تمساح وذهب في الماء فكسره وأكله والرجل يراه وهو مكتوف وأتانه واقف مع فرس قاطع الطريق قائمان قريبا منه. فأقام كذلك حتى مر به أناس عن بعد فصاح بهم إلى أن أتوه فأعلمهم بما جرى له وما كان من هلاك عدوه فحلوا أكتافه وأتوا به وبالفرس والأتان والخرج إلى الوالي فقص عليه قصته فأخذ الفرس وخلاه لسبيله. فمضى بأتانه وخرجه فكان في هذا موعظة لمن اتعظ وكفي بالله نصيرا. والثانية: أن متولي الحرب بتلك النواحي وسط سبعة رجالة من قطاع الطريق وعلقهم على ممر المسافرين كما هي عادتهم في ذلك. وأكد على الخفراء أرباب الدرك في حراستهم طول الليل خوفا من مجيء أهاليهم وأخذهم إياهم وحلف بأيمانه لئن فقد أحد منهم ليوسطن الجميع فباتوا يحرسونهم حتى كاد الليل يذهب أخذهم النوم ثم أنتبهوا في السحر فإذا بعدة الموسطين قد نقصت واحد. فمن شدة خوفهم أن يطلع النهار ويبلغ الوالي أن الموسطين قد أخذ منهم واحد فيوسطهم بدله مروا في الدرس المسلوك ليأخذوا من انفرد من المسافرين يوسطوه ويعلقوه بدل الذي نقص من العدة فإذا هم برجل على حمار وتحته قفتين فأخذوه ووسطوه وعلقوه مع الموسطين. فلما طلع النهار جاءهم مقدم الوالي لكشف حال الموسطين فإذا عدتهم قد زادت واحدا فأنكر على الخفراء وأحضرهم إلى الوالي وأعلمه الخير فلم يجدوا بدا من الصدق وأخبروه أنهم ناموا آخر الليل وانتبهوا سحرا فرأوا العدة قد نقصوا واحدا فما شكوا في أنه أخذه أهله فأخذوا رجلا على حمار من المارة ووسطوه وعلقوه مكان الذي نقص. وحلفوا أيمانا عديدة أنهم ما رأوهم إلا ناقصين واحدا. فأمر بفتح القفتين اللتين كانتا على حمار المقتول فإذا في كل قفة نصف امرأة قد نقشت فعلم الوالي ومن حضره أنه كان قد قتل هذه المرأة وسرى بها سحرا حتى يواريها فقتله الله بها. وكان في

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٥/٢٩٢

هذه تذكرة لمن وعي أن الجزاء واقع. وفي آخر هذا الشهر: أفرج عن الأمير طرباي من سجن الإسكندرية ونقل إلى القدس ليقيم به غير مضيق عليه وأنعم عليه بألف دينار.." (١)

"وفي العشر الأخر من هذا الشهر: وجد بالنيل والبرك التي بين القاهرة ومصر كثير من السمك والتماسيح قد طفت على وجه الماء ميتة واصطيدت بنية كبيرة فإذا هي كإنما صبغت بدم من شدة حمرتها. ووجد في البرية ما بين السويس والقاهرة عدة كثيرة من الظباء والدياب موتى. وقدم الخبر بوقوع الوباء ببلاد الفرنج. وفي يوم الخميس سلخه: ضبطت عدة الأموات التي صلي عليها فبلغت ألفين ومائة ولم يورد في أوراق الديوان سوى أربعمائة ونيف. وفيه مات ببولاق سبعون لم يورد منهم سوى اثني عشر. وشنع الموتان حتى أن ثمانية عشر من صيادي السمك كانوا في موضع فمات منهم في يوم واحد أربعة عشر ومضى الأربعة ليجهزوهم إلى القبور فمات منهم وهم مشاة ثلاثة فقام الواحد بشأن السبعة عشر حتى وصل بهم إلى المقبرة مات أيضا. وركب أربعون رجلا في مركب وساروا من مدينة مصر نحو بلاد الصعيد فماتوا بأجمعهم قبل وصولهم الميمون. ومرت امرأة من مصر تريد القاهرة وهي راكبة على حمار مكاري فماتت وهي راكبة وصارت ملقاة بالطريق يومها كله حتى بدأ تغير ريحها فدفنت ولم يعرف لها أهل. وكان الإنسان إذا مات تغير ريحه سريعا مع شدة برد الزمان. وشنع الموت بخانكاه سريا قوس حتى بلغت العدة في كل يوم نحو المائتين وكثر أيضا بالمنوفية والقليوبية حتى كاد يموت في الكفر الواحد في كل يوم ستمائة إنسان. شهر جمادى الآخرة أوله الجمعة: فيه تزايدت عدة الأموات عما كانت فأحصي في يوم الاثنين رابعه من أخرج من أبواب القاهرة فبلغت عدتهم ألفا ومائتي ميت سوى من خرج عن القاهرة من أهل الحكورة والحسينية وبولاق والصليبة ومدينة مصر والقرافتين والصحراء وهم أكثر من ذلك. ولم يورد بديوان المواريث بالقاهرة سوى ثلاثمائة وتسعين وذلك أن أناسا عملوا توابيت للسبيل فصار أكثر الناس يحملون موتاهم عليها ولا يردون الديوان أسماءهم. وفي هذه الأيام: ارتفعت أسعار الثياب التي تكفن بها الأموات وارتفع سعر ما تحتاج إليه المرضى كالسكر وبذر الرجلة والكمثرى على أن القليل من المرضى هو الذي يعالج بالأدوية بل معظمهم يموت موتا وحيا سريعا في ساعة وأقل منها وعظم الوباء في المماليك السلطانية – سكان الطباق بالقلعة – الذين كثر فسادهم وشرهم وعظم عتوهم وضرهم بحيث كان يصبح منهم أربعمائة

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١١٩/٧

وخمسون مرضى فيموت في اليوم زيادة على الخمسين مملوكا وشنع الموت. بمدينة فوه ومدينة بلبيس ووقع ببلاد الصعيد الأدنى. وانقطع الوباء من البحيرة والنحريرية وكثر بمدينة المحلة.." (١)

"التي يرونها من الأزج الآخر على معنى واحد. وذكروا أنهم رأوا وجه الملك قدر ذراع ونصف بالكبير ولحيته كبيرة مكشوفة، وقدروا طول بدنه عشرة أذرع وزيادة، وذكر هؤلاء الذين رأوها أنهم خرجوا لحاجة، فوجدوها اتفاقا. وأنهم سألوا أهل قفط عنها فلم يجدوا أحدا يعرفها سوى شيخ منهم.

وأوصى عديم الملك ابنه شداب بن عديم أن ينصب في كل حيز من أحياز ولايته منارا، ويزبر عليه اسمه فانحدر إلى الأشمونين، وعمل مناراتها وزبر عليها اسمه، وعمل بها ملاعب وعمل في صحرائها منارا أقام عليه صنما برأسين على اسم كوكبين كانا مقترنين في الوقت الذي خرج فيه إلى اتريب وبنى فيها قبة عظيمة مرتفعة على عمد وأساطين بعضها فوق بعض، وعلى رأسها صنما صغيرا من ذهب، وعمل هيكلا للكواكب، ومضى إلى حيز صا فعمل فيه منارا على رأسه مرآة من أخلاط تورى الأقاليم، ورجع وعمل شداب بن عديم هيكل ارمنت. وأقام فيه أصناما بأسماء الكواكب من جميع المعادن وزينه بأحسن الزينة، ونقشه بالجواهر والزجاج الملون وكساه الوشي والديباج، وعمل في المدائن الداخلة من أنصنا هيكلا وأقام فيه باتريب، وهيكلا شرقي الإسكندرية، وأقام صنما من صوان أسود باسم زحل على عبرة النيل من الجانب الغربي وبنى في الجانب الشرقي مداين في إحداها صورة صنم قائم، وله إحليل إذا أتاه المعقود والمسحور ومن لا ينتشر ذكره فمسحه بكلتي يديه انتشر ذكره، وقوي على الباه وفي إحداها بقرة، لها ضرعان كبيران إذا انعقد لبن امرأة أتتها ومسحتها بيديها فإنه يدر لبنها، وجمع **التماسيح** بطلسم عمله بناحية أسيوط، فكانت تنصب من النيل إلى اخميم انصبابا فيقتلها ويستعملها جلودا في السفن وغيرها.

وعمل منقاوس الملك بيتا تدور به تماثيل بجميع العلل، وكتب على رأس كل تمثال ما يصلح من العلاج، فانتفع الناس بها زمانا إلى أن أفسدها بعض الملوك وعمل صورة امرأة مبتسمة لا يراها مهموم إلا زال همه ونسيه فكان الناس يتناوبونها، ويطوفون حولها ثم عبدوها من جملة ما عبدوه بعد ذلك.

وعمل تمثالا من صفر مذهب بجناحين لا يمر به زان ولا زانية إلا كشف عورته بيده، وكان الناس يمتحنون به الزناة فامتنعوا من الزنا فرقا منه. فلما ملك كلكن عشقت حظية عنده رجلا من خدمه، وخافت أن تمتحن بذلك الصنم. فأخذت في ذكر الزواني مع الملك وأكثرت من سبهن وذمهن فذكر كلكن ذلك الصنم، وما فيه من المنافع. فقالت: صدق الملك غير أن منقاوس لم يصب في أمره لأنه أتعب نفسه وحكماءه فيما

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢٠٦/٧

جعله لإصلاح العامة دون نفسه، وكان حكم هذا أن ينصب في دار الملك حيث يكون نساؤه وجواريه فإن اقترفت إحداهن ذنبا علم بها فيكون رادعا لهن متى عرض بقلوبهن شيء من الشهوة فقال:." (١)

"وما يحدث فيه من أقصى ما يصل إليه البصر على مسيرة أيام. وهو أول من اتخذها ويقال: إنه بنى أكثر مدينة منف وكل بنيان عظيم بالإسكندرية.

ولما ملك بدارس بن صا الأحياز كلها بعد أبيه، وصفا له ملك مصر بنى في غربي مدينة منف بيتا عظيما لكوكب الزهرة، وأقام فيه صنما عظيما من لازورد مذهب، وتوجه بذهب يلوح بزرقة وسوره بسوارين من زبرجد أخضر، وكان الصنم في صورة امرأة لها ضفيرتان من ذهب أسود مدبر. وفي رجليها خلخالان من حجر أحمر شفاف، ونعلان من ذهب وبيدها قضيب مرجان، وهي تشير بسبابتها كأنها مسلمة على من في الهيكل، وجعل بحذائها تمثال بقرة ذات قرنين، وضرعين من نحاس أحمر مموه بذهب موشحة بحجر اللازورد، ووجه البقرة تجاه وجه الزهرة، وبينهما مطهرة من أخلاط الأجساد على عمود رخام مجزع، وفي المطهرة ماء مدبر يستنشق به من كل داء وفرش الهيكل بحشيشة الزهرة يبدلونها في كل سبعة أيام، وجعل في الهيكل كراسي للكهنة قد صفحت بالذهب والفضة، وقرب لهذا الصنم ألف رأس من الضأن والمعز والوحش والطير، وكان يحضر يوم الزهرة ويطوف به وفرش الهيكل وستره، وجعل فيه تحت قبة صورة رجل راكب على فرس له جناحان ومعه حربة في سنانها رأس إنسان معلق.

ولم يزل هذا الهيكل إلى أن هدمه بخت نصر في أيام ماليق بن تدارس، وكان موحدا على دين قبطيم ومصرايم خرج في جيش عظيم في البر والبحر فغزا البربر، وأرض إفريقية، وبلاد الأندلس وأرض الإفرنج إلى البحر، وعمل في البحر أعلا ما زبر عليها اسمه ومسيره، ورجع فهابه ملوك الأرض وكان في غربي مصر مدينة يقال لها: قرميدة بها قوم قد ملكوا عليهم امرأة ساحرة فغزاهم، فلم ينل منهم قصدا، ورجع فأرادت ملكتهم إفساد مصر، فعملت من سحرها وأمرت، فألقي في النيل ففاض الماء على المزارع حتى أفسدها وكثرت التماسيح والضفادع، وفشت الأمراض في الناس، وانبثت فيهم الثعابين والعقارب، فأحضر ماليق الكهنة والحكماء في دار حكمتهم وألزمهم بالنظر لذلك. فنظروا في نجومهم فرأوا أن هذه الآفة أتتهم من ناحية الغرب، وإن امرأة عملته وألقته في النيل، فعلموا حينئذ أنه من فعل تلك الساحرة، واجتهدوا في دفع ذلك بما عندهم من العلم حتى انكشف عنهم الماء الفاسد، وهلكت الدواب المضرة وجهزوا قائدا في جيش إلى المدينة فلم يجدوا بها غير رجل واحد فأخذوا من الأموال والجواهر والأصنام ما لا يحصى.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٦٣/١

فمن ذلك صورة كاهن من زبرجد أخضر على قائمة من حجر الأسباديم، وصورة روحاني من ذهب رأسه من جوهر أحمر، وله جناحان من دور في يده مصحف فيه كثير من علومهم في دفتين مرصعتين بجوهر، ومطهرة من ياقوت أزرق على قاعدة زجاج أخضر فيها ماء لدفع الأسقام، وفرس من فضة إذا عزم عليه بعزائمه ودخن بدخنته وركبه أحد طار به." (١)

"قلت: وأخبرني قديما بعض من لا أتهمه أنه، ظفر بطلسم من هذا المعنى، وأنه عنده وأراد أن يريني السمك يثب من الماء فلم يقدر لي أن أرى ذلك.

قال ابن عبد الحكم: لما أغرق الله آل فرعون، بقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من أشراف أهلها أحد. ولم يبق بها إلا العبيد، والأجراء والنساء. فاتفق من بمصر من النساء أن يولين منهم أحدا، وأجمع رأيهن أن يولين امرأة منهن يقال لها: دلوكة بنت زبا، وكان لها عقل ومعرفة وتجارب، وكانت في شرف منهن وموضع وهي يومئذ بنت مائة وستين سنة.

فملكوها، فخافت أن يتناولها الملوك فجمعت نساء الأشراف، وقالت لهن: إن بلادنا لم يكن يطمع فيها أحد ولا يمد عينه إليها، وقد هلك أكابرنا وأشرافنا وذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم، وقد رأيت أن أبني حصنا أحدق به جميع بلادنا، فأضع عليه المحارس من كل ناحية فإنا لا نأمن من أن يطمع فينا الناس، فبنت جدارا أحاطت به على جميع أرض مصر كلها، المزارع والمدائن والقرى، وجعلت دونه خليجا يجري فيه الماء، وأقامت القناطر والترع، وجعلت فيه محارس ومسالح على كل ثلاثة أميال محرس ومسلحة، وفيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل، وجعلت في كل محرس رجالا وأجرت عليهم الأرزاق، وأمرتهم أن يحرسوا بالأجراس فإذا أتاهم آت يخافونه ضرب بعضهم إلى بعض الأجراس، فأتاهم الخبر من أي وجه كان في ساعة واحدة، فنظروا في ذلك فمنعت بذلك مصر من أرادها وفرغت من بنائه في ستة أشهر، وهو الجدار الذي يقال له: جدار العجوز بمصر، وقد بقيت بالصعيد منه بقايا كثيرة.

قال المسعودي وقيل: إنما بنته خوفا على ولدها، وكان كثير القنص فخافت عليه سباع البر والبحر، واغتيال من جاور أرضهم من الملوك والبوادي، فحوطت الحائط من **التماسيح**، وغيرها. وقد قيل غير ما وصفنا. فملكتهم ثلاثين سنة في قول. قال المؤلف رحمه الله: قد بقي من حائط العجوز هذا في بلاد الصعيد بقايا. أخبرني الشيخ المعمر محمد بن المسعودي: أنه سار في بلاد الصعيد على حائط العجوز ومعه رفقة فاقتلع أحدهم منها لبنة فإذا هي كبيرة جدا تخالف المعهود الآن من اللبن في المقدار، فتناولها القوم واحدا

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٦٨

بعد واحد يتأملونها، وبينما هم في رؤيتها إذ سقطت إلى الأرض، فانفلقت عن حبة فول في غاية الكبر الذي يتعجب منه لعدم مثله في زماننا، فقشروا ما عليها فوجدوها سالمة من السوس، والعيب، كأنها قريبة عهد بحصادها لم يتغير فيها شيء البتة فأكلها الجماعة قطعة قطعة. وكأنها إنما خبئت لهم من الزمن القديم، والأعصر الخالية. إنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها.

قال ابن عبد الحكم: وكان ثم عجوز ساحرة يقال لها: بدور وكانت السحرة تعظمها، وتقدمها في علمهم وسحرهم فبعثت إليها دلوكة ابنة زبا: إنا قد احتجنا إلى سحرك، وفزعنا." (١)

"قال: وكان الوليد بن دومع العمليقي، قد خرج في جيش كثيف يتنقل في البلدان، ويقهر ملوكها ليسكن ما يوافقه منها. فلما صار إلى الشام انتهى إليه خبر مصر، وعظم قدرها وإن أمرها قد صار إلى النساء، وباد ملوكها. فوجه غلاما له يقال له: عون إلى مصر، وسار إليها بعده، واستباح أهلها وأخذ الأموال، وقتل جماعة من كهنتها، ثم سنح له أن يخرج ليقف على مصب النيل. فيعرف ما بحافتيه من الأمم فأقام ثلاث سنين يستعد لخروجه وخرج في جيش عظيم فلم يمر بأمة إلا أبادها، ومر على أمم السودان، وجاوزهم ومر على أرض الذهب، فرأى فيها قضبانا نابتة من ذهب، ولم يزل يسير حتى بلغ البطيحة التي ينصب ماء النيل فيها من الأنهار التي تخرج من تحت جبل القمر. وسار حتى بلغ البطيحة هيكل الشمس، وتجاوزه حتى بلغ جبل القمر، وهو جبل عال وإنما سمي: جبل القمر لأن القمر لا يطلع عليه لأنه خارج من تحت خط الاستواء، ونظر إلى النيل يخرج من تحته فيمر في طريق وأنهار دقاق حتى ينتهي إلى حظيرتين، ثم يخرج منهما في نهرين حتى ينتهي إلى حظيرة أخرى، فإذا جاوز خط الاستواء مدته عين تخرج من ناحية نهر مكران بالهند؛ وتلك العين أيضا تخرج من تحت جبل القمر إلى ذلك الوجه. ويقال: إن نهر مكران، مثل النيل يزيد وينقص، وفيه **التماسيح** والأسماك التي مثل أسماك النيل.

ووجد الوليد بن دومع: القصر الذي فيه التماثيل النحاس التي عملها هرمس الأول في وقت البودشير بن قنطريم بن قبطيم ابن مصرايم. وقد ذكر قوم من أهل الأثر أن الأنهار الأربعة تخرج من أصل واحد من قبة في أرض الذهب التي من وراء البحر المظلم وهي سيحون، وجيحون، والفرات، والنيل. وأن تلك الأرض من أرض الجنة. وأن تلك القبة من زبرجد، وأنها قبل أن تسلك البحر المظلم أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور.

وممن جاء بهذا رجل من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام وصل إلى تلك القبة؛ وقطع

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٧٢/١

البحر المظلم وكان يقال له: حايد، وقال آخرون: تنقسم هذه الأنهار على اثنين وسبعين قسما حذاء اثنين وسبعين لسانا للأمم. وقال آخرون: هذه الأنهار من ثلوج تتكاثف ويذيبها الحر، فتسيل إلى هذه الأنهار وتسقي من عليها لما يريد الله عز وجل من تدبير خلقه قالوا: ولما بلغ الوليد جبل القمر، رأى جبلا عاليا؛ فعمل حيلة إلى أن صعد إليه ليرى ما خلفه، فأشرف على البحر الأسود الزفتي المنتن، ونظر إلى النيل يجري عليه كالأنهار الدقاق. فأتته من ذلك البحر روائح منتنة هلك كثير من أصحابه من أجلها، فأسرع النزول بعد أن كاد يهلك.

وذكر قوم: أنهم لم يروا هناك شمسا ولا قمرا إلا نورا أحمر كنور الشمس عند غيابها.

وأما ما ذكر عن حايد وقطعه البحر المظلم ماشيا عليه لا يلصق بقدمه منه شيء؛ وكان فيما يذكر نبيا وأوتي حكمة وأنه سأل الله تعالى: أن يريه منتهى النيل، فأعطاه قوة على ذلك." (١)

"البحر قال: وكثيرا ما يوجد في نهر النيل **التماسيح**، وإقبال النيل من أرض الحبشة ليس يختلف فيه أحد، وعدة أمياله من مخرجه المعروف إلى موقفه مائة ألف وتسعون ألفا وتسعمائة وثلاثون ميلا.

وماء النيل عكر مرمل عذب وفي، انتهى. والنيل إذا وصل إلى الجنادل كان عند انتهاء مراكب النوبة انحدار أو مراكب الصعيد إقلاعا. وهناك حجارة مضرسة لا مرور للمراكب عليها إلا في أيام زيادة النيل. ثم يأخذ على الشمال فيكون على شرقيه أسوان من الصعيد الأعلى، ويمر بين جبلين يكتنفان أعمال مصر أحدهما شرقي والآخر غربي، حتى يأتي مدينة فسطاط مصر، فتكون في بره الشرقي. فإذا تجاوز فسطاط مصر بمسافة يوم صار فرقتين: فرقة تمر حتى تصب في بحر الروم عند دمياط، وتسمى هذه الفرقة: بحر الشرق، والفرقة الأخرى هي: عمود النيل ومعظمه يقال لها: بحر الغرب تمر حتى تصب في بحر الروم أيضا عند رشيد، وكانت مدينة كبيرة في قديم الزمان.

ويقال: إن مسافة النيل من منبعه إلى أن يصب في البحر عند رشيد سبعمائة وثمانية وأربعون فرسخا. وأنه يجري في الخراب أربعة أشهر، وفي بلاد السودان شهرين، وفي بلاد الإسلام مسافة شهر.

وذهب بعضهم إلى أن زيادة ماء النيل إنما تكون بسبب المد الذي يكون في البحر فإذا فاض ماؤه تراجع النيل، وفاض على الأراضي ووضع في ذلك كتابا حاصله: إن حركة البحر التي يقال لها المد والجزر، توجد في كل يوم وليلة مرتين، وفي كل شهر قمري مرتين، وفي كل سنة مرتين. فالمد والجزر اليومي تابع لقرص القمر، ويخرج الشعاع عنه من جنبتي جرم الماء.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٩٩

فإذا كان القمر وسط السماء كان البحر في غاية المد، وكذا إذا كان القمر في وتد الأرض فإذا بزغ القمر طالعا من الشرق أو غرب كان الجزر. والمد الشهري يكون عند استقبال القمر للشمس في نصف الشهر، ويقال له: الامتلاء أيضا عند الاجتماع، ويقال له: السرار.

والجزر يكون أيضا في وقتين عند تربيع القمر للشمس في سابع الشهر، وفي ثاني عشريه.

والمد السنوي يكون أيضا في وقتين: أحدهما عند حلول الشمس آخر برج السنبلة، والآخر عند حلول الشمس بآخر برج الحوت، فإن اتفق أن يكون ذلك في وقت الامتلاء أو الاجتماع، فإنه حينئذ يجتمع الامتلاءان الشهري والسنوي، ويكون عند ذلك البحر في غاية الفيض لا سيما إن وقع الاجتماع أو الامتلاء في وسط السماء، ووقع مع النيرين أو مع أحدهما أحد الكواكب السيارة فإنه يعظم الفيض. فإن وقع كوكب فصاعدا مع أحد النيرين، تزايد عظم الفيض، وكانت زيادة النيل تلك السنة عظيمة جدا، وزاد أيضا نهر مهران. فإن كان الاجتماع أو الامتلاء زائلا عن وسط السماء، وليس مع أحد النيرين كوكب فإن النيل ونهر مهران لا يبلغان غاية زيادتهما لعدم الأنوار التي تثير المياه.." (١)

"المعدن المعروف بالشتكة وهي بلد معروف بشنقير، ومنه يخرج القمري وفرس البحر يكثر في هذا الموضع.

وحدثني سيمون صاحب عهد علوة أنه أحصى في جزيرة سبعين دابة منها، وهي من دواب الشطوط في خلق الفرس في غلظ الجاموس قصيرة القوائم لها خف، وهي في ألوان الخيل بأعراف وآذان صغار كآذان الخيل، وأعناقها كذلك، وأذنابها مثل أذناب الجواميس، ولها خرطوم عريض يظن الناظر إليها أن عليها مخلاة لها صهيل وأنياب لا يقوم حذاءها تمساح، وتعترض المراكب عند الغضب فتغرقها ورعيها في البر العشب، وجلدها فيه متانة عظيمة يتخذ منه دبابيس، انتهى.

وهو كفرس البر إلا أنه أكبر عرفا وذنبا وأحسن لونا وحافره مشقوق كحافر البقر، وجثته أكبر من الحمار بقليل، وهو يأكل التمساح أكلا ذريعا، ويقوى عليه قوة ظاهرة، وربما خرج من الماء ونزا على فرس البر، فيتولد بينهما فرس في غاية الحسن.

واتفق أن بعض الناس نزل على طرف النيل ومعه حجرة، فخرج من الماء فرس أدهم عليه نقط بيض، فنزا على الحجرة، فحملت منه، وولدت مهرا عجيب الصورة، فطمع في مهر آخر. فجاء بالحجرة والمهر إلى ذلك الموضع، فخرج الفرس من الماء، وشم المهر ساعة، ثم وثب إلى الماء، ومعه المهر فصار الرجل يتعهد

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/١٠١

ذلك المكان كثيرا فلم يعد الفرس ولا المهر إليه.

قال المسعودي: وفي نيل مصر وأرضها عجائب كثيرة من الحيوانات، فمن ذلك السمك المعروف بالرعاد والواحدة نحو الذراع إذا وقعت في شبكة الصياد ارتعدت يده، وعضده، فيعلم بوقوعها فيبادر إلى أخذها، وإخراجها من شبكته ولو أمسكها بخشب أو قصب فعلت ذلك. وقد ذكرها جالينوس أنها إن جعلت على رأس من به صداع شديد أو شقيقة وهي في الحياة هدأ من ساعته.

قال ابن البيطار «١» عن جالينوس: هو الحيوان البحري الذي يحدث الخدر، وزعم قوم أنه أدنى من رأس من يشتكي الصداع سكن صداعه، وإن أدنى من مقعدة من انقلبت مقعدته أصلحها، ولكن أنا جربت الأمرين جميعا فلم أجد يفعل ولا واحدا منهما، ففكرت أني أدنيته من رأس المصدوع والحيوان ما هو حي لأنني ظننت أنه على هذه الحال يكون دواء يمكن أن يسكن الصداع بمنزلة الأدوية، فوجدته ينفع ما دام حيا. قال ديسقوريدوس: هو سمكة بحرية مخدرة إذا وضعت على الرأس الذي عرض له الصداع المزمن سكن شدة." (١)

"وجعه، وإذا احتمله ذو المقعدة التي تبرز إلى خارج أصلحها.

وقال يونس: الزيت الذي يطبخ فيه يسكن أوجاع المفاصل الحريفة إذا دهنت به.

قال ابن البيطار: رأيت بساحل مدينة مالقة من بلاد الأندلس سمكة عريضة لون ظاهرها لون رعاد مصر سواء، وباطنها أبيض، وفعلها في تخدير ماسكها كفعل رعاد مصر، أو أشد إلا أنها لا تؤكل البتة. وقال بعضهم: إذا علقت المرأة شيئا من الرعاد عليها لم يطق زوجها البعد عنها، وكذلك إن علق منها الرجل عليه لم تكد المرأة أن تفارقه.

والسقنقور «١» : هو صنف يتوالد من السمك، **والتمساح** فلا يشاكل السمك، لأن له يدين ورجلين، ولا يشاكل **التمساح** لأن ذنبه أجرد أملس عريض غير مضرس، وذنب **التمساح** سخيف مضرس، ويتعالج بشحم السقنقور للجماع، ولا يكون بمكان إلا في النيل، وفي نهر مهران من أرض الهند، وقد بلغني أن أقواما شووها وأكلوا منها فماتوا كلهم في ساعة واحدة.

والسقنقور قال ابن سيناء: هو ورن يصاد من نيل مصر. يقولون: إنه من نسل **التمساح**، وأجود ما يصطاد في الربيع. وقال آخر: إنه فرخ **التمساح** فإذا خرج من البيض فما قصد الماء صار **تمساحا**، وما قصد الرمل صار سقنقورا.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/١٢٣

وقال ابن البيطار: هو جنس من الجراد يحفف في الخريف إذا شرب منه وزن درهمين من الموضع الذي يلي كلاه بشراب أنهض الجماع، وهو شديد الشبه بالورن. يوجد بالرمال التي تلي نيل مصر في نواحي صعيدها، وهو مما يسعى في البر، ويدخل في الماء يعني النيل، ولهذا قيل له: الورن المائي لشبهه به، ولدخوله في الماء وهو يتولد من ذكر وأنثى، ويوجد للذكر خصيتان كخصيتي الديك في خلقهما وموضعهما، وإنانة تبيض فوق العشرين بيضة وتدفنها في الرمل، وللذكر من السقنقور إحليلان، وللأنثى فرجان، والسقنقور يعض الإنسان، ويطلب الماء فإن وجده دخل فيه وإن لم يجده بال، وتمرغ في بوله، وإذا فعل ذلك مات المعضوض لوقته وسلم السقنقور، فإن اتفق أن سبق المعضوض إلى الماء فدخله قبل دخول السقنقور الماء وتمرغه في بوله مات السقنقور لوقته وسلم المعضوض. والأفضل الذكر منه والأبلغ في نفع الباه بل هو المخصوص بذلك دون الأنثى. والمختار من أعضائه ما يلي أصل ذنبه ومحاذى سرته. والوقت الذي يصاد فيه: الربيع فإنه يكون فيه هائجا للسفاد، فيكون في هذا الوقت أبلغ نفعا فإذا أخذ ذكى في يوم صيده فإنه إن ترك حيا زال شحمه، وهزل لحمه، وضعف فعله، ثم يقطع رأسه وطرف ذنبه من غير استئصال ويشق." (١)

"جوفه طولا ويلقي ما فيه إلا كلاه، وكيسه فإذا نظف حشي ملحا وخيط الشق، وعلق منكوسا في ظل معتدل الهواء حتى يجف ويؤمن فساده، ثم يرفع في إناء متخرق للهواء كالسلال المضفورة من قضبان شجر الصفصاف، والخوص ونحوه إلى وقت الحاجة. ولحمه طريا حار رطب والمجفف أشد حرارة، وأقل رطوبة ولا يوافق استعماله من مزاجه حار يابس.

وإنما يوافق ذوي الأمزجة الباردة الرطبة، وخاصة لحمه وشحمه. إنهاض شهوة الجماع، ويهيج الشبق ويقوي الاتعاظ، وينفع أمراض العصب الباردة وخاصة ما يلي سرته، ويحاذي ذنبه وينفع مفردا ومركبا، واستعماله مفردا أبلغ والمقدار منه بعد تجفيفه من مثقال إلى ثلاثة مثاقيل بحسب السن، والمزاج والبلد والوقت الحاضر يسحق ويذاب بشراب أو ماء العسل، أو نقيع الزبيب أو يذر على صفرة بيض الدجاج النيمرشت ويتحسى، وكذلك يفعل بلحمه، إذا أخذ منه من درهم إلى درهمين، وذر على صفرة البيض بمفرده أو مع مثله بزر جرجير مسحوق، ولا يوجد السقنقور إلا في بلاد الفيوم خاصة وأكثر صيده في الأربعينات إذا اشتد البرد، وخرج من الماء إلى البر فحينئذ يصاد.

وقال المسعودي: والفرس الذي يكون في نيل مصر إذا خرج من الماء وانتهى وطؤه إلى بعض المواضع من

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/١٢٤

الأرض، علم أهل مصر أن النيل يزيد إلى ذلك الموضع بعينه غير زائد عليه، ولا مقصر عنه لا يتخلف ذلك عندهم لطول العادات، والتجارب. وفي ظهوره من الماء ضرر بأرباب الأرض والغلات لرعيه الزرع، وذلك أنه يظهر من الماء في الليل، فينتهي إلى موضع من الزرع ثم يولي عائدا إلى الماء، فيرعى في حال رجوعه من الموضع الذي انتهى إليه مسيره، ولا يرعى من ذلك الذي قد رعاه شيئا في ممره، وإذا رعى ورد الماء وشرب ثم قذف ما في جوفه في مواضع شتى فينبت ذلك مرة ثانية، وإذا كثر ذلك من فعله واتصل ضرره بأرباب الضياع طرحوا له من الترمس في الموضع الذي يعرف خروجه منه مكاكي كثيرة مبدرا مبسوطا فيأكله ثم يعود إلى الماء، فإذا شرب منه ربا الترمس «١» في جوفه وانتفخ، فينشق جوفه منه، ويموت ويطفو على الماء، ويقذف به إلى الساحل والموضع الذي يرى فيه لا يرى به تمساح، وهو على صورة الفرس إلا أن حوافره وذنبه بخلاف ذلك، وجبهته واسعة.

وقال المسبحي: إن الصنف المعروف بالبلطي من أصناف السمك أول ما عرف بنيل مصر في أيام الخليفة– العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله– ولم يكن يعرف قبله في النيل، وظهر في أيامه أيضا سمك يعرف باللبيس، وإنما سمي باللبيس لأنه يشبه البوري الذي بالبحر الملح، فالتبس به وغالب الظن أنها من أسماك البحر الملح دخلت في الحلو.

ومن حيوان البحر: التمساح. قال ابن البيطار: التمساح حيوان معروف يكون في." (١)

"الأنهار الكبار. وفي النيل كثيرا ويوجد في نهر مهران، وقد يوجد في بلاد السودان، وهو الورن النيلي.

وقال ابن زهران: كل حيوان يحرك فكه الأسفل إذا أكل ما خلا التمساح فإنه يحرك فكه الأعلى دون الأسفل وشحم التمساح إذا عجن بالسمن، وجعل فيه فتيلة وأسرج في نهر أو أجمة لم ينعق ضفادعها، ما دامت تقد، وإن طيف بجلد تمساح حول قرية، ثم علق على سطح دهليز لم يقع البرد في تلك القرية، وإذا عض التمساح إنسانا فوضع على العضة شحم التمساح برأ من ساعته، وإن لطخ بشحمه جبهة كبش نطاح نفر كل كبش يناطحه، وهرب منه. ومرارته يكتحل بها للبياض في العين فيذهبه، وكبده ينجر بها المجنون فيبرأ، وزبل التمساح يزيل البياض من العين الحديث والقديم، وإن قلعت عيناه وهو حي وعلقت على من به جذام أوقفه، ولم يزد عليه شيء، وإن علق شيء من التي بجانب الأيمن رجل زاد في جماعه، وعينه اليمنى لمن يشتكي عينه اليمنى، وعينه اليسرى لمن يشتكي عينه اليسرى، وشحمه إذا أذيب بدهن ورد نفع من وجع الصلب والكليتين وزاد في الباه، وإذا أخذ دم التمساح وخلط به هليلج وأملج وطلي به على

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١٢٥/١

الوضح أذهبه، وغير لونه، وإذا طلي به على الجبهة والصدغين نفع من وجع الشقيقة، وإذا أكل لحمه اسفيد باجا سمن البدن النحيف، وشحمه إذا قطر بعد أن يذاب في الأذن الوجعة نفعها، وإن أدمن تقطيره في الأذن نفع من الصمم، وإذا دهن به صاحب حمى الربع سكنت عنه، ولحمه رديء الكيموس.

وقال المسعودي: وكذلك **التمساح** آفته من دويبة تكون في سواحل النيل وجزائره، وهو أن **التمساح** لا دبر له وما يأكله يتكون في بطنه دودا، فإذا أذاه ذلك خرج إلى البر فاستلقى على قفاه فاغرا فاه فينقض إليه طير الماء، وقد اعتاد ذلك منه، فيأكل ما يظهر من جوفه من ذلك الدود العظيم وتكون تلك الدويبة قد كمنت في الرمل فتثب إلى حلقه وتصير إلى جوفه وتخرج فيخبط بنفسه إلى الأرض ويطلب قعر النيل حتى تأتي الدويبة على حشو جوفه، ثم تخرج جوفه وتخرج. وربما قتل نفسه قبل أن تخرج فتخرج بعد موته، وهذه الدويبة تكون نحو الذراع على صورة ابن عرس ذات قوائم شتى ومخالب. ويقال: إن بجبال فسطاط مصر طلسم معمول بها، وكان **التمساح** لا يستطيع القرب حوله بل كان إذا بلغ حددوده انقلب، واستلقى على ظهره فيعبث به الصبيان إلى أن يجاوز نهاية المدينة، ثم يعود مستويا ويعود إلى طباعه، ثم إن هذا الطلسم كسر فبطل فعله، ويقال: إن **التمساح** يبيض كبيض الأوز، وربما تولد فيه جرادين صغار ثم تكبر حتى يبلغ طولها عشرة أذرع، وتزداد طولا كلما عمرت، **والتمساح** يرتعش ستين مرة في حركة واحدة ومحل واحد، وسنه اليسرى نافعة للنافض.." (١)

"يجلس في أعلاها، وله وجه عظيم فيخاطبهم.

(فلما مات ملك بعده ابنه أرقليمون) : وكان كاهنا ساحرا، فعمل أعمالا عظيمة منها:

أنه كان يجلس في السحاب، فيرونه في صورة إنسان عظيم، وأقام مدة على ذلك، ثم إنه غاب عن أهل مصر، وصاروا بغير ملك، ثم رأوا صورة بحذاء جرم الشمس عند حلولها أول برج الحمل، فأمرهم أن يقلدوا الملك عديم بن قفطيم وأعلمهم أنه ما بقي يعود إليهم.

فولوا عليهم عديم بن قفطيم: وكان جبارا عظيما وهو أول من صلب بمصر، وذلك أن امرأة ورجلا زنيا، فصلبهما، وجعل ظهر كل منهما لظهر الآخر، وبنى أربع مدائن أودعها كنوزا عظيمة، وجعل عليها طلسمات، وعدة عجائب وعمل منارا على البحر الشرقي، وعليه صنم إلى الشرق حتى لا يغلب البحر على أرض مصر، وعمل قنطرة على النيل في أرض النوبة، وأقام ملكا مائة وأربعين سنة، ومات وعمره سبعمائة وثلاثون سنة.

(وملك بعده ابنه شدات بن عديم) : وهو الذي تسميه العامة: شداد بن عاد، وكان عالما كاهنا ساحرا

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/١٢٦

ويقال: إنه هو الذي بنى الأهرام الدهشورية، وعمل أعمالا عظيمة وطلسمات عجيبة وبنى في الجانب الشرقي مدائن، وفي أيامه بنيت قوص وغزا الحبشة، وسباهم وأقام ملكا تسعين سنة، وهو أول من اتخذ الجوارح وصاد بها وولد الكلاب السلوقية، وعمل في بركة سيوط **تماسيح** منصوبة تنصب إليها **التماسيح** من النيل انصبابا، فيقتلها ويعلق جلودها في السفن، واتفق أنه طرد صيدا فكبابه فرسه في وهدة، فهلك.

وكان قد غضب على بعض خدمه فرماه من جبل عال، فتقطع، فرأى أنه يصيبه مثل ذلك، ولما هلك وضع في ناوس ودفنت معه أمواله وعمل عليه طلسم يمنعه ممن يقصده، وكتب عليه: لا ينبغي لذي القدرة أن يخرج عن الواجب، ولا يفعل ما لا يجوز له فعله، فيجازي بعمله.

هذا ناوس بن شدات بن عديم، فعل ما لا يحل له فعله، فكوفىء عليه بمثله.

وملك بعده ابنه منقاوش: وكان حكيما فاضلا كاهنا، عمل أعمالا عجيبة، وبنى أشياء معجبة منها: أنه عمل هيكلا لصور الكواكب على ثمانية فراسخ من منف، وكنز من الأموال ما لا يحصى، وفتح عليه من المعادن ما لم يفتح به على غيره، وسار في الجنوب يوما ثم سار مغربا يوما وبعض آخر، فانتهى في اليوم الثالث إلى جبل أسود، فعمل تحته أسرابا ومغاير، ودفن فيها أمواله وزبر عليها حتى أنه من كثرتها يقال: إنه دفن حمل اثني عشر ألف عجلة ذهبا وجواهر، وأقام أربع سنين يرسل في كل سنة عجلا كثيرة يدفنها، وبقيت آثار العجل ترى فيما بين منف والمغرب زمانا طويلا، وبنى هيكلا للقمر، ويقال: إنه هو الذي بنى مدينة منف لبناته، وكن ثلاثين بنتا، وأنه ألزم الناس بعمل الكيمياء، فكانوا لا." (١)

"متصلة، وعمارة حسنة بأبرجة حمام، ومواش وأنعام وأكثر ميرة مدينتهم منها، وطيورها النقيط والنوبي والببغاء، وغير ذلك من الطيور الحسان، وأكثر نزهة كبيرهم في هذه الناحية.

قال: وكنت معه في بعض الأوقات، فكان سيرنا في ظل شجر من الحافتين في الخلجان الضيقة، وقيل: إن **التمساح** لا يضر هناك، ورأيتهم يعبرون أكثر هذه الأنهار سباحة، ثم سفد بقل، وهي ناحية ضيقة شبيهة بأول بلادهم إلا أن فيها جزائر حسانا، وفيها دون المرحلتين نحو، ثلاثين قرية بالأبنية الحسان، والكنائس والأديار والنخل الكثير والكروم والبساتين والزرع، ومروج كبار فيها إبل وجمال صهب مؤبلة للنتاج، وكبيرهم يكثر الدخول إليها لأن طرفها القبلي يحاذي دنقلة مدينتهم، ومن مدينة دنقلة دار المملكة إلى أسوان، خمسون مرحلة، وذكر صفتها، ثم قال: إنهم يسقفون مجالسهم بخشب السنط، وبخشب الساج الذي يأتي به النيل في وقت الزيادة سقالات منحوتة لا يدري من أين تأتي.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢٥٧/١

ولقد رأيت على بعضها علامة غريبة، ومسافة ما بين دنقلة إلى أول بلد علوة أكثر مما بينها وبين أسوان، وفي ذلك من القرى والضياع والجزائر والمواشي والنخل والشجر والمقل والزرع والكرم، أضعاف ما في الجانب الذي يلي أرض الإسلام، وفي هذه الأماكن جزائر عظام مسيرة أيام، فيها الجبال والوحش والسباع، ومفاوز يخاف فيها العطش، والنيل يعطف من هذه النواحي إلى مطلع الشمس، وإلى مغربها مسيرة أيام، حتى يصير المصعد كالمنحدر، وهي الناحية التي تبلغ العطوف من النيل إلى المعدن المعروف: بالشلة، وهو بلد يعرف بشنقير، ومنه خرج العمري، وتغلب على هذه الناحية إلى أن كان من أمره ما كان، وفرس البحر، يكثر في هذه المواضع، ومن هذه الموضع طرق إلى سواكن وباصع ودهلك وجزائر البحر، ومنها عبر من نجا من بني أمية عند هربهم إلى النوبة، وفيها خلق من البجة يعرفون بالرنافج انتقلوا إلى النوبة قديما وقطنوا هناك وهم على حدتهم في الرعي واللغة، لا يخالطون النوبة، ولا يسكنون قراهم، وعليهم وال من قبل النوبة.

ذكر تشعب النيل من بلاد علوة ومن يسكن عليه من الأمم

اعلم أن النوبة والمقرة جنسان بلسانين، كلاهما على النيل، فالنوبة هم: المريس المجاورون لأرض الإسلام، وبين أول بلدهم، وبين أسوان خمسة أميال، ويقال: إن سلها جد النوبة، ومقري جد المقرة من اليمن.

وقيل: النوبة ومقري من حمير، وأكثر أهل الأنساب على أنهم جميعا من ولد حام بن نوح، وكان بين النوبة والمقرة حروب قبل النصرانية، وأول أرض المقرة قرية تعرف بنافة على مرحلة من أسوان، ومدينة ملكهم، يقال لها: نجراش، على أقل من عشر مراحل من أسوان، ويقال: إن موسى صلوات الله عليه، غزاهم قبل مبعثه في أيام فرعون، فأخرب نافة، وكانوا صابئة يعبدون الكواكب، وينصبون التماثيل لهم، ثم تنصروا جميعا النوبة." (١)

"كالطيلسان، وفي دائرة عمد على عدة أيام السنة الشمسية، كلها من الصوان الأحمر الماتع، ومسافة ما بين كل عمودين، مقدار خطوة إنسان، وكان ماء النيل يدخل إلى هذا الملعب من فوهة عند زيادة الماء، فإذا بلغ ماء النيل الحد الذي كان إذ ذاك يحصل منه ري أرض مصر وكفايتها، جلس الملك عند ذلك في مشرف له، وصعد القوم من خواصه إلى رؤوس الأعمدة المذكورة، فيتعادون عليها ما بين ذاهب وآت، ويتساقطون من الأعمدة إلى الملعب، وهو ممتلئ بالماء.

قال أبو عبيد البكري: أنصنا، بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده صاد مهملة مكسورة ونون وألف، كورة من كور

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣٥٤/١

مصر معروفة منها: كانت سرية النبي صلى الله عليه وسلم أم ابنه إبراهيم من قرية يقال لها حفن من قرى هذه الكورة، ويقال: إن سحرة فرعون كانوا منها، وإنه جلبهم منها يوم الموعد للقاء موسى عليه السلام.

ويقال: إن **التمساح** لا يضر بساحل أنصنا لطلاسم وضعت بها، وإنه إذا حاذى برها انقلب على ظهره، حتى يجاوزها، ويقال: إن الذي بنى مدينة أنصنا أشمون بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح، وهي واقعة في شرقي النيل، وكانت حسنة البساتين والمنتزهات كثيرة الثمار والفواكه، وهي الآن خراب.

وقال أبو حنيفة الدينوري: ولا ينبت البنج إلا بأنصنا، وهو عود ينشر منه ألواح للسفن، وربما أرعفت ناشرها ويباع اللوح منها بخمسين دينارا ونحوها، وإذا شد لوح منها بلوح، وطرح في الماء ستة أيام صارا لوحا واحدا، وكان لأنصنا سور عتيق هدمه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وجعل على كل مركب منحدر في النيل، جزأ من حمل صخره إلى القاهرة، فنقل بأسره إليها.

ذكر القيس

اعلم أن القيس من البلاد التي تجاور مدينة البهنسا، وكان يقال: القيس والبهنسا. قال ابن عبد الحكم: بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث إلى الصعيد، فسار حتى أتى القيس، فنزل بها فسميت به.

وقال ابن يونس: قيس بن الحارث المرادي، ثم الكعبي، شهد فتح مصر، يروي عن عمر بن الخطاب، وكان يفتي الناس في زمانه، روى عنه سويد بن قيس، وقيل: شديد بن قيس بن ثعلبة، وروى عنه عسكر بن سوادة، وهو الذي فتح القرية بصعيد مصر المعروفة بالقيس، فنسبت إليه.

وقال ابن الكندي: ولهم ثياب الصوف وأكسية المرعز، وليس هي بالدنيا إلا بمصر، وذكر بعض أهل مصر: أن معاوية بن أبي سفيان، لما كبر كان لا يدفأ، فاجتمعوا أنه لا يدفيه." (١)

"عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بذلك يخبره، أن همدان وآل ذي أصبح ويافعا ومن كان معهم أحبوا المقام بالجيزة، فكتب إليه كيف رضيت أن تفرق عنك أصحابك، وتجعل بينك وبينهم بحرا لا تدري ما يفجأهم، فلعلك لا تقدر على غياثهم، فاجمعهم إليك، ولا تفرقهم فإن أبوا وأعجبهم مكانهم، فابن عليهم حصنا من فيء المسلمين، فجمعهم عمرو وأخبرهم بكتاب عمر فامتنعوا من الخروج من الجيزة، فأمر عمرو ببناء الحصن عليهم، فكرهوا ذلك، وقالوا: لا حصن أحصن لنا من سيوفنا، وكرهت ذلك همدان ويافع، فأقرع عمرو بينهم، فوقعت القرعة على يافع، فبنى فيهم الحصن في سنة إحدى وعشرين، وفرغ من بنائه في سنة اثنتين عشرين، وأمرهم عمرو بالخطط بها، فاختط ذو أصبح من حمير من الشرق،

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٣٧٧

ومضوا إلى الغرب، حتى بلغوا أرض الحرث والزرع، وكرهوا أن يبني الحصن فيهم، واختط يافع بن الحرث من رعين، بوسط الجيزة وبنى الحصن في ءطظهم وخرجت طائفة منهم عن الحصن أنفه منه، واختطت بكيل بن جشم من نوف من همدان في مهب الجنوب من الجيزة في شرقيها، واختطت حاشد بن جشم من نوف في مهب الشمال من الجيزة في غربيها، واختطت الجباوية بنو عامر بن بكيل في قبلي الجيزة، واختطت بنو حجر بن أرحب بن بكيل في قبلي الجيزة، واختط بنو كعب بن مالك بن الحجر بن الهبو بن الأزد، فيما بين بكيل ويافع، والحبشة اختطوا على الشارع الأعظم.

والمسجد الجامع بالجيزة بناه محمد بن عبد الله الخازن في المحرم سنة خمسين وثلثمائة بأمر الأمير علي بن الإخشيد، فتقدم كافور، إلى الخازن ببنائه، وعمل له مستغلا، وكان الناس قبل ذلك بالجيزة يصلون الجمعة في مسجد همدان، وهو مسجد مراحق بن عامر بن بكيل، كان يجمع فيه الجمعة في الجيزة، وشارف بناء هذا الجامع الخازن، أبو الحسن بن أبي جعفر الطحاوي، واحتاجوا إلى عمد للجامع، فمضى الخازن في الليل إلى كنيسة بأءمال الجيزة فقلع عمدها، ونصب بدلها أركانا، وحمل العمد إلى الجامع، فترك أبو الحسن بن الطحاوي الصلاة فيه مذ ذاك تورعا.

قال اليمني: وقد كان ابن الطحاوي، يصلي في جامع الفسطاط العتيق، وبعض عمده أو أكثرها ورخامه من كنائس الإسكندرية، وأرياف مصر، وبعضه بناه قرة بن شريك، عامل الوليد بن عبد الملك، ويقال: إن بالجيزة قبر كعب الأحبار، وإنه كان بها أحجار ورخام قد صورت فيها **التماسيح**، فكانت لا تظهر فيما يلي البلد من النيل، مقدار ثلاثة أميال علوا وسفلا.

وفي سنة أربع وعشرين وسبعمائة منع الملك الناصر، محمد بن قلاون، الوزير أن يتعرض إلى شيء مما يتحصل من مال الجيزة، فصار جميعه يحمل إليه.." (١)

"زمان شاروح بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، وإن سني الدنيا صارت إلى زمان شاروح، ألفين وتسعمائة وخمس سنين يكون ذلك بعد الطوفان بستمائة وثلاث وستين سنة، وبها كانت فرهة الخيل، والبغال والحمير، وكان يعمل بها فرش القرمز الذي يشبه الأرمني.

وكان ينزل بأرض الأشمونين عدة بطون من بني جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانوا بادية أصحاب شوكة، وكان معهم بنو مسلمة بن عبد الملك بن مروان خلفاء لهم، ومعهم بطن آخر يقال لهم: إن أباهم كان مولى لعبد الملك بن مروان، ويزعمون أنهم من بني أمية صلبية، وكان معهم أيضا حلفاء لهم بنو خالد

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣٨١/١

بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ينزلون، أرض دلجة عند أشمون.

ذكر مدينة إخميم

ضبطها البكري «١» : بكسر الهمزة، وإسكان الخاء، ثم ميم وياء وميم على بناء إفعيل، وهي في الجانب الشرقي من النيل، والذي بناها مناقيوش أحد ملوك القبط الأول.

قال ابن وصيف شاه: كان جلدا محتكما، فاستأنف العمارة وبنى القرى، ونصب الأعلام، وجمع الحكم، ومصاحف الملوك والحكماء، وعمل العجائب، وبنى لنفسه مدينة انفرد بها، وعمل عليها حصنا، ونصب عليه أربعة أعلام في كل ركن من أركانه علم، وبين تلك الأعلام ثمانون صنما من نحاس، وأخلاط في أيديهما السلاح، وزبر على صدرها آياتها.

وكان بمنف رجل من أولاد الكهنة من أعلم الناس بالسحر، وأبصرهم بأخذ **التماسيح** والسباع، وكان يعلم الغلمان السحر، فإذا حذقوا علم غيرهم، فأمر الملك أن يبني له مدينة، ويحول إليها وهي إخميم، فملكهم مناقيوش نيفا وأربعين سنة ومات، فدفن في الهرم المحاذي لأطفيح، ومعه شيء كثير من المال والجوهر والآنية والتماثيل، وزبر عليه اسمه، والوقت الذي هلك فيه، قال: وذكر أهل إخميم: أن رجلا أتى من الشرق وكان يلزم البربا، ويأتي إليه كل يوم ببخور، وخلوق فيبخر، ويطيب صورة في عضادة الباب، فيجد تحتها دينارا، فيأخذه، وينصرف ففعل ذلك مدة حتى وشى به غلام له إلى عامل البلد، فقبض عليه، فبذل مالا وخرج عن البلد.

وكانت بربا إخميم من أعجب البرابي، وأعظمها قد بنيت لخزن برهم فإنهم قضوا على أهل مصر بالطوفان قبل وقته بقرائن، لكنهم اختلفوا فيه، فقال بعضهم: تكون نار." (١)

"ثم يا غوثاه يردد ذلك. فكتب إليه عمرو: من عبد الله عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين، أما بعد: فيا لبيك ثم يا لبيك، قد بعثت إليك بعير أولها عندك وآخرها عندي، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فبعث إليه بعير عظيمة، فكان أولها بالمدينة وآخرها بمصر يتبع بعضها بعضا. فلما قدمت على عمر رضي الله عنه، وسع بها على الناس، ودفع إلى أهل كل بيت بالمدينة وما حولها بعيرا بما عليه من الطعام، وبعث عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص يقسمونها على الناس، فدفعوا إلى أهل كل بيت بعيرا بما عليه من الطعام، ليأكلوا الطعام، ويأتدموا بلحمه، ويحتذوا بجلده، وينتفعوا بالوعاء الذي كان فيه الطعام فيما أرادوا من لحاف أو غيره. فوسع الله بذلك على الناس، فلما رأى ذلك عمر رضي الله عنه،

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٤٤٢/١

حمد الله وكتب إلى عمرو بن العاص أن يقدم عليه هو وجماعة من أهل مصر معه، فقدموا عليه. فقال عمر: يا عمرو، إن الله قد فتح على المسلمين مصر، وهي كثيرة الخير والطعام، وقد ألقى في روعي لما أحببت من الرفق بأهل الحرمين والتوسعة عليهم حين فتح الله عليهم مصر، وجعلها قوة لهم ولجميع المسلمين، أن أحفر خليجا من نيلها حتى يسيل في البحر، فهو أسهل لما نريد من حمل الطعام إلى المدينة ومكة، فإن حمله الظهر يبعد، ولا نبلغ به ما نريد، فانطلق أنت وأصحابك فتشاوروا في ذلك حتى يعتدل فيه رأيكم، فانطلق عمرو فأخبر من كان معه من أهل مصر، فثقل ذلك عليهم وقالوا: نتخوف أن يدخل من هذا ضرر على مصر، فنرى أن تعظم ذلك على أمير المؤمنين وتقول له: إن هذا أمر لا يعتدل ولا يكون ولا نجد إليه سبيلا. فرجع عمرو بذلك إلى عمر فضحك عمر رضي الله عنه حين رآه وقال:

والذي نفسي بيده لكأني أنظر إليك يا عمرو وإلى أصحابك حين أخبرتهم بما أمرنا به من حفر الخليج، فثقل ذلك عليهم وقالوا يدخل من هذا ضرر على أهل مصر . فنرى أن تعظم ذلك على أمير المؤمنين وتقول له، إن هذا أمر لا يعتدل ولا يكون، ولا نجد إليه سبيلا.

فعجب عمرو من قول عمرو قال: صدقت والله يا أمير المؤمنين، لقد كان الأمر على ما ذكرت. فقال له عمر رضي الله عنه: انطلق بعزيمة مني حتى تجد في ذلك، ولا يأتي عليك الحول حتى تفرغ منه إن شاء الله تعالى.

فانصرف عمرو وجمع لذلك من الفعلة ما بلغ منه ما أراد، ثم احتفر الخليج في حاشية الفسطاط الذي يقال له خليج أمير المؤمنين، فساقه من النيل إلى القلزم، فلم يأت الحول حتى جرت فيه السفن، فحمل فيه ما أراد من الطعام إلى المدينة ومكة، فنفع الله بذلك أهل الحرمين، وسمي خليج أمير المؤمنين، ثم لم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه بعد عمر بن عبد العزيز، ثم ضيعه الولاة بعد ذلك فترك وغلب عليه الرمل فانقطع، فصار منتهاه إلى ذنب **التمساح** من ناحية بطحاء القلزم.." (١)

"سيروا بنا ننظر إلى السفن التي سيرها الله تعالى إلينا من أرض فرعون حتى أتتنا. فأتى الجار وقال: اغتسلوا من ماء البحر فإنه مبارك، فلما قدمت السفن الجار وفيها الطعام، صك عمر رضي الله عنه للناس بذلك الطعام صكوكا، فتبايع التجار الصكوك بينهم قبل أن يقبضوها، فلقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه العلاء بن الأسود رضي الله عنه فقال: كم ربح حكيم بن حزام؟ فقال: ابتاع من صكوك الجار بمائة ألف درهم وربح عليها مائة ألف، فلقيه عمر رضي الله عنه فقال له: يا حكيم كم ربحت؟ فأخبره بمثل خبر

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣/٢٥٢

العلاء. قال عمر رضي الله عنه: فبعته قبل أن تقبضه؟ قال نعم. قال عمر رضي الله عنه: فإن هذا بيع لا يصح فاردده.

فقال حكيم: ما علمت أن هذا بيع لا يصح، وما أقدر على رده. فقال عمر رضي الله عنه: لا بد. فقال حكيم: والله ما أقدر على ذلك، وقد تفرق وذهب، ولكن رأس مالي وربحي صدقة.

وقال القضاعي في ذكر الخليج: أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن العاص عام الرمادة بحفر الخليج الذي بحاشية الفسطاط الذي يقال له خليج أمير المؤمنين، فساقه من النيل إلى القلزم، فلم يأت عليه الحول حتى جرت فيه السفن، وحمل فيه ما أراد من الطعام إلى المدينة ومكة، فنفع الله تعالى بذلك أهل الحرمين، فسمي خليج أمير المؤمنين.

وذكر الكندي في كتاب الجند العربي أن عمرا حفره في سنة ثلاث وعشرين، وفرغ منه في ستة أشهر، وجرت فيه السفن ووصلت إلى الحجاز في الشهر السابع، ثم بنى عليه عبد العزيز بن مروان قنطرة في ولايته على مصر. قال: ولم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه عمر بن عبد العزيز، ثم أضاعته الولاة بعد ذلك فترك وغلب عليه الرمل، فانقطع وصار منتهاه إلى ذنب **التمساح** من ناحية بطحاء القلزم.

وقال ابن قديد: أمر أبو جعفر المنصور بسد الخليج حين خرج عليه محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة ليقطع عنه الطعام، فسد إلى الآن.

وذكر البلاذري أن أبا جعفر المنصور لما ورد عليه قيام محمد بن عبد الله قال: يكتب الساعة إلى مصر أن تقطع الميرة عن أهل الحرمين، فإنهم في مثل الحرجة إذا لم تأتهم الميرة من مصر.

وقال ابن الطوير وقد ذكر ركوب الخليفة لفتح الخليج، وهذا الخليج هو الذي حفره عمرو بن العاص لما ولي على مصر في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بحر فسطاط مصر الحلو، وألحقه بالقلزم بشاطئ البحر الملح، فكانت مسافته خمسة أيام، لتقرب معونة الحجاز من ديار مصر في أيام النيل، فالمراكب النيلية تفرغ ما تحمله من ديار مصر بالقلزم، فإذا فرغت حملت ما في القلزم مما وصل من الحجاز وغيره إلى مصر، وكان مسلكا للتجار وغيرهم في وقته المعلوم، وكان أول هذا الخليج من مصر يشق الطريق." (١)

"مسجد رياض

هو لوقافة الحافظ لدين الله، كانت تقف بين يديه بالقصر، وكان بجوار المصنعة الصغرى الطولونية التي

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣/٢٥٤

يجيء الماء إليها من عفصة الكبرى، وكان فيه حوش به عدة بيوت للنساء المنقطعات.

مسجد عظيم الدولة

هذا المسجد كان معلقا بخط سوق القرافة الكبرى، واكن عظيم الدولة هذا صقلبيا صاحب الستر وحامل المظلة، وكان بجوار هذا المسجد مسجد **التمساح**، ومسجد السدرة، ومسجد جهة مراد، وكان القاضي أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج هبة الله بن الميسر، لما عمل قدامة منارة النحاس الرومية ذات السواعد، واجتاز بها من تحت سدرة المسجد في ليلة الوقود، نصف شهر رجب سنة ثلاثين وخمسمائة، عاقتها السدرة فأمر بقطع بعضها، فقيل له: لا تفعل، فإن قطع السدر محذور. وقد روى أبو داود في كتاب السنن له، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار» فقطعها على ركوب نصف شعبان، فما أسنى وصرف في المحرم وفني إلى تنيس وقتل.

مسجد أبي صادق

هذا المسجد كان غربي مسجد الأقدام، بناه ابن سعدون أبو الحسن علي بن محمد البغدادي، بعد سنة عشرين وأربعمائة، وجدده أخوه أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسن بن سعدون البغدادي سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة، وهو مسجد أبي صادق مرشد المديني المالكي المحدث، وكان قاريء المصحف بالجامع، ومصليا به، ومصدرا فيه لإقراء السبع، وكان فيه حنة على الحيوانات لا سيما على القطط والكلاب، وكان مشارف الجامع وجعل عليه جاريا من الغدد كل يوم لأجل القطط، وكان عند داره بزقاق الأقفال من مصر كلاب يطعمها ويسقيها، وربما تبع دابته منها شيء يمشي معه في الأسواق، قال الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة في كتاب النقط على الخطط: حدثني الشيخ منجب غلام أبي صادق قال: كان لمولاي الشيخ أبي صادق كلب لا يفارقه أبدا، إذا كان راكبا يمشي خلفه، فإذا وقفت بغلته قام تحت يديها، فإذا رآه الناس قالوا هذا أبو صادق وكلبه.

وحدثني قال: ولدت كلبة في مستوقد حمام، وكان المؤذن يأتي خلف مولاي سحرا كل يوم لقراءة المصحف، وكان مولاي يأخذ في كمه كل يوم رغيفا، فإذا حاذى موضع الكلبة قلع طيلسانه وقطع الخبز للكلبة ويرمي لها بنفسه إلى أن تأكل، ثم يستدعي الوقاد ويعطيه قيراطا ويقول له: اغسل قدحها واملأه ماء حلوا، ويستحلفه على ذلك. فلما كبر أولادها صار يأخذ بعد رغيفين إلى أن كبروا وتفرقوا. وحدثني قال: كان قد جعل كراء حانوت برسم." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٤/٣٣٨

"واللقيط ابن بكير ... نطفة الفدم الطريد

وابن سهم حارس الجي ... زة حلوان البريد

عصبة من طينة الن ... يل مناسي الجدود

لبسوا بعد التبابي ... ن نفيسات البرود

لا زموا المسجد ضلا ... لا من الأمر الرشيد

وتسموا وتكنوا ... بعد جرجه وشنود

لحوا نيت بنوها ... بفناكل عمود

تحت أميال طوال ... كبراطيل اليهود

نصبوها كالمقاعي ... د على رؤس القرود

وتراهم للوصايا ... وعدالات الشهود

في مراء وجدال ... وقيام وقعود

وخشوع وابتهال ... وروكوع وسجود

وعلى القسمة أضرى ... من تماسيح الصعيد

وأشاروا للهدايا ... بأبي عبد الحميد

وقال عمرو بن خالد الحراني: كان أحسن ما عمله لهيعة في ولايته الثانية أنه تتبع الأحباس فقضى فيها فلم يبق حبس حتى حكم فيه إما ببينة ثبتت عنده وأما بإقرار أهل الحبس.

ومات لهيعة وهو على القضاء في أول ذي القعدة سنة أربع ومائتين.

وكان لهيعة يقول: أنا تاسع تسعة ولوا قضاء مصر من حضرموت.

وقال أحمد بن عبد الرحمن بن وهب: واجتهد عباد في ولاية عبد الله بن وهب القضاء فتغيب في منزل يحيى بن حرملة فأمر عباد بهدف داره، قال:." (١)

"جزاء ملك أضر برعيته من غير قصد؟ قال الموبذان: جزاؤه أن يجلس على التراب كما فعل ملك الزمان، ويرجع عن الخطأ إلى الصواب وإلا سخطت عليه النيران.

فقال: قد رجعت عما وقعت فيه، فهل ترضون بسد ما حفرت؟ قالوا: لا نكلف الملك ذلك: قال: فما تريدون؟ قالوا: مرنا أن نجري من القاطول نهرا لنحيي أرضنا. فقال: لا أكلفكم ذلك. ثم أمر أصحابه وجنده

---

(١) رفع الإصر عن قضاة مصر ابن حجر العسقلاني ص/٣١٤

بالإقامة في مجلسه وقال: لا أبرح من مكاني حتى أرى نهرا يجري دون القاطول يسقي أراضي هؤلاء المساكين، والجاني أولى بالخسارة. فما برح من مكانه ذلك حتى أجرى لهم نهرا دون القاطول بناحية القورج، وساقوا الماء إلى أراضيهم وعمرت، وسقوا منها أنفسهم ومواشيهم.

فهذا كان عدله في رعيته وهو كافر يعبد النيران.

نهر الكر: هو بين أرمينية وأذال. وهو نهر مبارك وكثيرا ما ينجو غريقه. قال بعض الفقهاء نقجوان: وجدنا غريقا في الكر يجري به الماء فبادر القوم إليه فأدركوه على آخر رمق، فلما رجعت إليه روحه قال: في أي موضع أنا؟ قالوا: في نقجوان. قال: إني وقعت في الموضع الفلاني. فإذا مسيرة ذلك المكان ستة أيام. فطلب منهم طعاما فذهبوا ليأتوه به؛ فانقض عليه جدار فمات.

نهر مهران: وهو بالسند، عرضه عرض جيحون يجري من المشرق إلى المغرب، ويقع في بحر فارس. قيل إنه يخرج من جبل يخرج منه بعض أنهار جيحون، وهو نهر عظيم فيه **تماسيح** كنيل مصر، إلا أنها أضعف وأصغر. وهو يمتد على الأرض ويزرع عليه كما يزرع على النيل، وينقص ويزيد كالنيل، حذو النعل بالنعل، ولا يوجد **تمساح** قط إلا بنهر مهران والنيل.." (١)

"وخصت **بالتماسيح** التي هي أخبث حيوان في الماء وليس فيها منفعة بوجه من الوجوه.

اليمن: من خصائصها السيوف والبرود والقرود، والزرافة التي فيها شبه من الناقة والثور والنمر، ومن خصائصها العقيق الذي ملأ الدنيا كثرة.

البصرة والكوفة: كان يقال: الدنيا بصرة ولا مثلك يا بغداد. وكان جعفر بن سليمان يقول: العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة وداري عين المربد وقال الحافظ في المد والجزر بالبصرة: ما قولكم وظنكم بقوم يأتيهم الماء صباحا ومساء فإن شاؤوا أذنوا له وإن شاؤوا حجبوه.

ويحكى أن أمير المؤمنين هرون الرشيد قال لجعفر بن يحيى وزيره وهما بالكوفة في آخر الليل: قم بنا يا جعفر نتنسم هواء الكوفة قبل أن تكدره العامة بأنفاسها. ومن أصدق ما قيل: الكوفي لا يوفي.." (٢)

"وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله.

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/٢٥٤

(٢) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/٣٦٨

وقال وهب بن منبه، قال موسى لفرعون: آمن ولك الجنة ولك ملكك. قال: حتى أشاور هامان، فشاوره في ذلك، فقال له هامان: بينما أنت إله تعبد إذ صرت تعبد.

فأنف واستكبر، وكان من أمره ما كان.

وعلى هذا النمط كان وزير الحجاج يزيد بن مسلم لا يألوه خبالا. ولبئس القرناء شر قرين لشر خدين، وأشرف منازل الآدميين النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة، وفي الأمثال: نعم الظهير الوزير. وأول ما يظهر نبل السلطان وقوة تمييزه وجودة عقله في انتخاب الوزراء واستنقاء الجلساء ومحادثة العقلاء، فهذه ثلاث خلال تدل على كماله، وبهذه الخلال يجمل في الخلق ذكره، وترسخ في النفوس عظمته، والمرء موسوم بقرينه، وكان يقال حلية الملوك وزينتهم وزراؤهم.

وفي كتاب كليلة ودمنة: لا يصلح السلطان إلا بالوزراء والأعوان. وقال شريح بن عبيد: لم يكن في بني إسرائيل ملك إلا معه رجل حكيم إذا رآه غضبان كتب إليه صحائف، وفي كل صحيفة: إرحم المسكين واخش الموت، واذكر الآخرة، فكلما غضب الملك ناوله الحكيم صحيفة حتى يسكن غضبه، ومثل الملك الخير والوزير السوء الذي يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من الدنو منه، كالماء الصافي فيه **التمساح**، فلا يستطيع المرء دخوله، وإن كان سابحا وإلى الماء محتاجا، ومثل السلطان كمثل الطبيب، ومثل الرعية كمثل المرضى، ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والأطباء، فإذا كذب السفير بطل التدبير. وكما أن السفير إذا أراد أن يقتل أحدا من المرضى وصف للطبيب نقيض دائه، فإذا سقاه الطبيب على صفة السفير هلك العليل، كذلك الوزير ينقل إلى الملك ما ليس في الرجل، فيقتله الملك، فمن ههنا شرط في الوزير أن يكون صدوقا في لسانه، عدلا في دينه، مأمونا في أخلاقه، بصيرا بأمور الرعية، وتكون بطانة الوزير أيضا من أهل الأمانة والبصيرة، وليحذر الملك أن يولي الوزارة لئيما، فاللئيم إذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه، واستخف بالأشراف وتكبر على ذوي الفضل.

ودخل بعض الوزراء على بعض الخلفاء وكان الوزير من أهل العقل والأدب، فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفة يميل إليه ويقربه، فقال الوزير منشدا:

يا ملكا طاعته لازمه ... وحبه مفترض واجب

إن الذي شرفت من أجله ... يزعم هذا أنه كاذب

وأشار إلى الذمي، فاسأله يا أمير المؤمنين عن ذلك، فسأله، فلم يجد بدا من أن يقول هو صادق، فاعترف بالإسلام.

وكان بعض الملوك قد كتب ثلاث رقاع، وقال لوزيره إذا رأيتني غضبان، فادفع إلي رقعة بعد رقعة، وكان في الأولى إنك لست بإله، وإنك ستموت، وتعود إلى التراب، فيأكل بعضك بعضا، وفي الثانية: ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء، وفي الثالثة: اقض بين الناس بحكم الله، فإنهم لا يصلحهم إلا ذلك.

ولما كانت أمور المملكة عائدة إلى الوزراء، وأزمة «١» الملوك في أكف الوزراء سبق فيهم من العقلاء المثل السائر، فقالوا: لا تغتر بمودة الأمير إذا غشك الوزير، وإذا أحبك الوزير، فنم لا تخش الأمير، ومثل السلطان كالدار والوزير بابها، فمن أتى الدار من بابها ولج ومن أتاها من غير بابها انزعج. وموقع الوزارة من المملكة كموقع المرآة من البصر، فكما أن من لم ينظر في المرآة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه، كذلك السلطان إذا لم يكن له وزير لا يعلم محاسن دولته وعيوبها. ومن شروط الوزير أن يكون كثير الرحمة للخلق رؤوفا بهم ...

واعلم أنه ليس للوزير أن يكتم عن السلطان نصيحة، وإن استقلها، وموضع الوزير من المملكة كموضع العينين من الرأس، وكما أن المرآة لا تريك وجهك إلا بصفاء جوهرها وجودة صقلها ونقائها من الصدأ، كذلك السلطان لا يكمل أمره إلا بجودة عقل الوزير، وصحة فهمه، ونقاء قلبه. والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.." (١)

"يديل بأنياب حداد كأنها ... إذا قلص الأشداق عنها خناجر

فائدة: إذا أقبلت على واد مسبع، فقل أعوذ بدانيال والجب من شر الأسد، وسبب ذلك على ما قيل: إن بختنصر رأى في نومه أن هلاكه يكون على يد مولود، فجعل يأمر بقتل الأطفال، فخافت أم دانيال عليه، فجاءت إلى بئر، فألقته فيه، فأرسل الله له أسدا يحرسه، وقيل: إن بختنصر توهم ذلك في دانيال، فضرى له أسدين وجعلهما في الجب وألقاه عليهما، فلم يؤذياه، وصار يبصبصان حوله، ويلحسانه، فأقام ما شاء الله تعالى أن يقيم، ثم اشتهى الطعام والشراب، فأوحى الله تعالى إلى أرمياء بالشأم أن إذهب إلى أخيك دانيال بجب كذا بمكان كذا.

قال أرمياء: فسرت إلى ذلك الموضع، فلما وقفت على رأس الجب ناديته، فعرفني فقال: من أرسلك إلي؟ قلت:

أرسلني الله إليك بطعام وشراب، فقال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، والحمد لله الذي لا يخيب

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/١٠٣

من قصده، والحمد لله الذي من وثق به لا يكله إلى غيره، والحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحسانا وبالصبر نجاة وغفرانا، والحمد لله الذي يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذي هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا بأعمالنا، والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا. قال: ثم صعد به أرمياء من الجب، وأقام عنده مدة، ثم فارقه ورجع.

وحكي أن يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام مر بقبر دانيال عليه الصلاة والسلام، فسمع منه صوتا يقول:

سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت. قال بعض الصالحين: من قال هذه الكلمات استغفر له كل شيء.

وحكي أن إبراهيم بن أدهم كان في سفره ومعه رفقة، فخرج عليهم الأسد، فقال لهم: قولوا أللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا، فلا نهلك وأنت رجاؤنا يا ألله يا ألله يا ألله.

قال: فولى الأسد هاربا.

وقيل: لما حمل نوح عليه الصلاة والسلام في سفينته من كل زوجين اثنين قال أصحابه: كيف نطمئن ومعنا الأسد؟ فسلط الله عليه الحمى، وهي أول حمى نزلت في الأرض، ثم شكوا إليه العذرة، فأمر الله تعالى الخنزير، فعطس فخرج منه الفأر، فلما كثر زاد ضرره، فشكوا ذلك لنوح عليه الصلاة والسلام، فأمر الله سبحانه وتعالى الأسد، فعطس، فخرج منه الهر، فحجب الفأر عنهم، ويحرم أكل السبع لنهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير.

خواصه: فمن خواصه أن صوته يقتل **التماسيح**، وشحمه من طلى به يده لم يقربه سبع، ومرارة الذكر منه تحل المعقود، ولحمه ينفع من الفالج، وإذا وضعت قطعة من جلده في صندوق لم يقربه سوس ولا أرضة، وإذا وضع على جلد غيره من السباع تساقط شعره، وهو من الحيوان الذي يعيش ألف سنة على ما ذكر «١» ، وعلامة ذلك كثرة سقوط أسنانه.

(الإبل)

قيل: ما خلق الله شيئا من الدواب خيرا من الإبل. إن حملت أثقلت، وإن سارت أبعدت، وإن حلبت أروت، وإن نحرت أشبعت. وفي الحديث: «الإبل عز لأهلها والغنم بركة، والخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة» ، وهي من الحيوان العجيب، وإن كان عجبه قد سقط لكثرة مخالطته الناس، وقد أطاعها

الله للآدمي وغيره حتى قيل: إن قطارا كان ببعض حبله دهن، فمرت فأرة، فجذبته، فسار معها القطار بواسطة جذبها له، وهي مراكب البر، ولذلك قرنها الله تعالى بالسفن فقال تعالى:
وعليها وعلى الفلك تحملون ٢٢
«٢»
. ولما كانت مراكب البر والبر فيه ما ماؤه قليل، وما ماؤه كثير جعل الله تعالى لها صبرا على العطش حتى قيل: إنه يرتع ظمؤها إلى عشر. وفي الحديث: «لا تسبوا الإبل فإنها من نفس الله تعالى أي مما يوسع به على الناس» . حكاه ابن سيده.
والذي يعرف: لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن.
قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان: ليس لشيء من الطحول مثل ما للجمل عند هيجانه، فإنه يسوء خلقه، فيظهر زبده، ويقل رغاؤه فلو حمل عليه ثلاثة أضعاف عادته حمل، ويقل أكله، ويخرج له عند رغائه شقشقة لا تعرف من أي شيء هي من أجزائه، وهو من الأحرار حتى قيل: إنه لا ينزو لا على أمه ولا على أخته حتى قيل:
إن بعض العرب ستر ناقته بثوب ثم أرسل عليها ولدها، فلما عرف ذلك عمد إلى إحليله، فأكله، ثم حقد على صاحبه حتى قتله، وليس له مرارة، ولذلك كثر صبره.
وقيل: يوجد على كبده شيء رقيق يشبه المرارة ينفع الغشاوة في العين كحلا، وفي معدته قوة حتى أنها تهضم الشوك وتستطيبه، ويحل أكله بالنص والاجماع، وأما." (١)
"إذا بخر به البيت وإذا سحق حافره بعد حرقه وخلط بدهن الآس وجعل على رأس الاقرع نبت شعره وزبله إذا شمه المزكوم زال زكامه على ما ذكر.
(بقر) :
هو حيوان شديد القوة خلقه الله تعالى لمنفعة الإنسان وهو أنواع الجواميس وهي أكثر ألبانا وكل حيوان انائه أرق أصواتا من ذكوره إلا البقر وأنثاه يضربها الفحل في السنة مرة وإذا اشتد شبقها تركت المرعى وذهبت وإذا طلع عليها الفحل التوت تحته إذا أخطأ المجرى لشدة صلابة ذكره. قال المسعودي رأيت بالري البقر تحمل كالبعير فتبرك على ركبتيها ثم تثور بالحمل.
(عجيبة) : حكي في الأحياء إن شخصا كان له بقرة وكان يشوب لبنها بالماء ويبيعه، فجاء السيل في بعض

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٣٤٧

الأودية وهي واقفة ترعى فمر عليها فغرقها، فجلس صاحبها يندبها فقال له بعض بنيه: يا أبت لا تندبها فإن المياه التي كنا نخلطها بلبنها اجتمعت فغرقتها.

فائدة: ذكر ابن الفضل في كتابه عن وهب ابن منبه أنه قال؛ لما خلق الله تعالى الأرض ماجت واضطربت كالسفينة، فخلق الله تعالى ملكا في نهاية العظم والقوة وأمره أن يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فدخل وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الأرض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء في وسطها سبعة آلاف ثقب فخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه إلا الله تعالى ثم أمر الصخرة أن تدخل تحت قدمي الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما يقال له كيوثاء له أربعة آلاف عين ومثلها أنوف وآذان وأفواه وألسنة وقوائم ما بين كل قائمتين منها مسيرة خمسمائة عام، وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا يقال له يهموت ثم أمره الله تعالى أن يدخل تحته ثم جعل الحوت على ماء ثم جعل الماء على الهواء ثم جعل الهواء على ماء أيضا ثم جعل الماء على الثرى على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق.

الخواص: شحم البقر إذا خلط بزرنيخ أحمر طرد العقارب وإذا طلي به إناء اجتمعت البراغيث إليه وإذا شرب لبنها زاد في الانعاظ وقرنها إذا سحق وجعل في طعام صاحب الحمى فأكله زالت الحمى ومرارتها إذا خلطت بماء الكراث نفعت من البواسير طلاء وإذا طلي به على الأثر الأسود في البدن ازاله وخصية الفحل إذا جففت وسحقت وجعلت في عسل وأكلت فإنها تزيد في الباه وشعرها إذا أحرق واستيك به نفع من وجع الأسنان وإذا خلط مع السكنجبين وشرب نفع من الطحال على ما ذكر.

(بومة) :

وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها أن تدخل على كل طير في وكره وتأكل أفراخه ولمعاداة الطيور لها يجعلها الصيادون في أشراكهم حتى يقع عليها الطير ونقل المسعودي عن الجاحظ أن البومة لا تخرج بالنهار خوفا من العين لأنها تظن أنها حسناء وهي أصناف وكلها تحب الخلوة بنفسها.

الخواص: من خواصها أنها تنام بإحدى عينيها والأخرى مفتوحة فإذا أخذت المفتوحة وجعلت تحت فص خاتم، فمن لبسه لم ينم ما دام في يده وعكسها المغموضة وإذا أردت معرفة ذلك فألقهما في الماء فالراسبة للنوم والطافية لليقظة وإذا أخذ قلب البومة وجعل على اليد اليسرى من المرأة وهي نائمة تحدثت بجميع ما فعلته في نومها.

(بوقير) :

طير أبيض يأتي منه في كل سنة طائفة إلى جبل بالصعيد يقال له جبل الطير، فيه كوة، فتدخل من تلك الكوة فيمسك منها شيء فإن أمسكت واحدة كان ذلك العام متوسط الخصب، وإن أمسكت اثنتين كان كثير الخصب، وإن لم تمسك شيئا كانت السنة مجدبة وأهل تلك الناحية تعرف ذلك وهذا الجبل بالقرب من بلدة مارية أم إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم.

(حرف التاء) :

(**تمساح**) :

حيوان عجيب على صورة الضب له فم واسع وفيه ستون نابا، وقيل: ثمانون وبين كل نابين سن صغيرة وهي انثى في ذكر إذا أطبق فمه على شيء لا يفلته حتى يخلعه من موضعه وله لسان طويل وظهر كالسلحفاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة أرجل وذنب طويل وهو لا يوجد إلا بنيل مصر.

وقال المسافرون: أنه يوجد ببحر الهند وطوله في الغالب ستة أذرع إلى عشرة في عرض ذراعين أو ذراع ويقيم في البحر تحت الماء أربعة أشهر لا يظهر وذلك في زمن الشتاء ويتغوط من فيه في الغالب، ويحصل في فيه الدود فيؤذيه فيلهمه الله تعالى فيخرج إلى بعض الجزائر ويفتح فاه فيرسل الله تعالى له طيرا يقال له القطقاط فيدخل في فيه فيأكل ما فيه من الدود فيحصل له راحة فعند ذلك يطبق فمه على الطير ليأكله فيضربه بريشتين خلقهما الله تعالى في جناحيه كريشة الفصاد فيؤلمه فيفتح فاه فيخرج ولذلك يضرب به المثل فيقال جازاه مجازاة **التمساح**." (١)

"وزعم بعض الباحثين عن أحوال **التمساح** أن له ستين نابا وستين عرقا ويسفد ستين مرة ويبيض ستين بيضة ويحضن ذلك ستين يوما ويعيش ستين سنة فإذا أفرخ فما صعد الجبل صار ورلا وما نزل البحر صار **تمساحا**»

وفكه الأسفل لا يستطيع تحريكه لأن فيه عظما متصلا بصدره وإذا أراد السفاد أخذ انثاه وطلع بها إلى البر وقلبها وجامعها فإذا قضى حاجته قلبها ثانيا لأنه لو تركها على تلك الحالة بقيت حتى تموت وما ذلك إلا أنها لا تستطيع الانقلاب ليبوسة ظهرها وصلابته، وقد سلط الله تعالى عليه أضعف الحيوان وهو كلب الماء يقال أنه يتبلط بالطين ويغافل **التمساح** ويقذف بنفسه في فيه فيبتلعه لنعومته فإذا حصل في جوفه ذاب ما عليه من سخونة بطنه فيعمد إلى أمعائه فيقطعها ويقطع مراق بطنه فيقتله.

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٣٥٣

الخوص: عينه تشد على من به رمد اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى وشحمه إذا قطر في أذن من به صم نفعه.

(تنين) :

ضرب من الحيات وهو طويل كالنخلة السحوق وجسده كالليل أحمر العينين لهما بريق واسع الفم والجوف يبتلع الحيوان وأول أمره يكون حية متمردة ثم تطغى وتتسلط على حيوان البر فيستغيث منها فيأمر الله تعالى ملكا فيحملها ويلقيها في البحر فتقيم فيه مدة ثم تتسلط على حيوانه أيضا فيستغيث منها إلى ربه فيأمر الله تعالى بإلقائها في النار فيعذب بها الكافرين وقيل يأمر الله تعالى بإلقائها على يأجوج ومأجوج.

وروى ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن تنينا نفخ على الأرض ما نبتت فيها خضراء.

(حرف الثاء) :

(ثعلب) :

وهو معروف ذو مكر وخديعة وله حيل في طلب الرزق. فمن ذلك أنه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن أنه مات فإذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد. ومن حيلته إنه إذا تعرض للقنفذ نفش القنفذ شوكه فيسلح هو عليه فيلم شوكه فيقبض على مراق بطنه ويأكله وسلحه أنتن من سلح الحبارى.

ومن لطيف أمره أنه إذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجاء إلى الماء وقطع قطعة من صوفه وجعلها في فيه ونزل في الماء والبراغيث تطير قليلا قليلا حتى تجتمع في تلك الصوفة فيلقيها في الماء ويخرج. وفروه أدفى الفراء وفيه الأبيض والرمادي وغير ذلك، وذكر في عجائب المخلوقات أنه أهدى إلى أبي منصور الساماني ثعلب له جناحان من ريش إذا قرب الإنسان منه نشرهما وإذا بعد لصقهما.

لطيفة: ذكر ابن الجوزي في آخر كتاب الأذكياء والحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء عن الشعبي أنه قال: مرض الأسد فعادته السباع والوحوش ما خلا الثعلب فنم عليه الذئب فقال الأسد: إذا حضر فأعلمني فلما حضر الثعلب أعلمه الذئب بذلك وكان قد أخبر بما قاله الذئب فقال الأسد: أين كنت يا أبا الفوارس؟ قال: كنت أتطلب لك الدواء. قال:

وأي شيء أصبته؟ قال: قيل لي خرزة في عرقوب أبي جعد. قال: فضرب الأسد بيده في ساق الذئب فأدماه

ولم يجد شيئا فخرج ودمه يسيل على رجله وانسل الثعلب فمر به الذئب فناداه: يا صاحب الخف الأحمر إذا قعدت عند الملوك فانظر ما يخرج منك فإن المجالس بالإمانات.

وقيل: خرج الأسد والثعلب والذئب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وضبا وغزالا ثم جلسوا يقتسمون فقال الأسد للذئب اقسم علينا فقال حمار الوحش لي والغزال لأبي الحرث والضب للثعلب فضربه الأسد في رأسه فرضخها فقال الثعلب: أنا أقسم حمار الوحش لأبي الحرث يتغدى به والغزال لأبي الحرث يتعشى به والضب لأبي الحرث يتنقل به فيما بين ذلك فقال له الأسد: لله درك من فرضي، ما أعلمك بالفرائض من علمك هذا. قال: علمني التاج الأحمر الذي ألبسه هذا، وأشار إلى الذئب.

وحكي: أن الثعلب مر في السحر بشجرة فرأى فوقها ديكا فقال له: أما تنزل نصلي جماعة؟ فقال: إن الإمام نائم خلف الشجرة فأيقظه فنظر الثعلب فرأى الكلب فضرط وولى هاربا فناداه: أما تأتي لنصلي؟ فقال: قد انتقض وضوئي فاصبر حتى أجدد لي وضوءا وأرجع.

ومن العجيب في قسمة الأرزاق أن الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الأفعى فيأكلها والأفعى تصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النحل والنحل تصيد الذباب والذباب يصيد البعوض والبعوض يصيد النمل والنمل يأكل كل ما تيسر من صغير وكبير فتبارك الله الذي أتقن ما صنع.." (١)

"يدان «١» يعرف بالسمك اليهودي، وذلك أنه إذا غابت الشمس ليلة السبت يخرج من البحر، ويلقي نفسه في البر ولا يتحرك، ولا يأكل، ولو قتل، ولا يدخل البحر حتى تغيب الشمس ليلة الأحد، فيحنئذ يدخل البحر ولا تلحقه السفن لخفته وقوته وجلده يتخذ منه نعل لصاحب النقرس، فلا يجد له ألما ما دام ذلك الجلد عليه، وهو من العجائب.

وقيل: إن في بحر الروم سمكا طويلا طول السمكة مائة ذراع، وأكثر، وله أنياب كأنياب الفيل تؤخذ وتباع في بلاد الروم، وتحمل إلى سائر البلاد، وهي أحسن، وأقوى من أنياب الفيل «٢» ، وإذا شق الناب منها يظهر فيه نقوش عجيبة، ويسمونه الجوهر، ويتخذون منه نصبا للسكاكين، وهو مع قوته وحسن لونه ثقيل الوزن كالرصاص.

وفي البحر أيضا سمك يسمى الرعاد إذا دخل في شبكة، فكل من جر تلك الشبكة أو وضع يده عليها أو على حبل من حبالها تأخذه الرعدة حتى لا يملك من نفسه شيئا كما يرعد صاحب الحمى، فإذا رفع يده

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٣٥٤

زالت عنه الرعدة، فإن أعادها عادت إليه الرعدة «٣» ، وهذا أيضا من العجائب، فسبحان الله جلت قدرته.
وقال صاحب تحفة الألباب: حدثني الشيخ أبو العباس الحجازي قال: حدثني رجل يعرف بالهاروني من ولد هارون الرشيد أنه ركب سفينة في بحر الهند، فرأى طاووسا قد خرج من البحر أحسن من طاووس البر وأجمل ألوانا. قال: فكبر بالحسنة فجعل يسبح وينظر لنفسه، وينشر أجنحته، وينظر إلى ذنبه ساعة، ثم غاص في البحر «٤» .

وفي البحر دابة يقال لها: الدرفين «٥» تنجي الغريق لأنها تدنو منه حتى تضع يده على ظهرها، فيستعين بالإتكاء عليها، ويتعلق بها، فتسبح به حتى ينجيه الله بقدرته، فسبحان من دبر هذا التدبير اللطيف، وأحكم هذه الحكمة البالغة.

وزعموا أن السمك يتجه نحو الغناء والصوت الحسن، ويصبو لسماعه. وربما قيل إن بعض الصيادين يحفرون في البحر حفائر، ثم يجلسون، فيضربون بالمعازف وآلات الطرب، فيجتمع السمك، ويقع في تلك الحفائر.

وقيل: إن الدرفين وأنواع السمك إذا سمعت صوت الرعد هربت إلى قعر البحر، وقيل: إن خيل البحر توجد بنيل مصر، وهي صفة خيل البر.

وقيل: إنها تأكل **التماسيح** وربما خرجت فرعت الزرع، وإذا رأى أهل مصر أثر حوافرها حكموا أن ماء النيل ينتهي في طلوعه إلى ذلك المكان.

وقيل: إن في البحر المحيط شيئا يتراءى كالحصون، فيرتفع على وجه الماء ويظهر منه صور كثيرة، ويغيب، ومن عجيب ما حكي أن فيه جزيرة فيها ثلاث مدن عامرة، وهي كثيرة الأمطار، وأهلها يحصدون زرعها قبل جفافه لقلة طلوع الشمس عندهم ويجعلونه في بيت ويوقدون حوله النيران حتى يجف. وعجائبه لا تحصى، ولا يمكن حصرها.

ويقال: إن الإسكندر لما سار إلى بحر الظلمات مر بجزيرة بها أمة رؤوسهم مثل رؤوس الكلاب يخرج من أفواههم مثل لهب النار، وخرجوا إلى مراكبه، وحاربوه، ثم تخلص منهم وسار، فرأى صورا متلونة بألوان شتى وسمكا طوله مائة ذراع، وأكثر، وأقل، فسبحان الله تعالى ما أكثر عجائب خلقه.

ويقال أنه مر في بعض الجزائر على قصر مصنوع من البلور على قلعة محكمة البناء وحولها قناديل لا تطفأ، ومن جزائر البحر جزيرة القمر «٦» يقال إن بها شجرا طول الشجرة مائتا ذراع، ودور ساقها مائة وعشرون ذراعا، وبها طوائف من السودان عرايا الأبدان يلتحقون بورق الشجر وهو ورق يشبه ورق الموز لكنه أسمك

وأعرض وأنعم، ويقال: إن هذه الجزيرة بالقرب من نيل مصر، وإن هذه الأمة التي بها يتمذهبون بمذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه، وهم في غاية اللطافة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالقرب منهم معدن الذهب والياقوت وبها الفيلة البيض وحيوانات مختلفة الأشكال من الوحوش وغيرهما، وبها العود القماري والآبنوس والطواويس، وبها مدن كثيرة.." (١)

"حيطانها بالمسك والعنبر وجعل فيها جنة مزخرفة له وجعل أشجارها الزمرد واليواقيت وسائر أنواع المعادن، ونصب عليها أنواع الطيور المسموعة الصادح والمغرد، وغير ذلك، ثم بنى حول المدينة مائة ألف منارة برسم الحراس الذين يحرسون المدينة، فلما كمل بناؤها أمر في مشارق الأرض ومغاربها أن يتخذوا في البلاد بسطا وستورا وفرشا من أنواع الحرير لتلك القصور والغرف، وأمر باتخاذ أواني الذهب والفضة، فاتخذوا جميع ما أمر به، فلما فرغوا من ذلك جميعه خرج شداد من حضرموت في أهل مملكته، وقصد مدينة إرم ذات العماد، فلما أشرف عليها ورآها قال: قد وصلت إلى ما كان هود يعدني به بعد الموت، وقد حصلت عليه في الدنيا، فلما أراد دخولها أمر الله تعالى ملكا، فصاح بهم صيحة الغضب، وقبض ملك الموت أرواحهم في طرفة عين، فخروا على وجوههم صرعى. قال الله تعالى: وأنه أهلك عادا الأولى ٥٠ «١» .

وذلك قبل هلاك عاد بالريح العقيم، وأخفى الله تعالى تلك المدينة عن أعين الناس، فكانوا يرون بالليل في تلك البرية التي بنيت فيها معادن الذهب والفضة واليواقيت تضيء كالمصابيح، فإذا وصلوا إليها لم يجدوا هناك شيئا «٢» .

وقد نقل أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له عبد الله بن قلابة الأنصاري دخل إليها وذلك أنه ضلت له إبل، فخرج في طلبها، فوصل إليها فلما رآها دهش وبهت ورأى ما أذهله وحيره، وقال في نفسه: هذه تشبه الجنة التي وعد الله بها عباده المتقين في الآخرة، فقصد بابا من أبوابها، فلما وصل إليه أناخ راحلته، ودخل المدينة، فرأى تلك القصور والأنهار والأشجار، ولم ير في المدينة أحدا. فقال: أرجع إلى معاوية وأخبره بهذه المدينة وما فيها، ثم حمل معه شيئا من تلك الجواهر واليواقيت في وعاء، وجعله على راحلته وعلم على المدينة علامة، وقال قربها من جبل عدن كذا، ومن الجهة الفلانية كذا، ثم انصرف عنها بعدما ظفر بإبله، ثم دخل على معاوية رضي الله تعالى عنه بدمشق، وأخبره بجميع ما رآه، فقال له معاوية: في اليقظة رأيتها أم في المنام؟ قال: بل في اليقظة، وقد حملت من حصبائها

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٣٨٢

وأخرج له شيئا مما حمله من الجواهر واليواقيت فتعجب معاوية من ذلك، ثم أرسل إلى كعب الأحبار رضي الله تعالى عنه، فلما دخل عليه قال له معاوية يا أبا إسحاق: هل بلغك أن في الدنيا مدينة من ذهب؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، وقد ذكرها الله عز وجل في القرآن لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله عز من قائل: ألم تر كيف فعل ربك بعاد ٦ إرم ذات العماد ٧

«٣» . وقد أخفاها الله تعالى عن أعين الناس، وسيدخلها رجل من هذه الأمة يقال له عبد الله بن قلابة الأنصاري، ثم التفت، فرأى عبد الله بن قلابة فقال: ها هو يا أمير المؤمنين، وصفه واسمه في التوراة «٤» ، ولا يدخلها أحد بعده إلى يوم القيامة. وقيل: إن ذلك كان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وأن الرجل الذي دخلها حكى ذلك لعمر بن الخطاب فلم ينكره ولا من كان حاضرا بل قال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخلها بعض أمتي «٥» ، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ومن المباني العجيبة الخورنق: الذي بناه النعمان بن امرىء القيس وهو النعمان الأكبر بناه في عشرين سنة، فلما انتهى أعجبه، فخشي أن يبنى لغيره مثله، فأمر أن يلقى بانيه من أعلاه، فألقوه فتقطع، واسم بانيه سنمار، فصارت العرب تضرب به المثل. يقولون جزاه جزاء سنمار. قال الشاعر:

جازى بنوه أبا الغيلان عن كبر ... وحسن فعل كما يجزى سنمار

ومن المباني العجيبة حائط العجوز: واسمها دلوك القبطية، وسبب بنائها لذلك أنها ولدت ولدا، فأخذت له الرصد، فقيل لها يخشى عليه من **التمساح**، فلما شب الغلام خافت عليه، فبنت الحائط وجعلته من العريش إلى إسوان شاملا لكورة مصر من الجانب الشرقي، وقيل: بنته خوفا على مصر وأهلها بعد غرق فرعون أن يطمع الملوك فيها، وقد قيل إنها أرادت أن تخوف ولدها من **التمساح** حتى لا ينزل البحر، فصورت له صورة **التمساح**، فرآه شكلا مهولا، فأذهله، وأخذه الفزع والهم فضعف وانسل إلى أن مات. لا مفر من قضاء الله تعالى.

ومن المباني العجيبة الأهرام: وهي بالجانب الغربي من مصر مشاهدة في زماننا هذا. قيل أن دور الهرم الأكبر من." (١)

"ومن أحسن ما وصف به الشعراء هذا النهر قول أحمد بن محمد الصنوبرى «١» في القافية:

قويق له عهد لدينا وميثاق ... وهذي العهود والمواثيق أطواق

نفى الخوف أنا لا غريق ترى له ... فنحن على أمن وذا الأمن أرزاق

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٣٨٧

ونزهه ألا سفينة تمطي مطاه ... لها وخد عليه وإعناق

وأن ليس تعتاق التماسيح شربه ... إذا اعتاق شرب النيل منهن معتاق

ولا فيه سلور ولو كان لم أكن ... أرى أنه إلا حميم وغساق

بلى يعلن التسبيح في جنباته ... علاجم بالتسبيح تذكر حذاق «٢»

أقامت به الحيتان شوقا ولم تزل ... تقام على شطيه للطير أسواق «٣»

وسربل بالأرحاء مثنى وموحدا ... كما سربلت غصنا من البان أوراق

وفاضت عيون من نواحيه ذرف ... ولما تعاونها جفون وآماق

هو الماء إن يوصف بكنه صفاته ... فللماء إغضاء لديه وإطراق

ففي اللون بلور وفي اللمع لؤلؤ ... وفي الطيب قنديد وفي النفع درياق

إذا عبثت أيدي النسيم بوجهه ... وقد لاح وجه منه أبيه براق

فطورا عليه منه درع خفيفة ... وطورا عليه جوشن منه رقراق

ولم يعده فر متشوق ... بأرؤس تبر والزبر جد أعناق

له ورق يعلو على الماء مطبق ... كأطباق مدهون يليهن أطباق

وقد عابه قوم وكلهم له ... على ما تعاطوه من العيب عشاق

وقالوا أليس الصيف يبلى لباسه ... فقلت الفتى في الصيف يصفه طاق." (١)

"إلى البطرباج بحصن انقولاية ويعظمونه في كتبهم، واليهود في حصن انقولاية في ذل وصغار عظيم إنما هم أقل من العبيد يشتم المرء منهم ويضرب فلا ينطق بلفظة، والحنطة وجميع الحب الذي يختبز قليل بحصن انقولاية إنما تكثر عندهم الفواكه والأشربة.

أنصنا (١)

مدية في البلاد المصرية قديمة شرقي النيل وهي حسنة البساتين والمتنزهات كثيرة الثمار والفواكه ويقال إن سحرة فرعون كانوا منها، وجلبهم منها يوم الموعد للقاء موسى عليه السلام، ويقال إن التمساح لا يضر بعدوة أنصنا، ويقال إنها مطلسمة وإنها بها بقية من السحر.

وحكى ابن هشام (٢) أن مارية سرية النبي صلى الله عليه وسلم التي أهداها له المقوقس صاحب الإسكندرية منها من حفن من كورة أنصنا.

---

(١) كنوز الذهب فى تاريخ حلب سِبْط ابن العَجَمي، موفق الدين ١/ ٥٧٠

وأكثرها الآن خراب وكان بها بربى لم يبق منه اليوم إلا بيت واحد كأنه من صخرة واحدة، وقيل إن مرسى أنصنا لا يقربها **التمساح** والناس منه آمنون هنالك وأكثر ما يكون عدوانا بالشاطئ الذي يقابل أنصنا فإذا صارت **التماسيح** في حد أنصنا تحولت على ظهرها حتى تجاوز حدها وكذلك تصنع بفسطاط مصر فوق المدينة بعشرة أميال حتى تخرج من حد المدينة بمثل ذلك.

أنطالة

حصن عظيم ومعقل منيع من حصون جزيرة صقلية فيه تحصن محمد بن عباد (٣) القائم بأمر المسلمين في جزيرة صقلية، فلما كانت سنة ست عشرة وستمائة عقد الصلح مع الأنبرور طاغية جزيرة صقلية وغيرها على أن يدخل تحت طاعته ويأخذ جميع أمواله وذخائره ويجهزه في قطائع إلى ساحل إفريقية ولا يقتله، وأبت ابنته أن تدخل في هذا الصلح وامتنعت في هذه القلعة وقالت لأبيها: أنا فداك فإن لقيت خيرا اتبعتك وإن كان غير ذلك فلا بد أن أنكي أعداءك وآخذ بثأرك على قدر الاستطاعة. ولما جذفت به القطائع وغابوا عن العيون قال له الموكلون به: إن السلطان قد وفى لك ولم يحنث في يمينه وها نحن قد توجهنا إلى إفريقية وهو لم يقتلك ونحن نغرقك ونريح دين المسيح منك، فالذي صنعت في هذه الجزيرة مثله لا ينسى، ثم غرقوه وعادوا بجميع أمواله إلى الأنبرور وحمدت ابنته رأيها وزادت بصيرة في الامتناع بذلك المعقل المعانق للسحاب، وجعلت تغادي شن الغارات وتراوحها بمن خاف غدر الأنبرور من فرسان المسلمين ورجالهم، ثم أرسلت في سنة تسع عشرة إلى الأنبرور: إني امرأة وقد بليت بمحاربة الرجال ومداراتهم وقد ضقت ذرعا بالأولياء منهم والأعداء وضعفت نفسي ومعي من صناديد الأبطال من لا ينقاد بمرادي فأرحني وأرح نفسك وأهل مملكتك من هذا النصب الدائم بأن توجه لي ثلثمائة من أبطالك الذين لا يهابون ولا ينخدعون لأدخلهم ليلا إلى هذا الحصن ويحتوون عليه فإذا ملكوه ودخلت أنا بعد ذلك في طاعتك لم يكن بعد ذلك شيء يتوقع منه عائد، فأفكر فيما خاطبتك به والله يخير ويختار قال: وكان الأنبرور قد طالت إقامته وإقامة جموعه على حصارها فرأى ذلك غنيمة لا يجب أن يؤخر انتهاز الفرصة فيها، فاختار ذلك العدد وأرضاهم وأنفذهم في الليل ففتحت لهم باب قلعتها وفرقتهم على أبطاله بحيل تمت عليهم، فلما ولى الظلام وتبينت الوجوه ركب الأنبرور إلى جهة الحصن يطلع إلى أعلامه كيف هي على سوره فإذا برؤوس أبطاله معلقة ما بين شرفاته، وأعلام المسلمين منشورة وطبولهم عاملة وكلمتهم عالية، فسقط في يده، ونظر الفرنج إلى ما لم يكن في حسابهم ولا خطر لهم أنه يتم في المنام بالأحلام، قال: فأراد الأنبرور أن يبلغ (٤) في هذه القضية غرضه بحيلة تتوجه عليها، فأرسل إليها: أنت قد عشت ولا أبالي

من مات من أهل ملتي وقد ظهر لي أن ما في الدنيا امرأة تصلح أن يكون لي منها ولد غيرك فتعالي حتى نتم ذلك، فأنت إن بقيت على ما أنت عليه وحصلت في أيدي الفرنج قطعوك عضوا عضوا، فاختاري لنفسك ما ترينه مصلحة. فأجابت: وصلني كتابك وفهمت حقه وباطله. وأبلغني بعض عيوني الذين لم أزل أبثهم عليك أنك قلت: إن هذا عجب امرأة تمكر بثلثمائة رجل، وليس هذا بعجب وقد أنزل في الكتاب المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في ذكر النساء " إن كيدهن عظيم " فهذا من ذلك، وإنما العجب مني ومنك

---

(١) نزهة المشتاق، الورقة: ٤٥، والاستبصار: ٨٥.

(٢) ابن هشام ١: ٧.

(٣) أنظر قصة محمد بن عباد في التاريخ المنصوري: ١٤٤ ب وما بعدها، وهذا النص الذي أورده المؤلف يحتوي على معلومات لم أعثر عليها عند غيره، وقد أستخرج بروفنسال هذا النص ونشره مترجما بمجلة (Orienete Moderno) ١٩٥٤ (ص ٣٨٣ - ٣٨٨) وأنطالة هي (Entella) .

(٤) ع: يتبع.." (١)

"الجولان (١) :

موضع بالشام معروف كانت حاميم بن عمليق بن لاوذ بن إرم نزلوا الجولان من بلاد حوران والبثنية وذلك بين دمشق وطبرية فانقرضت وأباد الله تعالى جميعها، وفي شعر النابغة:

بكى حارث الجولان من فقد ربه (٢) ... ويقال الجبل: حارث الجولان.

الجوزاء (٣) :

مدينة الجوزاء في ساحل وادي القرى، ولها مسجد جامع وثمان آبار عذبة وبها ثمار ونخل، وأهلها عرب من جهينة وبلي.

؟ الجيزة (٤) :

بالزاي اختطها بمصر عمرو بن العاصي رضي الله عنه في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والجيزة قرية كبيرة جميلة البنيان على نيل مصر، لها كل يوم أحد سوق من الأسواق العظيمة يجتمع إليها وبها مسجد جامع فيه الخطبة، ويتصل بهذا المسجد المقياس الذي تعتبر فيه زيادة النيل عند فيضه كل سنة

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٤٠

واستشعار ابتدائه في شهر يوليه ومعظم انتهائه اغشت وآخره أول أكتوبر.

والمقياس عمود رخام أبيض مثمن في موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه إليه وهو مفصل على اثنين وعشرين ذراعا كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسما متساوية تعرف بالأصابع فإذا انتهى الفيض عندهم إلى أن يستوفي الماء تسعة عشر ذراعا فهي الغاية عندهم في طيب العام والمتوسط عندهم ما استوفى سبعة عشر ذراعا وهو الأحسن عندهم من الزيادة المذكورة، والذي يستحق به السلطان خراجه في البلاد المصرية ستة عشر ذراعا فصاعدا، وعليها يعطي البشارة للذي يراعي الزيادة كل يوم وصعودها في أقسام الذراع المذكورة ويعلم بها مياومة حتى تستوفي الغاية التي تفضي بها وإن قصر عن ستة عشر ذراعا فلا مجبى للسلطان في ذلك العام ولا خراج.

ويقال إن بالجيزة المذكورة قبر كعب الأحبار، وفي صدر الجزيرة المذكورة أحجار رخام قد صورت فيها **التماسيح** فيقال إن بسببها لا يظهر **التمساح** فيما يلي البلد من النيل بمقدار ثلاثة أميال علوا وسفلا.

جيان (٥) :

مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة عشرون ميلا وهي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم والعسل، ولها زائد على ثلاثة آلاف قرية كلها يربى فيها دود الحرير، وبها جنات وبساتين ومزارع وغلات القمح والشعير والباقلى وسائر الحبوب، وعلى ميل منها نهر بلون (٦) وهو نهر كبير عليه أرحاء كثيرة جدا، وبها مسجد جامع وعلماء جلة.

وجيان في سفح جبل عال جدا وقصبتها من القصاب الموصوفة بالحصانة ومن غر المدن وشريف البقاع، وفي داخلها عيون وينابيع مطردة، منها عين ثرة عذبة عليها قبو من بناء الأول، ولها بركة كبيرة عليها كان حمام الثور فيه صورة ثور من رخام، وحمام الولد، وهما للسلطان، وحمام ابن السليم وحمام ابن طرفة وحمام ابن إسحاق وتسقى بفضلته بسائط عريضة ومن عيونها عين البلاط عليها قبو للأول وماؤها لا ينقص في زمان من الأزمان، على هذه العين حمام يعرف بحمام حسين، وتسقى بها أيضا أرض كثيرة، ومن عيونها عين سطرون وماؤها غزير نمير وعليها سقي كثير، والأرحاء الطاحنة على أبواب المنازل بجيان والجنات بظهور البيوت، وجامع جيان مشرف يصعد إليه على درج من جميع نواحيه، وهو من خمس بلاطات، على أعمدة رخام وله صحن كبير حوله سقائف، وهو من بناء الإمام عبد الرحمن بن الحكم على يد مسرة عامل جيان. وجبل من جبال جيان إذا تبايع أهلها أموالهم فيه شرطوا أنه في مجرى السحاب لأن هذا الجبل في مكان لا يكاد يخطئه السحاب بالرياح المختلفة فهم يغالون فيه لهذه الخاصية.

ولكورة جيان أقاليم عدة وبها أسواق كثيرة وسوقها الجامعة يوم.......... (٧) ، وكورتها من أشرف الكور، وهي أشبه الكور بكورة البيرة في طيب بقعتها ووفور غلتها ورفع بذرها وكثرة خيرها، وحريرها يفوق حرير البيرة طيبا، ومن أمثال العامة: يذكر البلدان

---

(١) معجم ما استعجم: ٤٠٦.

(٢) عجز البيت: وحوران منه موحش متضائل.

(٣) هي الحوراء - بالحاء المهملة - عند ياقوت والبكري وغيرهما، وذلك هو الصواب، وما ثبت هنا فهو تصحيف ووهم من المؤلف، وسيذكرها في باب الحاء.

(٤) صبح الأعشى ٣: ٣٩٢، وانظر خطط المقريزي ١: ٢٠٥.

(٥) بروفنسال: ٧٠، والترجمة: ٨٨ (Jean) ، والإدريسي (د) : ٢٠٢.

(٦) ص ع: بلور.

(٧) بياض في الأصل.." (١)

"العنب والتفاح والفواكه، وفيما بين جيجل وبجاية على ساحل البحر موضع يسمى بالمنصورية عليه جبل عظيم مما يلي البر، فيه حافة مثل الحائط، فيها نقب ينبعث منه ماء في غلظ حجر الربع الموزون به في كل وقت من الأوقات المعهودة للصلوات الخمس، يسمع قبل انبعاثه دوي كدوي الرحى الفارغة ثم ينبعث الماء هكذا ليلا ونهارا في أوقات الصلوات خاصة، أخبر بذلك من شاهده وسمر عليه الليل كله.

جيحان (١) :

ويقال جيحون، نهر عظيم مخرجه من بلاد الروم من عيون تعرف بعيون جيحان على ثلاثة أيام من مدينة مرعش، ويخرج إلى البحر الرومي وهو بحر الشام، وليس عليه للمسلمين من المدن إلا المصيصة وكفر بيا ومجراه بينهما، وجيحون (٢) هو نهر بلخ، ومن الناس من يقول إنهما نهران وإن جيحان غير جيحون.

قالوا (٣) : ومنبعث جيحون من بلاد التبت يقبل من المشرق مع الصبا فيمر ببلاد وخان ويسمى هناك جرياب (٤) ثم يصير إلى أعلى حدود بلخ مما يلي المشرق، ثم ينعطف إلى ناحية الشمال مع الجنوب إلى أن يصير إلى الترمذ ثم إلى خوارزم فيمر بمدينتها فإذا جاوزها تشعبت منه أنهار وخلجان ذات اليمين وذات الشمال فصارت منه بطائح وآجام ومروج أسفل من مدينة خوارزم بنحو أربعة فراسخ، ثم يمر مستقبل

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/١٨٣

الشمال بين الجرجانية والمزداخكان، أسفل من المدينة بأربعة وعشرين فرسخا، وهو الموضع الذي يصاد فيه السمك المجلوب من خوارزم إلى النواحي ثم يصير هناك بحيرة دورها نحو مائة فرسخ وقيل مسافتها نحو أربعين يوما في مثلها وماؤها ملح وليس لها مغيض (٥) ظاهر، ويقع فيها نهر جيحون ونهر الشاش وأنهار غيرها كثيرة فلا يغيض ماؤها ولا يزيد، ويشبه والله أعلم أن يكون بينها وبين بحر الخزر خرق ويتصل بمائها، وبين البحرين نحو عشرين مرحلة على السمت. وأضيق أعبار جيحون على رباط بلخ عرضه نحو ميلين.

قالوا (٦) : فأما نهر بلخ الذي يسمى جيحون فهو غير (٧) نهر المصيصة وهو من أعين، يجري فيمر ببلاد الترمذ واسفرايين من بلاد خراسان حتى يأتي بحيرة خوارزم (٨) . وليس في العمران بحيرة أعظم منها، لأن طولها مسيرة شهر في نحو ذلك من العرض ودورها أربعمائة فرسخ وإليها ينصب نهر فرغانة والشاش وعليها مدينة للترك يقال لها المدينة الجديدة فيها المسلمون، والسفن تجري في هذه البحيرة، وزعم قوم أنه يصب في مهران السند، وزعم الجاحظ أن مهران السند من نيل مصر واستدل بوجود **التمساح** فيه.

جيرفت:

مدينة من بلاد كرمان فيما وراء النهر بينها وبين الشيرجان ست مراحل، وطول جيرفت (٩) ميلان، وهي ممتدة آهلة عامرة لها غلات وزروع وكروم وزروعهم على السقي، وماؤهم الذي يشربون منه ويسقون به هو من واديها، وهو نهر صغير شديد الجري وله وجبة وخرير زائد على الصخر لا يستطيع أحد أن يجوزه راكبا، ومقدار مائه ما يدور به خمسون رحى، وبقرب جيرفت جبل يعرف بالميزان فيه جنات وفواكه جمة وفواكه جيرفت وحطبها أكثره يجلب من هذا الجبل، ولأهلها زي حسن وعيش خصيب، وبها متاجر خراسان وسجستان، وتجلب إليها الخيرات والبضائع والتجارات، وهي مدينة كاملة من كل شيء، والتمر بها مائة من بدرهمين، وهم لا يرفعون من تمرهم ما تسقطه الريح بل هو للسابلة دون أربابه، سيرة لهم في ذلك.

وعلى جادتها معدن صغير ينزله نحو عشرة آلاف رجل من تجار وصناع ومن بحارة، قوم يعرفون بآل مرزوق أصلهم من البصرة، وهم قوم نبل أصحاب مروءة ظاهرة، ولهم بيوت للضيفان.

وجيرفت (١٠) مدينه عتيقة فيها منبر، ولها نهر يعرف بنهر روذ شديد الجري له وجبة وخرير شديد يجري على الصخور،

---

(١) من المهم التفرقة بين جيحان، أحد أنهار آسيا الصغرى، وجيحون الذي يسميه المؤلف نهر بلخ،

والمؤلف يتابع البكري (مخ) : ٤٠ في الخطأ كله.

(٢) ص ع: وجيحان.

(٣) ابن رسته: ٩١.

(٤) ص ع: جابرود، ويسمى أيضا وخاب، كما يقول ابن رسته.

(٥) عن نزهة المشتاق: ٢١٣ والبكري.

(٦) عن البكري، ظنا منه أن يعرف بنهر جيحان، مع أنه بعيد كثيرا مما تقدم ذكره عن نهر جيحون.

(٧) زيادة ضرورية جدا، وإن لم تكن من شرط المؤلف ومصدره.

(٨) ص ع: والبكري: بلاد.

(٩) نزهة المشتاق: ١٣٢.

(١٠) أخذ ينقل عن غير الإدريسي، ويكرر بعض ما تقدم، ولكن فيه فوائد لم تذكر قبلا.." (١)

"المسلمين إليها لامتنعوا من تسليمها ولم يلتفتوا إلى رهائنهم.

وأكثر الشعراء تهنئة الملك الكامل بهذا الفتح، ومن أشهر ما قيل في ذلك قول بهاء الدين زهير المهلبي الحجازي المولد من قصيدة أولها (١) :

بك اهتز عطف الدين في حلل النصر ... وردت على أعقابها ملة الكفر منها:

ليهنك ما أعطاك ربك إنها ... مواقف هن العز في موقف الحشر

وما فرحت مصر بذا الفتح وحدها ... لقد فرحت بغداد أعظم من مصر

فأقسم لولا عزمة كاملية ... لخافت رجال بالمقام وبالحجر ومنها:

به ارتجعت ذمياط قسرا من العدا ... وطهرها بالسيف والملة الطهر

ورد على المحراب منه صلاته ... فكم بات مشتاقا إلى الشفع والوتر

وأقسم إن ذاقت بنو الأصفر الكرى ... لما حلمت إلا بأعلامه الصفر

ثلاثة أعوام ألحت وأشهرا ... تجاهد فيها لا بزيد ولا عمرو

كفى الله ذمياط المخافة إنها ... لمن قبلة الإسلام في موضع النحر

وما طاب ماء النيل إلا لأنه ... يحل محل الدين من ذلك الثغر

لك الله من أثنى عليك فإنما ... من القتل قد أنجيته أو من الأسر ونصب الملك الكامل لكل ملك كان

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/١٨٥

في نصرته دهليزا، وقعد هو في أحد الدهاليز، وزين كل دهليز بالعدد السلطانية والذخائر الملوكية، فكان ملوك الفرنج كلما عبروا فرأوا دهليزا حسبوا الملك الكامل فيه فيقتلون الأرض فيقال لهم: هذا الملك فلان، فما زالوا كذلك إلى أن وصلوا إليه وقد امتلأت عيونهم وصدورهم من عزة الإسلام.

ذنب التمساح (٢) :

موضع حفير على ميل من بلد القلزم، كان حفره بعض الملوك ليوصل ما بين القلزم والبحر الرومي فلم يتأت له ذلك لارتفاع القلزم وانخفاض بحر الروم، والله تعالى قد جعل بينهما حاجزا كما ذكره تعالى في كتابه، وعليه قنطرة عظيمة يجتاز عليها حاج مصر، ولما لم يتأت له ذلك احتفر خليجا آخر من بحر الروم مما يلي بلاد تنيس وذمياط، فاستمر الماء في هذا الخليج من بحر الروم إلى موضع يعرف بقيعان، فكانت المراكب تدخل من بحر الروم إلى هذه القرية وتدخل من بحر القلزم إلى آخر ذنب التمساح فيقرب ما في كل بحر إلى الآخر، ثم ارتدم ذلك على طول الدهر، وقد هم الرشيد أن يوصل ما بين هذين البحرين من أصل مصب النيل من نحر بلاد الحبشة وأقاصي صعيد مصر فلم يتأت له قسمة ماء النيل، فرام ذلك مما يلي بلاد الفرما فقال له يحيى بن خالد: إن تم هذا يتخطف الناس من المسجد الحرام ومكة، فامتنع من ذلك. وقد أراد عمرو بن العاصي محاولة هذا عند توليه أمر مصر، فمنعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الذنائب (٣) :

موضع بنجد عن يسار فلجة مصعدا إلى مكة، وينسب إليه يوم من أيام حرب البسوس وفيه قتل كليب بن ربيعة، وفيه يقول مهلهل من قصيدته المشهورة:

فإن يك بالذنائب طال ليلي ... فقد أبكي على الزمن القصير وكان السبب (٤) في قتل كليب أنه كان قد عز وساد في ربيعة فبغى بغيا شديدا، فكان هو الذي ينزلهم منازلهم ويرحلهم

---

(١) ديوان البهازهير: ١٢١.

(٢) البكري (مخ) : ٣٤، وصبح الأعشى ٣: ٢٤١ - ٢٤٢، وقارن بابن دقماق ٥: ٥٣.

(٣) قارن بياقوت (الذئاب) ومعجم ما استعجم ٢: ٦١٥.

(٤) في قصة حرب البسوس انظر الأغاني ٥: ٢٩ وما بعدها.." (١)

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٢٥٨

"شاطئ دجلة إلى أرمينية إلى بلاد أذربيجان إلى حد الجزيرة والجودي، وكان ملك الموصل محاربا لملك نينوى، ثم غلب ملك الموصل على نينوى، ورجعت جميع هذه الممالك إلى ملوك فارس، حتى أتى الله بالإسلام، وقد خربت وآثار سورها بينة وأصنام من حجارة مكبوبة على وجوهها.

ومن متأخري علماء نينوى محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النواوي صاحب كتاب " الأذكار المسبحة في الليل والنهار (١) " و " شرح كتاب مسلم " و " شرح المهذب " توفي بنينوى سنة ست وسبعين وستمائة.

وذكر ابن عساكر أن الحسين بن علي رضي الله عنهما قتل بنينوى، وحكي عن بعضهم أنه كان مع علي رضي الله عنه وهو ذاهب إلى صفين، فسمعه لما حاذى نينوى يقول: صبرا أبا محمد صبرا أبا محمد، فقلت: من أبو محمد يا أمير المؤمنين؟ فقال: الحسين، يقتل هاهنا.

النيل:

مدينة بين الكوفة وواسط.

ونيل مصر من سادات الأنهار وأشراف البحار فإنه يخرج من الجنة على ما في الخبر: إن النيل وسيحان يخرجان من الجنة، وهو من عجائب العالم إذ لا يعرف له منبع.

ومن الناس من يقول (٢) : أنه ينبع من تحت جبل القمر وراء خط الاستواء بسبع درجات ونصف درجة، يخرج من اثنتي عشرة عينا هناك، فيجتمع في بحيرتين هنالك كالبطائح، ثم يتشعب من كل بطيحة ثلاثة أنهار تجتمع جميعها إلى بطيحة من الإقليم الأول، فيخرج من هذه البطيحة نيل مصر وغيره من الأنهار الكبار، وذلك في البلاد المحترقة الجنوبية التي لا يكون فيها نبات ولا حيوان لقرب الشمس من ذلك الموضع قيل فينبعث نيل مصر في رمال وجبال، ثم يخترق أرض السودان ما يلي بلاد الزنج، ثم ينبعث منه خليج يشق بلاد الزنج ويصب في بحر الزنج وتظهر في هذا الخليج الزيادة التي تظهر في نيل مصر. وفيه التمساح الكائن في نيل مصر، والحيوان الذي (٣) يسمى الورل الذي يكون في الصحراء والبراري إنما أصله من التمساح، وذلك أن التمساح يخرج من النيل ليسرح على الساحل، فربما جزر عنه الماء فيبقى في البر فيتناسل فيكون منه الورل المشهور، والتمساح لا يوجد إلا في نيل مصر أو في نهر أصله من ماء واحد مع نيل مصر.

وفي نيل مصر السمك الرعاد، من صاده لم تزل يده ترعد ما دام في شبكته، وعلى النيل جبل يراه أهل تلك الجهة وفيه صدع من انتضى سيفه ثم أولجه فيه وقبض على مقبضه بيده جميعا اضطرب السيف في يديه

فارتعد فلا يقدر على إمساكه ولو كان أشد الناس، وإذا حد بحجارة هذا الجبل سكين أو سيف لا يؤثر فيه حديد أبدا وجذب الإبر والمسال أشد جذبا من المغنيطس، ولا يبطل الثوم عمله كما يبطل المغنيطس، وحجر الجبل نفسه لا يجذب الحديد وإن حد عليه حديد جذب ذلك الحديد وهذا من العجب. ويقال إن نيل مصر يجري على وجه الأرض سبعمائة فرسخ أو تسعمائة ويخرج في غير عمران مسيرة أربعة أشهر، وفي بلاد السودان مسيرة شهرين، وفي بلاد مصر مسيرة شهر، من أسوان إلى أن يصب في البحر بحلق رشيد بشرقي الإسكندرية.

وذكر هروشيوش الرومي في تاريخه أن من منبعثه إلى موقعه ثلثمائة ألف وتسعين ألفا وتسعمائة وثلاثين ميلا. والنيل مخالف لكل نهر من أنهار الأرض لأن كل نهر يستقبل الجنوب والنيل يستقبل الشمال، فهو مخالف لجميع أنهار الأرض كلها وعلة ذلك أن منبعثه من الجنوب، قال الشاعر:

مصر ومصر شأنها عجيب

ونيلها تجري به الجنوب

قيل: وليس في الدنيا نهر يسمى بحرا ويما غير النيل، قال تعالى " فإذا خفت عليه فألقيه في اليم " والعرب تسميه البحر، وليس في الدنيا نهر يفيض على الأرض فيزرع عليه ويغني عن المطر غير نيل مصر. وقيل: بلاد مصر ثلاثة أشهر درة

---

(١) سماه صاجحب كشف الظنون: حلية الأبراروشعار الأخبار في تلخيص الدعوات والأذكار، ولم يقل أحد إن الشرف النواري ينسب إلى نينوي، وإنما نسبته إلى نوى، وهي بلدة بالشام، وقال ياقوت: بحوران (والتعريف متقاربان) ؛ والنسبة إليها نواوي ونوائي ونووي - انظر: التاج (موى) ، وطبقات السبكي ٥: ١٦٥، ونوى أيضا قرية بسمرقند، ولكن لا صلة لأبي زكريا بها.

(٢) عن الاستبصار: ٤٥، وانظر ياقوت: (النيل) ، وابن الوردي: ٢٩.

(٣) زيادة توضيحية ليست في الاستبصار.." (١)

"بيضاء، وثلاثة أشهر مسكة سوداء وثلاثة أشهر زمردة خضراء وثلاثة أشهر سبيكة حمراء، وتفسير ذلك أن النيل إذا استوى عم جميع الأرض من بلاد مصر فتبقى قراها وضياعها في رواب وتلال كأنها الكواكب ويتصرف الناس بينها في الزواريق، فتكون الأرض كدرة بيضاء ويمكث عليها ثلاثة أشهر فإذا

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٨٦

نضب عنها الماء أخذ الحراثون في بذر الزرع فتمكث الأرض سوداء إلى أن ينبت الزرع وتظهر خضرته ثلاثة أشهر فكأن الأرض مسكة سوداء وأيضا فإنه تفوح فيها روائح طيبة عطرة، فإذا كبر الزرع وظهرت خضرته كانت الأرض كأنها زبرجدة خضراء، وبقيت كذلك ثلاثة أشهر إلى أن يصفر الزرع (١) ، وييبس ويتناهى فتكون الأرض عند ذلك كأنها سبيكة ذهب حمراء وبقيت كذلك ثلاثة أشهر حتى يتم الحصاد. وذكر أن مصر في كتب الأوائل مصورة، وسائر البلاد مادة إليها أيديها تستطعمها، يريد أنها أكثر بلاد الله زرعا.

وليلة الغطاس (٢) بمصر أعجب شيء وهي لعشر يمضين من كانون الآخر، وهو شهر ينير، وحينئذ ينتهي مد النيل ويأخذ في الانحطاط. وأصفى ما يكون ماء النيل في ذلك الوقت، ولهذه الليلة بمصر شأن عظيم، يخرج الناس أجمعون بتلك الليلة لمشاهدتها، ويعدون ما قدروا عليه من الأطعمة والأشربة، ويلبسون أحسن ملابسهم، ويظهرون ما أمكنهم من الجواهر وأواني الذهب والفضة، وأحضروا جميع الملاهي، ويدخل الناس في الزواريق وبعضهم في الدور المشرفة على النيل، يستعملون المشاعل والشمع الكثير، فيحرق بمصر تلك الليلة من الشمع ما لا يحصى، والناس على شطوط النيل في الزواريق وفي الدور المشرفة على النيل بالطبول والأبواق وجميع الملاهي، وهي أحسن ليلة تكون بمصر وأكملها سرورا، ويغطس أكثر الناس في النيل، ومن لم يغطس يرش عليه من الماء، ويزعمون أن ذلك أمان من المرض.

وذكر محمد بن محمد بن ادريس (٣) أن النيل على قسمين: القسم الأول نيل مصر يشق أرضها من الجنوب إلى الشمال وأكثر مدن مصر على ضفتيه معا، والقسم الثاني من النيل يمر من جهة المشرق إلى أقصى المغرب، وعلى هذا القسم من النيل جميع بلاد السودان أو أكثرها، وهذان القسمان مخرجهما من جبل القمر فوق خط الاستواء بست عشرة درجة، وان مبدأ النيل من هذا الجبل من عشر عيون فأما الخمسة الأنهار منها فإنها تصب وتجتمع في بطيحة كبيرة، والخمسة الأنهار الأخر تنزل أيضا من الجبل إلى بطيحة أخرى كبيرة، ويخرج من كل واحدة من هاتين البطيحتين ثلاثة أنهار فتمر بأجمعها إلى أن تصب في بطيحة كبيرة جدا (٤) وتفترق منها الأنهار فيخرج ذراع من النيل واحد فيمر في جهة المغرب وهو قبلي بلاد السودان الذي عليه أكثر بلادها، ويخرج منه ذراع آخر فيمر إلى جهة الشمال، ويشق في بلاد النوبة وبلاد أرض مصر وينقسم في أسفل أرض مصر على أربعة أقسام فثلاثة منها تصب في البحر الشامي، وقسم واحد يصب في البحيرة الملحة التي تنتهي إلى قرب الاسكندرية، وبين هذه البحيرة والإسكندرية ستة أميال وهي لا تتصل بالبحر بل هي من فيض النيل ومع الساحل قليلا.

وذكر قدامة (٥) أن جرية النيل من مبدأه إلى مصبه في البحر الشامي خمسة آلاف ميل وستمائة ميل وأربعة وثلاثون ميلا، وعرض النيل في بلاد النوبة ميل واحد، وعرضه قبالة مصر ثلث ميل. وفي البطيحات الصغار وما بعدها من النيل **التمساح** وفيها الحوت المسمى بالخنزير، وهو ذو خرطوم أكبر من الجاموس ويخرج إلى الجهة المجاورة للنيل فيرعى الزرع بها ويرجع إلى النيل، وفي النيل سمكة مدورة حمراء الذنب يقال لها اللاش لا تظهر فيه إلا بذرة، وهي كثيرة اللحم طيبة الطعم، وفيه أيضا سمك يسمى الابرميس (٦) ، وهو حوت أبيض مدور أحمر الذنب يقال إنه ملك السمك وهو طيب الطعم لذيذ يؤكل طريا ومملوحا إلا أنه لطيف، وفيه أيضا الراي (٧) وهو سمك كبير لونه أحمر فيه كبير وصغير، وفيه سمك يقال له البني كبير عجيب الطعم في الواحد منه خمسة أرطال وعشرة أرطال، وفيه سمك في صورة الحيات، وفيه السمك الرعادة إذا مسها الإنسان ارتعدت يده حتى تسقط منها، وفيه كلاب الماء وفرس الماء وفيه خلقة الفرس، وحوافره مثل أرجل البط تنضم إذا

---

(١) سقط من ع.

(٢) الاستبصار: ٤٩.

(٣) يعني الإدريسي صاحب نزهة المشتاق، انظر (د) : ١٤.

(٤) زيادة من الإدريسي، كان في موضعها ((فيصيب في أرض مصر وينقسم في أسفل أرض مصر على أربعة أقسام، فثلاثة منها تصب في بطاح)) وهو سيجيء بعد أسطر.

(٥) لا يزال النقل مستمرا عن الإدريسي (د) : ١٦.

(٦) ص ع: الأبريمس.

(٧) الإدريسي: الري.." (١)

"رفعتها وتنتفخ إذا وضعتها، وله ذنب طويل، وفيه السقنقور وهو صنف من **التمساح** يشاكل السمك من جهة يديه ورجليه ولا يشاكل **التمساح** وشحمه يتعالج به للجماع وكذلك ملحه الذي يملح به، والسقنقور لا يكون في النيل إلا بمكان من حد أسوان، **والتمساح** لا يكون إلا في نيل مصر، وهو مستطيل الرأس وطول رأسه نحو طول نصف جسده، وهو بري وبحري لأنه يخرج إلى البر ويقيم به اليوم والليلة يدب على يديه ورجليه ويضر في البر وأكثر ضرره في الماء ثم إن الله سبحانه وتعالى سلط عليه دابة من دواب النيل

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٨٧

يقال لها اللشك ترتقبه وترصده حتى يفتح فاه فإذا فتحه وثبت فيه فتمر في حلقه ولا تزال تأكل كبده وأمعاءه حتى تفنيه فيموت، وفي النيل أيضا البوري والشابل.

نيق العقاب (١) :

بين مكة والمدينة، فيه لقي أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أمية بن المغيرة أخو أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم عام فتح مكة فحجبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى من لقائهما، فقالت أم سلمه: يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك، فقال صلى الله عليه وسلم: " أما ابن عمي فقد هتك عرضي وأما ابن عمتي فهو الذي قال بمكة ما قال " ثم أذن لهما فأسلما، والقصة أطول من هذا.

نيسابور (٢) :

سميت بذلك لأن سابور مر بها فلما نظر إليها قال: هذه تصلح لأن تكون مدينة فأمر بها فقطع قصبها ثم كبس ثم بنيت فقيل لها نيسابور وهي من بلاد خراسان، وهو بلد واسع افتتحه عبد الله بن عامر بن كريز في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ثلاثين وهي أرض سهلة ليس بها ماء جار إلا نهر يخرج إليهم فضله في السنة ولا يدوم ماؤه وهو فضل ماء هراة، وهي مدينة يكون قدرها قدر نصف مرو.

ومن نيسابور جماعة من أكابر الفضلاء، ولو لم يكن إلا الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري صاحب " المسند الصحيح " ويقال أيضا: ما أخرجت خراسان بعد ابن المبارك مثل يحيى بن يحيى النيسابوري (٣) .

ونيسابور (٤) مدينة جميلة في مستو من الأرض وأبنيتها من طين، وهي قديمة البناء، وقدر مساحتها ثلاثة أميال في مثلها ولها ربض كبير آهل دائر بها، ومسجد جامعها في ربضها، ولها قصبة منيعة، ولها أربعة أبواب: باب القنطرة، وباب سكة معقل، وباب القصبة، وباب قنطرة دومكين، ولها نهر يشربون منه ويسقون رساتيقهم، وبينها وبين سرخس ست مراحل، ورساتيقها عامرة وفيها مدن كثيرة، ونيسابور قلب لما حولها من البلاد والأقطار.

وهي في أرض (٥) سهلة مقدارها فرسخ في مثله، وقهندزها متصل بمدينتها خارج عنها ويحف بهما جميعا ربض، وجامعها بموضع يعرف بالعسكر، ودار الإمارة بمكان يعرف بميدان الحسين، وبين المسجد الجامع ودار الإمارة ربع فرسخ، ودار الإمارة من بناء عمرو بن الليث، وأسواقها خارجة عن المدينة في الربض، ومعظمها سوقان: المربعة الكبيرة والمربعة الصغيرة، فإذا أخذت من المربعة نحو المغرب فالسوق ممتدة

إلى مقابر الحسن، وفي خلال هذه الأسواق خانات يسكنها التجار للبيع فيها، يضاهي كل فندق منها سوقا من أسواق بعض البلدان. وليس بخراسان مدينة أصح هواء ولا أرحب فناء ولا أشد عمارة ولا أمكن تجارة ولا أكثر سابلة ولا أغزر فائدة من نيسابور، ويرتفع منها من أصناف البز وفاخر الثياب القطن والقز ما يعم البلاد وتؤثره الملوك ويتنافس فيه الرؤساء، ولها حدود واسعة ورساتيق عامرة ومدن معروفة. وكانت دار الإمارة في القديم بخراسان مرو وبلخ إلى أيام الطاهرية فإنهم نقلوها إلى نيسابور فعمرت وعظمت أحوالها وشهر بالعلم رجالها.

وفي سنة (٦) ثمان عشرة وستمائة نزل الططر على نيسابور وهي حينئذ عروس خراسان، ومحط التجار من سائر البلدان، وبها الطراز الأعظم، وفيها من الأئمة والعلماء والسادة والكبراء خلق لم يجتمع في سواها وقد طابت غلاتها فراموا فيها مكرا بتأمين أو خديعة، فق ال أهلها: الكلب خير من صاحب أمرهم فإنه يحفظ العهد وهو ما له عهد ولا يفي بقول قد غدر بأهل بخارى وأهل سمرقند وغيرهما، فكيف ننخدع بعدما سمعنا، وفينا من يرغب في

---

(١) معجم ما استعجم ٤: ١٣٤١، وانظر ياقوت.

(٢) قارن بياقوت (نيسابور) .

(٣) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ: ٤١٥، وكانت وفاته سنة ٢٢٦.

(٤) عن نزهة المشتاق: ٢٠٨.

(٥) انظر ابن حوقل: ٣٦٢، والكرخي: ١٤٥، والمقدسي: ٣١٤، وآثار البلاد: ٤٧٣.

(٦) قارن بياقوت (نيسابور) .." (١)

"وجهه إليها سعد بن أبي وقاص بأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في جند رسم له صاحب مقدمته ومجنبتين وساقة، فخرج نحو هيت، وقدم الحارث بن يزيد العامري، وهو المعين لمقدمته، حتى نزل بهيت وقد خندقوا عليهم، فلما رأى عمر بن مالك امتناع القوم بخندقهم استطال أمرهم، فترك الأخبية على حالها وخلف عليهم الحارث، فحاصرهم، وخرج في نصف الناس يعارض الطريق حتى جاء قرقيسيا في غرة، فأخذها عنوة، فأجاب أهلها إلى الجزية، وكتب إلى الحارث بن يزيد: إن هم استجابوا فخل عنهم، وإلا فخندق على خندقهم خندقا أبوابه مما يليك حتى أرى من رأيي، فسمحوا بالإستجابة، وانضم الجند إلى

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٨٨

عمر رضي الله عنه والأعاجم إلى أهل بلدتهم.

الهيبل (١) :

نهر كبير عذب، يقال إن فيه تماسيح كتماسيح النيل، وهو مثله في الكبر، وجريه بالأمطار الصيفية كجريه، وينتشر على وجه الأرض ثم ينضب، فيزرع عليه حسبما يزرع بأرض مصر.

هيرت:

قلعة بالهند، كان محمود بن سبكتكين سلطان خراسان حين غزا بلاد الهند فتحها وخربها بعد ما صابر سكانها قليلا فأخذوا وقتلوا تقتيلا.

---

(١) ينقل المؤلف عن البكري (مخ) : ٤١ حيث ورد اسم النهر ((الديبل)) بعد عده أنهار الهند مثل الكنك ومهران، ولا أدري أيث الصورتين هي الصواب؛ فإن الديبل مدينة والنهر الذي يمر عندها هو نهر مهران؛ وفي ص: الهيبل.." (١)

"بقاف ولام مصغر نسبة لأجداده من أمه / صاحب حاجب طرابلس وأستادار السلطان بها. مات بها بعد مرض طويل في يوم الخميس خامس شعبان سنة إحدى وسبعين وهو في الكهولة وكان عاقلا ساكنا رضي الخلق عنده كرم وحشمة عفا الله عنه.

أحمد بن محمد بن الهائم. / مضى فيمن جده عماد.

٥٩٣ - أحمد بن محمد ويعرف بابن والي. / ولد تقريبا سنة تسعين أو قبلها كتبت عنه قوله:

(يقولون لي في البحر تمساح كاسر ... أصاد لصياد وقد كاده كيدا)

(فقلت لهم هذا نهاية عمره ... ولو راح بيروت لكان له صيدا)

٥٩٤ - أحمد بن محمد فخر الدين أبو محمد ويدعى أيضا بأبي شمس الدين المراغي نزيل مكة ويعرف بالخياط. / ولد في حدود سنة سبعمائة أو نحوها بمراغة من بلاد العراق وقدم مكة في حدود سنة بضع وثلاثين وسبعمائة وسمع بها في هذه الحدود فما بعدها على شيوخها والقادمين إليها ولبس منهم الخرقة الصوفية وكان أحد مشايخ الصوفية بها مقيما برباط رامشت ومات بمكة. ذكره التقي بن فهد في معجمه.

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٩٨

أحمد بن محمد البدر الطنبذي. / فيمن اسم أبيه عمر بن محمد.
٥٩٥ - أحمد بن محمد الشهاب البالسي الأصل الدمشقي الحنفي الجواشني. / قال شيخنا في أنبائه اشتغل في صباه وصاهر أبا البقاء على ابنته وأفتى ودرس وناب في الحكم وولي نظر الأوصياء ووظائف كثيرة بدمشق وكان حسن السيرة واستقل بالقضاء قليلا بسعي منه ثم عزل وسعى في العود فلم يتم له ومات في جمادى الآخرة سنة تسع.
٥٩٦ - أحمد بن محمد الشهاب البالسي الأصل القاهري الشافعي الماوردي ابن أخت النواجي. / ممن اشتغل قليلا وسمع الحديث وتنزل في الجمالية وغيرها ونسخ بخطه الضعيف أشياء كل ذلك مع تكسبه بالوراقين وكان يقرأ على التقي القلقشندي في العمدة حين كان ينوب عن ابن خاله بالجمالية وكذا على الزين المنهلي وكتب عنه بعض الأجوبة وقرأه مع عقل واشتغال بما يعنيه ثم افتقر وكف وانقطع حتى مات بعد التسعين ظنا.
٥٩٧ - أحمد بن محمد الشهاب البسطامي ويعرف بالمتوكل. / مات في يوم الخميس سادس عشري صفر سنة ست وستين. أرخه المنير.
٥٩٨ - أحمد بن محمد الشهاب البهنسي الأصل القاهري الحنبلي. / ولد في سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة وحفظ القرآن والوجيز واستمر على حفظه وحضور دروس قاضيهم العز الكناني وكان ينتمي له بقرابة بحيث استنابه في القضاء قبيل موته وبرع في الشطرنج مع شدة بلادته وجموده.
مات فجأة سقطت عليه سقيفة بمصر القديمة في." (١)

"وخوض فيما لا يعنيه وسوء عقيدة واستخفاف بأمور الدين وتنكيل بكثير من الفقهاء وازدرائهم وبذل وكرم، وقد حارب الأمشاطي في استبدال بيت سكنه بالكبش فيما استطاع بل أغلظ عليه القاضي حين قال له بحضرة القضاة والأمراء وقد اجتمعوا بالبيت المشار إليه لعمل مصلحته فيه لو كان بيت في الجنة ما أخذته منك نسأل الله السلامة، واستقر بعده في الحجوبية الأمير برسباي قرا الظاهري.
٨٥٥ - ازدمر أخو أينال اليوسفي الظاهري برقوق عز الدين / أحد مقدمي القاهرة ووالد يشبك الآتي. قتل في سنة ثلاث بظاهر حلب وهو والد فرح سبط الأشرف شعبان بن حسين، قال العيني كان من مماليك الظاهر فأعتقه وأحسن إليه ثم أمره طبلخانات ثم تغير عليه في فتنة عليباي ونفاه إلى الشام مما عمله ابنه الناصر مقدما بدمشق وفقد في معركة حلب بعد أن قاتل قتالا شديدا.

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٢١٦/٢

٨٥٦ – ازدمر الأزبكي معتق الأتابك أزبك. / لم تكن له عنده وجاهة بل كان غالب أوقاته شادا له في سبك الثلاث ثم أعتقه وبعد ذلك علم الأشرف قايتباي أنه ابن عمه فأنعم عليه ثم ولاه نيابة طرسوس فرحمه أهلها ثم ولاه سيس فخرج منها خائفا يترقب قاصد القاهرة فوجه القاصد إليه في أثناء الطريق بتقليد حماة فرجع وباشر بعسف وقلة دربة وبنى قيسارية أخذ فيها من الطريق جانبا وتعدى وزاد ويقال أن أستاذه لام السلطان على جعله نائبا لعلمه بعدم تأهله لشيء ولم يلبث أن فتك به سيف ابن علي أمير العشير بظاهر حماة فقتله مع أتابك حماة طومانباه ولم يوارهما فحضر حمزة بن سفلسيس نائب حماة فواراهما وخرج الدوادار الكبير في عسكر لذلك فلم يظفر بطائل واستقر بعده في النيابة بخدمة جانم السيفي دوادار أستاذه جانبك الجداوي.

٨٥٧ – ازدمر تمساح من يلباي / أحد المقدمين من مماليك الظاهر جقمق ولقب بتمساح لضربه له بين يدي أستاذه حج أمير المحمل غير مرة منها في سنة ثمان وثمانين وكنت ممن رجع في سنة أربع وتسعين في الركب معه فحمدت سيره وفضله وتواضعه وعلو شجاعته وسلامة صدره

ثم سافر معه أيضا في سنة ست وتسعين ونعم الأمير.

٨٥٨ – ازدمر من محمود شاه الظاهري جقمق الخازندار / أحد المقدمين وصهر الأمير يشبك الفقيه على أنبته ويقال له المسرطن تأمر على الحج في سنة تسعين وخرج مع المجردين في سنة خمس وتسعين ثم أرسل نائبا لبعض البلاد ويذكر بخير مع إمساك.

٨٥٩ – ازدمر دوادار الظاهر برقوق / أرخه المقريزي في سنة إحدى.

٨٦٠ – ازدمر دوادار الأشرف قايتباي / بحلب بعد أن كان نائب طرسوس." (١)

"١٠٠٢ – أقبردي الأشرفي قايتباي بل هو ابن عمه وقريبه. / كان خاصكيا سنين ثم ترقى لإمرة عشرة ثم تقدم دفعة بعد جانم ثم استقر به في الدوادارية الكبرى عقب موت يشبك من مهدي وسكن بيته العظيم وتزوج ابنة ابن خاص بك أخت زوجة أستاذه التي كانت زوجا لجانم المشار إليه

وأضيف إليه الوزر بمباشرة موفق الدين تارة وابن البدر حسن أخرى وقاسم شقيقه لنظر الدولة معه ثم صار المتكلم في ديوانه الشرف المعروف بأبي المنصور وولي أمرة السرحة بالوجه القبلي غير مرة فجلب الأموال منه ومن الجهات النابلسية وغيرها وكان ما يفوق الوصف وبالغ حتى كاد أمير سلاح أن ينقمع منه وغضب منه مماليكه فكاد أن يكون فتنة كما شرح ذلك في الحوادث ويقال أنه أرسل بثلاثمائة دينار فرقت بالأزهر

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٢/٢٧٤

وغيره، وحج قبل ترقيه وصار إليه الحل والربط وأضيف إليه والزر والاستادارية وغيرها.

١٠٠٣ - أقبردي **التماسيحي** الظاهري جقمق، / استقر أميr الراكز بمكة عوض أزدمر وقدمها مع الركب سنة خمس وتسعين فدام وماتت زوجته في أثناء سنة سبع وتسعين وتزوج أم الحسن ابنة التقي البلقيني ورأيته مغتبطا بها، وهوتركي خالص والبلاء من مقدميه وأتباعه.

١٠٠٤ - أقبردي الساقي الظاهري جقمق. / اشتراه في سلطنته ونزله في الطباق مع جلبانه البالفانباي الجركسي حتى جعله خاصكيا ثم ساقيا كل ذلك في أقرب مدة ثم ندبه لأمر بحلب يتعلق بالسلطنة فلما وصلها بعث إليه خلعة بنيابة قلعتها مع صغر سنه ثم نقله إلى أتابكيتها بعد سودون القرماني، وقدم القاهرة بعد يسير فأقام بها مدة ثم رجع إلى حلب بعد إلباسه خلعة ثم نقل منها إلى نيابة ملطية، ومات بها في ذي الحجة سنة تسع وخمسين وحمل منها إلى حلب فدفن بتربته التي أنشأها بها وسنه نحو الثلاثين وكان عفيفا عاقلا ساكنا.

١٠٠٥ - أقبدي القجماسي قجماس ابن عم الظاهر برقوق. / تنقل حتى ناب بغزة في الأيام الأشرفية بمال فباشرها قليلا ومات في العشر الأوسط من شوال وقيل ذي القعدة سنة إحدى وأربعين بمخيمه الذي كان رام التحفظ فيه من الفناء خارج غزة وهو في عشر الثمانين، قال المقريزي وأراح الله بموته من جوره وطمعه.

١٠٠٦ - أقبردي المظفري / عمل رأس نوبة الجمدارية في أيام المؤيد ثم أمير عشرة في أيام الظاهر جقمق ثم صار من رؤس النوب الصغار ثم أرسله أمير الركب لأول مرة ثم وجهه إلى مكة مقدما على المماليك السلطانية بها بعد سودون المحمدي." (١)

"عثمان الناسخ أحد الشهود بالكعكيين ممن قدم مكة في سنة ثمان وتسعين بحرا صحبة نائب جدة على إمامته وغيرها ثم رجع معه مع الراكب ومات في الطريق في المحرم من التي تليها وفد كتب أشياء من تصانيفي وكان لا بأس به ويقال أنه كان عند أزدمر **تمساح** أيضا.

عجلان بن نعير بن منصور جماز بن منصور بن شيحة بن هاشم ابن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا العلوي الحسيني أمير المدينة النبوية. قبض عليه في سنة إحدى وعشرين وسجن ببرج في القلعة ثم أفرج عنه لمنام رآه العز عبد العزيز بن علي الحنبلي القاضي الماضي وقصه على المؤيد ثم قتل في حرب في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين. أرخه شيخنا في أنبائه، وقال المقريزي أنه ولي المدينة مرارا إلى أن قبض عليه

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٢/٣١٥

المؤيد في موسم سنة إحدى وعشرين)
وحمل في الحديد إلى القاهرة وحبس بالبرج ثم أفرج عنه برؤيا العز المذكور في المنام كأنه بالمسجد النبوي وإذا بالقبر قد انفتح وخرج منه النبي صلى الله عليه وسلم وجلس على شفيره وعليه أكفانه وأشار بيده إلى الرائي فقام إليه حتى دنا منه فقال له: قل للمؤيد شيخ يفرج عن عجلان فلما انتبه صعد إلى القلعة وكان من جملة جلساء المؤيد فجلس على عادته وقص عليه الرؤيا وحلف له بالأيمان العظيمة أنه لم ير عجلان قط ولا بينهما معرفة فبادر المؤيد وخرج بنفسه بعد انقضاء المجلس إلى مرمى النشاب الذي استجده بطرف الدركاه بالقرب من باب المدرج تحت الأبراج واستدعى بعجلان من محبسه ثم أفرج عنه وأحسن إليه ورجع إلى بلاده ووقعت له حوادث إلى أن قتل في ذي الحجة عفا الله عنه.
وهو في عقود المقريزي.
عجل بن رميح الحسني من بني أبي نمي وأمه شمسية ابنة حسن بن عجلان أخت السيد بركات. توفي خارج مكة وجيء به إليها في جمع منهم ابنا السيد محمد دون أبيهما فجر يوم السبت سادس ربيع الآخر سنة سبع وثمانين فغسل وكفن ووضع عند باب الكعبة حتى صلى عليه الشافعي ضحى اليوم وشهده خلق ثم توجهوا به إلى المعلاة ودفن بمقبرة جده أبي نمى منها، وكان قد تزوج ابنة خاله بركات وماتت معه بعد أن أولدها شهوان وغيره ثم تزوج ابنة السيد محمد ابن خاله فمات وهو والد عزيز وممن أرسله ابن خاله في كثير من السنين قاصدا لصاحب مصر عفا الله عنه.
العجل بن عجلان بن نعير بن منصور بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم العلوي الحسيني الماضي أبوه قريبا. تنازع بعد قتل مانع بن." (١)

"الدين محمد (ابن الجوهري) في الجوهري (ابن الجيعان) ذكرت منهم الفخر عبد الغني والتاج عبد اللطيف والجمال عبد الله وناصر الدين منصور بني العلم شاكر بن ماجد فلأولهم وكان قد استقر في كتابة جيوش البلاد الشامية مضافا لكتابة جيوش البلاد المصرية عوضا عن الشمس المنوفي بحكم عزله في سنة إحدى وثمانمائة من الأبناء كريم الدين عبد الكريم مات صغيرا والعلمي شاكر وهو أكبرهم سنا والتقي عبد الوهاب والمجد أو الزين أبو الفضل عبد الرحمن والسعدي إبراهيم وهو أصغرهم وكلهم أشقاء ولهم أخت تسمى سيدة الأخوة وأمهم فخر النساء ابنة الطوخي ولثانيهم من الأبناء المجد عبد الملك والجمال عبد الله فلأولهما من الأبناء تاج الدين عبد اللطيف والمحب محمد أبو البقاء وآسية ولثالثهم وهو الجمال عبد

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ١٤٥/٥

الله من الأبناء عبد القدوس ورابعهم لم يعقب ثم إن للعلمي شاكر من الأبناء الشرفي يحيى وهو أكبرهم وعبد الباسط وعبد الغني وهم أشقاء أمهم شقراء ابنة المجد إبراهيم كاتب المماليك في أيام الناصر فرج ومات في الأيام المؤيدية وللثلاثة أخت اسمها فرج تزوجها أبو الفضل بن قطارة الذي ولي ديوان المرتجع وقتا وماتت تحته بعد أن استولدها أولادا منهم ابنة ماتت تحت سعد الدين بن عبد القادر البكري كاتب المماليك كان وأخرى تدعى ستيتة تحت بركات بن قريميط أحد كتاب المماليك وللمجدي عبد الرحمن من الأبناء عبد القادر وهو أكبرهم ثم يوسف ثم عبد الكريم ثم أحمد ثم عبد الرحيم ثم أمير حاج اسماعيل وأولهم موتا الثاني ثم الثالث ثم الأول ثم السادس ثم الرابع وثانيهم له فاطمة تزوجها محمد بن المحبي بن الأشقر واستولدها ابنة تزوجها السيد علي بن بركات أخو صاحب الحجاز ثم بعده محمد بن الفاقوسي مباشر أزدمر **تمساح** وبعد مفارقة ابن الأشقر لأمها تزوجها شريف في حانوت تحت الربع وثالثهم له خديجة تزوجها محمد أكبر بني سالم الأزبكي واستولدها ابنة صاهره عليها فخر الدين بن البطرك الملكي وطلق ابن سالم أمها فتزوج بها البهاء بن المحرقي الخطيب وخامسهم له فاطمة تزوجها التقي بن الرسام سبط البلقيني واستولدها ذكرا مات عنه ومات بالطاعون ثم تزوجها الشهاب بن الفرفور ثم ابن ابن عم أبيها التاج بن عبد الغني بن شاكر وحجت بعده وجاورت سنة ثمان وتسعين ورجعت في موسمها وسادسهم له ابنة تزوجها عمر بن البدري أبي البقا حفيد ابن عم أبيها ومات عنها وللأخوة الستة أخت اسمها بلقيس كانت زوجا لابن عمها عبد الباسط وماتت تحته وكلهم من سرار فعبد القادر وبلقيس شقيقان ويوسف وأحمد شقيقان وعبد الكريم." (١)

"٤٩٧ – (عائشة) ابنة محمد بن عيسى بن عبد الله ام محمد ابنة الامام الشمس ابي عبد الله البعلي اجاز لها ابن القيم والرانسي ومظفر وجماعة ماتت سنة تسع وعشرين

٤٩٨ – (عائشة) المدعوة سعادة ابنة محمد بن فتح الطائفي. تزوجها عبد الواحد ابن الزين محمد بن احمد بن محمد الطبري فولدت له فاطمة وأم الحسين وأم كلثوم

(عائشة) ابنة أبي البركات محمد بن أبي السعود محمد بن حسين بن علي بن احمد ابن عطية بن ظهيرة ام كمال القرشي. في الكنى

(عائشة) ابنة أبي اليمن محمد بن محمد بن علي النويري. في أم كمال أيضا

(عائشة) ابنة محمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم الطبري. في أم كمال أيضا

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ١١/٢٤١

٤٩٩ – (عائشة) ابنة محمد بن محمد بن عبد الوهاب بن أبي بكر بن يفتح الله السكندري أخت على الماضي. ولدت في منتصف رمضان سنة ثمان وثمانمائة

٥٠٠ – (عائشة) العجمية وتلقب خاتون والدة ست الكل ابنة ابراهيم الجيلانية الماضية. كانت ذات ملاءة وخير ومروءة تسكن بعدن من اليمن وترددت لمكة في التجارة مرارا. وماتت بها في اثناء سنة احدى. ذكرها الفاسي

٥٠ – (عائشة) ابنة الحريري أخت جارنا الشهاب أحمد وأم أحمد الحجازي كانت خيرة أثكلت ولدها المشار اليه. وماتت وقد قاربت الثمانين فأكثر غروب ليلة الاثنين سادس رمضان سنة ثمان وسبعين بعد أن وقفت ملكها المجاور لنا على خبز في ليلة وقت الغمرى وقراءة وغير ذلك ودفنت من الغد عند ولدها عوضهما الله خيرا

٥٠ – (عزيزة) ابنة شاهين الكركي سبطة شيخنا وشقيقة يوسف الماضي. أجاز لها في سنة ثلاثين فما بعدها جماعة. وماتت في حياة أبويها

٥٠٣ – (عزيزة) ابنة شعبان مهتار الركبخاناة الاشرفية اينال وزوج اقبردى **التماسيحي** أمير الراكز بمكة وأخت المؤيد أحمد من الرضاع. ماتت بمكة في عصر مستهل شعبان سنة سبع وتسعين بعد تعلل مدة ودفنت بتربة الانصاري

٥٠٤ – (عزيزة) ابنة الجلال عبد الرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني. تزوجها الشمس بن سويد فولدت له الصدر وعائشة. وماتت في حياة أبيها سنة ثلاث وعشرين

٥٠٥ – (عزيزة) ابنة علي بن أحمد الزيادي بالتشديد القاهري أخت محمد وأحمد الماضيين. ولدت تقريبا سنة ست وأربعين وثمانمائة وتزوج بها العلاء بن السيد عفيف الدين بالقاهرة بأخرة بعد غيره وسافرت بعده لآجله مع أخويها فجاورت معهما وما حصل الغرض لاطلاع ابنه عمه وعدم قدرته على غضبها بل كان سببا لفراقها ثم عادت اليه بعد حتى مات وهي في عصمته ثم ماتت هي في شوال سنة تسع وسبعين رحمها الله." (١)

"الجلال البلقيني. ولدت قريب الثلاثين وثمانمائة، وتزوجها ابن قوبان من أجناد الحسينية ثم ابن شقطاي ثم سبط شيخنا ودامت تحته سنين واستولدها أولادا، ثم منصور بن صفى الاستادار فلم تتم عنده شهرا ثم ناصر الدين محمد بن الحاجب ودامت معه حتى مات، ولم يعش لها ولد، وقد حجت وجاورت

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ١٢/ ٨٢

هي واخوتها الثلاثة ومات الذكر بمكة فجاورت الثلاثة بالمدينة أشهرا، ثم حجت بعد أن أثكلت اخوتها وصارت فريدة في سنة ست وتسعين وجاورت التي تليها، وتزوج بها في أثنائها وهي هناك أقبردى **التماسيحي** أمير الراكز وما كان ظنها بعد اثكال أختيها شقيقتها خديجة ثم زينب التزوج ولها عقل وتدبير ومحبة في أهل الخير وتعفف واحتياط غالبا

٨٤٨ - (أم الحسن) ابنة أبي الخير محمد بن أبي البركات محمد بن أبي السعود محمد ابن حسين بن علي بن احمد بن عطية بن ظهيرة القرشي المكية، أمها ست قريش ابنة التقي بن فهد. ولدت بمكة في ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وثمانمائة بدون تردد وأحضرت على أبي المعالي الصالحي وابي الفتح بن المراغي وزينب ابنة اليافعي وسمعت على جدها لأمها، وأجاز لها الزين الزركشي وابن الفرات والبرهان الحلبي وأبو جعفر بن العجمي والعلاء بن بردس وآخرون؛ وتزوجها ابن عمها الفخر ابو بكر بن علي بن ابي البركات في سنة سبع وخمسين ثم أبانها في ربيع الأول سنة إحدى وستين وتزوجها ابن عمها أبو الخير بن أبي السعود محمد بن أبي البركات، وهي كثيرة التبذير بحيث استدانت، وقدمت القاهرة من البحر في سنة خمس وتسعين لظنها وفاء دينها فلم تصل لأدنى شيء مع طلوعها الى جهتى السلطان والأتابك فعادت صفرة اليدين عارية الثديين

٨٤٩ - (أم الحسن) ابنة التقي محمد بن محمد بن أبي الخير محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فهد ست القضاة رابعة شقيقة النجم بن فهد. ماتت عن دون سنة في جمادى الاولى سنة تسع وعشرين بمكة. (أم الحسن) ابنة ابن العجمي. هي فاطمة ابنة محمد بن يوسف

٨٥٠ - (أم الحسين) بالتصغير ابنة الشهاب احمد بن ابراهيم بن احمد بن أبي بكر بن عبد الوهاب المرشدي المكي، اجاز لها العز بن جماعة الصغير في سنة خمس عشرة. ماتت بكرا في صفر سنة أربع وثلاثين بمكة. أرخها ابن فهد. وقال ان أخاها أبا بكر لم يجب من سأله تزويجها

٨٥ - (أم الحسين) ابنة أحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن ظهيرة بن أحمد بن عطية ابن ظهيرة القرشي المكية. درجت صغيرة

٨٥ - (أم الحسين) ابنة أحمد بن حسين الخوارزمي المكي. ماتت بمكة في ذي القعدة سنة إحدى وثمانين." (١)

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ١٣٨/١٢

"جهة الظاهر خشقدم. تزوجها الزين عبد الرحيم بن العيني فاستولدها ابنه الشهاب أحمد ومات أبوه فرباه زوج جدته الظاهر المشار إليه، وماتت هي في يوم السبت رابع ذي القعدة سنة ست وستين وحضر السلطان الصلاة عليها بالقلعة ثم دفنت بتربته

١٠٠٦ – (ابنة المؤيد أحمد) بن الأشرف اينال. ماتت في رمضان سنة تسع وسبعين بإسكندرية وكانت مقيمة عند أبيها بها وكثر تأسفه فيما قيل عليها وكانت جدتها قد جهزتها جهازا هائلا لكونها أشرفت على التزويج فعوجلت عوضها الله الجنة

١٠٠٧ – (ابنة أخرى للمؤيد أحمد) كانت زوجا للدوادار الكبير يشبك من مهدي ولدت له عدة تأخر منهم عنها ذكر ابن أشهر وأنثى. ماتت في يوم الخميس ثامن عشري ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين بعد تعللها أشهرا حتى انتحلت وقاست أنواعا، وصلى عليها من الغد في المؤمني بحضرة السلطان فمن دونه وما تخلف وقاست أنواعا، وصلى عليها من الغد في المؤمني بحضرة السلطان فمن دونه وما تختلف أحد بل مشى الى التربة حاجب الحجاب ورأس نوبة النوب وجماعة من المقدمين وركب الأتابك ولاشين وستر نعشها ببشخاناه زركش بوجهين الباطن **تماسيح** على أخضر والظاهر زركش على مخمل أحمر ودفنت بتربة زوجها رحمها الله

١٠٠٨ – (ابنة أخرى للمؤيد أحمد) ماتت في سنة اثنتين وثمانين

١٠٠٩ – (ابنة احمد) بن عبد الرحمن بن قيم الجوزية زوج أبي الفضائل بن أحمد الحنفي. ماتت في رجب سنة خمس وثمانين

١٠١٠ – (ابنة إسماعيل) بن الخازن البكتمرية واسمها آمنة. تزوجها الخطيب أبو الفضل النويري وقبله الولي الأسيوطي

١٠١ – (ابنة لأمير حاج) بن المجد عبد الرحمن بن الجيعان. ماتت قبل إكمال سنة في يوم الجمعة تاسع ذي القعدة سنة إحدى وسبعين بمكة

١٠١ – (ابنة للزيني أبي بكر) بن مزهر ثلاثية. ماتت في يوم السبت ثامن عشري شوال سنة خمس وثمانين وصلى عليها بعض الأعيان ومنهم الشافعي لعدم انتشار العلم بها

١٠١٣ – (ابنة للخطيب أبي بكر) بن أبي الفضل النويري، أمها حبشية لأبيها. ماتت وهي بكر بالغ في جمادى الأولى سنة اثنتين وتسعين (ابنة للبدر السمرباى) هي سعادات ١٠١٤ (ابنة تريكي الأزرق) زوج كباش واسمها مصباح. ماتت بمكة في صفر سنة ثمان وسبعين

١٠١٥ - (ابنة للتقي اليونيني) ماتت في شعبان سنة اثنتين. ذكرها شيخنا في أنبائه

١٠١٦ - (ابنة لظاهر جقمق) تساعية شقيقة لأحمد الماضي. ماتت بالطاعون." (١)

"الهواء، وحسن المباني، ونهرها الأعظم الذي يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلا ثم يحسر، وفيه يقول ابن سفر (١) :

شق النسيم عليه جيب قميصه ... فانساب من شطيه يطلب ثاره

فتضاحكت ورق الحمام بدوحها ... هزءا فضم من الحياء إزاره وقيل لأحد من رأى مصر والشام: أيهما رأيت أحسن؟ أهذان أم إشبيلية؟ فقال بعد تفضيل إشبيلية: شرفها غابة بلا أسد، ونهرها نيل بلا **تمساح**، انتهى.

ويقال: إن الذي بنى إشبيلية اسمه يوليش (٢) ، وإنه أول من سمي قيصر، وإنه لما دخل الأندلس أعجب بساحاتها وطيب أرضها وجبلها المعروف بالشرف (٣) فردم على النهر الأعظم مكانا، وأقام فيه المدينة، وأحدق عليها بأسوار من صخر صلد، وبنى في وسط المدينة قصبتين بديعتي الشأن تعرفان بالأخوين، وجعلها أم قواعد الأندلس، واشتق لها اسما من رومية، ومن اسمه، فسماها رومية يوليش، انتهى.

وقد تقدم شيء من هذا.

وكان الأولون من ملوك الأعاجم يتداولون بسكناهم أربعة (٤) من بلاد الأندلس: إشبيلية، وقرطبة، وقرمونة (٥) ، وطليطلة، ويقسمون أزمانهم على الكينونة بها.

---

(١) ابن سفر: أبو عبد الله محمد بن سفر الأديب (ويكتب اسمه أيضا بالصاد) وهو من ناحية المرية وسكن إشبيلية، وسيترجم له المقري. (انظر تحفة القادم: ١٠١ والوافي ٣: ١١٤ والمغرب ٢: ٢١٢) . وبيتاه في التحفة. وفي ج: ابن سعيد.

(٢) ق ك ط: توليس، ج: يولوس؛ وهو يوليس قيصر (Julius Caesar) ،

(٣) سيأتي وصف " شرف إشبيلية " في النصوص التالية، وانظر أيضا الروض المعطار: ١٩.

(٤) ك: أربعة بلاد.

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ١٦٢/١٢

(٥) قرمونة (Carmona) مدينة إلى الشمال الشرقي من إشبيلية على عد ٣٥ كيلومترا وكانت كورة واسعة تضم عدة مدن وحصون. (راجع الروض المعطار: ١٥٨) .." (١)

"أيضا، وقالوا: إنه لا قيمة له لفرط غرابته وجماله، وحمل من مكان إلى مكان حتى وصل إلى البحر، ونصبه الناصر في بيت المنام في المجلس الشرقي المعروف المؤنس، وجعل عليه اثني عشر تمثالا من الذهب الأحمر مرصعة بالدر النفيس الغالي مما عمل بدار الصناعة بقرطبة: صورة أسد إلى جانبه غزال إلى جانبه **تمساح**، وفيما يقابله ثعبان وعقاب وفيل، وفي المجنبتين حمامة وشاهين وطاووس ودجاجة وديك وحدأة ونسر (١) ، وكل ذلك من ذهب مرصع بالجوهر النفيس، ويخرج الماء من أفواهها، وكان المتولي لهذا البنيان المذكور ابنه الحكم، لم يتكل فيه الناصر على أمين غيره، وكان يخبز في أيامه في كل يوم برسم حيتان البحيرات ثمانمائة خبزة، وقيل: أكثر، إلى غير ذلك مما يطول تتبعه.

قال (٢) : وكان الناصر كما قدمنا قسم الجباية أثلاثا: ثلث للجند، وثلث للبناء، وثلث مدخر، وكانت جباية الأندلس يومئذ من الكور والقرى خمسة آلاف ألف وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار، ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستين ألف دينار، وأما أخماس الغنائم العظيمة (٣) فلا يحصيها الديوان.

وقد سبق هذا كله، وإنما كررته لقول بعضهم إثر حكايته له، ما صورته: وقيل: إن مبلغ تحصيل النفقة في بناء الزهراء مائة مدي من الدراهم القاسمية بكيل قرطبة، وقيل: إن مبلغ النفقة فيها بالكيل المذكور ثمانون مديا وسبعة أقفزة من الدراهم المذكورة. واتصل بنيان الزهراء أيام الناصر خمسا وعشرين سنة شطر خلافته، ثم اتصل بعد وفاته خلافة ابنه الحكم كلها، وكانت خمسة عشر عاما وأشهرا، فسبحان الباقي بعد فناء الخلق، لا إله إلا هو، انتهى.

---

(١) هذه ثلاثة عشر تمثالا وقد ذكر أنها اثنا عشر، وفي أزهار الرياض عد منها أحد عشر ثم قال: والثاني عشر لم يحضرني اسمه الآن؛ وذلك أنه لم يذكر الحدأة والنسرز

(٢) قال: سقطت من ك ج ط.

(٣) في ق أخماس العظيمة؛ ط: أخماس الغنائم؛ ك: أخماس الغنيمة.." (٢)

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١٥٧/١

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٥٦٩/١

"يدعونه بأجل ما ... يدعى به الحر الصراح

حتى إذا ما بان كد ... ر عيشهم منه انتزاح

فعلى مثالهم يبا ... ح لي المدامع والنواح

كرها فقدتهم فما ... لي بعد بعدهم ارتياح

لله شوقي إن هفت ... من نحو أرضهم الرياح

فهناك قلبي طائر ... لهم ومن شوقي جناح قال: وقلت بمدينة ابن السليم (١) في وصف كلب صيد أسود في عنقه بياض:

وأدهم دون حلي ظل حالي ... كأن ليلا يقلده صباح

يطير وما له ريش ولكن ... متى يهفو فأربعه جناح

تكل الطير مهما نازعته ... وتحسده إذا مرق الرياح

له الألحاظ مهما جاء سلك ... ومهما سار فهي له وشاح قال: وقلت بنيل مصر:

يا نيل مصر أين حمص ونهرها ... حيث المناظر أنجم تلتاح

في كل شط للنواظر مسرح ... تدعو إليه منازح وبطاح

وإذا سبحت فلست أسبح خائفا ... ما فيه تيار ولا **تمساح** قال: وقلت وقد حضرت مع إخوان لي بموضع يعرف بالسلطانية على نهر إشبيلية وقد مالت الشمس للغروب:

رق الأصيل فواصل الأقداحا ... واشرب إلى وقت الصباح صباحا

---

(١) مدينة ابن السليم: اسم لمدينة شذونة، وكان بنو السليم قد استوطنوها بعد خراب قلشانة فسميت باسمهم (الروض المعطار: ١٦٢) .." (١)

"قاعدة الديار المصرية، لمعاينة الهرمين وما فيهما من المعالم الأزلية، وعاينت القاهرة المعزية، وما فيها من الهمم الملوكية، غير أني أنكرت مبانيها الواهية، على ما حوت من أولي الهمم العالية، وكونها حاضرة العسكر الجرار، وكرسي الملك العظيم المقدار، وقلت: أصداف فيها جواهر، وشوك محدق بأزاهر، ثم ركبت النيل وعاينت **تماسيحه**، وجزت بحر جدة وذقت تباريحه، وقضيت الحج والزيارة، وملت إلى حاضرة الشام دمشق والنفس بالسوء أمارة، فهنالك بعت الزيارة بالأوزار، وآلت تلك التجارة إلى ما حكمت

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٠٦/٢

به الأقدار، إذ هي كما قال أحد من عاينها (١) :

أما دمشق فجنات معجلة ... للطالبين بها الولدان والحور فلله ما تضمن داخلها من الحور والولدان، وما زين به خارجها من الأنهار والجنان، وبالجملة فإنها حمى تتقاصر عن إدراكها أعناق الفصاحة، وتقصر عن مناولتها في ميدان الأوصاف كل راحة، ولم أزل أسمع عن حلب، أنها دار الكرم والأدب، فأدرت أن يحظى بصري بما حظي به سمعي، ورحلت إليها وأقمت جابرا بالمذاكرة والمطايبة صدعي، ثم رحلت إلى الموصل فألفيت مدينة عليها رونق الأندلس، وفيها لطافة وفي مباينها طلاوة ترتاح لها الأنفس، ثم دخلت إلى مقر الخلافة بغداد، فعاينت من العظم والضخامة ما لا يفي به الكتب ولو ان البحر مداد، ثم تغلغلت في بلاد العجم بلدا بلدا، غير مقتنع بغاية ولا قاصد أمدا، إلى أن حللت ببخارى قبة الإسلام، ومجمع الأنام، فألقيت بها عصا التسيار، وعكفت على طلب العلم واصلا في اجتهاده سواد الليل وبياض النهار، انتهى.

وكتب إليهم أيضا من هذه الرسالة: كتبت وقد حصلتني السعادة، وحظ

---

(١) الشعر للعرقلة الدمشقي، أبي الندى حسان بن نمير أحد شعراء الخريدة (قسم الشام ١: ١٧٨ وفي الحاشية ثبت بتخريج ترجمته) والبيت في الخريدة: ٢٠٤ ورحلة ابن بطوطة: ٨٥.." (١)

"إشبيليا عروسا ... وبعلها عباد

وتاجها الشرف ... وسلكها الواد أي شرف قد حاز ما شاء من الشرف إذ عم أقطار الأرض خيره، وسفر ما يعصر من زيتونه من الزيت حتى بلغ الإسكندرية، وتزيد قراه على غيرها من القرى بانتخاب مبانيها، وتهمم سكانها فيها داخلا وخارجا، إذ هي من تبييضهم لها نجوم في سماء الزيتون.

وقيل لأحد من رأى مصر والشام: أيها رأيت أحسن هذان أم إشبيلية فقال بعد تفضيل إشبيلية: وشرفها غابة بلا أسد، ونهرها نيل بلا تمساح. وقد سمعت عن جبال الرحمة بخارجها، وكثرة ما فيها من التين القوطي والشعري، وهذان الصنفان أجمع المتجولون في أقطار الأرض أن ليس في غير إشبيلية مثل لهما، وقد سمعت ما في هذا البلد من أصناف أدوات الطرب كالخيال والكريج والعود والروطة والرباب والقانون والمؤنس (١) والكثيرة (٢) والفنار (٣) والزلامي والشقرة (٤) والنورة وهما مزماران الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه - والبوق (٥) ، وإن كان جميع هذا موجودا في غيرها من بلاد الأندلس فإنه فيها أكثر وأوجد، وليس في بر العدوة من هذا شيء إلا ما جلب إليه (٦) من الأندلس وحسبهم الدف وأقوال واليرا

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٧٢/٢

وأبو قرون ودبدبة السودان وحماقي البرابر، وأما جواريها ومراكبها برا وبحرا ومطابخها وفواكهها الخضراء واليابسة فأصناف

---

(١) م: والدنس.

(٢) دوزي: الكنيرة.

(٣) دوزي: الغنار.

(٤) ب: والسفرة.

(٥) وقد أثبت دوزي أسماء هذه الآلات الموسيقية في ملحق المعاجم ولكنه لم يحدد مدلولاتها في الأكثر، ومن الصعب ضبط بعض أسمائها.

(٦) م: إليها.." (١)

"الهوى، وبأي شيء نعتاض منك أيتها الرياض، بعد أن طمى نهرك (١) الفياض، وفهقت الحياض ولا كان الشانئ المشنوء، والجرب المهنوء، من قطع ليل أغار على الصبح فاحتمل، وشارك في الذم الناقة والجمل، واستأثر جنحه ببدر النادي لما كمل، نشر الشراع فراع، وأعمل (٢) الإسراع، كأنما **هوتمساح** النيل ضايق الأحباب في البرهة، واختطف لهم من الشط نزهة العين وعين النزهة، ولجج بها والعيون تنظر، والغمر عن الأتباع يحظر، فلم يقدر إلا على الأسف، والتماح الأثر المنشف، والرجوع بملء العيبة من الخيبة، ووقر الجسرة (٣) من الحسرة، وإنما نشكوإلى الله البث والحزن، ونستمطر من عبارتنا المزن، وبسيف الرجاء نصول، إذا شرعت للياس النصول:

ما أقدر الله أن يدني على شحط ... من داره الحزن ممن داره صول (٤) فإن كان كلم الفراق رغيبا (٥) ، لما نويت مغيبا، وجللت الوقت الهنئ تشغيبا، فلعل الملتقى يكون قريبا، وحديثه يروى ص حيحا غريبا.

إيه ثقة (٦) النفس كيف حال تلك الشمائل، المزهرة الخمائل والشيم، الهامية الديم، هل يمر ببالها من راعت بالبعد باله، وأخمدت بعاص البين ذباله، أوترثي لشؤون شأنها سكب لا يفتر، وشوق يبت حبال الصبر ويبتر، وضنى تقصر عن حلله الفاقعة صنعاء وتستر، والأمر أعظم والله يستر، وما الذي يضيرك صين من لفح السموم نضيرك، بعد أ، أضرمت وأشعلت،

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢١٣/٣

(١) نهرك: سقطت من ق.

(٢) التعريف: وواصل.

(٣) الجسرة: الناقة؛ والوقر: الحمل.

(٤) البيت لحندج بن حندج المري، (حماسة المرزوقي: ١٨٣١) .

(٥) الجرح الرغيب: الواسع.

(٦) التعريف: إيه سيدي.." (١)

"قال: وجلب إليها الرخام من قرطاجة وأفريقيا وتونس، وكان الذين يجلبونه عبد الله بن يونس عريف البنائين وعلى ابنا جعفر الإسكندراني. وكان الناصر يصلهم على كل رخمة، صغيرة أو كبيرة بعشرة دنانير. وقال بعض المؤرخين الأثبات: كان يصلهم على كل رخامة صغيرة بثلاثة دنانير، وعلى كل سارية بثمانية دنانير سجلماسية، وكان عدد السواري المجلوبة من أفريقيا ألف سارية، وثلاث عشرة سارية، ومن بلاد الإفرنج تسع عشرة سارية. وأهدى إليه ملك الروم مائة وأربعين سارية، وسائرها من مقاطع الأندلس: طركونة وغيرها؛ فالرخام المجزع من رية، والأبيض من غيرها، والوردي والأخضر من أفريقيا، من كنيسة سفاقس. وأما الحوض المنقوش المذهب الغريب الشكل، الغالي القيمة، فجلبه إليه أحمد اليوناني من القسطنطينية، مع ربيع الأسقف القادم من إيلياء؛ وأما الحوض الصغير الأخضر المنقوش بتماثيل الإنسان، فجلبه أحمد من الشام، وقيل من القسطنطينية مع ربيع الأسقف أيضا وقالوا أنه لا قيمة له، لفرط غرابته وجماله، وحمل من مكان إلى مكان، حتى وصل في البحر، ونصبه الناصر في بيت المنام، في المجلس المستشرف الشرقي، المعروف بالمؤنس، وجعل عليه أثنى عشر تمثالا من الذهب الأحمر مرصعة بالدر النفيس الغالي، مما عمل بدار الصناعة بقرطبة: صورة أسد إلى جانبه صورة غزال، إلى جانبه صورة **تمساح**، وفيما يقابله ثعبان وعقاب، وفي جانبه صورة غزال، إلى جانبه صورة **تمساح**، وفيما يقابله ثعبان وعقاب، وفي." (٢)

"فغضب هدبة حين سمع زيادة يرجز بأخته فنزل فرجز بأخت زيادة وكانت تدعى أم خازم وقيل: أم قاسم فقال: الرجز

(لقد أراني والغلام الحازما ... نزجي المطي ضمرا سواهما)

(يبلغن أم خازم وخازما ... إذا هبطن مستحيرا قاتما)

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٩٣/٦

(٢) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٢٧٠/٢

(ورفع الحادي لها الهماهما ... ألا ترين الحزن مني دائما)

(حذار دار منك أن تلائما ... والله لا يشفي الفؤاد الهائما)

(**تمساحك** اللبات والماكما ... ولا اللمام دون أن تلازما)

(ولا اللئام قبل أن تفاقما ... وتعلو القوائم القوائما))

وقوله: تقول القلص ... إلخ أورده النحويون شاهدا على إعمال القول إعمال الظن. والعياهم: الشداد.

قال: فشتمه زيادة وشتمه هدبة وتسابا طويلا فصاح بهما القوم: اركبا لا حملكما الله فإنا قوم حجاج.

وخشوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما حتى

أمسك كل واحد منهما على ما في نفسه وهدبة أشدهما حنقا لأنه رأى أن زيادة قد ضامه إذ رجز بأخته وهي تسمع." (١)

"يا من هو دليل على أن الله تعالى جواد حين أطعم مثله، وحين رزقه من بره فضله.

يا من هو حجة الملحد على الموحد، في قوله: " الذي أحسن كل شيء خلقه ".

يا من احتماله أصعب من عد الرمل، ومن عدد النمل، والصبر عليه أشق من الصعود إلى السما، والنظر إليه أبشع من النظر إلى نباش قبور الشهدا.

وهذا الباب طويل الذيل، وقد بالغ فيه الأدباء وكثروا، ولم أر أجمع ولا أبلغ من قول الشهاب الخفاجي:

يا سخرة الشيخ بلا أجره ... وفسوة المبطون في السحره

ويا كرا الدار على مفلس ... وسلحة المطرود في وعره

وضرطة السلطان في موكب ... به وفود تطلب النضره

وضيعة الهميان من عائل ... قبيل عيد أعوز الفطره

ونظرة المخمور عبدا له ... قد كسر الأقداح والجره

وحسرة العلق إذا أقبلت ... لحيته في آخر الشعره

وحكة المقطوع كفا له ... ودملا يخرج في الشعره

ونظرة الخنزير من خارىء ... يرميه لما جاع بالصخره

ويا قفا المهزوم من فارس ... أدركه في ساحة قفره

وبهتة السكران من هاجم ... في ليلة مظلمة قره

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٣٦/٩

ويا نعيا جاء عن واحد ... إلى عجوز ما لها أسره

ووحدة الحرة في ليلة ... مات بها الزوج لدى الضره

وحجة المعتزلي الذي ... يسمع نصا ناقضا أمره

وطلعة الزنديق في مسجد ... يخاف من جيرانه هجره

ووجه تمساح لدى ساحل ... أتاه غرقان رأى بره

وعرة قد خربت فوقه ... ذبابة الذل غدا غره

ومن غدا في النظر ابن الألى ... في عين إبليس بهم قره

كم تدعي الفضل ولا ترعوي ... تعيد ما قال ذوو الخبره

فهو على تكرير أقوالهم ... كالجمل المشغول بالجره

يا أيها الفخار من أجل ما ... طول رب خالق عمره

هل تصدق الأمثال في قولها ... ما كل يوم تسلم الجره

يا جعل الجهل إلى كم ترى ... مدحرجا في طرف البعره

وقد خرجت عن الصدد في شهوة أطعتها، وصرفت حصة عمر للاشتغال بما لا يعني استبدلت بها السخف لما بعتها.

إذ ليس من شرط كتابي بذاءة، وأخشى من الذم أن أقف حذاءه.

فإني كالدواء أستخرج الأذى، إذا كان غيري كالكأس يستبقى القذى.

وأسأله سبحانه وطالما بلغ السائل منه سؤالا ومأمولا، متابا صادقا على موضع الندم محمولا.

عثمان التلاوي هضبة فضل يقصر عنها المتطاول، وذروة معال لا تنالها الثريا بيد المتناول.

تصدر لإفادة العلوم، وصير المجهول منها في مرتبة المعلوم.

فأطاعه أبيها وشامسها، وانجلى بنور فهمه غامضها وطامسها.

وله أدب كالبحر الزاخر، وشعر كالحلي الفاخر.

فمنه قوله من قصيدة في الغزل، أولها:

من منجدي من غزال فر من كلل ... وأسلم الفكر بعد الوصل للأمل

إذا انثنى فغصون البان مطرقة ... وإن رنا فظباء البر في شغل

يفتر عن جوهري عقد وعن برد ... فالبدر في وجل والشمس في خجل

ما إن رأينا لهذا الظبي من شبه ... إلا هلالا أراب الشمس في الحمل

يسطو شجاعا فمنه الصب في خبل ... يرنو غزالا فمنه القلب في جذل

سلما وحربا أرانا من شمائله ... يا ما أميلح ما منه علي ولي." (١)

"وقد ظهرت عليه كرامات منها أنه كان ينهى ولده عن الوصول إلى البحر ويحذره **التمساح** فاتفق لولده أن خرج إلى شاطىء البحر مع بعض الصبيان فالتقمه **التمساح**. وأخبرني أحد ثقلة مقدمي الطريقة التجانية أنه نزل بقنا في طريقه لحج بيت الله الحرام واجتمع هنالك بالشيخ موسى مقدم الطريقة القادرية فأخبره عن السيد المفضل السقاط أنه كان طيب السكينة واضح السر يحضر هنالك الورد القادري، ويقف لذكر الله متواجدا إلى أن يسقط طرف عمامته. وكان جميل الصورة. وأخبره أنه كان هنالك رجل ممن يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم أخبره أنه كان تأخر عن مشاهدة الحضرة النبوية ولما حصل له الاجتماع ذكر ما وجد من الشوق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن اشتقت لرؤيتي فانظر إلى المفضل السقاط وقد كان تنقل الشيخ المفضل إلى مصر تبعا لسلفه ولعله عمه، الذي ذكره الجبرتي في تاريخه عجائب الآثار في التراجم والأخبار في حوادث سنة ثلاث وثمانين فقال ما نصه: ومات الأستاذ العارف سيدي علي بن محمد العربي بن علي بن العربي الفاسي المصري الشهير بالسقاط ولد بفاس وقرأ على والده وعلى العلامة محمد بن أحمد العربي بن الحاج الفاسي سمع منه الإحياء جميعا بقراءة ولد عمه النبيه الكاتب أبي عبد الله محمد بن الطيب بن محمد بن علي السقاط، وعلى ولده أبي العباس أحمد بن محمد العربي بن الحاج، وعلى سيدي محمد بن عبد السلام البناني كتب العربية والمعقول والبيان، ولما ورد مصر حاجا لازمه فقرأ عليه بلفظه من الصحيح إلى الزكاة والشمائل بطرفيه بالجامع الأزهر وكثيرا من المسلسلات والكتب التي نظمتها فهرست ابن غازي قراءة بحث وتفهيم، وأجازه حينئذ بأواسط جمادى الثانية سنة١١٤٣ ثلاث وأربعين ومائة وألف، وجاور بمكة فسمع على البصري الصحيح كاملا ومسلم بفوت وجميع الموطأ رواية ابن يحيى وذلك خلف المقام المالكي عند باب إبراهيم وأجازه، وعلى النخلي أوائل الكتب الستة وأجازه وعاد إلى مصر فقرأ على الشيخ إبراهيم الفيومي أوائل البخاري، وعلى أحمد بن أحمد الغرقاوي وأجازه، وعلى عمر بن عبد السلام التطاوني جميع الصحيح وقطعة من البيضاوي بجامع الغوري سنة١١٣٦ ست وثلاثين ومائة وألف وجميع المنح البادية في الأسانيد العالية، وأضافه على الأسودين وشابكه وصافحه وناوله السبحة وأجازه بسائر المسلسلات وعلى محمد القسنطيني رسالة ابن أبي زيد برواق المغاربة، وعلى

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ١٩٣/٢

محمد بن زكري شرحه على الحكم بجامع الغوري وعلى سيدي محمد الزرقاني كتاب الموطأ من باب العتق إلى آخره. وأجازه يوم ختمه وذلك من شعبان عام ١١١٣ ثلاثة عشر ومائة وألف، وروى حديث الرحمة من سيدي مصطفى البكري في سنة ١١٦٠ ستين ومائة وألف وأجازه، وأجازه ابن الميت في العموم واجتمع به شيخنا السيد مرتضى في منزل السيد علي المقدسي، وكان قد أتى إليه لمقابلة المنح الـبادية على نسخته وشاركهما في المقابلة وأحبه وباسطه وشافهه بالإجازة العامة وكان إنسانا متأنسا بالوحدة، منجمعا عن الناس محبا للانفراد غامضا مخفيأن ولازال كذلك حتى توفي في أواخر جمادى الأولى سنة١١٨٣ ثلاث وثمانين ومائة وألف، ودفن بالزاوية بالقرب من الفحامين اه.." (١)

"عليهن دلوكة وكانت ذات شرف وحكمة ودراية وكان عمرها مائة وستين سنة، فخافت أن يتناولها الملوك فجمعت نساء الأشراف وقالت لهن: إن بلادنا لم يكن يطمع فهيا أحد ولا يمد عينه إليها وقد هلك أكابرنا وأشرافنا وذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم وقد رأيت أن أبني حصنا أحدق به جميع بلادنا فأضع عليه المحارس من كل ناحية فإنا لا نأمن من أن يطمع فينا الناس.

فبنت هذا الحائط، وأحاطت به جميع أرض مصر المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجري فيه الماء وأقامت القناطر والترع وجعلت فيه المسالح المجالس على كل ثلاثة أميال مجرس ومسلحةن أي محل للسلاح والمجارس صفان على كل ميل وجعلت في كل مجرس رجالا وأجرت عليهم الأرزاق وأمرتهم أن يحرسوا بالأجراس فإذا أتاهم آت يخافونه ضرب بعضهم إلى بعض بالأجراس فيأتيهم الخبر بأي وجه كان في ساعة واحدة فينظرن في ذلك فمنعت بذلك مصر ممن أرادها وفرغت من بنائه في ستة أشهر على ما قيل. وقيل: إنها بنته خوفا على ولدها لا، هـ كان كثير القنص فخافت عليه من سباع البر والبحر واغتيال من جاور أرضهم من الملوك والبوادي فحوطت الحائط من **التماسيح** وغيرها.

قال المقريزي: وقد بقي من حائط العجوز بقايا كثيرة في بلاد الصعيد وهو مبني من اللبن الكبار.

دليلة الفلسطينية

امرأة فلسطينية من وادي "سوريف" أحبها "شمشون" فعرف أقطاب الفلسطينيين بحبه لها وقالوا لها: أنظري بماذا قوته العظيمة وبماذا نتمكن منه حتى نوقعه أو نقهره ونحن ندفع إليك كل منا ألفا ومائة درهم من الفضة فقالت: ل "شمشون": أخبرني بماذا قوتك العظيمة وبماذا توثق لتقهر؟ فقال لها: إذا أوثقوني بسبعة

---

(١) مسامرات الظريف بحسن التعريف محمد السنوسي ص/٣٣١

أوتار طرية لم تحف بعد فإني أضعف وأصير كواحد من الناس، فدفعوها إليها فشدته بها والكمين رابض عندها في المخدع.

ثم قالت له: قد دهمك الفلسطينيون فقطع الأوتار كما يقطع خيط المشاقة إذا أشيط فقالت له: لقد خدعتني فأخبرني بماذا توثق فقال: إن أوثقوني بحبال جديد لم تستعمل قط فإني أضعف وأصير كواحد من الناس ففعلت كما فعلت في المرة الأولى فقطع الحبال كالخيط فكررت السؤال فقال لها: إذا ضفرت سبع خصل من شعر رأسي وربطت بها كالوتد فإني أصير كباقي الرجال فأخذت منه سبع خصل من السرى فمكنتها بالوتد وقالت له: قد دهمك الفلسطينيون فاستيقظ من نومه وقلع الوتد والنسيج والسرى فعاتبته على مخادعتها وكانت تضايقه كل يوم بكلامها وتضاجره حتى تاقت نفسه إلى الموت فأطلعها على ما في قلبه وقال لها: لم يعل راسي لأني ناسك لله من بطن أمي فإن حلقت رأسي فارقتني قوتي.

ورأت "دليلة" أنه قد كاشفها بكل ما في قلبه، فأرسلت ودعت أقطاب الفلسطينيين وقالت: اصعدوا هذه المرة فأضجعته على ركبتيها ودعت رجلا فحلق سبع خصل رأسه ثم قالت له: دهمك الفلسطينيون فاستيقظ ووجد أن قوته قد فارقته فقبضوا عليه وتلقبت "دليلة" بالمحتالة لاحتيالها على "شمشون" -كما مر- وخبرها في سفر القضاة "الإصحاح السادس عشر" منالتوراة.

دنانير جارية يحيى بن خالد البرمكي

كانت جارية صفراء من مولدات المدينة كان مولاها قد أدبها وخرجها في الأدب والشعر والغناء حتى صارت أدرى الناس بالغناء القديم وأكمل الجواري آدابا، وأكثرهن رواية للغناء والعشر، وأحسنهن." (١)

"الأصلي حتى إن الكفن ما عليه من الألوان كالزنجاري والأصفر والأحمر لا تزال على ما كانت عليه من البهاء منذ آلاف من السنين مع أن ألوان هذا الزمان لا تقيم بل تحول وبهاؤها يزول.

وهذه الآثار يمتد زمانها من أيام الفراعنة إلى الإسكندر فالبطالسة فالرومانيين فالأقباط بعدهم، وبينها كثير من جثث ملوك المصريين وعيالهم محنطة من قبل أيام الخليل إبراهيم، ولا تزال شعورها على رؤوسها ولفائفها وأكفانها باقية عليها غير بالية وشاهدت هناك شيئا كثيرا من الجواهر والحلي القديمة المصنوعة كحلي هذه الأيام من أقراط وخواتم وأساور وعقود مرصعة بالحجارة الكريمة ترصيعا متقنا.

ومن الغريب أن بين الأساور ما هو على شكل الحية وعيناه حجران كريمان كأساور هذه الأيام وشاهدت

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/١٩٢

أيضا أسلحة كثيرة الأنواع مختلفة الأشكال ومرايا مصنوعة من المعادن الصقيلة وأحذية ذات سيور وقمحا وحمصا وفولا وعدسا وبيضا وإجاصا ودوما وهو كبير يشبه السفرجل في هيئته وكتانا من أحسن أنواع البوص، وأمراسا ومكانس.

وأدوات البناء من الخشب والنحاس المعروف بالبرنز ولم أر أبين تلك التحف أثرا للحديد حتى مسامير التوابيت وغيرها كلها من الخشب أو النحاس إذ الحديد كان لا يزال مجهول الاستعمال في تلك الأيام على ما أظن.

وهناك تماثيل لأكثر الملوك القدماء منها من المرمر أو الحجر الصلد أو النحاس، وأبدع ما في صنعتها بوضع العيون التي رأيتها وهي متخذة من الحجارة الكريمة ولإتقان صناعتها في الشكل واللون واللمعان لا تمتاز عن عيون الأحياء إلا بالجهد وهي أفضل كثيرا من العيون التي يصنعها أبناء هذا الزمان ومن أغرب التماثيل التي رأيتها هناك تمثال من الجميز قد أمسك بيده عصا أظنها من العرعر والمظنون أنه صنع قبل أيام النبي موسى وأنه من أقدم مصنوعات البشر، ومع ذلك فكأنه تمثال رجل من المصريين في هذه الأيام. ويسمى عندهم سيخ البلد، وكل من دخل هذا المعرض علم بعض العلم عن عبادة المصريين واعتبارهم لجثث موتاهم مما يرى فيه من تماثيل الآلهة التي على صورة **التمساح** والسلحفاة والقرد والنسور والضفدع والخنفساء وغيرها من تماثيل الحيوانات مما يرى من الجثث المحنطة الملفوفة لفا محكما بلفائف الكتان المتناهي في الرقة، وهي موضوعة في توابيت من الخشب.

وهذه التوابيت ترسم على ظواهرها صور موتى وتغطى ظواهرها وبواطنها بكتابات بالخط المصري القديم المعروف بالهيروغليف ويوضع فيها من الجثث المحنطة والمآكل المحنطة المجففة مثل الأرز والبيض واللحم والأثمار ونحوها وكانت عادتهم أن يضعوا التابوت المتضمن الجثة ضمن تابوت آخر وهذا ضمن آخر وهكذا حتى يبلغ عدد التوابيت أربعة أو أكثر أحيانا.

ثم يضعونها داخل تابوت من الحجر الأصم، وقد رأيت تابوتا لإحدى الملكات قد صنع كله من الكتان المرصوص طاقا على طاق.

ثم عولج بنوع من الطلاء حتى صار كالخشب سمكا وصلابة والغالب أن كل أثر من هذه الآثار يكون مقرونا بكتابة هيروغليفية تبين ماهيته وما حالته، وقد رافقنا داخل المعرض رجل مصري يقرأ هذا الخط ويترجمه لنا كما نقرأ نحن كتب الإفرنج ونترجمها.

وفي القاهرة منتزهات مختلفة عظيمة الإتقان فيها تصدح الموسيقى وتسمع آلات الطرب في كثير من

الأحيان بعضها في وسط المدينة وبعضها خارجها كمنتزه شبرا وهو قديم العهد والعباسية والأزبكية والجزيرة وقد فضلت الجزيرة على ما سواها لأنها قريبة الشبه من بقاع كثيرة في سوريا ولبنان والمفاوز بنظرة واحدة وهي تبعد نحو ميل عن وسط المدينة والطريق إليها واسعة نظيفة محاطة بالأشجار الملتفة على الجانبين ترش بالماء يوميا كجميع طرق المدينة فيتلبد ترابها ولا يثور غبارها تحت الحوافر والعجلات والأقدام، وتظهر من خلالها." (١)

"دحاها فلما رآها استوت ... على الماء أرسى عليها الجبالا

وأسلمت وجهي لمن أسلمت ... له المزن تحمل عذبا زلالا

إذا هي سيقت (إلى بلدة ... أطاعت فصبت عليها سجالا

ومثلهما لامية بن أبي الصلت (شعراء النصرانية ص٢٢٦) :

وشق الأرض فانبجست عيوبا ... وأنهارا من العذب الزلال

... وبارك في نواحيها وزكى

بها ماكان من حرث ومال

وقال يذكر الله للنيرين الكبيرين (شعراء النصرانية ٢٢٩ وسيرة الرسول ٤٠) :

إن آيات ربنا باقيات ... ما يماري فيهن إلا الكفور

خلق الليل والنهار فكل ... مستبين حسابه مقدور

ثم يجلو النهار رب كريم ... بمهارة شعاعها منشور

وله أيضا (شعراء النصرانية ٢٢٨) :

هو الله الخق والخلق كلهم ... إماء له طوعا جميعا وأعبد

تسبحه الطير الجوانح في الخفى ... وإذ هي في جو السماء تصعد

ومن خوف ربي سبح الرعد فوقنا ... وسبحه الأشجار والوحش أبد

وسبحه النينان والبحر زاخرا ... وما ضم من شيء وما هو مقلد

وقال أمية يصف تكوين الحيوانات (كتاب الحيوان للجاحظ Ms de Vienne, ff. ٣٩٧ طبعة مصر ٢: ١١٨) :

هو أبدأ كل مايأثرالنا ... س أماثيل باقيات سفورا

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٥٠٣

خلق النحل معصرات تراها ... تقصف اليابسات والمخضورا

والتماسيح والسنادل والايل م ... شتى والرئم واليعفورا

وصوارا من النواشط عينا ... ونعاما صواحيا وحميرا

واسودا عواديا وفيولا ... وسباعا والنمل والخنزيرا

وديوكا تدعو الغراب لصلح ... وإوزين إخرجت وصقورا

ثم ذكروا تكوين جسم الإنسان من طين الارض ونفسه من نفخة خالقة. قال الجاحظ في كتاب الحيوان (Ms de Vienne, ff. ٢١٣ وطبعة مصر ٣: ٦٥) : "سانشك لعدي بن زيد وكان نصرانيا ديانا وترجمانا وصاحب كتاب ومن دهاة ذلك الدهر قال يذكر شأن آدم ... ":

قضى لستتة أيام خلائقه ... وكان آخرها أن صور الرجلا

دعاه آدم صوتا فاستجاب له ... بنفخة الروح في الجسم الذي جبلا

وقال أمية بن أبي الصلت (حياة الحيوان ٢: ١١٣) :

والأرض معقلنا وكانت إمنا ... فيها مقابرنا وفيها نواد

وقال أيضا في الارض وخلقه الإنسان (فيه) :

منها خلقنا وكانت أمنا خلقت ... ونحن أبناؤها لو أننا شكر

والطوط نزرعه فيها فنلبسه ... والصوف نجتزه مأدفأ الوبر

هي القرار فما نبغي لها بدلا ... ماارحم الأرض إلا أننا كفر

وقال أيضا (جمهرة شعراء العرب ص١٨) :

كيف الجحود وإنما خلق الفتى ... من طين صلصال له فخار

٢ (سكنى آدم في الفردوس وخطيئته) لعدي بن زيد وصف حلول آدم في الجنة وتكوين حواء من ضلعه وتجربة الشيطان لهما على صورة الحية ثم عقاب الأبوين الاولين وطردهما من الفردوس فقال عن آدم (طبعة مصر ٤: ٦٦= Ms ٢١٣de Vienne ff.)

تمت أورثه الفردوس يعمرها ... وزوجة صنعة من ضلعه جعلا

لم ينحهه ربه عن غير واحدة ... من شجر طيب إن شم أو أكلا

تعمدا للتي من أكلها نهيا ... بأمر حواء لم تأخذ له الدغلا

حكلاهما خاط إذ بر لبوسهما ... من ورق االتين ثوبا لم يكن غزلا

فكانت الحية الرقشاء إذ خلقت ... كما ترى ناقة في الخلق أو جملا

فلاطها الله إذ اغوت خليقة ... طول الليالي لم يجعل لها أجلا

تمشي على بطنها في الدهر ماعمرت ... والترب تأكله خزنا وإن سهلا

فأتعبا أبوانا في حياتهما ... ووجدا الجوع وإلا وصاب والعللا

لعدي وصف آخر لتجربة ابليس لحواء وعقاب الحية رواه العصامي في تاريخه بسط النجوم العوالي في انباء الأوائل والتوالي (نسخة مكتبتنا الشرقية ص١٩) قال:

سعى الرجيم إلى حوا بوسوسة ... غوت بها وغوى معها أبو البشر

خلقان من مارج انشا خليقته ... وآخر من تراب الأرض والمدر

انشاهما ليطيعاه فخالفه ... ابليس عن امره للحين والقدر." (١)

"(ص٣٨: ١٦ الحارث الأكبر.. الملقب بالأعرج) de Syrie et patrice romain ١٨٥٥

."Harith el A radj roi des Arabes Chretiens M C Dugat ٣٧١ Serie ٥ Aurilm

ومما صرح به العرب أن جبلة آخر ملوك غسان مات نصرانيا في القسطنطينية (تاريخ دمشق لابن عساكر ٣: ٣٥٨، وغيره كثيرون) .

(ص٤٠ س١٢ نصارى أورشليم في عبر الأردن) خرجوا بوحي الله إلى مدينة فهيل (Pella) فاستوطنوها، ومنها كان أرستون نحو السنة ١٤٠ م الذي ألف كتابا جدليا يدعى مباحثة يلسون وبابسكوس وكلاهما يهودي ألا أن أرستون أرتد ورد بمباحثته الجدالية خصمه إلى الأيمان: وذكر العلامة غيرين (Guerin Galilee, ٢٩٠) ، أنه وجد في فهيل آثار كنيسة ذات ثلث أسواق يرجح أن عهدها راق إلى قرون النصرانية الأولى، وكذلك (I, I, ٣٠٠) وجد في أم قيس وهي جدر (Gadara) هياكل رومانية حولها النصارى إلى كنائس بعد الاضطهادات وكانت جدر كرسي أساقفة منذ القرون الأولى (سنة ٣٠٧) ، وكذلك خربة السمرة (Hippias) كانت كرسي أسقفي: حضر أسقفها المسمى بطرس مجمعي سلوقية سنة ٣٥٩ وأنطاكية سنة ٣٦٣ ثم تاودوروس حضر مجمع أورشليم ٥٣٦ ووجد غيرين (I, ٣١٣) كنيستين في فيقه (Apheka) وكنيسة في كفر حازب واكتشف في خربة قلعة الحصن (Gamalas) باسيلقية راقية إلى القرون الأولى (I, ٣١٩) .

(ص٤١ س١٥ النبيط أو النبط) للعلامة كاترمار المستشرق الكبير مقالة واسعة في النبط نشرها في المجلة

---

(١) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية لويس شيخو ص/١١٦

الأسيوية (Asm) ,J٢ Seriem XXm٨٣٥) يذكر هناك منازلهم في بادية الشام وبين الشام والحجاز ويتسع في لغتهم السريانية ودينهم النصراني وفوائد أخرى عديدة، وقد جاء عن النبط في شعر قديم (أمالي المرتضي ٣: ٩٣) :

لما رأيت نبطا أنصارا ... شمرت عن ركبتي الإزارا

كنت لها من النصارى جارا وقال متمم بن نويرة يذكر طواف النبط حول كنيستهم وقد دعاها بالفدن وهو البنا المشيد والقصر (المفضليات ص٦٩) :

بمحدة عنس كأن سراتها ... فدن تطيف به النبيط مرفع

(ص٥٤ س٣ برتلماوس رسول اليمن) يؤيد هذا الرأي فوتيوس في مكتبته (,PP, Ge, Migne, LXV٤٥٩ seqq١) حيث روى تبشير الرسول برتلماوس للهند فيصرح بأن الهند المقصودة هنا هي اليمن وأن الذين بشرهم هم العرب المعروفون قديما بأهل سبأ ثم عرفوا بالحميرين، وقد جنح البولنديون إلى هذا الرأي في ترجمة القديس برتلماوس، وهكذا ارتأوا أيضا في ما أخبره أوسابيوس عن رحلة بنتانوس إلى الهند قالوا يراد بالهند جنوبي العرب أي اليمن حيث كان بشر برتلماوس الرسول.

وكانت هذه الرحلة سنة ١٨٩ للميلاد وتوفى بنتانوس نحو السنة ٢١٥.

(ص٥٥ س١٨ نصرانية عبد كلال) قال ابن قتيبة في المعارف (ص٢١٢) "كان عبد كلال بن مثوب مؤمنا على دين عيسى عم ويسر إيمانه وكان ملكه ٧٤ سنة"، (اطلب أيضا تاريخ الطبري ١: ٨٨١) .

(ص٦٠ س٧ ذو نواس واضطهاده لنصارى نجران) راجع أيضا أخبا ره في تاريخ مكة اللازرقي (ص٨٦) وقدورد الخبر في القصيدة الحميرية على هذه الصورة:

أو ذو نؤاس الاخدود في ... نجران لم يخش احتمال جناح

ألقى النصارى في جحيم أججت ... بوقود جمر مضرم لفاح

فتقحم البحر العميق بنفسه ... وسلاحه وجواده السباح

فغدا طعاما بعد عز باذج=للحوت من نون ومن تمساح ص - س١٤ (أبرهة الأشرم) قال الأزرقي في تاريخ مكة (ص٩٣) : "كان أبرهة رجلا حليما ورعا ذا دين في النصرانية".

(ص٦٤ س١٤ (القليس) تجد وصف عجائبها في تاريخ مكة للأزرقي (ص٨٦، ٨٨ ٩٣) ويذكر هناك أن تلك الكنيسة بقيت إلى أيام أبي جعفر المنصور فأخربها بإغراء بعض اليهود الذي وعده إذا هدمها بأن يملك ٤٠ سنة قال: "وقد أصاب المنصور بهدمها مالا كثيرا"، وذكرها أيضا ابن الأثير في تاريخه (١:

١٧٨) قال عنها: "وهي كنيسة لم ير مثلها في زمانها بشيء من الأرض" راجع أيضا وصفها في محاضرات ابن العربي (١: ١٣١) وفي معجم البلدان لياقوت (٤: ١٧٠) وجاء في تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمني (طبعة أوكسفرد ص١٣٩) في وصفها قوله:." [١]

"السباع وبراثنها وأنياب الحشرات وإبرها. وجعل من شأنها الثبات والصبر على التعب والجوع والعطش. وخلقها ذلولا تقاد بالأيدي فمنها كروبهم ومنها يأكلون. وجعل الله قرنها سلاحا لتأمن به من الأعداء. ولما كان مأكلها الحشيش اقتضت الحكمة الإلهية أن تجعل لها أفواها واسعة وأسنانا حدادا وأضراسا صلابا لتطحن بها الحب والنوى.

٤١٧ (ألجاموس) . هو حيوان عنده شجاعة وشدة وبأس. وهو مع ذلك أجزع خلق الله يفرض من عض بعوضة ويهرب منها إلى الماء. والأسد يخافه. وهو مع شدته وغلظه ذكي. ويقال إنه لا ينام أصلا لكثرة حراسته لنفسه وأولاده. وإذا اجتمعت ضربت دائرة وتجعل رؤسها خارج الدائرة وأذنابها إلى داخلها والرعاة وأولادها من داخل. فتكون الدائرة كأنها مدينة مسورة من صياصيها. والذكر منها يناطح ذكرا آخر. فإذا قوي فيخرج ويطلب ذلك الفحل الذي غلبه فيناطحه حتى يغلبه ويطرده. وهو يتغمس في الماء غالبا إلى خرطومه. والجاموس يقتل **التمساح** مع عظم بدنه وهول جثته. يمشي إلى الأسد رخي البال ثابت الجنان رابط الجأش. وليس في قرنه حدة كما في قرن البقر فضلا عن حدة أطراف مخاليب الأسد وأنيابه. (للدميري)

٤١٨ (بقر) . حيوان كثير المنفعة شديد القوة خلقه الله ذلولا منقادا للناس. وإنما لم يخلق له سلاح شديد مثل

السباع وغيرها لأنه." [٢]

"شخصية وخفة وزنه له شم ليس لشيء من الحيوان مثل ذلك. فإذا وقع شيء من يد الإنسان في موضع لا ترى فيه شيئا من النمل فلا يلبث أن يقبل كالخيط الأسود الممدود إلى ذلك الشيء. ويشم رائحة الشيء الذي لو وضعته على أنفك ما وجدت له رائحة. (للقزويني)

السمك

---

(١) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية لويس شيخو ص/٢٠٥

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢/٢٧٦

٤٣٥ السمك من خلق الماء وهو أنواع كثيرة ومنه كبار. وما لا يدركه الطرف لصغره وكله يأوي الماء ويستنشقه كما يستنشق بنو آدم وحيوان البر الهواء إلا أن حيوان البر يستنشق الهواء بالأنف ويصل بذلك إلى قصبة الرئة. والسمك يستنشق الهواء بالأنف ويصل بذلك على قصبة الرئة. والسمك يستنشق بأصداغه فيقوم له الماء في تولد الروح الحيواني في قلبه مقام الهواء. وإنما استغنى عن الهواء في إقامة الحياة ولم نستغن نحن وما أشبهنا من الحيوان عنه لأنه من عالم الماء ونحن من عالم الأرض. وصغار السمك تحترس من كباره ولذلك تطلب ماء الشطوط والماء القليل الذي ل ا يحمل الكبير. وهو شديد الحركة لأن قوته المحركة للإرادة تجري في مسلك واحد لا ينقسم في عضو خاص. وهذا بعينه موجود في الحياة. ومن جملة أنواعه السقنفور والدلفين والخرشفلي **والتمساح**. ومن أصنافه ما هو على شكل الحياة وغير ذلك.
٤٣٦ (الدلفين) . دابة من البحر تنجي الغريق تمكنه من ظهرها ليستعين به على السباحة. وهو كثير بأواخر نيل مصر من جهة البحر." (١)

"الطليحة:

بطن من الصدعان، من شمر طوقة.

(عشائر العراق للعزاوي ص ٢٤٩)

الطليحيون:

بطن من بني زريق، من ثعلبة طيء، من القحطانية. كانت منازلهم مع قومهم ثعلبة بأطراف مصر مما يلي الشام.

(نهاية الارب للقلقشندي مخطوط ق ٦٥- ٢)

الطماح:

بطن من إياد، من العدنانية، وهم: بنو الطماح بن نمارة ابن إياد (نهاية الأرب للقلقشندي مخطوط ق ٣٠- ١)

الطماع:

بطن من كنانة (الاشتقاق لابن دريد ص ٢٢٤)

الطمثان:

بطن من زيد بن كهلان، من القحطانية.

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢/٢٨٧

(الاشتقاق لابن دريد ص ٢٢٤)

الطمح:

بطن من كندة، من القحطانية (الاشتقاق لابن دريد ص ٣١٧. نهاية الأرب للقلقشندي مخطوط ق ٣٠-١)

الطمياط:

فخذ من التومان، من شمر (قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة ص ١٦٣)

الطميلات:

من قبائل العرب في مصر، تنتسب الى عرب الحجاز. وتقيم في الجهات الواقعة شرقي مديرية الشرقية، ولذلك سمي الوادي الممتد فيه ترعة الاسماعيلية الى بحيرة **التمساح** باسم وادي الطميلات.

وكانت تقيم ايضا حوالى سنة ١٨٨٣ م في بني سويف، الفيوم، الدقهلية، والغربية (قبائل العرب في مصر لأحمد لطفي السيد ج ١ ص ٣٢، ٣٣، ٣٤. تاريخ سينا لنعوم شقير ص ٧٢٤)

الطنشات:

فرقة من عشيرة الامامية التي يقال: انها من أصل تركي، وهي تتبع المعايطة احدى عشائر الكرك الكبيرة.

ويبلغ عدد بيوتها ١٥، ونفوسها المسلحة ٤٠ (تاريخ شرقي الأردن وقبائلها لبيك ص ٣٥١.

عامان في عمان لخير الدين الزركلي ص ١٠٥. خمسة أعوام في شرقي الأردن لبولس سلمان ص ٢٧٣)

الطننة:

فخذ من الهمل، من السويلمات، من الدهامشة، من العمارات، من عنزة.

(عشائر العراق للعزاوي ص ٢٧٦)

طه:

قسم من الضمور احدى عشائر الكرك. يعد ٦٠ بيتا، و ١٣٠ من الرجال المسلحين (عامان في عمان لخير الدين الزركلي ص ١٠٣.

خمسة أعوام في شرقي الأردن لبولس سلمان ص ٢٧٢)." (١)

"ب-تأثر الطفل العربي بموضوعات الأدب المترجم وقيمه. ولا شك في أن هذا التأثر ذو وجهين: وجه إيجابي تجلى في اطلاع الطفل العربي على عادات الأمم الأخرى وتقاليدها، وعلاقة أطفالها بمجتمعهم

---

(١) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة عمر رضا كحالة ٢/٦٨٤

وأسرهم وأوطانهم. وهذا ما عزز لدى الطفل العربي مجموعة من القيم المعرفية والاجتماعية والوطنية والإنسانية، إضافة إلى المتع الفنية النابعة من الحكايات الشائقة والشخصيات المحببة التي تستجيب لتطلعات الطفل وحاجاته. أما الوجه السلبي فقد تجلى في التركيز على العوالم العجيبة والغريبة، والشخصيات المستمدة من الأساطير والحكايات الشعبية، وخصوصا الجان والسحرة والكائنات الغريبة، وما يرتبط بذلك من خوارق كالطيران والسحر ومسخ الإنسان حيوانا وانقلاب الأحجار نارا(١١). وليس هذا الوجه خاصا بالقصص التي ترجع إلى ما قبل ثلاثينيات القرن العشرين، بل هو عام، لاحظته في قصص (الأرنب **والتمساح**) لا ينيد بلايتون(١٢) حين منحت الأرنب القدرة على المكر والخديعة للإيقاع بحيوانات الغابة.." (١)

"يقدم الأدب المترجم موضوعات وقيما تعبر عن أيديولوجية منتحية. فالأرنب شخصية عالمية محببة للطفل، ولكن اينيد بلايتون في مجموعتها (الأرنب **والتمساح**) جعلت الأرنب يتفوق على **التمساح**، ويخدعه في مكمنه فيأكل بيوضه وينجو بنفسه، دون أي عقاب(١٧). ولا يختلف ذلك عما فعله الأرنب بالثعلب في قصة (الثعلب والخوخات البيض)(١٨). أي أنه يستخدم دائما المكر والخديعة في التفوق على الحيوانات الكبيرة في الغابة. أما الأرنب في مجموعة (الأرنب قصير الأذن) للكاتب البلغاري كيريل أبو ستولوف فهو أرنب مسالم صديق للحيوان، يحاول أن يتعلم ويفهم كما هي حاله في قصة (حديث مع النجمات)(١٩).

ماذا يعني ذلك على المستوى الأيديولوجي؟. إنه يعني اختلاف أيديولوجيتين، ويتجسد التعبير عن هذا الاختلاف في فكرة (الصغير). فالأيديولوجيا الأولى الرأسمالية تعتنق فكرة تغلب الصغير على الكبير بالمكر والخديعة. وهذا واضح من أن الأرنب صغير في حجمه، ولكنه يتفوق بالمكر على **التمساح** والثعلب وهما كبيران، كما هي الحال تماما في أفلام الرسوم المتحركة المصنوعة في الولايات المتحدة، كتوم وجيري وميكي ماوس وما إلى ذلك. أما فكرة (الصغير) في الأيديولوجيا الثانية (البلغارية- الاشتراكية) فهي المرحلة العمرية التي يعيش فيها الصغير، ويحاول في أثنائها تعرف العالم المحيط به، ويسعى إلى التجربة التي تقوده إلى معرفة الحياة. وهذا يعني أنه صغير لا يناهض الكبير ولا يعاديه، بل يصادقه ليتعلم منه. ولهذا السبب

(١) أدب الأطفال وثقافتهم قراءة نقدية ص/١٠٧

تكثر في هذه الأيديولوجيا صور الأرنب العجوز، وهي صور معبرة عن فكرة (العجوز) الحامل للمعرفة، الراغب دائما في نقلها إلى (الصغار).." (١)

"٥-للتفصيل انظر ص٨٠ وما بعد من: الفيصل، سمر روحي- مشكلات قصص الأطفال في سورية- اتحاد الكتاب العرب- دمشق ١٩٨١.

٦-انظر ص١٢١ وما بعد من: الفيصل، سمر روحي- ثقافة الطفل العربي- اتحاد الكتاب العرب- دمشق ١٩٨٧.

٧-انظر ص١٢٩ من: المرجع السابق.

٨-الجزء الرابع من الشوقيات لأحمد شوقي، و:العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ لعثمان جلال.

٩-انظر ص٥١ من: أبو هيف، عبد الله- أدب الأطفال نظريا وتطبيقيا.

١٠-انظر: ديوان كامل كيلاني للأطفال- إعداد: عبد التواب يوسف- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة ١٩٨٨.

١١-انظر ص٣١٠ من: جعفر، د. عبد الرزاق- أدب الأطفال- اتحاد الكتاب العرب- دمشق ١٩٧٩.

١٢-ترجم المجموعة إلى اللغة العربية وجيه توفيق جبر، وصدرت ضمن منشورات وزارة الثقافة بدمشق عام ١٩٧٨.

١٣-ترجم المجموعة إلى اللغة العربية ميخائيل عيد، وصدرت ضمن منشورات وزارة الثقافة بدمشق عام ١٩٧٨,

٤١-ترجم ،لقصة إلى اللغة العربية بكر يوسف، وصدرت ضمن منشورات دار التقدم بموسكو عام ١٩٧٦٦.

١٥-ترجم القصة إلى اللغة العربية ماجد علاء الدين، وصدرت ضمن منشورات دار التقدم بموسكو عام ١٩٧٥.

١٦-ترجم المجموعة إلى اللغة العربية عيسى فتوح، وصدرت ضمن منشورات وزارة الثقافة بدمشق عام ١٩٧٨.

١٧-انظر القصة في المجموعة المسماة باسمها -ص٩ وما بعد.

١٨-انظر القصة في مجموعة (الأرنب **والتمساح)-** ص٢٩ وما بعد.

---

(١) أدب الأطفال وثقافتهم قراءة نقدية ص/١١١

١٩-انظر القصة في مجموعة (الأرنب قصير الأذن)- ص١٧ وما بعد.

٢٠-فكرة العالم الوهمي بفروعها مستمدة من د. شاكر مصطفى، انظر تعقيبه على محاضرة (الطفل العربي ومشكلة الاغتراب الثقافي) للدكتور قاسم الصراف، ضمن كتاب: الطفولة في مجتمع عربي متغير- الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية- الكويت ١٩٨٣.

٢١-انظر ص١٥٥ من: خرما، د. نايف- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة- عالم المعرفة ٩- الكويت ٧٨٩١.

٢٢-المرجع السابق- ص١٦٢.

٢٣-المرجع السابق نفسه.." (١)

"وما هو أكثر خطرا مستوى المترجمين باللغة العربية. فمجموعة (الأرنب المخملي) التي ترجمتها رباب هاشم-على سبيل التمثيل لا الحصر-تفتقر إلى الحد الأدنى من الصوغ الفني، وإلى التماسك في التراكيب، والدقة في اختيار الألفاظ(١٤). كما تطرح مجموعة (الأرنب **والتمساح**) لاينيد بلايتون قيما سلبية موشحة بلبوس فني شائق، تغرس في الطفل القارئ نزعات فردية ذاتية من خلال عنايتها بنموذج الماكر الفائز بلذاذات الحياة دون عقاب على الذنوب التي اقترفتها يداه كما وضحت سابقا، ولعل حل قضية أسلوب الترجمة وسوء الاختيار يقع على عاتق وزارة الثقافة كما يقع عليها عبء الإخراج الفني للكتب بحيث تلتفت إلى التقليل من عدد النصوص في الكتاب الواحد، وتكثر من عدد اللوحات الملونة، وتجعل بنط الحرف كبيرا مضبوطا بالشكل ضبطا تدريجيا(١٥).

أما الكتب الموضوعة أساسا باللغة العربية فيمكن الاطمئنان إلى جودة مضمونها والتزامه. ولكن الثقافة التي طرحتها هذه الكتب أدبية وليست علمية، ولولا بعض كتب الخيال العلمي لقلت إن العلم لا أثر له في الثقافة المستمدة من الكتب في سورية. واللافت للنظر أن تفتقر الكتب الأدبية نفسها إلى التوازن، إذ إنها قصصية في الغالب الأعم، ومسرحية وشعرية في الندرة، حتى إن الباحث لا يخطئ حين ينص على أن الثقافة الأدبية في سورية هي ثقافة قصصية. ولا يظنن أحد أن هذه الثقافة القصصية تخلو من المشكلات الداخلية. فهي تعاني من مشكلة القيم التي سبقت الإشارة إليها غير مرة، وخصوصا التركيز على القيم المعرفية. وقد ثبت لي من خلال تحليل المحتوى القيمي في ثماني مجموعات قصصية(١٦) أن ليس هناك

---

(١) أدب الأطفال وثقافتهم قراءة نقدية ص/١٣٠

اختلاف ذو دلالة إحصائية بين نتائج دراسة القيم في قصص الأطفال المطبوعة في كتب الأطفال المطبوعة في المجلات(١٧)..." (١)

"٢-أبو علام، د. رجاء ... : الأطفال المتفوقون وتربيتهم (ضمن كتاب: الطفولة العربية معضلات المجتمع البطركي). الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية- الكويت ١٩٨٤

٣-أبو هيف، عبد الله ... : أدب الأطفال نظريا وتطبيقيا اتحاد الكتاب العرب- دمشق ١٩٨٣.

٤-الأحمدي، موسى بن محمد بن الملياني: معجم الأفعال المتعدية بحرف. دار العلم للملايين -بيروت ١٩٧٩.

٥-إخوان الصفا ... : رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء. دار صادر- بيروت ١٩٥٧.

٦- إسماعيل، د. عز الدين ... : التفسير النفسي للأدب. دار العودة/ دار الثقافة- بيروت د.ت .

٧-الأصبحي، منير صلاحي ... : الحقيقة والرواية. اتحاد الكتاب العرب- دمشق ١٩٧٨.

٨-الأصفر، عبد الرزاق (وآخران) ... : أدب الناشئة وزارة التربية- دمشق ١٩٨٩.

٩- باوستوفسكي ... : الخاتم المعدني (ترجمة: بكر يوسف) دار التقد م -موسكو ١٩٧٦.

١٠-بعلبكي، منير ... : المورد. دار العلم للملايين -بيروت -الط ١٩٨٥/١٩.

١١- بلايتون، اينيد ... : الأرنب والتمساح (ترجمة: وجيه توفيق جبر) وزارة الثقافة- دمشق ١٩٧٨.

١٢- ثاولس، روبرت ... : التفكير المستقيم والتفكير الأعوج (ترجمة: حسن سعيد الكرمي) عالم المعرفة ٢٠- الكويت ١٩٧٩.

١٣-جعفر، د.عبد الرزاق ... : أدب الأطفال. اتحاد الكتاب العرب- دمشق ١٩٧٩.

١٤-حاتم، دلال ... : صحافة الأطفال، قياس الشكل والمضمون (ضمن كتاب: جمهور الأطفال والثقافة). منشورات طلائع البعث -دمشق ١٩٨٥.

١٥-حسين، محمد الخضر ... : الخيال في الشعر العربي دمشق-الط١٩٧٢/٢.

١٦-حنورة، د.مصري عبد الحميد ... : الأسس النفسية للإبداع الفني في الرواية الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة ١٩٧٩.

١٧-خان، محمد عبد الحميد ... : الأساطير العربية قبل الإسلام القاهرة ١٩٣٧.

١٨- خرابتشنكو، م ... : الإبداع الفني والواقع الإنساني (ترجمة: شوكت يوسف وزارة الثقافة-دمشق

(١) أدب الأطفال وثقافتهم قراءة نقدية ص/١٥٥

١٩٨٣

١٩-خرما، د. نايف ... : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة عالم المعرفة ٩- الكويت ١٩٧٨.." (١)

"وهي تتركب من طبقات متتابعة من الصخور الطينية والرملية والطفلية والجيرية والطباشيرية وتتخللهما مستويات من الجبس أو الملح.

الأحداث الجيولوجية:

كان هذا الزمن زمن هدوء وسكون، فلم تتعرض فيه قشرة الأرض لتأثير اضطرابات أو حركات أرضية بطيئة اللهم إلا في أواخره حين بدأت حركة الالتواءات الألبية التي استمرت وبلغت عنفوانها في زمن الحياة الحديثة، وتخلو تكويناته من آثار النشاط البركاني إلا فيما ندر.

أنواع الأحياء:

الحيوان:

١- في البحر:

تطورت وارتقت وانتشرت معظم أنواع الحيوانات اللافقرية، كما انقرضت بنهايته أنواع هامة منها، وظهرت القنافذ البحرية البدائية، وارتقت أنواع الأسماك وكان من بينها ما يشبه بعض الأنواع الحالية.

٢- فوق اليابس:

شاعت الزواحف وازدهرت وتطورت وبلغت أحجاما عملاقة، ومن أمثلتها حيوان الديناصور وكذلك السلاحف **والتماسيح**، وقد اختفت كلها بانتهاء هذا الزمن، وظهرت الحيوانات الثديية الأولية متطورة من الزواحف، وكانت من الأنواع الكيسية التى تحمل صغارها في كيس يقع أسفل بطنها مثل الكنجرو الذي يعيش حاليا في استراليا.

ظهرت الضفادع والفراشات والطيور الأولية. وكانت الطيور ضخمة ذات أسنان، وهي تمثل بداية التطور من الزواحف إلى الطيور، التي تطورت وارتقت فيما بعد، ولم تنتشر إلا في العصور الجيولوجية الحديثة، كثرت الحشرات، وكان بعضها يشبه الأنواع الحالية.

ظهرت السحالي وأشباه الثعابين **والتماسيح** الحالية.

---

(١) أدب الأطفال وثقافتهم قراءة نقدية ص/١٨٧

النبات: اختفت الأشجار الضخمة التي انتشرت في زمن الحياة القديمة، وحلت محلها أنواع الأشجار الصنوبرية التي تشبه الأنواع الحالية.." (١)

"العوامل التي تؤثر في حياة الحيوانات:

١- المناخ:

لكل نوع من الحيوانات مناخ يلائم حياته، فمثلا الأفاعي لا تعيش في الأماكن الشديدة البرودة، **والتماسيح** لا ترى إلا في الأقاليم المدارية ونظرا لحركة وانتقال معظم الحيوانات فإننا نجد بعضها في جهات بعيدة عن موطنها، فالنمر مثلا يوجد في منشوريا بقارة آسيا.

وتؤثر درجة الحرارة في لون وكثافة الشعر الذي يكسو جلد الحيوانات، ففي الجهات الشديدة الحرارة يكسو الحيوانات شعر قصير، وفي الجهات الشديدة البرودة يكسوها شعر كثيف من الصوف ليقيها شر البرد.

وهناك حيوانات تقاوم هذه الظروف وتتحملها كالزواحف التي يكون لها فترة بيات وخاصة في فصل الشتاء لشدة انخفاض درجة الحرارة، وبعضها يتحمل العطش الشديد مثل الجمل في الجهات الصحراوية الحارة.

٢- النباتات:

تعتبر النباتات ذات أثر عظيم في حياة الحيوانات، إذ إنها تتغذى عليها بطريق مباشر كالحيوانات العشبية أو بطريق غير مباشر كالحيوانات الكاسرة "آكلة اللحوم" التي تعيش على لحوم الحيوانات العشبية. ولكل إقليم من الأقاليم النباتية حيوانات ذات صفات خاصة تميز بعضها عن البعض الآخر.

٣- التضاريس:

للتضاريس أثر عظيم في حياة الحيوانات، ففي الجهات الجبلية تتنوع الحيوانات مع تنوع النبات من قاعدة الجبل إلى قمته، كما أن السلاسل الجبلية تعتبر بمثابة حدود فاصلة بين الحيوانات التي تعيش على جوانبها، فجبال الإنديز في أمريكا الجنوبية مثلا تفصل بين الأنواع التي تعيش في شرقها والأنواع التي تعيش في غربها، وكذلك جبال الهيمالايا في الهند تفصل بين حيوانات الهند وحيوانات وسط القارة الآسيوية.

٤- الإنسان:

للإنسان أثر كبير في توزيع الحيوانات على سطح الأرض، فهو مثلا يعمل على زيادة بعض أنواع من

---

(١) قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية جودة حسنين جودة ص/٧٥

الحيوانات مثل الخيول، أو يساعد على اختفاء بعض الحيوانات المتوحشة كالثيران الوحشية الأمريكية.." (١)

"وبعض الأفاعي والحشرات التي تعيش في الأراضي الرطبة وفي جذوع الأشجار. وتلك التي تعيش على المياه الراكدة والمستنقعات كالبعوض وذباب تسي تسي، وكذلك **التماسيح** وأفراس البحر "السيد قشطة" التي تعيش في مياه الأنهار والبحيرات والبرك.

شكل "١٤٦": الأقاليم الحيوانية في العالم." (٢)

"نيل بلا **تمساح** وقد سمعت عن جبال الرحمة بخارجها وكثرة ما فيها من بساتين التين القوطي والشعري وهذان الصنفان اجمع المتجولون في أقطار الأرض ان ليس في غير اشبيلية مثل لهما وقد سمعت ما في هذا البلد من اصناف ادوات الطرب كالخيال والكريج والعود والروطة والرباب والقانون والمؤنس والكثيرة والفنار والزلامي والشقرة والنورة وهما مزماران الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه والبوق وان كان جميع هذا موجودا في غيرها من بلاد الأندلس فأنه فيها أكثر وأوجد وليس في بر العدوة من هذا شيء إلا ما جلب اليه من الأندلس وحسبهم الدف واقوال واليرا وابو قرون ودبدبه السودان وحماقى البرابر وأما جواريها ومراكبها برا وبحرا ومطابخها وفواكهها الخضراء واليابسة فاصناف أخذت من التفضيل بأوفر نصيب وأما مبانيها فقد سمعت عن اتقانها واهتمام اصحابها بها وكون أكثر ديارها لا تخلو من الماء الجاري والاشجار المتكاثفة كالنارنج والليم والليمون والزنبوع وغير ذلك وأما علماؤها في كل صنف رفيع أو وضيع جدا أو هزلا فأكثر من ان يعدوا واشهر من ان يذكروا وأما ما فيها مت الشعراء والوشاحين والزجالين فما لو قسموا على بر العدوة ضاق بهم والكل ينالون خير رؤسائها ورفدهم وما من جميع ما ذكرت في هذه البلدة الشريفة الا وقصدي به العبارة عن فضائل جميع الأندلس فما تخلو بلادها من ذلك ولكن جعلت اشبيلية بل الله جعلها ام قراها ومركز فخرها وعلاها إذ هي اكبر مدنها واعظم امصارها

وأما قرطبة فكرسي المملكة القديم ومركز العلم ومنار التقى ومحل التعظيم والتقديم بها استقرت ملوك الفتح وعظماؤه ثم ملوك المروانية وبها كان يحيى بي يحيى راوية مالك وعبد الملك بن حبيب وقد سمعت من تعظيم أهلها للشريعة ومنافستهم في السؤدد." (٣)

---

(١) قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية جودة حسنين جودة ص/٣٢٣

(٢) قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية جودة حسنين جودة ص/٣٢٥

(٣) فضائل الأندلس وأهلها مجموعة من المؤلفين ص/٥٢

"الاختفاء من أعدائها؛ وبينما يموج أعلى الغابة بهذه الأنواع المتعددة من الحيوانات التي يساعدها تكوين أجسامها على التسلق والتعلق بغصون الأشجار، نجد أن أرض الغابة لا تعيش فوقها غالبا إلا أنواع قليلة من الزواحف والحشرات التي يوجد بعضها بأعداد هائلة، ومثال ذلك نوع من النمل الأبيض Termites الذي يوجد بكثرة في غابات حوض الأمزون. وفيما عدا ذلك تخلو الغابات المدارية المطيرة إلى حد كبير من الحيوانات البرية ذات الأحجام الكبيرة، وينطبق هذا بصفة خاصة على غابات أمريكا الجنوبية، أما في إفريقية فإن هناك عددا من الحيوانات التي تنتقل ما بين الغابات المدارية والسفانا ومنها بعض آكلات اللحوم مثل النمور والقطط المتوحشة، وبعض آكلات النباتات مثل الفيلة والزراف والبقر الوحشي، وتعيش في حوض الكنغو بصفة خاصة بعض الحيوانات التي أهمها الفيلة والجاموس وكذلك فرس البحر **والتمساح** اللذان يعيشان في مجاري الأنهار.

شكل "١٣١" شجرة باوباب." (١)

"ويلاحظ أن الغابات شبه النفضية، وكذلك الأحراج تكون عادة مختلطة بكثير من الحشائش، ولذلك فإنها تدرس أحيانا ضمن نطاق السفانا، ولو أن كلمة سفانا بمعناها الضيق لا تشمل إلا المناطق الخالية من الأشجار١، وسنعود لوصف الحد الفاصل بين السفانا والغابات بعد قليل.

الحياة الحيوانية في الغابات المدارية:

تشمل الحياة الحيوانية في هذه الغابات أنواعا متعددة من الحيوانات التي يعيش بعضها في الغابات المدارية المطيرة، ويعيش بعضها الآخر في الغابات المدارية الأخرى، أو ينتقل بينها بين مناطق السفانا.

ومعظم الحيوانات التي تعيش في الغابات المطيرة تقضي كل حياتها تقريبا في أعلى الأشجار نظرا لقسوة الظروف في قلب الغابة، وهي تشمل كثيرا من القردة مثل الغوريلا الشمبانزي، كما تشمل السنجاب الطائر، وضفادع الأشجار والسحالي والثعابين، وأنواعا مختلفة من الطيور والحشرات، ويتميز الكثير من هذه الحيوانات بألوانه الزاهية التي تجعل من الصعب تمييزه وسط الأوراق والأزهار، وهذه الميزة لها أهمية كبيرة، في حياة بعض الحيوانات؛ لأنها تسهل عليها مهمة الاختفاء من أعدائها، وبينما يموج أعلى الغابة بهذه الأنواع المتعددة من الحيوانات التي يساعد تكوين أجسامها على التسلق والتعلق بغصون الأشجار، نجد أن أرض الغابة لا يعيش فوقها غالبا إلا أنواع قليلة من الزواحف والحشرات التي يوجد بعضها بأعداد هائلة، ومثال ذلك نوع من النمل الأبيض "Termites" الذي يوجد بكثرة في غابات حوض الأمزون، وفيما عدا

---

(١) المقدمات في الجغرافيا الطبيعية عبد العزيز طريح شرف ص/٣٥٤

ذلك تخلو الغابات المدارية المطيرة إلى حد كبير من الحيوانات البرية ذات الأحجام الكبيرة، وينطبق هذا بصفة خاصة على غابات أمريكا الجنوبية، أما في إفريقية فإن هناك عددا من الحيوانات التي تتنقل ما بين الغابات المدارية والسفانا ومنها بعض آكلات اللحوم مثل النمور والقطط المتوحشة، وبعض آكلات النباتات مثل الفيلة والزراف والبقر الوحشي، وتعيش في حوض الكونغو بصفة خاصة بعض الحيوانات التي أهمها الفيلة والجاموس، وكذلك فرس البحر **والتمساح** اللذان يعيشان في مجاري الأنهار.

---

١ Horrocks, N.K. "physical geography and climatology"..٢٤٣. p.١٩٥٣ (١)

---

(١) الجغرافيا المناخية والنباتية عبد العزيز طريح شرف ص/٥٥٦